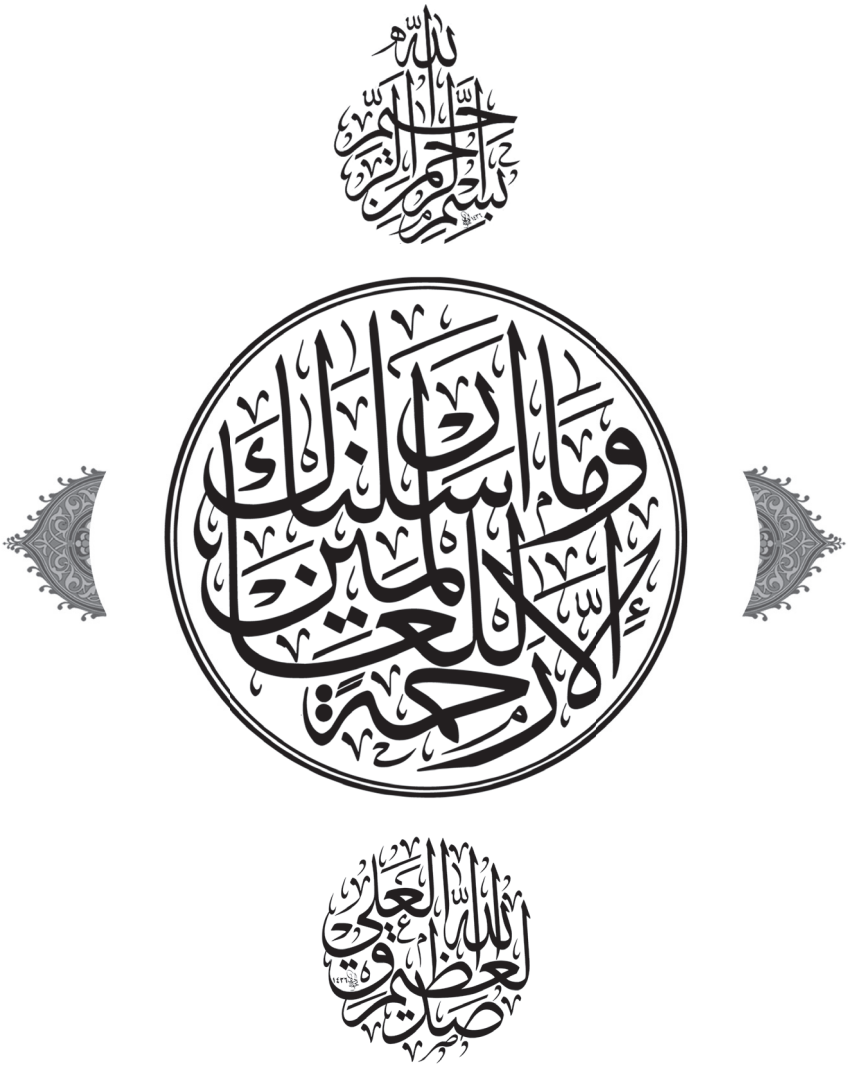
بسم الله الرحمن الرحيم
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
صدق الله العلي العظيم

العنوان:السيرة النبـوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام)
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله
التَّصميم والإخراج الطباعي: حسين عقيل
عدد النّسخ: ٥٠٠
١٤٣٨ هـ – ٢٠١٧ م .
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.
رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية ٢٦١٢ لسنة ٢٠١٦م

ملاحظة

* هذه الدراسة اطروحة نال بها صاحبها درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الاسلامي في كلية الاداب جامعة البصرة
*الدراسة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

السيرة النبوية
في مرويات الإمام الصادق عليه السلام

د. جمعة ثجيل عكلة الحمداني

كلمة دار الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

غاية دار الرسول العناية بسيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وتنقيتها مما شابها من تحريف وتشويه، وابراز الصورة المشرقة للسيرة المطهرة هي من أولى اولويات الدار بل هي الغاية السامية التي من اجلها أُسِّست هذه الدار برعاية كريمة من العتبة العباسية المقدسة، ولتحقيق ذلك شرعت الدار في اصدار سلسلة تُعْنى بالدراسات الاكاديمية التي تناولت سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وقد وسمت بـ(سلسلة السيرة)، ولاشك ان روايات آل البيت عليهم السلام هي اصدق مرآة تعكس حياة النبي صلى الله عليه وآله ، إذ إنّ أهل البيت ادرى بما فيه، لذا فإن كتابة السيرة من طريق روايات احد الائمة، هي خطوة مهمة لتحقيق هدف الدار، وقد وقع الاختيار على الاطروحة الموسومة بـ(السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق عليه السلام) لتكون باكورة هذه السلسة، لتقديم سيرة نبوية يمضيها احد الائمة المعصومين عليهم السلام، وقد نتج عن هذه الدراسة قراءة جديدة للسيرة النبوية بعد ان داخلها ما داخلها من تحريف للكثير من الحقائق. وحرصاً من الدار على ابراز الحقيقة، صار المشروع الرئيس لها هو: السيرة النبوية في هدي القرآن الكريم والعترة. اللذين لن يفترقا الى قيام الساعة .

نرجو من الله العلي القدير التوفيق في هذا المسعى، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

صدق الله العلي العظيم
المجادلة : ١١

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
((إن من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة))

الكليني ، الكافي،ج١، ص٣٤

قال الإمام علي عليه السلام :
((كفى بالعلم شرفاً أن يدَّعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نُسِبَ إليه
من ليس من أهله وكفى بالجهل خمولاً انه يتبرأ منه من هو فيه
ويغضب إذا نُسِبَ إليه))

المجلسي ، بحار الأنوار،ج١،ص١٨٤

الإهداء

إلى . . .

روح والديَّ الكريمين . . . وهم في أكرم جوار عند ربهما

إلى . . .

الروحين اللذين ربياني صغيرا ، ورعياني كبيرا

واللذين لا أنفك عن الدعاء لهما عقب كل صلاة

اهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع الذي هو ثمرة من ثمار غرسهما

الباحث

المحتويات

المقدمة..... ١٠

الفصل الاول : أهمية دراسة السيرة النبوية بمرويات الإمام الصادق عليه السلام ١٩

المبحث الأول : مراحل تعرض السيرة النبوية للتحريف والتشويه ٢٥
المبحث الثاني :التدوين التاريخي لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عند أهل البيت عليهم السلام ٨٧

الفصل الثاني : مرويات الإمام الصادق عليه السلام في نشأة النبي صلى الله عليه وآله حتى البعثة المباركة ١٣٧

المبحث الأول : النبي (صلى الله عليه وآله) وآباؤه ١٣٩
المبحث الثاني : ولادته ونسبه ١٦٩
المبحث الثالث : كفالته وعمله.....١٩٣
المبحث الرابع :النشأة العائلية والشخصية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).....٢١٩
المبحث الخامس : تجديد بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود ٢٤٧

الفصل الثالث :مرويات الإمام الصادق (عليه السلام)

في البعثة النبوية المباركة حتى الهجرة إلى المدينة..... ٢٥٣
المبحث الأول : بدايات البعثة ونزول الوحي..... ٢٥٥
المبحث الثاني : بدء الدعوة الإسلامية ٢٨٧

المبحث الثالث : الإسراء والمعراج ٣٠٩
المبحث الرابع : سيرته(ﷺ)من الهجرة إلى الحبشة حتى الهجرة إلى المدينة..... ٣٢٧

الفصل الرابع : مرويات الإمام الصادق عليه السلام في العهد المدني.....٣٤١

المبحث الأول : الهجرة إلى المدينة وإرساء أسس بناء الدولة ٣٤٣
المبحث الثاني : الأبعاد الفكرية للجهاد في سيرته ﷺ.....٣٥١
المبحث الثالث : الصراع العقائدي والسياسي في المدينة حتى صلح الحديبية.....٣٦٩
المبحث الرابع : سياسة الرسول ﷺ في تثبيت دعائم الإسلام وفرض سيادته ٤٠٩
المبحث الخامس : نهاية عصر الرسالة.....٤٤٧

الخاتمة.....٤٦٣

المقدمة

الحمد لله الذي عنت لجلاله الوجوه ودانت لعظمته العقول ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، حبيب إله العالمين ، أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين وبعد...

تعد دراسة السيرة النبوية من الأمور الحساسة جداً ، لأنها تمثل سيرة أعظم إنسان وجد على سطح هذا الكوكب ، سيدنا المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، وتأتي أهميتها من ناحية أخرى فهي تمثل بداية التدوين التاريخي لتاريخ العرب والمسلمين ، وما قبلها لم يكن هناك تاريخ مدون يحكي ويوضح حياة العرب قبل الإسلام. فالكثير من الأخبار وأحوال المجتمع العربي قبل الإسلام لم نعرف تاريخه وعاداته وثقافاته إلا بعد تدوين السيرة النبوية.

إلا إن هذه السيرة وعند تدوينها تعرضت للتحريف والتزوير والتشويه والتضليل – بقصد أو من دون قصد – ودليلنا على ذلك امتلاء كتب التراث الإسلامي بالأحاديث والروايات المزورة التي نسبت إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وكشاهد على ما نقول : يسأل أحدهم مثلاً : أين سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) من سفك الدماء ؟ وهو الذي يوصي سراياه حين يتوجهون للغزو : "اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، وهو القائل : لا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، ولا تمثلوا"[1].

وظلت هذه الأحاديث والروايات المزورة في مجاميع هذه الكتب يتوارثها الخلف عن السلف من دون تحقيق في أسانيدها ولا دراسة لمتونها ، إلى جانب الصحيح منها ، فاختلط الحق بالباطل ، والصحيح بالفاسد.

وإلى جانب ذلك فقد ألفت العشرات بل المئات من الكتب في دراسة السيرة النبوية اعتماداً على موروث إسلامي شابه القصص الخيالية والأساطير التي هي في نظر من نقلها أنها ترفع من شأن النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولا يعلم هؤلاء أنه ليس به حاجة لمثل ذلك .

١ – مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م) ، صحيح مسلم ، (مطبعة دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ج٥ ، ص١٤٠ .

ومما زاد الأمر تعقيداً أن الإنسان بطبيعته مغرم بهذه الأساطير والمعجزات والكرامات ، فتغلغلت أخبار الأساطير في نفوس الناس وعقولهم إلى درجة لا يمكن التخلص منها ، أو القبول بمناقشة من يخالفها.

وتفيد الدراسات المعاصرة ذات المنهج النقدي الحديثي أن الروايات التي أوردها الرواة الضعفاء تعطي صورة مشوهة لبعض أحداث السيرة النبوية ، لهذا كله لابد من الانتباه إلى مسألة مهمة جداً وهي ان السيرة الصحيحة يجب أن تبنى على التحليل العلمي النزيه ، لأن نظرة التقديس للنصوص والروايات كونها صادرة من رموز هي التي أدت بالمؤلفين والكتاب ان لا يقفوا موقف الناقد لأحداث السيرة النبوية ، فسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) مثلها كمثل باقي سير العظماء أضيف لها ما ليس منها – بقصد أو من دون قصد – فلم يتعرض كثير منهم على ما تحمله السيرة بين دفتيها من أخبار ضعيفة بعيدة عن الحقيقة لينقدها ويأتي على الضعيف فيها.

لذا من الواجب العلمي والأكاديمي أن يتصدى المختصون في الدراسات التاريخية – لاسيما علماء السيرة النبوية – إلى تنقية السيرة النبوية من الشوائب التي علقت بها ، على الرغم من ان هذه ليست بالمهمة السهلة ، بل هي مهمة كبيرة ومسؤولية صعبة ، لأن هنالك بيننا اليوم من يقدس هذه النصوص والروايات ، ويمجدونها ، ولا يغادرون أطرها ومنطوقها لأي سبب كان.

لقد كان المفروض بهذا السفر العظيم أن ينتقل للأجيال كما هو نظيفاً صادقاً يتناسب وقدسية صاحبه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، ولكن للأسباب التي ذكرت ، تبدلت ملامح هذا السفر وظهر بمظهر آخر.

ولكل ما تقدم من أسباب ودوافع ، فضلا عن رغبة الباحث في الخوض بكتابة السيرة النبوية بطريقة فكرية معاصرة ، برزت الأهمية لدراسة السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) (١٤٨هـ/ ٧٦٥م) الذي يمثل أحد أعمدة الثورة العلمية والفكرية في هذه المدرسة الكبيرة ، التي توارثها من آبائه (عليهم السلام).

إن الانفراج الفكري الذي حصل لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) كان كبيراً قياساً بالعهود السابقة التي مرت بها الأمة الإسلامية ، وأسباب هذا الانفراج كثيرة وأهمها ضعف الحكم الأموي وانهياره ، وضعف بداية الحكم العباسي ، فكان من الطبيعي ان ينشغل الحكام عن رموز أهل البيت (عليهم السلام) ، لذلك كان (عليه السلام) بعيداً عن المواجهة السياسية العلنية ، فحصل فراغ واضح استغله الإمام الصادق (عليه السلام) في نشر علومه العديدة والكبيرة ، ومن ثمَّ أدى إلى كثرة الإنتاج العلمي له (عليه السلام) وكثرة مروياته التي أطلقها لنشر العلوم والفكر الإسلامي ومنها علم السيرة.

ولعله لم يدر في خلد بعضهم أن للإمام الصادق (عليه السلام) مادة تاريخية في السيرة النبوية ، ويستند أصحاب هذا الرأي إلى أن الإمام الصادق (عليه السلام) سلك في أحاديثه جانب الوعظ والإرشاد فضلا عن أمور أخرى تحمل الطابع الديني والعقائدي ، وهذا ليس صحيحاً ، بل يعد دليلاً على عدم الاطلاع والمعرفة بثروته العلمية الكبيرة التي خلفها لنا (عليه السلام) ، فهذا البحر المتلاطم الأمواج من العلم الموروث عن آبائه (عليهم السلام) وجده (صلى الله عليه وآله) كان كافياً لتزويدنا بما نحن بحاجة إليه من المادة التاريخية للسيرة المباركة ، بل إن مروياته من السعة والشمول بما لا يستطيع أي باحث الإلمام بها جميعاً ، لذلك اضطر الباحث في معظم فصول أطروحته إلى الاكتفاء بنصوص وشواهد محددة من كل حادثة في سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، واتخاذها أمثلة دالة على هذه المعرفة التاريخية لدى الإمام (عليه السلام).

ولعل هذا هو الجديد في هذه الأطروحة ، إذ لم يتبادر إلى الذهن وجود النصوص التاريخية في كتب التفسير أو الحديث أو الفقه أو علم الكلام التي تؤكد غزارة المادة التاريخية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام).

فضلاً عما تقدم ، فأن هناك أسباباً عديدة دعت الباحث إلى كتابة السيرة النبوية بمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) واعتماد هذه المرويات في دراسة فكرية معاصرة لتكون حافزاً لتنقية السيرة من الشوائب التي علقت بها ، ويمكن إجمال هذه الأسباب بالنقاط الآتية :

١- إن مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) ذات قيمة تاريخية مهمة ، لسلامة سندها ، ولمعاصرة الإمام علي (عليه السلام) والإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن هؤلاء وصلت أخبار السيرة إلى الإمام الصادق (عليه السلام). ويشير الإمام الصادق (عليه السلام) إلى صدق هذا الأمر حين قال : "حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) قول الله عز وجل"[١]. فأهل البيت (عليهم السلام) أدرى بما في البيت ، وهم لا يحدثون إلا بما سمعوه من آبائهم عن النبي (صلى الله عليه وآله).

٢- اعتماد مروياته (عليه السلام)على قاعدة عرض النصوص على القرآن الكريم وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) في قراءة أحداث السيرة ، وتعد هذه القاعدة من أهم القواعد الأساسية عند الإمام الصادق (عليه السلام) ، لأن كتاب الله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]. ولذلك نجد الإمام الصادق (عليه السلام) يصر على ضرورة عدم مخالفة الحديث للقرآن ، فإذا خالفه طرح مطلقاً ، وهذا مسلك عظيم وقاعدة قوية ، يجب العمل بها ويجب أن يحتكم إليها الصحاح جميعاً ، ولم تأتِ هذه القاعدة من فراغ ، بل ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي أرساها. فقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السلام) قوله: "قرأت في كتاب لعلي (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : إنه سيُكذَّب عليَّ كما كذب على من كان قبلي ، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي ، وما خالف كتاب الله فليس من حديثي"[٣]. فاستند إليه أهل البيت (عليهم السلام) وعملوا على تطبيقه ، وألزم الإمام الصادق (عليه السلام) أتباعه وتلاميذه ومريديه التنفيذ

١ - الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) ، الكافي ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، ط٥ ، (مطبعة حيدري ، طهران ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ج١ ، ص٥٢ ؛ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان بن المعلم العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) ، الإرشاد إلى أئمة العباد ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص١٨٦.

٢- فصلت : ٤٢.

٣- الحميري ، أبو العباس عبد الله بن جعفر (ت ق٣هـ/ ق٩م) ، قرب الإسناد ، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٩٢.

الحرفي لهذه القاعدة ، وألزم مروياته (عليه السلام) بها في قوله: "إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً في كتاب الله أو من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وإلا فالذي جاءكم به أولى"[1]. وقد عدّ النبي (صلى الله عليه وآله) روايات أهل البيت (عليهم السلام) عدلاً للقرآن الكريم في قوله (صلى الله عليه وآله) : "إني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل البيت)"[2] ومن هذه القاعدة وجدنا ان سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم هي عين سيرته (صلى الله عليه وآله) فيما جاء عن أهل البيت (عليهم السلام) ، لأن القرآن الكريم هو الثقل الأكبر ، والأئمة الأطهار (عليهم السلام) هم الثقل الأصغر ، ولا يمكن للثقل الأصغر أن يختلف عن الثقل الأكبر.

٣- انسجام النصوص الواردة في مروياته (عليه السلام) مع سلوك النبي (صلى الله عليه وآله) وصفاته وخصائصه وشمائله ، فمروياته (عليه السلام) تقدم لنا النبي (صلى الله عليه وآله) بل سائر الأنبياء الآخرين بصورة تليق بمقامهم على عكس بعض الروايات التي شوهت هذه الصورة.

٤- موافقة النص الصادر عن الإمام الصادق (عليه السلام) للعقل والفطرة والمنطق السليم.

٥- عدم التناقض بين النصوص وعدم مخالفتها للواقع والبديهيات والقدرات العقلية ، وللحقائق العلمية والثوابت التاريخية.

٦- في مروياته (عليه السلام) نجد ان الحرب معلنة ضد كل ما يشوه الدين الحنيف وسيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فحربه (عليه السلام) معلنة ضد الغلو والمغالين وضد وجود الروايات الإسرائيلية في كتب التراث الإسلامي ، وسنذكر العديد من النصوص والشواهد التي تؤيد ذلك في حينها وعند الوصول للمبحث الخاص بها. فلم تقتصر محاربته (عليه السلام) على الكلام والألفاظ فقط وإنما اتخذ إجراءات فعلية رادعة بهذا الخصوص.

٧- ابتعاد مروياته (عليه السلام) عن التعصب والعصبية ، هذا التعصب الذي كان مازال آفة وخطراً على الفكر الإسلامي ، فلا مجال للتعصب في آرائه (عليه السلام) ، إلى غير ذلك

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩.
٢- المصدر نفسه ، ص٢٩٤.

من الميزات التي لا يتسع المجال لذكرها ، فكانت من أسباب الدخول في غمار هذا البحث والكتابة فيه.

إن منهجية البحث التي سار عليها الباحث ، لا تعتمد على طريقة السرد التاريخي التقليدي ، بقدر ما تعتمد على نقل مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) وفرزها ، وبيان الصحيح منها ، ودراستها دراسة فكرية نقدية في إطار تاريخي ، والذي دفع الباحث إلى سلوك هذا الخط ، أو اللون من الكتابة هو ، أن صراع البشر الايديولوجي وخلافه الفكري – قديماً وحديثاً – هو صراع لا يمكن نفيه ، بل لا يمكن تجاوزه ، وعده حالة عابرة ، انه صراع أبدي ، وتحول في نهاية الأمر إلى مسألة إثبات وجود ، وهذا ما حصل في التاريخ الإسلامي حيث أصر كل طرف إلى إثبات وجوده بكل ما استطاع ، وتسرب هذا النوع من الصراع – وللأسف – إلى مصادر التراث الإسلامي ومنها كتب السيرة النبوية ، فالسيرة النبوية الموجودة حالياً في كتب التراث الإسلامي لا تلبي الحاجة ! لماذا ؟ لأن المسلم خصوصاً كلما يقرأ القرآن ، ومن ثم يقرأ مصادر السيرة يجد ان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في القرآن هو أعظم مما كتب عنه في هذه المصادر والكتب!

لهذا يجب على الباحث – بل على كل دارس للسيرة – حين الخوض في غمارها ان يدرك ان الحكام كانت لهم إسهامات واسعة في ظل سياساتهم التي اتبعوها ، القاضية برفض التدوين ومنع كتابة صفحات هذه السيرة ، بل لم يسمح الحكام حتى برواية وتداول الأحاديث النبوية بعد وفاة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، ومضت الحقب والأجيال حتى نشأ الصغير وهرم الكبير على هذه السياسة التي رافقت السياسات الصارمة القاضية بإبعاد الأمة الإسلامية عن المصدر الأوثق والأصدق والأصفى للمعارف والعلوم على شموليتها وتنوعها ، وهم أهل البيت (عليهم السلام) وممارسة رقابة دقيقة على كل ما يصدر عنهم أو ينتهي إليهم.

وقد يسأل سائل : لماذا السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) ؟ وبماذا يختلف الإمام الصادق (عليه السلام) عن علوم الأئمة الأطهار الآخرين وفكرهم (عليهم السلام) ؟ ألم يكن الأجدر في هذه الدراسة ان تكون حاملة لمرويات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) جميعاً؟

للجواب على ذلك نقول : في البداية لابد من توضيح شيء مهم ، هو استحالة دراسة فكر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بطريقة موحدة ، فالدراسات والعلوم التخصصية تدفع بنا إلى ان كل إمام قد يحتاج إلى عدة دراسات تخصصية.

لذا فإن الحالة تفرض على كل باحث في علوم أهل البيت (عليهم السلام) ان يدرس علوم كل إمام على حدة ، لكي يحقق الغاية العلمية المنشودة ، كالغاية المتوخاة في هذا البحث وهو تعرف السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام). وبذلك يتجه البحث نحو المنهج التجزيئي الذي تنادي به الدراسات الأكاديمية المعاصرة ، التي تذهب إلى ان دراسة السيرة النبوية وفق الطريق التجزيئية هي الأسلم والأصوب ، لأنّ الباحث لا يتمكن من الإلمام بتفاصيل السيرة جميعها فكانت أحداث السيرة في هذا البحث تنحصر في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) لكي تستخلص الدروس والعبر والعظات من فكر هذا الإمام الكبير.

وهناك أسباب أخرى لسلوك هذا النهج وهي : ان المنهج التجزيئي لفكر أهل البيت (عليهم السلام) – أي دراسة علوم كل إمام على حدة – يجعل الصورة التاريخية لعملهم وجهادهم واضحة ودقيقة وغير ملتبسة الجوانب ، لأن لكل عصر ظروفه ، ولكل إمام ظروفه ، فعلى سبيل المثال نجد ان الإمام الحسن (عليه السلام) يصالح ويلجأ إلى السلم ، بينما الإمام الحسين (عليه السلام) صاحب ثورة وصرخة بوجه الظالمين ، ونجد عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) ابتعاداً عن الحياة السياسية ، ثم نجد الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) صاحبي ثورتين علميتين وفكريتين تبتعدان عن المواجهات السياسية والعسكرية. لذا فإن دراسة منهج كل إمام دراسة مستقلة – أي بصورة تجزيئية – يظهر لنا تاريخ الأئمة الأطهار وفكرهم (عليهم السلام) بعيداً عن هذه التناقضات ،ويزيل هذا النهج كل الاختلافات الظاهرية المعروفة في التاريخ الإسلامي .

ولأن دراسة السيرة النبوية في هذا البحث كانت متخصصة بمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) من دون غيره ، فان الباحث اضطر في مواضع كثيرة من هذا البحث ان يكرر الاستشهاد بالنصوص والروايات لتوظيف ما ورد فيها من معلومات ورؤى بحسب فكرة المبحث الذي

يتناوله ، أي النظرة إلى النصوص والروايات عند تكرارها من جهة وحيثية أخرى غير الجهة والحيثية التي كانت فيها النظرة في المرة السابقة.

ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن منهجية البحث كانت في الأعم الأغلب يكثر فيها النقد للمتن من دون السند ، لسببين مهمين : الأول : لأن المتن يعبر عن مضمون فكرة ومحتوى ورأي يتطلب الوقوف عندها استناداً إلى قاعدة الإمام الصادق (عليه السلام) في رفض أي نص مخالف للقرآن الكريم والعقل والمنطق والفطرة السلمية ، ولأن إهمال نقد المتن ودراسة محتواه ، والاستسلام لما ورد فيه من محتوى فسح المجال لانتشار الروايات الهابطة التي تسيء للرسول (صلى الله عليه وآله) وأصبحت هذه الروايات مادة يستعملها المناوئون للهجوم على الإسلام . الثاني : ان هناك روايات تعارض القرآن ولا يقبلها عقل ولا منطق ، ومع ذلك فُرض علينا قبولها لان سندها صحيح! وهذا أمر في غاية العجب ، لان تزكية الرجال وتوثيق الرواة لا يسلم بأي حال من الأحوال وبدرجة من الدرجات ، فالمعايير التي اعتُمدت لهذه التزكية وهذا التوثيق يُشم منها رائحة التمذهب والانحياز والتعصب والميول الشخصية والانتماءات السياسية. لذا فكثير من النصوص تُعد غير بريئة على الرغم من أن رواتها من الثقاة ، وكتب التراث الإسلامي مليئة بالإشارة لهذا الأمر.

وإن عنونة البحث بمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) لا يعني إهماله مرويات الأئمة الآخرين ونصوصهم عندما يضطر الباحث للاستشهاد بها .

إن أصعب ما واجهه الباحث في هذه الدراسة هو سعة الموضوع الفكري والتاريخي ، فالسيرة مليئة بالأحداث ، وأحداثها مليئة بالعبر والعظات والدروس ، ودروسها تستند إلى قول الله تعالى وسنة نبيه ، فتشعبت الدراسة لارتباط كل تخصص منها بالآخر ، مما اضطر الباحث إلى اللجوء في أغلب الفصول إلى الكتابة المجملة ، وليس المفصلة تجنباً للإطالة ، وخوفاً من الخروج عن حدود البحث.

ولا ازعم أنني استطعت الإلمام بكل ما ورد من مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) في السيرة

النبوية ، لأن مروياته (عليه السلام) أوسع وأشمل من ان يتمكن باحث مثلي الإلمام بها ، ولكني متيقن من أمر واحد ، وهو أني بذلت الجهد ، كل الجهد ، ومع بذلي كل ما استطعت من الجهد في هذه الدراسة إلا انه من الصعب توقع خلوها من القصور أو الثغرات ، فهذا جهد المقل ، أقدمه معترفاً بالتقصير ، وقد قيل قديماً : "إني رأيت انه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : لو غُيِّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكن يستحسن ، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر"[1].

وأدعو الله العلي القدير أن يوفقني في عملي هذا الذي أرجو فيه مرضاة الله عز وجل ، ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) ، فأن وفقني الله فهذا فضل منه سبحانه وتعالى ، وان لم أوفق فحسبي اني اجتهدت ، وبذلت الجهد ، فان أصبت فهو من الله ، وان أخطأت فهو من نفسي.

وختاماً فهذا عمل متواضع ، بذل فيه الباحث الجهد ، وأخلص له النية ، بعد الاتكال على الله الواحد الأحد ، فان جاء محققاً للقصد فبتوفيق من الله وعنايته ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبي الرحمة وعلى آله الطيبين الطاهرين.

١- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق: محمد شرف الدين ورفعت بيلكة اللكيسي ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص١٨.

الفصل الأول

أهمية دراسة السيرة النبوية بمرويات الإمام الصادق عليه السلام

المبحث الأول :

مراحل تعرض السيرة النبوية للتحريف والتشويه

المبحث الثاني :

التدوين التاريخي لسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

عند أهل البيت (عليهم السلام)

تمهيد :

تُعد السيرة النبوية البوابة العريضة التي دخل المسلمون منها إلى دراسة التاريخ وتدوينه عموماً. وهناك حقيقة يصرح بها الجميع ، ويعترف بها الجميع أيضاً ، ولا تحتاج إلى شواهد أو نصوص أو مصادر لتعزيزها ، وهي : أن التاريخ المكتوب ليس هو تاريخ الشعوب والأمم ، ولا يعكس لنا آمالها وآلامها ، ولا مكانتها أو حركتها في واقع الحياة. وإنما هو تاريخ الحكام والسلاطين ، ومن يدور في فلكهم ، لذا نجد المؤرخ يُسهب كثيراً في وصف مجلس شراب أو منادمة للسلطان ، أو مجلس شعراء ومجون لحاشيته[1] ، أو ينقل لنا المؤرخ مثلاً مقدار ما بذله السلطان من أموال طائلة على حفلاته وضيوفه وتبذيره الشديد الذي يتفاخر به هذا السلطان وحاشيته ، والمؤرخ نفسه ، لأنه دليل الكرم والجود[2] ، أو ينقل لنا أخبار سيطرة النساء على مقاليد الأمور لخليفة معين[3].وحتى تاريخ الحكام هذا لم يستطع ان يعكس صورة واقعهم بأمانة ودقة ونزاهة ، مادام انه غير قادر إلا على تسجيل ما يرضي الحكام ، ويصب في مصلحتهم ، ويقوي سلطانهم مهما كان ذلك منحرفاً وغير نقي ، أو مزوراً وغير واقعي[4].

ومثال ذلك ما حدث مع النسائي أحمد بن شعيب المتوفى سنة (٣٠٣هـ/ ٩٠٥م) ، صاحب السنن الكبرى ، الذي مات شهيداً في مكة ، وجاء في سبب وفاته : انه خرج من مصر وافداً على دمشق فاجتمع عليه المحدثون والقراء وغيرهم ، وفي بعض مجالسه سأله بعضهم :

١- للمزيد من المعلومات والشواهد التاريخية ينظر : الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م) ، الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م) ، ص١٧٣ ؛ زيدان ، جرجي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، تحقيق : شوقي ضيف ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) ، ج٢ ، ص١٧٩ ؛ نكلسن ، رينولد أ. ، تاريخ الأدب العباسي ، تعريب : صفاء خلوصي ، (المكتبة الأهلية ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ، ص٣٣.

٢- للمزيد من المعلومات والشواهد ينظر : المقريزي ، تقي الدين أبو محمد بن علي بن إبراهيم بن تميم (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، (المطبعة الابراهيمية ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، ص٨١ ؛ ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، ط٢ ، (مطبعة سليمان زادة ، قم ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م)، ص١٩ ؛ العلي، صالح أحمد ، منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد في العهود العباسية الأولى، بحث منشورة في مجلة سومر، (دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ، ج١ ، ص١٥٧.

٣- للمزيد ينظر : القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م) ، مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط١ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ،ج١ ، ص٢٧٦ ؛ الحلفي ، صبيح نوري خلف ، نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م ، ص١٨١-٢٠٠ ؛ العيدان ، سارة عبد الحسين طه ، نساء البيت العباسي وأثرهن في الحياة السياسية والإدارية (١٣٢-٣٣٤هـ/ ٧٤٩-٩٤٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م ، ٩٧-١٥٨.

٤- العاملي ، جعفر مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ، ط٤ ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٢١ .

أيهما أفضل عليٌّ أم معاوية ؟ فأجاب على الفور : أما رضي معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يُفضل ؟ وجاء عنه أنه قال : والله لا أعرف له فضيلة إلا قول النبي (ﷺ) له : "لا أشبع الله بطنك" فداسوه بأرجلهم وأخرجوه من الشام مضروراً ، فتوجه نحو مكة المكرمة وتوفي فيها متأثراً بما أصابه ، وجاء في ترجمته انه قال : "دخلت على الشام والمنحرف عن علي (عليه السلام) بها كثير فصنفت كتاب الخصائص رجوت بذلك أن يهديهم الله"[1].

وهذا يقودنا إلى الاستنتاج أن عوام المسلمين الذين يمثلون تلك المرحلة من التاريخ الإسلامي ، متأثرون بثقافة السلطة على التاريخ مما جعلهم يتصادمون فيما بينهم ومع غيرهم من المسلمين ، لذلك رفضوا كل ما يخالف ما ربتهم عليه السلطة في فهمهم للأحداث والمجريات.

أضف إلى ما تقدم ان الكثير مما كُتب وسُجل ، إما كتب بعقلية غير ناضجة تنطلق من تعصبات مقيتة ، أو من هوى مذهبي رخيص لا يلتزم بالمنطق السليم ، ولا يهتدي بهدي العقل ، ولا يؤمن بالحوار والفكر أسلوباً أفضل للتوضيح وللتصحيح.

إن كتب السيرة في معظم الأحيان تولد عند قارئها شعوراً بالتناقض بين محتواها والنص القرآني من ناحية ، وبينها وبين المنطق البدهي من ناحية أخرى ، فالقرآن الكريم أعطى صورة نقية وواضحة للرسل والأنبياء ، ورفع من قدرهم ومكانتهم نظراً لسمو رسالاتهم ، لكن كتب السير تعطي النبي – وللأسف الشديد – صورة مشوهة ومقللة من شأنه (ﷺ) ، وهذه هي المشكلة الكبرى في التدوين التاريخي للسيرة النبوية.

لقد رسمت الأحاديث الواردة في كتب السيرة والتاريخ العام صوراً لتصرفات الرسول الأعظم (ﷺ) وصفاته وأقواله وتشريعاته تختلف عما تحدث به القرآن الكريم عنه ، وما كان عليه فعلاً. ولو أن قارئاً – غير مسلم – رغب في تعرف دين الإسلام مما تقوله كتب الحديث ، فسيخرج بتصور عن الرسول (ﷺ) على أنه يفسد في الأرض ويحرق المزروعات

١ – ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين بن احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٧٧ ؛ الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، تذكرة الحفاظ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) ، ج٢ ، ص٧٠٠ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحبيب بن احمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٧م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: محمود الارناؤوط ، ط١ ، (دار ابن كثير ، دمشق ، د.ت) ، ج٤ ، ص١٦-١٧ ؛ شاكر ، عبد الصمد ، نظرة عابرة إلى الصحاح الستة ، ط١ ، (مطبعة شريعت ، قم ، د.ت) ، ص٤٣٩.

والنخيل[1]، ويعذب الناس ويحرقهم أحياء ويمثل بهم[2] ولا يعدل[3]، وينهى عن الشيء ويأتي مثله، ويتعصب لقبيلته، ويحابي أقرباءه[4] ويصلي من دون وضوء[5]، ويباشر زوجاته وهو صائم[6]، ويستقي بعض معلوماته التي يبني عليها الدين من اليهود والمسيحيين، ومن عادات الجاهلية، ومن عند نفسه[7]، وغير ذلك الكثير.

وهذا يولد – وللأسف – شعوراً لدى القارئ بأن هناك صورتين متناقضتين لشخصية النبي الأكرم (ﷺ)، صورة تظهره (ﷺ) كأنه شخص أقل من مستوى الإنسان العادي في مختلف مجالات الحياة، وصورة أخرى تظهره مثلاً أعلى في ميادين الحياة كلها في الخلق والحياء وحسن التعليم والمعاملة وعدم الانتقام لنفسه وغير ذلك من السلوكيات العالية. وكمثال على ما ذكرناه ننقل النص الذي أورده السيد مرتضى العسكري[8]: «أنتجت الروايات السابقة ما قاله الأستاذ روجيه جارودي مرشح للحزب الشيوعي – سابقاً – لمنصب رئيس الجمهورية الفرنسية بعد أن أسلم في حوار له ... كالآتي: قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا ادري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أو لا، فقد بدا لي أن الرسول (ﷺ) جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين.

١- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، كتاب الأم، ط٢، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ج٤، ص٢٧٢؛ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٤، ص٢٢؛ الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)، الفائق في غريب الحديث، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص٢٣٦.

٢- البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص٢١؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد التميمي (ت٣٥٤هـ/ ٩٧٦م)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ج١٠، ص٣٢٠؛ الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)، أسباب نزول الآيات، ط١، (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ص١٢٩.

٣- ابن حنبل، احمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٤م)، مسند أحمد، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج١، ص٣٤٨؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص١١٧.

٤- ابن حنبل، مسند أحمد، ج١، ص١٠١؛ ج٢، ص٢٤٢؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٥٤؛ مسلم، صحيح مسلم، ج٦، ص٢؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، السنن الكبرى، (دار الفكر، بيروت، د.ت)، ج٣، ص١٢١؛ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط١، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٢، ص٦٧٩.

٥- ابن حنبل، مسند أحمد، ج١، ص٦٢؛ الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، سنن الدارمي، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط١، (مطبعة الاعتدال، دمشق، ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩م)، ج١، ص١٨٥؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٦، ص٢٠٤.

٦- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري، (مطبعة المغرب، الرباط، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج٢٤، ص٢٦٥؛ الزمخشري، الفائق، ج١، ص٣٣.

٧- الدارمي، سنن الدارمي، ج١، ص١٣٦؛ البخاري، صحيح البخاري، ج٤، ص١٤٥؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٤، ص١٤٩؛ ابن عبد البر، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٥، ص٤١٨؛ جامع بيان العلم وفضله، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ج٢، ص٤٠.

٨- أحاديث أم المؤمنين عائشة، ط١، (المجمع العلمي الإسلامي، مطبعة النهضة، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ص٣٨١.

بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة ، ثم شرعت في قراءة الأحاديث في كتب البخاري ومسلم فرأيت شيئاً آخر أعبِّر عنه بهذه العبارة الصريحة رأيتني وكأنني أمام دين آخر ونشأ في نفسي انطباع من قراءاتي للحديث الشريف أنني أمام دين تقليدي. فكل ما وجدته في كتب الأحاديث وكل ما رأيت للرسول (ﷺ) يتحدث عنه أو يشير إلى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية دخول المكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل. لا كما رأيت في القرآن الكريم من الأساسيات التي تدل على كمال الدين الإسلامي".

واستناداً إلى كل ما تقدم فان الحاجة إلى كتابة أحداث السيرة النبوية وقراءتها بطريقة معاصرة تتلاءم وشمائل النبي (ﷺ) وخصاله الحميدة ، أصبحت حاجة ملحة وضرورية ، بل لابد منها لتأشير حالات التحريض والتشويه التي تعرضت لها السيرة ومعالجتها وتنقيتها من الشوائب العالقة بها ، وهذا لا يكون إلا بكتابة سيرته (ﷺ) من طريق الروايات الواردة عن أهل بيته الأطهار (ﷺ) ، كونهم الأدرى والأعلم بسيرة جدهم المصطفى (ﷺ) ، وقد نقلوا في مروياتهم الخاصة بأحداث السيرة ما يمثل الوجه الحقيقي والصورة المشرقة وغير المشوهة لشخصيته العظيمة (ﷺ).

المبحث الأول :

مراحل تعرض السيرة النبوية للتحريف والتشويه :

أولاً : التدخل السلطوي في رواية السيرة النبوية :

من المآسي التي حلت بالإسلام هو تعرض سيرة النبي الأكرم (ﷺ) وسنته لتدخل الحكام والسلاطين ووعاظهم ، إذ تبنى هؤلاء الحكام والسلاطين سياسة التدخل واتخذوا عدة أساليب وإجراءات في تنفيذ طريقة التدخل هذه ، ومن هذه الأساليب ما يلي :

١ - أساليب منع تدوين الحديث النبوي والتحدث به :

وطبقاً للأحداث التاريخية فان الخليفة الأول أبا بكر كان من أوائل المعارضين لتدوين الحديث النبوي والتحدث به بعد وفاة النبي الأكرم (ﷺ) ، وفي هذا يقول الذهبي[١] : «إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم ، فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله (ﷺ) أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه".

وكانت الخطوة الأولى التي اتخذها الخليفة الأول في إقصاء الحديث النبوي وإلغائه هو إحراقه الأحاديث كلها التي كانت قد كتبت سابقاً ، وذلك لانه كان قلقاً من أن بعض هذه الأحاديث لم تكن قد صدرت عن النبي (ﷺ) ، فقد روت عائشة ما نصه: "جمع أبي الحديث عن رسول الله (ﷺ) وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليله يتقلب كثيراً ، قالت : فغمني فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال لي : أي بنية ، هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فأحرقها"[٢].

١ تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص٥.
٢ المصدر نفسه والصفحة.

فماذا يعني جمع الحديث ثم حرقه ، وقد كان الناس يأملون من القيادة الجديدة وضع نظام صارم يحفظ الحديث النبوي بعدما خلف النبي (ﷺ) تراثاً يعد نظاماً عاماً لحياة المسلمين ، ودستوراً دائماً للدولة الفتية ، وهل ثمة دواع تدفع القيادة الجديدة إلى اتخاذ مثل هذه المبادرة الغريبة التي مازالت دوافعها مجهولة حتى الآن !

واستمر المنع من التحدث عن سيرة الرسول (ﷺ) أو نشر أخبار السيرة حتى أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، الذي اعتمد الأسلوب نفسه الذي اتبعه الخليفة الأول في المنع عن التحدث بهذه الأحاديث ، قال قرضة بن كعب[1] : «بعثنا عمر بن الخطاب وشيعنا إلى موضع قرب الكوفة يقال له صرار[2] ، وقال : أتدرون لم شيعتكم أو مشيت معكم ؟ قال : قلنا نعم ، لحق صحبة رسول الله (ﷺ) أو نحن أصحاب رسول الله (ﷺ) ولحق الأنصار ، قال عمر : لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به فأردت ان تحفظوه لمشاي معكم ، إنكم تقدمون على قوم أو تأتون قوماً تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النحل أو للقرآن في صدورهم هزيز المرجل أولهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فإذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم ... فأقلوا الرواية عن رسول الله (ﷺ) وانا شريككم ، أو فلا تصدوهم بأحاديث عن رسول الله وانا شريككم. قال قرضة: فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله (ﷺ)»[3].

وجاء عنه – أي عمر – انه لما حدّث أبي بن كعب[4] عن بيت المقدس وأخباره ، انتهره عمر بن الخطاب ، وهمَّ بضربه ، فاستشهد بجماعة من الأنصار ، ولما شهدوا بأنهم سمعوا الحديث عن رسول الله (ﷺ) تركه ، فقال له أبي بن كعب : اتتهمني على حديث رسول (ﷺ)

١- قرضة بن كعب الأنصاري أحد بني الحارث بن الخزرج حليف لبني عبد الأشهل من الأوس ويكنى أبا عمرو وهو احد العشرة من الأنصار الذين وجههم عمر بن الخطاب إلى الكوفة فنزلها وابتنى بها داراً في الأنصار ومات بها في خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو الذي صلى عليه بالكوفة. ينظر : ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) ، الطبقات الكبرى ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ج٦ ، ص١٧.

٢- صرار : بكسر أوله ، وأخره مثل ثانيه ، وهي الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء يقال صرار وقيل : صرار موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. ينظر : ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م) ، معجم البلدان ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ج٣ ، ص٣٩٨.

٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٧ ؛ الدارمي ، سنن الدارمي ، ج١ ، ص٨٥ ؛ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج٢ ، ص١٢٠ ؛ المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ج٢ ، ص٢٨٤.

٤- أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن عمرو بن مالك النجار ، ويكنى أبا المنذر ، كان أبي يكتب في الجاهلية قبل الإسلام ، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله (ﷺ) ، مات في خلافة عثمان بن عفان. ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٩٨ وما بعدها.

؟! فقال : يا أبا المنذر ، والله ما اتهمتك ، ولكني كرهت ان يكون الحديث عن رسول الله ظاهراً[1].

ولم تكن محاولات الإلغاء والتصفية للحديث النبوي في الخطوات السابقة كافية لمتطلبات الحد من مداولته ، بل ان الخليفة الثاني قد اتخذ خطوة متقدمة أخرى في مضمار الحظر على الحديث النبوي ، ولعل هذه الخطوة كانت جديدة ، ففلسفة إلغاء النص يراد منها الآن تطويرها على المستوى العملي وإبرازها تقنيناً يحظر فيها مداولة الحديث وتطويقه وفرض الرقابة الصادرة على أصحاب الرواية ومن ثم سجنهم للحد من رواية الحديث والسيطرة على منابعه الروائية.

ومما يدل على ذلك فرضه الإقامة الجبرية على بعض رواة الحديث ، يقول الذهبي[2]: «إن عمر بن الخطاب حبس ثلاثة : ابن مسعود[3] ، وأبا الدرداء[4] ، وأبا مسعود الأنصاري[5] وقال لهم أكثرتم الحديث عن رسول الله».

وعن عبد الرحمن بن عوف[6] عن أبيه قال : «والله ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله (ﷺ) فجمعهم من الآفاق ... فقال هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله (ﷺ) في الآفاق فقالوا تنهانا قال لا أقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن أعلم ما نأخذ ونرد عليكم فما فارقوه حتى مات ..."[7].

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٢ ؛ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٢٦ ، ص٣٧١.

٢- تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص٧.

٣- ابن مسعود : هو الإمام البحر فقيه الأمة كان من السابقين الأولين ، ومن الذين شهدوا بدراً وهاجر الهجرتين توفي عام (٣٢هـ). ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، ط٩ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص٤٦١-٥٠٠.

٤- أبو الدرداء : واسمه عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن كعب بن الخزرج ، كان من علية أصحاب رسول الله (ﷺ) وأهل النية منهم وقد حدث عن رسول الله (ﷺ) أحاديث كثيرة وشهد معه مشاهد كثيرة ، توفي سنة (٣٢هـ). ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٣٩٢ ؛ ابن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) ، طبقات خليفة ، تحقيق : سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٦٥.

٥- أبو مسعود الأنصاري : هو أبو مسعود البدري عقبة بن عمرو بن ثعلبة مشهور بكنيته (أبو مسعود الأنصاري) استخلفه الإمام علي (عليه السلام) يوم خروجه إلى صفين ، توفي سنة اثنين واربعين للهجرة. ينظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارناؤوط ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ج٢٠ ، ص٦١.

٦- عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب وكان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه رسول الله (ﷺ) حين أسلم عبد الرحمن ، يكنى أبا محمد وأمه الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب. ولد عبد الرحمن بعد الفيل بعشر سنين ، هاجر إلى الحبشة ، شهد بدراً واحداً ، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ). مات سنة اثنتين وثلاثين للهجرة وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٢٤-١٣٥ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٦٢ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١ ، ص٦٧-٨٣.

٧- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤ ، ص٥٠٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٩٣.

إذن أصبح الحديث عن رسول الله (ﷺ) تهمة يستحق صاحبها الحبس والعقوبة.

وفي أسلوب آخر للسيطرة على منع تداول الحديث لجأ الخليفة الثاني إلى طريقة حرق الحديث ، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر[1] قال : «إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها»[2].

وأمام كل ما تقدم ولغيره من الشواهد التاريخية الكثيرة يتضح لنا ان المنع من رواية الحديث وتدوينه في عهد عمر بن الخطاب كان أشد مما سبق ، وكان له تأثير كبير في معارضة تدوين الحديث.

إلا ان عمر أجاز نشر الحديث في مجال السنن والأمور الفقهية فقط ، ولكنه ما لبث ان عَدِل عن ذلك ، نقل الزهري[3] عن أبي هريرة[4] في هذا الصدد: «كان عمر يقول أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به» ، وقال : ثم قال أبو هريرة : «أفإن كنت محدثكم بهذه الأحاديث وعُمر حي ؟ أما والله إذاً لألفيت المخفقة[5] ستباشر ظهري !»[6]

وروي عن الزهري قوله : «أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن فاستخار الله شهراً ، ثم أصبح وقد عزم الله له فقال : ذكرت قوماً كتبوا كتاباً فاقبلوا عليه وتركوا كتاب الله واني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً فترك كتابة السنن»[7].

١- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، واسم أبي بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، وأمه ام ولد يقال لها سودة فولد القاسم بن محمد عبد الرحمن وأم فروة وهي أم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، توفي سنة اثنين ومئة للهجرة. ينظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص١٨٧.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص١٨٨.

٣- الزهري : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي المدني. ولد سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة اربع وعشرين ومئة للهجرة. ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١٠٨.

٤- أبو هريرة : قيل ان اسمه عبد شمس وقيل عبد عمرو وقيل عبد غنم وعبد نهم وكنيته أبو الأسود ، قدم على النبي (ﷺ) بخيبر فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الله وكناه أبا هريرة ، توفي سنة ثمان وخمسين وقيل تسع وخمسين. ينظر : الباجي ، سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م) ، التعديل والتجريح ، تحقيق : أحمد البزاز ، (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، مراكش ، د.ت) ، ج٣ ، ص١٤٤٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) ، تهذيب التهذيب ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج١٢ ، ص٢٣٧ ؛ السيوطي ، إسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تحقيق : موفق فوزي جبر ، ط١ ، (دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١٢١ ؛ أبو رية ، شيخ المضيرة أبو هريرة ، (مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، د.ت) ، ص٤٢.

٥- المخفقة : كمكنسة : الدرة يضرب بها أو سوط من الخشب. ينظر : الزبيدي ، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: علي شيري ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ج١٣ ، ص١١٧.

٦- الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٤م) ، المصنَّف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (منشورات المجلس العلمي ، بيروت ، د.ت) ، ج١١ ، ص٢٦٠.

٧- الصنعاني ، المصنف ، ج١١ ، ص٢٥٧ ؛ الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م) ، تقييد العلم ، تحقيق : سعد عبد

وقال ابن عبد البر[1] : «... ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنة ثم بدا له ان لا يكتبها ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه».

واستمر المنع حتى في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي صعد المنبر ثم قال: «لا يحل لأحد ان يروي حديثاً عن رسول الله (ﷺ) لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر"[2].

هذه بعض الشواهد الدالة دلالة واضحة على وقوع الاتلاف المتعمد للسنة النبوية المطهرة والمنع من تدوينها.

إن الادعاء الذي بُني عليه المنع من التدوين والتحدث بحديث رسول الله (ﷺ) كان الخوف من اختلاطه بالقرآن. وهنا لابد من وقفة مع هذا الأمر ، لأنه إدعاء غير مقبول ، ولا معقول ، فالقرآن الكريم متميز ببلاغة فائقة وبمسحة إلهية تجعله فوق مستوى كلام البشر ، حتى كلام النبي (ﷺ) نفسه ، والقرآن له دليل عليه من نفسه ، فنسق كلامه والقرائن التي تحف به تميزه من أي كلام غيره ، ولهذا انبهر العرب بإعجازه بمجرد سماعه ، وكانوا يميزونه من كل كلام[3].

ولو افترضنا ان الخلفاء الثلاثة كانوا حسني النية في هذا الأمر وانهم لم يمنعوا إلا بدافع الحرص على كتاب الله ، فقد كان من نتائجه ان يتسع المجال للكذابين والمنحرفين عن المخطط الإسلامي والمرتزقة ان يضعوا الأحاديث ما توحيه إليهم المطامع والأهواء ، فضلاً عن ما ضاع منها بسبب الحروب والغزوات.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، فنتج عن سياسة المنع عن التحدث بالحديث وكتابته أن نسي الناس أبسط قواعد الدين ولذلك نجد الإمام السجاد (عليه السلام) يقول في دعائه يوم الجمعة ويوم الأضحى : "اللهم أن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها. حتى أعاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين

الغفار علي ، ط١ ، (دار الاستقامة ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ، ص٥٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٩٣.

١- جامع بيان العلم ، ج١ ، ص٦٥.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٣٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٣٩ ، ص١٨٠ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٩٥.

٣- للمزيد من الآراء حول هذا الموضوع ينظر : الحسني ، هاشم معروف ، دراسات في الحديث والمحدثين ، ط١ ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٢٢ ؛ الحلو ، السيد محمد علي ، تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة ، ط١ ، (مطبعة ستاره ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، ص١٣٨ وما بعدها ؛ رضا مؤدب ، تاريخ الحديث ، تعريب : سيد عبد الكريم حيدري ، ط١ ، (مطبعة أميران ، قم ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) ، ص١٦٤ وما بعدها.

مبتزين ، يرون حكمك مبدَّلاً وكتابك منبوذاً ، وفرائضك محرفة عن جهات شرعك وسنن نبيك متروكة"[1].

وحينما صلى عمران بن حصين[2] خلف الإمام علي (عليه السلام) ، أخذ بيد مطرف بن عبد الله[3] وقال : «ما صليت منذ حين ، أو منذ كذا وكذا أشبه بصلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هذه الصلاة". يعني صلاة علي (عليه السلام)[4].

وحين سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن حال الناس بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وكيف أن الغالبية العظمى منهم نسوا أبسط قواعد الدين لعدم وجود التدوين والابتعاد عن تعاليم وسنن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال : "لا والله ما هم على شيء مما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا استقبال القبلة فقط"[5].

وعن الحسن البصري[6] : «لو خرج عليكم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما عرفوا منكم إلا قبلتكم"[7].

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص[8] أنه قال : «لو ان رجلين من أوائل هذه الأمة خلو بمصحفيهما في بعض الأودية ، لأتيا الناس اليوم لا يعرفان شيئاً مما كانا عليه»[9].

١- زين العابدين ، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) (ت٩٥هـ/ ٧١٧م) ، الصحيفة السجادية ، الدعاء رقم (٤٨).
٢- عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن سلول بن كعب الخزاعي ، أسلم عمران بن حصين عام خيبر ، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، سكن البصرة ومات فيها سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص١٢٠٨.
٣- مطرف بن عبد الله العامري البصري ، مات مطرف بعد الطاعون الجارف ، وقيل الطاعون الجارف كان سنة سبع وثمانين وقيل غير ذلك. ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، (المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، د.ت) ، ج٧ ، ص٣٩٦ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ط١ ، (مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ج٥ ، ص٤٢٩.
٤- الصنعاني ، المصنف ، ج٢ ، ص٦٣.
٥- البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) ، المحاسن ، تحقيق: جلال الدين الحسيني ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ، ج١ ، ص١٥٦.
٦- الحسن بن أبي الحسن يسار ، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، ويسار أبوه من سبي ميسان ، سكن المدينة واعتق وتزوج بها في خلافة عمر فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر توفي سنة عشر ومئة للهجرة. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٣، ص٢٣٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٥٦٣.
٧- ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج٢ ، ص٢٠٠.

٨- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي ، وقيل يكنى أبا عبد الرحمن ، أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر بن حذافة بن سعد بن سهم ، وقال أبو هريرة ما كان أحفظ لحديث رسول مني إلا عبد الله بن عمرو ، مات بالطائف سنة ست وستين. ينظر : خليفة ، طبقات خليفة ، ص٥٥٠ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص٩٥٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣١ ، ص٢٤٥ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٧ ، ص٢٠٦.
٩- مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٢١٧.

وروي عن الزهري انه قال : «دخلت على أنس بن مالك[1] بدمشق وهو وحده يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت ، إلا هذه الصلاة وقد ضيعت»[2].

وخطب ابن عباس في آخر رمضان على منبر البصرة فقال : «اخرجوا صدقة صومكم ، فكأن الناس لم يعلموا ، فقال من ههنا من أهل المدينة ؟ فقوموا إلى إخوانكم فأنهم لا يعلمون فرض رسول الله (ﷺ) هذه الصدقة.."[3].

وهذا يعني أن الصلاة التي هي عمود الدين وتقام خمس مرات في اليوم لم يعرفوا منها سوى قبلتهم ، وان زكاة الفطرة التي أوجبها الله مرة واحدة في كل عام لم يعرفوها ولم يسمعوا بها ، فكيف يتذكرون بقية سيرته وسنته (ﷺ) وأقواله وأفعاله ؟ وكيف يتذكرون وقد أحرقت الأحاديث ومحيت ومنعت من التدوين ؟ وكيف سيكون حال السيرة وأخبار الرسول (ﷺ) في العهود القادمة التي سنرى انها لم تكتفِ بهذه الإجراءات التعسفية ضد التدوين والتحدث به ، بل سيضيف إجراءات وأساليب أخرى تزيد المشكلة تعقيداً وصعوبة ، لأن المرحلة القادمة هي مرحلة وضع الأحاديث واختلاق الروايات كما سنرى.

إن تأخير كتابة السنة النبوية قرناً أو قرنين من الزمن قد كلف السنة الشريفة خسارات كبيرة وأساسية فلو أن الشيخين سمحا للصحابة بتدوين السنة لوصلت إلينا بأسانيد عالية بوساطة واحدة ، لكنهما لما منعا ذلك صارت بوسائط عديدة ، والفرق كبير بين الحديث المنقول بوساطة راو واحد ، أو عن بضعة رواة على مدى قرن أو قرنين ؟ ولَكان كذب الرواة على رسول الله (ﷺ) قليل ، لكنه هو اليوم كثير ، ولكانت رقابة الصحابة وتذكيرهم بعضهم لبعض عاملاً في ضبط السنة ، بينما كتبت السنة برضا الحكام بلا رقابة على المؤلفين[4].

ومما تقدم وسواه يصبح من الطبيعي ان لا يجد الباحث في كتب التاريخ والسير الملامح

١- أنس بن مالك ، أبو حمزة خادم رسول الله (ﷺ) الأنصاري ، أمه أم سليم بنت ملحان ، قدم النبي المدينة وهو ابن عشر سنين ، وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر ومات فيها سنة إحدى وتسعين وله من العمر مئة وثلاثة سنين. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص١٧ ؛ ابن داود الحلي ، تقي الدين الحسن بن علي (ت٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) ، رجال ابن داود ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص٢٩ ؛ الخطيب التبريزي ، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٤١هـ/ ١٣٤١م) ، الاكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : أبو أسد الله بن الحافظ محمد بن عبد الله الأنصاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت) ، ص٢.

٢- البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج٢ ، ص٢٠٠.

٣- ابن حزم ، أبو محمد علي بن حزم الظاهري الأندلسي (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) ، الإحكام في أصول الأحكام ، ط١ ، (مطبعة العاصمة ، القاهرة ، د.ت) ، ج٢ ، ص٢٤٢.

٤- الكوراني ، علي العاملي ، ألف سؤال وإشكال ، ط١ ، (دار الهدى ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) ، ج٢ ، ص٧٤.

الحقيقية للشخصيات التي تقف في موقع التحدي للحكام ولمخططاتهم ، وتتصدى لأصحاب الأهواء والعصبيات العرقية وغيرها ولانحرافاتهم.

ومن هنا نعرف انه لابد من البحث عن الأيدي الأمينة والمخلصة التي رسمت الملامح الحقيقية لكتابة التاريخ الإسلامي والسيرة العطرة ، ألا وهم أهل البيت (عليهم السلام) الذين سعوا دائماً وفي مراحل حياتهم كلها إلى ان تصل أحاديث جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) وما أوحاه الله إليه إلى أوسع نطاق ، إلى الأمة والعالم ، وان يحفظ العلماء والطلبة هذه الأحاديث ويلقوها على الناس ويشرحوها سواء كان ذلك بتحفيظها أو تدوينها ، فهل تنسجم هذه السياسة وسياسة تغييب السنة ومنع التدوين والعقوبة عليه ؟

٢- أساليب الوضع والدس والتحريف :

الموضوعات : جمع موضوع ، اسم مفعول ، وهو في اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعاً ، إذا حطه وأسقطه ، أو حط من قدره ، والأحاديث الموضوعة : المختلقة[١].

وأما في الاصطلاح : فالحديث الموضوع هو الحديث المختلق المصنوع الذي رواه كذاب أو من كلام غيره أو نسبه عمداً وافتراء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقد سمي موضوعاً لانحطاط رتبته ، فلا ينجبر أصله ، وسمي حديثاً من باب التجوز ، بحسب دعوى من اختلقه[٢].

وللحديث الموضوع علامات ، ومن بين هذه العلامات أنه : ركيك اللفظ ، بعيد كل البعد عن بلاغة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ومن هذا النوع : "لا تسبوا الديك الأبيض فإنه صديقي وأنا صديقه وعدوه عدوي والذي بعثني بالحق لو يعلم بنو آدم ما في قربه لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب والفضة وانه ليطرد مدى صوته من الجن"[٣] ، أو : «لعن رجل ديكاً صاح عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: لا تلعنه فأنه يدعو للصلاة"[٤] ومن علاماته أيضاً انه مخالف للعقل ولا يتقبل أي تأويل كان ، أو مخالف للحسي المشاهد نحو : «الباذنجان شفاء من كل داء»[٥]. والحديث

١- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م) ، القاموس المحيط ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط٢ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص٧١٢ مادة : وضع.

٢- أبو رية ، محمود ، أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث ، ط٦ ، (دار المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ص١١٩.

٣- السيوطي ، جامع الأحاديث ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ج١٦ ، ص١٥٤.

٤- الصنعاني ، المصنف ، ج١١ ، ص٢٦٣.

٥- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ، الموضوعات ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط١ ، (المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ، ج٢ ، ص٣٠٠.

الموضوع يتصف بالمبالغات دائماً فهو يمنح الأجور العظيمة والمقامات الرفيعة في الجنة على عمل زهيد مثل قوله (ﷺ) : "يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودّوا فيلقون في نهر الحياة..."[1] ، أو : «قال (ﷺ) : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وان زنى أو سرق"[2] ، أو «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[3] ووضع الوعيد والتهديد على مخالفةٍ يسيرة مثل قوله (ﷺ) : "... أول من يدخل النار ... فقير فخور"[4]. ويبتعد الحديث الموضوع عن المنطق السليم مثل حديث : «جور الترك ولا عدل العرب» وذلك لان المنطق السليم يقضي بان الجور مذموم من أي مصدر كان ، والعدل محمود من أي مصدر كان منبعه[5].

ومن علامات الحديث الموضوع كذلك ، مناقضته لواقع الأحوال وطبائع الأشياء مثل ما يروى عن أنس بن مالك انه قال : «دخلت الحمام فرأيت رسول الله (ﷺ) جالساً في الوزن وعليه مئزر فهممت ان اكلمه ، فقال يا أنس اني عزمت على دخول الحمام بدون مئزر"[6] ، ويعلق ابن الجوزي[7] على هذا الحديث الموضوع فيقول : «هذا حديث موضوع بلا شك وفي روايته جماعة مجهولون ، وما اسمج من وضعه ، فإن الدخول لا يكون في الوزن ، ولم يدخل رسول الله (ﷺ) حماماً قط ، ولا كان عندهم حمام" أي أن ما يدل على بطلان الحديث ان الحمامات لم تكن معروفة في زمن النبي (ﷺ).

وتعد حالة الوضع من أسوأ الحالات التي مر بها الحديث والسنة وأخبار السيرة ، ومن أشدها تمرداً على مسلماتها وسننها ، وتلك الحالة بدأت بوادرها في بداية حكم معاوية الذي قام

١- البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص١١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٨ ، ص١٨٦.
٢- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٥ ، ص١٦٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٤٣ ؛ الاحسائي ، محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور (ت٨٨٠هـ/ ١٤٨٦م) ، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، تحقيق آغا مجتبى العراقي ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ج١ ، ص٤١.
٣- الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م) ، الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم ، ط١ ، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٦٣٣ ؛ من لا يحضره الفقيه ، تحقيق: علي أكبر الغفاري ، ط٢ ، (منشورات النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت) ، ج٤ ، ص١٨٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٥١.
٤- الإمام زيد بن علي (ﷺ) (ت١٢٢هـ/ ٧٤٤م) ، مسند زيد بن علي ، ط١ ، (منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت) ، ص٤٤٣.
٥- الشيخ الأميني ، عبد الحسين أحمد النجفي ، الغدير في الكتاب والسنة ، الوضاعون وأحاديثهم ، ط٤ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص٩-١١.
٦- ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٢ ، ص٨١.
٧- المصدر نفسه والصفحة.

مباشرة باتخاذ الخطوات العملية لوضع هذه الحالة موضع التنفيذ وذلك حينما وجه فريق عمل فني لإنجاز هذه المهمة الخطرة، وهي مهمة وضع الحديث وتحريفه. وكأننا أمام أعتاب مرحلة جديدة من مراحل تشديد الحصار السلطوي على حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخبار سيرته، وذلك بعد ان كان تنفيذ إجراءات المنع من التدوين والتحدث بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) بدقة متناهية.

قال أبو جعفر الاسكافي[1]: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، يقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص[2] والمغيرة بن شعبة[3] ومن التابعين عروة بن الزبير[4][5].

ومن الأحاديث الموضوعة جراء هذه السياسة ما رواه عروة بن الزبير عن عائشة قالت: «كنت عند النبي (صلى الله عليه وآله) إذا اقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة إن سرَّكِ ان تنظري إلى رجلين

١- أبو جعفر الاسكافي: محمد بن عبد الله المعتزلي، كان أبو جعفر فاضلاً عالماً، وصنف سبعين كتاباً في علم الكلام، من متكلمي المعتزلة، وأحد أئمتهم وهو بغدادي أصله من سمرقند، له مناظرات عديدة وكان المعتصم يعظمه جداً، لانه عجيب الشأن في العلم والذكاء، وكان علوي الرأي محققاً منصفاً مات سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م. ينظر: ابن أبي الحديد، أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، د.ت)، ج١٧، ص١٣٢؛ الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٣١٣؛ الزركلي، خير الدين (ت١٤١٠هت/ ١٩٩٠م)، الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٥، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ج٦، ص٢٢١.

٢- عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي، والد عبد الله بن عمرو بن العاص، قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) مسلماً سنة ثمان قبل الفتح بأشهر مع خالد بن الوليد، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن عائشة، وروى عنه جعفر بن المطلب والحسن البصري، وابنه عبد الله، مات سنة اثنتين واربعين. ينظر: المزي، أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢٢، ص٧٨-٨٥؛ الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواة في كتب السنة، تحقيق: أحمد محمد نمر الخطيب، ط١، (دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ١٢٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج٢، ص٨٠.

٣- المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، احد دهاة العرب وولاتهم، يقال له (مغيرة الرأي) ولد في الطائف بالحجاز وبرحها في الجاهلية مع جماعة من بني مالك وافداً على المقوقس، ولما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى ان كانت سنة خمسة هجرية فأسلم، وشهد الحديبية، مات سنة خمسين هجرية. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، ص٢٩٤؛ الزركلي، الإعلام، ج٧، ص٢٧٧.

٤- عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد أبو عبد الله المدني، وهو من رجال الصحاح الستة، كان كثير الحديث، وهو أعلم الناس بأحاديث عائشة، توفي سنة أربعة وتسعين للهجرة. ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص١٧٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤، ص٢٣٧-٢٤٠؛ المزي، تهذيب الكمال، ج٢٠، ص١١-٢٥.

٥- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٣؛ وينظر: الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث، ط٣، (مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٣٨؛ الكلباسي، أبو الهدى، سماء المقال في علم الرجال، تحقيق: محمد الحسيني القزويني، ط١، (مؤسسة ولي العصر (عليه السلام) للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص١٠؛ التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، ط١، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج١١، ص٥٥٤؛ يعقوب، أحمد حسين، أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها؟، ط١، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ص٤٠٩.

من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب"[1].

وروى أبو هريرة الحديث الذي معناه أن علياً (عليه السلام) خطب ابنة أبي جهل[2] في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأسخطه ، فخطب على المنبر وقال : "لاها الله ! لا يجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل ! إن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ، فان كان علي يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي ، وليفعل ما يريد"[3].

وقد نفى الإمام الصادق (عليه السلام) هذه التهمة الموجهة إلى الإمام علي (عليه السلام)المتمثلة برغبته بالتزوج من ابنة أبي جهل ، فقال (عليه السلام) حين سأله علقمة[4] : «يا ابن رسول الله إن الناس ينسبونا إلى عظائم الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا. فقال (عليه السلام) : يا علقمة : إن رضا الناس لا يملك ، وألسنتهم لا تضبط فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله ، وحججه (عليهم السلام) ؟ ... وما قالوه في الأوصياء (عليهم السلام) أكثر من ذلك ! ألم ينسبوا إلى سيد الأوصياء أنه أراد أن يتزوج ابنة أبي جهل على فاطمة (عليها السلام) ، وان رسول الله شكاه على المنبر إلى المسلمين ، فقال : إن علياً يريد أن يتزوج ابنة عدو الله على ابنة نبي الله ، ألا أن فاطمة بضعة مني ، فمن آذاها فقد آذاني ، ومن سرها فقد سرَّني ، ومن غاظها فقد غاظني ؟ ثم قال الصادق (عليه السلام) : يا علقمة ، ما أعجب أقاويل الناس في علي (عليه السلام)"[5].

وكان المغيرة بن شعبة صاحب دنيا يبيع دينه بالنزر اليسير منها ويرضي معاوية بالإساءة إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال يوماً في مجلس معاوية "إن علياً لم ينكحه رسول الله ابنته حباً ،

١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٦٤ ؛ المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م) بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار (b) ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد الباقر البهبوتي ، ط٢ ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ج٣٠ ، ص٤٠٢.

٢- أبو جهل : اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، ولقبه أبو جهل ، وأبو الحكم كذلك ، لقبه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأبي جهل ، من أشد الناس عداوة للنبي (صلى الله عليه وآله) في صدر الإسلام ، وأحد سادات قريش ودهاتها في الجاهلية ، قتله عبد الله بن مسعود يوم بدر سنة ٢هـ ، وجاء برأسه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). ينظر : ابن حبيب ، محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٨م) ، كتاب المنمق ، تحقيق: خورشيد احمد فاروق ، (نسخة مخطوطة) ، ص٣٦٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٠ ، ص٣٨ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج٥ ، ص٨٧.

٣- ابن شاهين ، أبو حفص عمر (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) ، فضائل سيدة النساء ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط١ ، (مكتبة التربية الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٣٣ ؛ أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م) ، أمالي الحافظ الاصبهاني ، تحقيق: ساعد عمر غازي ، ط١ ، (دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ص٤٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٦٤.

٤- علقمة بن محمد الحضرمي ، الكوفي ، محدث إمامي حسن الحال ، أحد رواة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وروى أيضاً عن الإمام الباقر (عليه السلام). ينظر : الطوسي ، رجال الطوسي ، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ص١٤٠ ؛ الشبستري ، عبد الحسين ، الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٢ ، ص٣٨٩.

٥- الصدوق ، الأمالي ، ص١٦٤.

ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه"[1].

وقال معاوية للمغيرة عندما طلب منه الأخير ترك إيذاء بني هاشم : لانها أبقى لذكره !! «...هيهات ! هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه ؟! ملك أخو تيم فعدل ، وفعل ما فعل فما عدا ان هلك حتى هلك ذكره ، إلا ان يقول قائل : أبو بكر . ثم ملك أخو عدي ، فاجتهد ، وشمّر عشر سنين ، فما عدا ان هلك حتى هلك ذكره ، إلا ان يقول قائل : عمر ، وان ابن أبي كبشة[2] ليصاح به كل يوم خمس مرات: اشهد ان محمداً رسول الله ، فأي عمل يبقى ؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا! لا أبا لك ! لا والله إلا دفناً دفناً»[3]. أي ان القرار الذي اتخذه معاوية هو إخفاء كل ذكر طيب لآل بيت النبوة ولسيرتهم الفاضلة وتغييبه وإقصائه ودفنه ، فلو أمعنا النظر في هذه الرواية لعلمنا مدى المأساة التي حلّت بالسيرة النبوية وتدوينها حين تولى أمر السلطة في الدولة البيت الأموي ، وما أكثر الحقائق التي دفنت ولم يبقَ لها أثر في السيرة النبوية التي تعد أهم مصدر في التاريخ الإسلامي وحلّت محلها الأحاديث المزورة والقضايا المحرفة.

وقال أبو جعفر الاسكافي : وقد روي عن معاوية انه بذل لسمرة بن جندب[4] مائة ألف درهم حتى يروي هذه الآية إنها نزلت في علي بن أبي طالب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ، وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾[5] وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهو قوله تعالى

١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٦٩.

٢- ابن أبي كبشة : يعني رسول الله (ﷺ) وهي تسميات المشركين الحاقدين ، سماه المشركون بذلك لخلافه إياهم إلى عبادة الله تشبيهاً له بأبي كبشة ، رجل من خزاعة خالف قريش في عبادة الأوثان فلما جاءهم رسول الله بخلاف ما كانت عليه العرب قالوا هذا ابن أبي كبشة. ينظر : محب الدين الطبري ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، (مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٥م) ، ص٢٥٧ ؛ الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م) ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط٢ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص٣٨ مقدمة التحقيق ؛ الشهرستاني ، علي ، وضوء النبي (ﷺ) ، ط١ ، (مطبعة ستاره ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٢٠٨.

٣- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٥ ، ص١٣٠.

٤- سمرة بن جندب بن جنادة بن جندب بن حبيب بن عامر بن صعصعة السوائي ، سكن البصرة ، قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه ، توفي سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين بالبصرة وسقط في قدر ماء حار كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فمات. ينظر : ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٣٥٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٧٧.

٥- البقرة : ٢٠٤-٢٠٥. نزلت هذه الآية في الاخنس بن شريف الثقفي حليف بني زهرة ، واسمه أبي وسمي اخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله (ﷺ) وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر ويأتي إلى الرسول (ﷺ) ويجالسه ويظهر الإسلام ويقول اني لأحبك ويحلف بالله على ذلك وكان منافقاً وروي عن الصادق (عليه السلام) انها نزلت في المرائي لانه يظهر خلاف ما يبطن. ينظر : الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط٢ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ج٢ ، ص٥٥.

: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[1] فلم يقبل فبذل له مائتي ألف فلم يقبل فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك[2].

وفي تفسير هذه الآية قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "أما قوله تعالى : ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد ، فانها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما طلبته قريش"[3] ، وهكذا قلب معاوية المناقب إلى مثالب والمثالب إلى مناقب ويحدث هذا كله على حساب السيرة النبوية.

وقال أبو جعفر الاسكافي : إن بني أمية منعوا إظهار فضائل علي (عليه السلام) وعاقبوا على ذلك الراوي له ، حتى ان الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه ، فيقول عن أبي زينب[4] ، فعن يونس بن عبيد[5] قال : سألت الحسن ، يعني – الحسن البصري – قلت : يا أبا سعيد إنك تقول : «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنك لم تدركه ؟ قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه احد قبلك ؛ ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى – وكان في عمل الحجاج – كل شيء سمعتني أقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فهو عن علي بن أبي طالب ، غير إني في زمان لا استطيع ان أذكر علياً"[6].

وهنا يتضح حجم الحصار السلطوي المفروض على علم الإمام علي (عليه السلام) ، وقد حصلت أمثلة وشواهد تاريخية أخرى على هذا النوع من الحصار على فكر الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً ، فمالك بن أنس لم يروِ عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حتى ظهر أمر بني العباس[7]. خوفاً من السلطة الأموية الذين كانوا أعداءً لأهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا فيه دلالة

١- البقرة : ٢٠٧. روى عن ابن عباس قال : «نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب حين خرج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الغار ونام علي (عليه السلام) في فراش النبي (صلى الله عليه وآله)". ينظر : الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٢ ، ص٥٧.

٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٧٢.

٣- العياشي ، أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٠م) ، تفسير العياشي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، (المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، د.ت) ، ج١ ، ص١٠١.

٤- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٧٣.

٥- يونس بن عبيد بن دينار العبدي ، أبو عبد الله ، ويقال أبو عبيد الله البصري ، مولى عبد القيس ، روى عن الحسن البصري وآخرين ، له نحو مئتي حديث ، كان ثقة كثير الحديث ، مات سنة تسع وثلاثين ومئة وقيل سنة أربعين ومئة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٢٦٠ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٢ ، ص٥١٧ وما بعدها.

٦- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦ ، ص١٢٤. ترجمة أبي الحسن البصري.

٧- ابن عدي ، أبو احمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) ، الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : سهيل زكار ، ط٣ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٦.

على الأثر السياسي على الحياة العلمية التي أدت إلى توقف رجل كالإمام مالك بن أنس عن الرواية عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، حتى لا تؤذيه السلطات بسبب ذلك ، فقد كان معاوية وأمراء السلطة في عهد بني أمية لا ينظرون بعين الرضا إلى علوم أهل البيت وتدريسها ، قال الطبرسي[1] : «نادى منادي معاوية ان قد برئت الذمة ممن يروي حديثاً من مناقب علي وفضل أهل بيته».

هذه صورة للجهود المبذولة من معاوية في تشويه صورة المعارضين لحكمه ، وتحسين صورة المبغضين لعلي (عليه السلام) من أجل توطيد نظام حكمه ، وفرض سيطرته السياسية حتى ولو أدى الأمر إلى طمس الحقائق.

هذه هي الظروف التي كتبت فيها السيرة النبوية ، ظروف دخل فيها معاوية بن أبي سفيان بكل ما يملك من ثقل سياسي لإيجاد شرعية لحكمه لا يمكن حصولها إلا بالدس في الحديث النبوي ، الذي يعد أداة مهمة في تقرير مصير أي نظام يطمح إلى الدخول تحت مظلة شرعية.

لذا فإن تشكيل معاوية (لفرق تحديث خاصة) تنتقي فضائل علي (عليه السلام) وتقلبها مساوئ، ومن ثم تختلق مناقب وفضائل لمعاوية على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) تصوغ لها متناً وتركب فيها إسناداً ، قضية شغلت مساحات واسعة من كتب التدوين ، كما هي شغلت مساحات من ذهنية العامة التي صارت بفعل التلقين متلقياً سيئاً لمناكير تخالف مسلمات دينية ضرورية ، لذا فإن ترك شتم علي في احد خطب الجمعة وقد نسي الخطيب إيرادها سببت هيجاناً لدى العامة معترضين عليه أنه غيَّر السنة ، إذ صارت البدع سنة ، والسنن بدعة ، هكذا أثر (التنصيص السياسي) في تغيير معادلات الثوابت ، وأسس على إثر ذلك دولة أموية تمتد إلى عدة عقود ، حرفت فيها السيرة النبوية الصحيحة[2].

وجاء في المصادر الإسلامية[3] : أن عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٤م)

١- الاحتجاج ، تحقيق : السيد محمد باقر الخرسان ، ط١ ، (مطبعة دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ، ج٢ ، ص١٦ ؛ وينظر : ابن شهراشوب ، محمد علي المازندراني (ت٥٨٨هـ/ ١١٩١م) ، مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م) ، ج٢ ، ص١٧٤.

٢- الحلو ، تاريخ الحديث النبوي ، ص٢٢٦ ؛ البلداوي ، وسام بوهالة ، فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين ، ط١ ، (العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ، ص٤٤-٤٥.

٣- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ، تاريخ اليعقوبي ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٢٦١ ؛ ابن كثير ،

قد استعان بالزهري لما ضج المسلمون من منعهم عن الحج إلى بيت الله الحرام عندما كانت الحجاز تحت سيطرة عبد الله بن الزبير (٦٤-٧٣هـ/ ٦٨٣-٦٩٢م) ، فقال أهل الشام لعبد الملك : «تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بني أمية».

وذكر ابن تغري بردي[1] : «...فمنع عبد الملك الناس من الحج فضجوا ، فبنى لهم القبة على الصخرة والجامع الأقصى ليصرفهم بذلك عن الحج والعمرة فصاروا يطوفون حول الصخرة كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ضحاياهم ...».

إن الذي يمحق الإسلام محقاً هم الأئمة المضلون ، وجعلُهم حجة على الدين ومصادر للمعرفة والتشريع يمحي تعاليمه وسننه ، فهذا ما يخاف منه على الإسلام ، وهذا ما حذر منه الإسلام والقرآن في آيات عدة ، ومن تلك الآيات التي تشير إلى هذا الخطر الكبير قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾[2].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره هذه الآية : "أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم ولكن أحلوا حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون"[3] فالخطر الذي يخاف منه على الإسلام هو : ان يصبح كل من تسلم زمام الأمور السياسية والإدارية للمسلمين قوله وفعله وتقريره حجة كحجية قول الرسول (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره فيصبح مصدراً من مصادر التشريع ، وهذا ما حصل بالفعل لدى المسلمين

أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) ، البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٨ ، ص٣٠٨ ؛ الدميري ، الشيخ كمال الدين (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) ، حياة الحيوان الكبرى ، ط١ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٨٤.

١- جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٤٣.

٢- التوبة : ٣١.

٣- البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص٢٤٦ ؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٣.

بالنسبة لبعض الحكام والسلاطين كالذي حصل لعبد الملك بن مروان في قضية تغيير جهة الحج المذكورة ، وما فعله الزهري في صرف الناس إلى حج بلاد الشام فأصبح ذا حظوة عند الأمويين لا يقدِّمون عليه أحد حتى توفي ، ولكن لم يأتِ هذا النجاح إلا بما هدره من حقائق الدين والتاريخ والسيرة النبوية الصحيحة التي لو أظهرها لكان الزهري عندهم غير هذا الزهري!

وهنا يبرز التساؤل الكبير : ألم يكن في إخفاء صفحات مهمة من السيرة تغيير لوجه السيرة ، وعرضها بوجه جديد مخالف لوجهها الحقيقي ؟!

وهكذا قاد تعصب كتّاب السيرة والمغازي وتعنتهم للبيت الأموي إلى تشويه الصورة الحقيقية لشخصية المصطفى (ﷺ).

قال الزبير بن بكار[1] وهو من علماء السلطة الأموية : «قدم سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م) إلى مكة حاجاً سنة ٨٢هـ/ ٧٠٢م ، فأمر أبان بن عثمان[2] ان يكتب له سيرة النبي (ﷺ) ومغازيه ، فقال له أبان : هي عندي قد أخذتها مصححة ممن أثق به. فأمر سليمان عشرة من الكتاب بنسخها فكتبوها في رق ، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وبدر ، فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل ! فإما ان يكون أهل بيتي غمضوا عليهم ، وإما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان : أيها الأمير لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق ، هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا! فقال سليمان : ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه ، ثم أمر بالكتاب فحرق ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب ، فقال عبد الملك : وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل ، تُعرِّف أهل الشام أموراً لا نريد ان يعرفوها

١- أبو عبد الله القرشي (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) ، الأخبار الموفقيات ، تحقيق : د. سامي مكي العاني ، ط٢ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٣٢٢.

٢- أبان بن عثمان بن عفان الأموي ، أبو سعيد ، ويقال أبو عبد الله ، مدني تابعي ثقة من كبار التابعين وله أحاديث. مات سنة (١٠٥هـ) في ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص١٥١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج١ ، ص٤٥٠ ؛ العجلي ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م) ، معرفة الثقات ، ط١ ، (مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج١ ، ص١٩٩ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم ، ط١ ، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١١١ ؛ الخطيب التبريزي ، الإكمال ، ص١٦١ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج١ ، ص٨٤.

، قال سليمان : فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته".

فالميزان عند الخليفة ان يكون في الكتاب مدح لعشيرته ، أما إذا كان فيه مدح لآخرين فيقول فيه "وما حاجتك أن تُقدِم بكتاب ليس لنا فيه فضل" وقد طبق الابن ما أراد الأب ، قال : "فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته" .

فإذا كانت السيرة النبوية في زمن عبد الملك بن مروان ينتهي بها الحال إلى الحرق لخلوها من ذكر طيب لآل عبد الملك بن مروان ، فكيف يكون حالها وهي تضم مناقب بني هاشم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟!.

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم في تاريخه : "ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً اليهم بما يظنون أنهم يرغمون فيه أنوف بني هاشم"[1].

وقد لخص الإمام الباقر (عليه السلام) موقف الحكّام الأمويين من أهل البيت (عليهم السلام) بقوله : "لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلد. فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس... وصار من يذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره... حتى ان الرجال ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من ان يقال له شيعة علي"[2].

ومن هنا تبرز الحاجة الملحة للاعتماد على مرويات أهل البيت (عليهم السلام) كونهم الأصدق والأصفى والأنقى ، فلا يحتاج الباحث إلى أدلة وشواهد تاريخية لكي يوضح كيف هو منهجهم (عليهم السلام) في قول الحقيقة ولو كانت على حساب مصالحهم. فكتب السير والتاريخ زاخرة بأمثلة الصدق وعدم الانحياز ، وهذه الصفات فيهم يعرفها الخصوم قبل المحبين ، وبما ان التاريخ كُتب بطريقة سالبة لحقهم ، فلابد من الرجوع اليهم في الحصول على المعلومة الحقيقية لسد هذا

١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١١ ، ص٤٦.
٢- المصدر نفسه ، ج١١ ، ص٤٣.

الفراغ الحاصل في الكتابات التاريخية.

وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة الصحابة قالوا : "ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا ببغض علي"[1]. ولاشك في أن من سنن الرسول (صلى الله عليه وآله) في الصلاة الجهر بالبسملة فكان علي (عليه السلام) يجهر بها ، فبالغ بنو أمية في المنع سعياً في إبطال آثار علي (عليه السلام) ، حتى قال ابن عباس "اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي"[2].

ومما يدل على تأثر حركة علم السيرة بالسلطة تدخل البلاط الأموي في عمل ابن شهاب الزهري في رواية السيرة وكتابتها ، فقد رواه الزهري نفسه: «قال لي خالد بن عبد الله القسري[3] – احد عمال بني أمية – اكتب لي النسب ، فبدأت بنسب مضر وما اتممته فقال : اقطعه ، اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة. فقلت له: يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فأذكره ؟ فقال: لا ، إلا ان تراه في قعر الجحيم لعن الله خالداً ومن ولاه ، وصلوات الله على أمير المؤمنين»[4].

ولذلك لم يكتب ابن شهاب الزهري لبني أمية أحاديث في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ، وهذا يدل في الواقع على تقديم الزهري لسيرة ناقصة وغير حقيقية ، لانها فقدت أحد أهم أركانها ، واختفت معها فصول مهمة وكبيرة من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) التي ارتبطت بأهل بيته ولاسيما بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ناهيك عن الانجازات التي تلازمت مع وجود علي (عليه السلام) في حركة التبليغ النبوية في مكة والمدينة ، بل منذ اتخذه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ربيباً في صغره يغدو عليه ليلاً ونهاراً حتى آخر لحظات عمره المقدس حينما تولى غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتكفينه ومواراته في مثواه الأخير.

١- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م) ، كتاب العثمانية ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ، ص٣٠٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١١٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٢٨٦ ؛ ابن شهراشوب ، المناقب ، ج٣ ، ص١٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص٨٣ ؛ المطهر الحلي ، علي بن يوسف (ت٧٠٥هـ/ ١٣٠٤م) ، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٢٥٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٩ ، ص٦٤٤.

٢- البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص١١٣.

٣- خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري ، من بجلة ، ولاه هشام بن عبد الملك الكوفة سنة (١٠٥هـ) فأقام فيها وطالت مدته إلى ان عزله هشام سنة (١٢٠هـ) ، كان خالد يرمى بالزندقة ، وينا صب العداء لعلي بن أبي طالب ، قتله يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٦هـ. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٦ ، ص١٢٢ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٨ ، ص١٠٧.

٤- أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) ، الأغاني ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، ط١ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٢٢ ، ص١٥.

ولذا فأي سيرة نبوية يمكن ان تكتب للأجيال المسلمة التي أعقبت الزهري ، وهي تخلو من ذكر علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، كما أراد خالد القسري وأسياده ؟ !.

ولم يتوقف الأمر على الأمويين في تغيير وجه السيرة والسنة النبوية ، فقد تحامل عبد الله بن الزبير هو الآخر على بني هاشم تحاملاً شديداً ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته ، فقيل له : "لم تركت الصلاة على النبي ؟ فقال : إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به"[1].

وقبل الدخول في بيان حال السيرة في العهد العباسي ، لابد من الإشارة إلى ان الحظر المفروض على التدوين كان رفعه في خلافة عمر بن عبد العزيز ، الذي أحس بضرورة التدوين ، فكتب رسالة إلى عالم المدينة أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم[2] ، وأمره بكتابة حديث النبي (صلى الله عليه وآله) لأنه يخاف دروس العلم وذهاب العلماء[3].

عن عبد الله بن دينار[4] قال : «كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم : أن اكتب إليَّ بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبحديث عمر فأني قد خشيت درس العلم وذهابه"[5].

والغريب أن عمر بن عبد العزيز المشهور بعدله ، وكان على علم بان في المدينة محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهما السلام) وارثي علم النبوة ، ومن أركان العلم والحديث ومع ذلك كتب يلتمس غيرهم لتدوين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله).

رُفع الحظر ، وعادت فكرة إحياء ما دُثر من الآثار إلى المجتمع الإسلامي ، لكن بعدما اختلط الحابل بالنابل ، وتسربت موضوعات كثيرة من طريق الأحبار والرهبان إلى الأوساط الإسلامية ، وتفاقم الأمر إلى حد أخرج البخاري في صحيحه الذي يحتوي على (٢٧٦١)

١- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٦١.
٢- هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، المدني ، أحد أعلام المدينة ، تابعي ، توفي سنة خمس وثلاثين ومئة وله سبعون سنة. ينظر : الخطيب التبريزي ، الإكمال ، ص١٦٤.
٣- البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣٣ ، كتاب العلم.
٤- عبد الله بن دينار من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) وعده البرقي أيضاً من أصحابه (عليه السلام). ينظر : السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ط٥ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ج١١ ، ص١٩٦.
٥- الدارمي ، سنن الدارمي ، ج١ ، ص١٢٦.

حديثاً بلا تكرار من زهاء ستمئة ألف حديث[1]. وبمجرد مقارنة أعداد الأحاديث التي حصل عليها البخاري واستخراجه العدد الذي أشير إليه ، يكتشف القارئ حجم التلاعب وخطورته في حديث رسول الله (ﷺ). وما سيؤدي هذا التلاعب من إحداث نتائج لا تسر تترك أثرها في الثقافة الإسلامية.

لهذا كله يعتقد الباحث أن المنع من التدوين يخفي وراءه أسباباً أعمق من التي علل بها ، يأخذ الجانب السياسي منها الحجم الأكبر ، وهذا يدعو جميع أبناء الإسلام بمختلف مذاهبهم إلى إعادة قراءة أحداث السيرة بروح علمية بعيدة عن التعصب والميول.

إن نظرة التقديس التي ينظر بها الناس إلى كل ما ورد في كتب السيرة من أخبار ، هي التي جعلت عملية نقد الروايات عملية صعبة ومعقدة للغاية ، وكأن النقد لما ورد في السيرة من أخبار هو نقد للسيرة نفسها وهذا ليس صحيحاً ، بل ان العكس هو الصحيح تماماً ، لان النقد لما ورد من أخبار في السيرة هو لتنقية السيرة من الشوائب التي علقت بها.

ونهج العباسيون نهج الأمويين في عملية الوضع والتحريف في التدوين التاريخي والسنة النبوية عند وصولهم إلى السلطة بعد إطاحتهم بالدولة الأموية ، فوضعوا أحاديث في فضائل بني العباس وفي دولتهم الجديدة ، وقد أشار مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري[2] والخطيب البغدادي[3] إلى جملة من هذه الأحاديث الموضوعة منها : «منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي».

وروي عن أبي هريرة ان النبي (ﷺ) قال للعباس بن عبد المطلب : "فيكم النبوة والمملكة"[4] أو قوله: «اجعل الخلافة باقية في عقبه»[5] ، وقوله : «الخلافة في ولد عمي وصنو أبي حتى يسلموها إلى المسيح»[6] وغيرها من الأحاديث التي تنبئ بوصول الخلافة إلى بني العباس.

١- السبحاني ، جعفر ، تذكرة الفقهاء ، ط١ ، (مكتبة التوحيد ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص٢١.
٢- أخبار الدول العباسية ، تحقيق: عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ص٢٩.
٣- تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٨٤ ؛ وينظر : ابن أبي شيبة الكوفي ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٨م) ، المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : سعيد اللحام ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ج٨ ، ص٦٧٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٢ ، ص٢٨٠.
٤- السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا - بيروت ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) ، ص٢٠ في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس.
٥- المصدر نفسه والصفحة.
٦- المصدر نفسه ، ص٢٢.

وبلغ الأمر في العصر العباسي أن زورت الأحاديث ووضعت باسم الإمام الصادق (عليه السلام) وهناك شواهد ونصوص تثبت هذا الدس والتزوير إرضاءً للسلاطين ، فقد ذكر أنه : "لما قدم الرشيد المدينة أعظم ان يرقى منبر النبي (صلى الله عليه وآله) في قباء أسود ومنطقة ؛ فقال له أبو البختري[1] : حدثني جعفر بن محمد عن أبيه ، قال : نزل جبرئيل على النبي عليه السلام عليه قباء ومنطقة ، محتجزاً فيها بخنجر ، فقال له المعافى التيمي[2] :

ويل وعويل لأبي البختري ... إذا توافى الناس في المحشر
من قوله الزور وإعلانه ... بالكذب في الناس على جعفر
والله ما جالسه ساعةً ... للفقه في بدو ولا حضر
ولا رآه الناس في دهره ... يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد ... أعلن بالزور وبالمنكر
يزعم ان المصطفى أحمد ... أتاه جبريل التقي السري
عليه خف وقباء أسود ... مختجراً في الحق بالخنجر[3]

ومن النصين القادمين يتضح لنا رأي العلماء والحكام في أبي البختري هذا :

١-قال مالك بن أنس : «ما بال أقوام إذا خرجوا من المدينة يقولون ، حدثنا جعفر بن محمد ، حدثنا جعفر بن محمد ، فإذا قدموا المدينة انجحروا في البيوت». يريد بذلك أبا البختري[4].

---

١ - أبو البختري : وهب بن وهب ، عامي المذهب ، ضعيف ، كان قاضي القضاة ببغداد ، وكان كذاباً له أحاديث مع الرشيد. ينظر : الطوسي ، الفهرست ، تحقيق : جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١١٩٩٧م) ، ص٢٥٦ ؛ ابن داود ، رجال ابن داود ، ص٢٨٣.

٢ - المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد القاضي ، أبو الفرج النهرواني المعروف بابن طرار ، كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة وأصناف الأدب ، وكان ثقة ، توفي المعافى بالنهروان وله خمس وثمانون سنة. ينظر : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج٣ ، ص١٠١١ ؛ تاريخ الإسلام ، ج٢٧ ، ص٢٠٦.

٣-وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/ ٩١٥م) ، أخبار القضاة ، (عالم الكتب ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٤٨ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٤٥٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٣ ، ص٤١١ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٣ ، ص٤٧.

٤ - وكيع ، أخبار القضاة ، ج١ ، ص٢٥٢.

٢-دخل أبو البختري على هارون الرشيد فقال : «يا أمير المؤمنين حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه رفعه ؛ قال: إذا كان يوم القيامة يؤخذ للناس القصاص إلا من بني هاشم ، فلما خرج قال هارون : لولا ان هذا قد كفانا بعض ما يهمنا من أمر المدينة لم أكن أقبله يكذب على رسول الله (ﷺ) في مجلسي"[١].

ومن الحوادث الكبيرة والخطيرة التي حلت بالسيرة النبوية وأخبارها في هذا العهد ، هو ما حصل بسبب خوف الحكام والسلاطين والأمراء وأصحاب المنافع الضيقة من بعض الحقائق التي تفضح تاريخهم السابق الذي لا يتناسب وما حصلوا عليه ، لذلك عمدوا إلى إلغاء بعض الحقائق وإقصائها لاعتقادهم بانها سوف تساعدهم على استمرار منافعهم ومصالحهم ولاعتقادهم بانها ستندثر مع مرور الوقت ، ولعل أخطر ما حصل في هذا الأمر هو قيام عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ/ ٨٣٣م) بتهذيب سيرة ابن إسحاق (ت١٥١هـ/ ٧٦٨م). فالكل يعلم ان أشهر كتاب وصل الينا في سيرة نبينا (ﷺ) هو ما كتبه محمد بن إسحاق ، وعرف باسم "سيرة ابن إسحاق" ثم اختصره وغيَّر فيه عبد الملك بن هشام فعرف باسم "سيرة ابن هشام" وذكر في أوله انه تارك من سيرة ابن إسحاق : "أشعاراً ذكرها لم أر أحد من أهل العلم بالشعر يعرفها"[٢]. ولكنه لم يحذف : ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل[٣] ، وحذف أيضاً «أشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره»[٤]. فمن هؤلاء الناس الذين يسوؤهم ذكر بعض الأحداث في السيرة ؟ هل هم العوام من الناس من الفقراء والبسطاء أو السلاطين والحكام؟ والجواب لا يحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والتحليل لكي نعرف من هم هؤلاء الذين لم يرد ابن هشام ان يُساء لهم.

وهذا معناه أنه أراد كسب رضا العباسيين الذي ألف لهم كتابه ، والذين يزعمون ان جدهم العباس وارث النبي (ﷺ) ويزعم أبوهم المنصور انه رأى النبي (ﷺ) في منامه : "وعقد له لواء أسود وعممه بعمامة من ثلاث وعشرين دوراً وأوصاه بأمته وقال له : خذها إليك أبا

١- المصدر نفسه ، ص٢٥٣.
٢- ابن هشام ، عبد الملك الحميري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م) ، السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط١ ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص٢ (المقدمة).
٣- المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٦٤٦.
٤- المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢ المقدمة.

الخلفاء إلى يوم القيامة ! فأصدر أمره للمسلمين بتدوين رؤياه وقال : ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان"[1].

ويظهر أن ابن هشام حذف كثيراً من مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ، وما يمس ببني أمية وبني العباس ! ومن ذلك حذفه اسم أبي طالب من مراسيم خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) لخديجة عليها السلام حتى لا تعد منقبة له[2]. وحذف اسم العباس من أسرى بدر ، مع أنه متواتر ، وقد حذف كذلك حديث الدار الذي نص على وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) عند نزول قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[3][4].

لذلك ان القيمة العلمية لسيرة ابن هشام محدودة ، إذ يحتاج الباحث إلى فحص رواياتها ، ومقارنتها برواية أهل البيت (عليهم السلام) وبقية المؤرخين.

يقول عبد الجبار ناجي[5] : «إن عملية ما اسماه ابن هشام بتهذيب السيرة النبوية لابن إسحاق هي عملية جراحية مشوهة لا تهذيب الكتاب فحسب».

ويقول ناجي : «إن ابن هشام في أقواله الجازمة والمتحدية لكتاب ابن إسحاق مع راويته البكائي ، قد غيبا ما أرادا تغييبه من الروايات والأحداث المهمة ، وأقصيا ما أرادا إقصاءه من رواية السيرة سواء كانت أحداثاً أو أشخاصاً ... أو غير ذلك بحسب قوله» [وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته].

وعلق الدكتور ناجي[6] على ما حصل لكتب السيرة فقال : «إن ابن هشام قد أضرّ بسيرة ابن إسحاق كثيراً بدافع أو بآخر ، بحيث أصبحنا لا نميز كلام ابن إسحاق عن كلام مهذب سيرته ابن هشام ... لكن هذا لا يغير الحقيقة عن وجود الرسول (صلى الله عليه وآله) وولادته وبعثته ...".

ومن الدراسات المعاصرة التي تناولت بالنقد والتحليل الثغرات الحاصلة في تهذيب

١- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص٨٦.
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢١.
٣- الشعراء : ٢١٤.
٤- ينظر : مرتضى العسكري ، معالم المدرستين ، (مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج١ ، ص٢٥٣ ؛ علي الكوراني ، السيرة النبوية برواية أهل البيت (عليهم السلام) ، (دار المرتضى ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص٤.
٥- نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجاً ، ط١ ، (منشورات دار الجمل ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) ، ص٣٧.
٦- كبريلي ، فرانشيسكو ، محمد والفتوحات الإسلامية ، ترجمة وتعليق : عبد الجبار ناجي ، ط١ ، (منشورات الجمل ، بغداد ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) ، هامش ص١١٩.

ابن هشام للسيرة النبوية التي كتبها ابن إسحاق ، دراسة الدكتور نصار[1] التي أشار فيها إلى ان الرقيب العباسي لم يأخذ بسياسة المنع التي استعملتها السلطة الأموية ، بل لجأ إلى سياسة التعديل والشطب والتغيير وإضافة أشياء مصطنعة.

وأشار نصار[2] إلى قول أحد الباحثين[3] : «لكن مما يؤسف عليه لجوء ابن هشام إلى حذف الكثير من مادة ابن إسحاق التي عدّها غير ضرورية ثم صيرورته إلى تعديل بعض الأخبار أو تغذية ألفاظها بحسب ما فهمها ليكسبها قبولاً ووضوحاً حين رأى انها تفتقر اليهما ، ولاشك في ان تعديلاته وشروحه هذه تأثرت ببيئته الثقافية وطبيعة عصره الذي عاش فيه ... حتى كانت اهتمامات ابن هشام اللغوية قد أثرت تأثيراً كبيراً في طريقته باختيار الأخبار وفي إيرادها ، وقد ذهبت بعض اهتمامات ابن إسحاق التاريخية ضحية دقة ابن هشام اللغوية ... ومن ثمَّ فان لهذا النوع من الحذف ـ بلاشك ـ أسباباً سياسية وأخرى تتصل بالصورة التاريخية لعصر ابن هشام عن النبي (ﷺ) وصحابته".

وهناك سيرة أخرى مهمة كأهمية سيرة ابن إسحاق غير انها مفقودة وهي السيرة النبوية لإبان ابن عثمان البجلي[4] الشيعي المتوفى سنة ١٧٠ هـ/ ٧٨٦م الذي كان من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ونقل عنه عدداً كبيراً من الأحاديث مباشرة بلا وساطة ، وما عرف من مصنفاته إلا كتابه الذي يجمع المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة ، وهذه كلها في كتاب واحد.

ويبدو ان الحصار السلطوي كان أحد أسباب فقدان سيرة إبان بن عثمان الأحمر البجلي هذه ، بسبب الرقابة الصارمة على علوم أهل البيت (عليهم السلام) ، وخوف المحدثين من هذه الرقابة أدى إلى عدم نقل ما ورد فيها من روايات لأنها تعتمد روايات الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)

١- عمار عبودي محمد حسين ، تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي ، ط١ ، (دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٩٢.

٢- المصدر نفسه ، ص١١٠-١١١.

٣- زكار ، سهيل ، التاريخ عند العرب ، مجلة قضايا عربية ، الدار العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، السنة الثالثة ، العدد ٢ ، ١٩٨٣ . نقلاً عن : نصار ، تطور كتابة السيرة ، ص١١١.

٤- أبو عبد الله إبان بن عثمان الأحمر البجلي ، كوفي الأصل ، كان يتنقل بين البصرة والكوفة ، أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى وغيره ، وأكثروا الحكاية عنه في كتبهم ، وكان شاعراً عارفاً بأخبار الشعراء والأيام والأنساب. ينظر : الطوسي ، الفهرست ، ص٥٩ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م) ، ج١ ، ص١٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ط٢ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) ، ج١ ، ص٢٤ ؛ الغفار ، عبد الرسول ، الكليني والكافي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٥٤٠-٥٤٢ ؛ غفاري ، علي أكبر ، دراسات في علم الدراية ، ط١ ، (مطبعة تابش ، طهران ، د.ت) ص٢٣٥.

بالدرجة الأساس.

وقد حقق السيد رسول جعفريان في كتاب إبان الأحمر البجلي[1] ، وقدّم معلومات قيمة جداً ، وقال: «لم نعثر في مصادر أهل السنة – على حد علمنا – سوى على خبر واحد مأخوذ عن إبان في مجال السيرة ، وهو خبر طويل إلى حد ما ويتناول عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه على قبائل العرب".

وفي مقابل ذلك نجد هناك من اعتمد على سيرة إبان أمثال اليعقوبي في تاريخه وعلي بن إبراهيم القمي في تفسيره ومحمد بن يعقوب الكليني في الكافي والطبرسي في اعلام الورى. ونجد ذلك واضحاً مما نقله هؤلاء إذ ترد عندهم الإشارات بصورة واضحة حين يسندون رواياتهم إلى إبان بن عثمان الأحمر البجلي ، أو يشيرون في بعض الأحيان إلى كتاب إبان ويكتفون بعبارة (ورد في كتاب إبان) فقط[2].

أما بعض كتب الصحاح التي تعد مصدراً مهماً من مصادر السيرة النبوية ، فبينما نجد البخاري لا يخرج حديثاً واحداً في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) والذي يروي عنه آلاف المحدثين من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) آلاف الأحاديث ، يروي البخاري[3] وأبو داود[4] والبيهقي[5] في صحاحهم وآخرون غيرهم[6] عن عمران بن حطان[7] الخارجي الذي يقول في عبد الرحمن بن ملجم وقتله للإمام علي (عليه السلام) :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً[8]

١- المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة ، إبان بن عثمان الأحمر ، تحقيق: رسول جعفريان ، ط١ ، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص١٩-٢٠.
٢- المصدر نفسه ، ص٧-٢٣.
٣- صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٤٥.
٤- سنن أبي داود ، ج٢ ، ص٢٧٩.
٥- السنن الكبرى ، ج٣ ، ص٢٦٦.
٦- ابن حجر ، فتح الباري ، ج١٠ ، ص٢٤٤ ؛ العيني ، بدر الدين (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٢٢ ، ص١٣.
٧- عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي ، من رؤوس الخوارج ، حدث عن عائشة وأبي موسى الاشعري وابن عباس ، ومدح ابن ملجم قاتل علي (عليه السلام). ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٢١٣.
٨-المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ، ج٢ ، ص٣٢٣.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فالإمام مالك بن أنس الذي لم يروِ عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حتى ظهر أمر بني العباس لعدم قدرته على التحدث بأحاديث قد لا ترضاها السلطة الحاكمة ، نراه في العصر العباسي الذي تحدث فيه يقول : "لقد حدثت بأحاديث وددت اني ضربت بكل حديث منها سوطين ولم أحدث بها"[1] وفي رواية أخرى انه قال : «كثير من هذه الأحاديث ضلالة ، لقد خرجت مني أحاديث لوددت أني ضربت بكل حديث منها سوطين وأني لم أحدث به»[2]. وهذا اعتراف واضح من محدث معروف بعدم الاطمئنان بصدور ما لديه من السنن ، بل ان عدم الاطمئنان لصحة ما ورد في الأحاديث جاء على لسان شعبة بن الحجاج[3] حين قال : تسعة أعشار الحديث كذب[4] ، وقال الدارقطني : ما الحديث الصحيح في الحديث إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[5].

وقد تنبأ الإمام علي (عليه السلام) إلى هذا الأمر قبل الجميع حين قال (عليه السلام) : "وانه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ، ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ، ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه..."[6].

وقال ابن النديم[7] في ترجمته لأبي بكر محمد بن يحيى بن العباس الصولي ، وكان من الأدباء الظرفاء والجماعين للكتب ، وعاش إلى سنة ثلاثين وثلاثمئة للهجرة ، وتوفي مستتراً بالبصرة لانه روى خبراً في علي (عليه السلام) فطلبه الخواص والعوام لتقتله ، وهذا يعني ان من يروي خبراً في فضائل علي (عليه السلام) لا يوافق ما اعتاده الناس يهدد بالقتل ، وهو أمر يعني انه حتى بداية

١- الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد ، ط٤ ، (منشورات دار الآفاق الحديث ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٦١.

٢- الخطيب البغدادي ، نصيحة أهل الحديث ، تحقيق: عبد الكريم أحمد الوريكات ، ط١ ، (مكتبة المنار ، الأردن – الزرقاء ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٣٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١١ ، ص٣٢٥.

٣- أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الازدي ، روى عن جمعاً كثير منهم ابان بن تغلب وإبراهيم بن عامر بن مسعود وجابر الجعفي وكان حجة في الحديث ، مات سنة ١٦٠هـ. ينظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ج٤ ، ص٢٩٨.

٤- ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ج٩ ، ص١٠٥.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

٦- المصدر نفسه ، ص١٠٤.

٧- أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩١م) ، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم ، تحقيق : رضا تجدد ، (مطبعة فلوجل ، القاهرة ، د.ت) ، ص٢٤.

القرن الرابع الهجري كان الناس مضللين لا يمتلكون من حقيقة المعلومات شيئاً.

وبعد كل ما تقدم يجب أن نعلم أننا كلما قربنا من مصدر الوحي والرسالة والعصمة ، فإننا نكون أبعد ما يكون عن التحوير والتزوير والوضع ، لأن هذا المصدر هو المصدر الوحيد الذي لا يعتريه خلل في الرؤية للواقع الموضوعي ، ولا نقص في إدراكاته لحقيقة ما يجري ولا مجال للحيلولة بينه وبين الواقع ، وإطلاعه عليه كما هو ، ومن دون أي تحوير أو تزوير.

ثانياً : الروايات الإسرائيلية في السيرة النبوية :

معنى الإسرائيليات :

الإسرائيليات : جمع ، مفرده إسرائيلية ، وهي قصة أو حادثة تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل ، وهو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم أبو الأسباط الاثني عشر ، واليه ينسب اليهود ، فيقال بنو إسرائيل[1] قال تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[2].

تقسم مادة الإسرائيليات على : نقلية : كالأسطورة ، والقصة ، والخبر التوراتي أو الكتابي ، وعقلية: كالفكرة ، أو العقيدة ، أو الأثر الفكري ذي الجذر الإسرائيلي[3].

ولفظ الإسرائيليات – وإن كان يدل بظاهره على القصص التي تروى أصلاً من مصادر يهودية – يستعمله علماء التفسير والحديث ويطلقونه على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي ، فهو في اصطلاحهم يدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما[4].

وتوسع بعض المفسرين والمحدثين فعدّوا الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم ، وإنما هي أخبار

١ – الذهبي ، محمد حسين ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ط٤ ، (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١٤.
٢ – الإسراء : ٤.
٣– العميري ، كريم مظهر طربوش ، الإسرائيليات في التاريخ الإسلامي ، دلالتها ، وأصولها ، وآثارها العقائدية ، والسياسية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية – الجامعة المستنصرية ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ، ص٣٦.
٤ – للمزيد ينظر : أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص١٩٦ وما بعدها ؛ ضحى الإسلام ، ط١ ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ج١ ، ص٢٥١ وما بعدها ؛ الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير ، ص١٤ وما بعدها.

من صنع أعداء الإسلام ، صنعوها بخبث نية ، وسوء طوية ، ثم دسوها على التفسير والحديث ، ليفسدوا بها عقائد الإسلام والمسلمين. كقصة الغرانيق[1] التي تمس مساً مباشراً وصريحاً بكرامة القرآن الكريم وكرامة الرسول (ﷺ).

تسربت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث وأخبار السيرة النبوية ، وكان هذا التسرب مسبوقاً بتسرب الثقافة اليهودية إلى الثقافة العربية الإسلامية ، لان المسلمين كانوا بحاجة لمعرفة الكثير من الأمور السابقة للإسلام المذكورة في القرآن الكريم من دون تفاصيل دقيقة. لهذا نجد أن ابن إسحاق حين بدأ بكتابة السيرة النبوية اعتمد الروايات الإسرائيلية التي تعد المصدر الأساس لتاريخ تلك الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام خاصة أصول الأمم السابقة التي بدأ بها كتابه[2].

إن أول دليل على ان ابن إسحاق له اتصال بالثقافة المسيحية هو اعتماده على الانجيل في وصف النبي محمد (ﷺ) فقد أفرد ابن هشام نقلاً عنه فصلاً بعنوان : (صفة رسول الله (ﷺ) من الانجيل)[3].

وكان ابن اسحق في نقله عن اليهود والنصارى في كتبه يصفهم بـ»أهل العلم الأول»[4] حتى لامه الكثير من المحدثين في عصره لأخذه عن اليهود والنصارى[5]. وكان العرب في جاهليتهم يقيم بينهم جماعة من أهل الكتاب جلهم من اليهود الذين نزحوا إلى جزيرة العرب

١ – وملخص القصة : إن النبي (ﷺ) قرأ سورة النجم بمكة ، فلما بلغ : {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى...} ألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهن لترتجى ، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجد معه المشركون والمسلمون. وقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم ، وشاع في الناس أن أهل مكة أسلموا بسبب سجودهم مع النبي (ﷺ) حتى رجع المهاجرون ظناً منهم ان قومهم اسلموا ، فوجدوهم على كفرهم. وقال السيوطي في هذه القصة ما نصه : "أن أهل التحقيق قالوا : هذه الرواية باطلة وموضوعة. واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن فلقوله تعالى : {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}. وأما السنة : ما روي عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال : هي من وضع الزنادقة ... وأما من جهة المعقول : فانه من جوز على النبي (ﷺ) تعظيماً للأوثان فقد كفر ...". السيوطي ، تفسير الجلالين ، (دار المعرفة للطباعة والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ص١٦ ؛ الشنقيطي ، محمد الأمين محمد المختار ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تحقيق : مركز البحوث والدراسات ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٥ ، ص٢٨٥. للمزيد من المعلومات حول هذه القصة ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١١٣ ؛ السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٧م) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج٢ ، ص٣٦٥ ، وآخرون غيرهم.

٢ – الميراني ، فلاح فقه يوسف ، أثر روايات القصّاص والإخباريين في تأليف كتاب السير والمغازي لمحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ، ص٦٠-٦٢.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٢.

٤ – المصدر والصفحة نفسها.

٥ – الطبري ، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق: خليل الميس ، (دار الفكر للطباعة والنشر والوزيع ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٩ ، ص٦٧ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص١٠٥ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٢٤.

من زمن قديم ، والذين هاجروا إليها بعد هجرتهم الكبرى سنة سبعين للميلاد[1].

ويوجز ابن خلدون[2] أسباب انهزام العرب أمام الثقافة اليهودية ، ومبدأ دخول الإسرائيليات بقوله : «إن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب بدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألونها عن أهل الكتاب قبلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ...ومعظمهم من «حمير» الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون بها...فامتلأت التفسيرات من المنقولات عنهم...وملأوا الكتب بهذه المقولات فلقيت بالقبول من يومئذ...».

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل كانت الجريمة الحقيقية هي تمكين مسلمة أهل الكتاب من نشر ترهاتهم وأباطيلهم التي لم تسلم منها العقائد ولا المفاهيم ولا القيم وحتى أحكام الشريعة والدين وذلك حينما فتح لهم المسلمون مساجدهم ليقصوا على الناس من إسرائيلياتهم ، وكان كبار رجال الدولة حتى الخلفاء يحضرون مجالس القصص تلك ، وكان تحدث مسلمة أهل الكتاب [من أحبار اليهود وقساوسة النصارى] أمراً مسموحاً به !! وظهرت إثر ذلك آراء وأفكار خطيرة مستلهمة أغلبها من اليهود والنصارى ، فزادت جرأتهم التي تنامت وتكرست في ظل حديث مزعوم نسبوه إلى رسول الله (ﷺ) يقول : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"[3] ، وذلك لإعطاء رواية الإسرائيليات جوازاً شرعياً.

والسؤال هنا : كيف يأمر الرسول الأكرم (ﷺ) بالتحديث عن بني إسرائيل وقد كفروا بدين الله والإسلام لقوله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[4] ، لان ما سيقوله بنو إسرائيل للمسلمين هو خرافات يحاولون بها افساد الدين لقوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم

١- ولفنستون ، إسرائيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط١ ، (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٧م) ، ص٩.
٢- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٤م) ، المقدمة ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص٣٢٤.
٣- ابن أبي شيبة الكوفي ، المصنف ، ج٦ ، ص٢٣٥ ؛ أبو داود ، سنن ، أبي داود ، ج٢ ، ص١٨٠ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١ ، ص١٥١ ؛ المباركفوري ، أبو العلاء محمد عبد الرحمن أبي عبد الرحيم ، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٧ ، ص٣٦٠.
٤- البقرة : ٧٥.

مّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقد روي عن ابن عباس انه كان ينهى عن الاستماع لليهود وهذا نص الحديث : «يا معشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه (ﷺ) أَحْدَثُ بالأخبار بالله تقرؤونه لم يُشب ؟ وقد حدثكم الله ان أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيرّوا بأيديهم الكتاب فقالوا : هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم"[2].

فهل يعقل ان يفطن ابن عباس لما لم يفطن له الرسول (ﷺ) من أمور الدين ؟

يقول العلامة العاملي[3] : «الظاهر أن حديث : حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ليس كذباً كله ، بل هو – فيما يظن – تحريف للكلمة المأثورة عن رسول الله (ﷺ) : "حدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" حسبما رواه أبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري وأنس..."[4].

وبالاستناد إلى هذا الذي حصل ، ومنح إشارات جواز المرور لقصص بني إسرائيل ورواياتهم ، تمكن القصاصون من وضع مجموعة كبيرة من الأحاديث لا تقل خطورة عن أخطار المرويات التي وضعها أتباع الحاكمين والسلاطين ووعاظهم والزنادقة على السيرة النبوية. ومما يؤسف عليه أصبحت هذه القصص والروايات الإسرائيلية سلاحاً يعتمد عليه في التهديم والتخريب لفكر الإسلام والمسلمين ، مادامت في بطون الكتب والمؤلفات الإسلامية ، فاختلط الصحيح بالسقيم ، والسقيم بالصحيح.

لذا يجب عند دراسة السيرة النبوية رصد نشاط اليهود في حياة النبي (ﷺ) ، وتأثيرهم في قادة قريش ومجموعة الصحابة الذين كانوا يدرسون عندهم الذين أطلق النبي (ﷺ) عليهم صفة

١- البقرة : ١٠٩.
٢- الصنعاني ، المصنف ، ج١١ ، ص١١٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٦٣ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص٢٤٩.
٣- الصحيح من السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٠٢.
٤- الشافعي ، الأم ، ص٣٩٧ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ الدارمي ، سنن الدارمي ، ج١ ، ص١٣٥ ؛ البخاري ، صحيح البخاري، ج٤ ، ص١٤٥ ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٤ ، ص١٤٧ ؛ العيني، عمدة القاري، ج٦ ، ص٤٥.

المتهوكين[1] ، روى السيوطي[2] : «...إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا ، وقد هممنا أن نكتبها ، قال : يا ابن الخطاب امتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً».

ومعنى جوامع الكلم هو الكلام المختصر ببلاغة تامة ، وفي الوقت نفسه يجمع بين طياته الكثير من المعاني ، وقد سُئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن جوامع الكلم فقال : "هو القرآن. فالقرآن هو قمة البلاغة والاختصار"[3].

وفي رواية أخرى : «إن عمر بن الخطاب أتى النبي (صلى الله عليه وآله) بكتاب أصابه من بعض الكتب فقال يا رسول الله إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب ، فقال فغضب وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيحدثونكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني"[4].

والتحير الذي عبر عنه النبي (صلى الله عليه وآله) بالتهوك ، أمر يثير تساؤلات : إذ ماذا يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتهوك عمر ، هل عنى أنه لم يكن مقتنعاً بما يلقيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن الوحي ، أو أنه (صلى الله عليه وآله) عبر عن شيء يكمن في نفس عمر يدفعه إلى التحير في دينه ويخفي أمراً خطيراً يثير غضب النبي (صلى الله عليه وآله) أو تساؤله على الأقل عما يريب عمر في دينه ، فهناك ما يهيمن عليه ليثير لديه الحيرة التي عبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتهوك[5].

وتكمن خطورة الإسرائيليات في أنها تمكنت من التسرب إلى المواقع المتقدمة في الدولة

١- التهوك كالتهور ، وهو الوقوع في الأمر بغير روية ، والمتهوك : «الذي يقع في كل أمر. وقيل : هو التحير. ينظر : ابن الأثير ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي ، (مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ، قم ، د.ت) ، ج٥ ، ص٢٨٢.

٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ط١ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، ، بيروت ، د.ت) ، ج٥ ، ص١٤٨ ؛ وينظر : الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١ ، ص١٧٣.

٣- النووي ، أبو زكريا محي الدين الشافعي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٨م) ، شرح صحيح مسلم ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج٥ ، ص٥ ؛ السيوطي ، الديباج على مسلم ، ط١ ، (دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٨٩ ، ص١٥ ؛ المباركفوري ، تحفة الاحوذي ، ج٥ ، ص١٣٥.

٤- الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) ، تفسير الثعلبي ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج٢ ، ص١٢٧ ؛ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص٥٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٥ ، ص٢٨٢.

٥- محمد الحلو ، تاريخ الحديث ، ص٢٣٧.

، وبهذا الأسلوب برز تأثير الإسرائيليات واضحاً كما بينت الشواهد المارة الذكر على المراكز المهمة في الدولة واحتلت لها مكاناً خصباً ، على الرغم من ان النبي (ﷺ) بيّن لأصحابه الموقف الواجب اتخاذه تجاه أهل الكتاب فقال (ﷺ) : "لا تصدقوهم ولا تكذبوهم"[1] ، لكن المسلمين تساهلوا في الأخذ عن أهل الكتاب ، ودخلت الإسرائيليات في كتب التفسير والحديث وكتب التاريخ العام.

لذلك نجد أن النبي (ﷺ) ولاسيما في سنواته الأخيرة من حياته الشريفة ، كان يحدث المسلمين عن تلك السنن التي جاء بها اليهود ، لكي يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الوقوع بها ، بل يظهر الحديث الشريف إنه كان يرى ان هذه الأمة قد سلكت السنن التاريخية السابقة لا محالة ، قال (ﷺ) : "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه. قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله ؟ قال : فمن إذن"[2].

وفي لفظ آخر أنه قال (ﷺ) : "لتتبعن سنن من كان من قبلكم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن"[3].

وورد هذا الحديث بلفظ آخر من طريق الإمام الباقر (عليه السلام) بالنص الآتي: "لتركبن

١- ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٤ ، ص١٥١ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط٢ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٢٨٧.

٢- العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) ، كتاب الضعفاء الكبير ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٤ ، ص٤١٨ ؛ المفيد ، الافصاح ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٥٠ ؛ الكراجكي ، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٦م) ، التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، تحقيق: فارس حسون كريم ، (د.م ، د.ت) ، ص٨٨ ؛ الشيخ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد ، تحقيق: حسن سعيد ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٢١٢ ؛ الرسائل العشر ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت) ، ص٢١٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٤ ، ص٤٤١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٨ ، ص٨.

٣- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٨ ، ص١٥١ ؛ الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) ، الشافي في الإمامة ، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ط٢ ، (مؤسسة اسماعيليان ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٣ ، ص١٣٢ ؛ الشهرستاني ، أبو الفتح ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) ، الملل والنحل ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٠ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع بما للنبي (ﷺ) من الأحول والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد المجيد النميسي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ج١٢ ، ص٣٥٣ ؛ النزاع والتخاصم ، ص١٥٩ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١٣ ، ص٢٥٤ ؛ العيني ، عمدي القاري ، ج٢٥ ، ص٥٢ ؛ وينظر : الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، د.ت) ، ج١٢ ، ص١١٠ ؛ زرندي ، السير مير محمدي ، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٢٧٥.

سبيل من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لا تخطئون طريقهم ولا يخطئ ، شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع ، حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضب لدخلتموه"[1].

وبعد هذا التحذير الصادر من المصطفى (ﷺ) وتوقعاته المستقبلية لما سيحدث للأمة من تسرب هذا الفكر الإسرائيلي الذي يعد من أقوى أسلحة التخريب والتهديم ، كان على المسلمين أن يعرضوا كل حديث مشتبه به على الكتاب العزيز ، ويحققوا فيه في ضوء مفردات القرآن الكريم ، فإذا انسجم وإياه أخذوا به ونقلوه ودونوه في كتبهم ، وإذا تعارض وروحه ونصه ضربوه عرض الجدار ، واعرضوا عن ذكره وتسجيله لكي لا تشوب عقيدة المسلمين مثل هذه الشوائب ، وذلك تطبيقاً لفكر الإمام الصادق (عليه السلام) ومنهجه ومعالجاته لهذه الحالات ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه"[2]. وفي قول آخر له (عليه السلام) : "كفى بالمرء جهلاً – وفي رواية – أو كذباً أن يحدث بكل ما سمع"[3].

وكان للقصاصين اليد الطولى في إدخال الموضوعات في أحاديث الرسول (ﷺ) وأخباره ، فقد كانوا يدخلون المساجد ويحدثون الناس بالأكاذيب عن رسول الله (ﷺ).

وقد صور لنا ابن قتيبة الدينوري[4] دور هؤلاء القصاص في إدخال الإسرائيليات إلى تراثنا التأريخي بقوله : «إنهم يميلون وجوه العوام إليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير ، والغريب ، والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن فطر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ويستفز العيون».

أما ابن حبان[5] فيقول : «كانوا إذا حلوا بمساجد الجماعات ، ومحافل القبائل مع العوام والرعاع أكثر جسارة في الوضع».

١ – القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) ، تفسير القمي ، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، (مطبعة النجف ، النجف الأشرف ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٥م) ، ج٢ ، ص٤١٣ ؛ الفيض الكاشاني ، محمد محسن (ت١٠٩١هـ) ، التفسير الصافي ، ط٢ ، (مطبعة مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٥ ، ص٣٠٦ ؛ التفسير الأصفى ، تحقيق : محمد حسين درايتي ، ومحمد رضا نعمتي ، ط١ ، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ج٢ ، ص١٤٢٤.

٢ – البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩.

٣ – الشيخ الصدوق ، معاني الأخبار ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) ، ص١٥٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٤ ، ص٤٩٤.

٤ – تأويل مختلف الحديث ، تحقيق : إسماعيل الاسعردي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ص٢٥٩.

٥ – كتاب المجروحين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، (مطبعة دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، د.ت) ، ج١ ، ص٨٨.

ولعل أول من تعاطى هذه المهنة في نشر القصص والترهات والأكاذيب الباطلة هو تميم الداري[1] المعاصر لعمر بن الخطاب ، وقد استأذنه في أن يقص على الناس فأبى ، وفي أخريات أيامه أذن له أن يقص على الناس مرة في الأسبوع[2]. فكان يفعل ذلك فلما كان عثمان استزاده فزاده يوماً آخر[3]. فانطلق يحدث في المسجد والمجتمعات بما لذ له وطاب بدون وازع من دين أو رقابة من أحد ، ومما يشير إلى عدم تحرج هذه الطبقة من الكذابين والقصاصين أن روح بن زنباغ[4] دخل عليه وهو ينقي لفرسه شعيراً ، وحوله أهله ، فقال له : «أما كان في هؤلاء ما يكفيك ، قال بلى : ولكني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ما من امرئ مسلم ينقي لفرسه شعيراً ثم يعلقه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة"[5]. هكذا كان مستوى القصاصين ، وهذا مستوى عقليتهم ونوع قصصهم ، ومنحاهم فيما يروون.

وقد نما القصُّ بسرعة لأنه كان يتفق وميول العامة حتى أكثرَ القُصّاص من الكذب ، لذلك قيل إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) طردهم من المساجد. فقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) دخل المسجد فإذا رجل يخوِّف ، فقال : "ما هذا ؟ فقالوا : رجل يذكر الناس ، فقال : ليس برجل يذكر الناس ، ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان ، اعرفوني. فأرسل إليه فقال : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ فقال : لا . قال : فأخرج من مسجدنا ، ولا تُذكّر فيه"[6].

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : "إن أمير المؤمنين (عليه السلام) رأى قاصاً في المسجد فضربه بالدرة وطرده"[7].

---

١ - هو تميم بن أوس بن خارجة بن سور بن جذيمة بن عدي بن عبد الدار وفد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه اخوه نعيم بن أوس فأسلما ، ولم يزل بالمدينة حتى تحول إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان. توفي سنة (٤٠هـ/ ٦٦٠م). ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٤٠٨ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص١٥٠.

٢- الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٨٠ و ٢٨٢ ؛ وينظر : أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص١٥٧ ؛ الحسني ، هاشم معروف ، الموضوعات في الآثار والأخبار عرض ودراسة ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٢٣.

٣- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١١ ، ص٨١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٦١٦ ؛ وينظر : الطائي ، الشيخ نجاح ، يهود بثوب الإسلام ، ط١ ، (دار الهدى لإحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ص٥٢.

٤- روح بن زنباغ بن زوح بن سلامة بن حداد بن حديدة بن أمية بن امرئ القيس ، لا تصح له صحبة ، وقال مسلم بن الحجاج في الاسماء والكنى أبو زرعة روح بن زنباغ له صحبة. كان من المقربين لعبد الملك بن مروان. ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٨٩.

٥- ابن حنبل ، مسند أحمد بن حنبل ، ج٤ ، ص١٠٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٠٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢١٥.

٦- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م) ، الجامع لأحكام القرآن ، ط٢ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص١٠٦ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٨١.

٧- الكليني ، الكافي ، ج٧ ، ص٢٦٣ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان ، ط٣ ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ، ج١٠ ، ص١٤٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٦٩ ، ص٢٦٤.

واستمر الأئمة الأطهار(عليهم السلام) على الموقف المتصدي للقصاصين وللإسرائيليات بشكل عام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وبعد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، ولم يكن هذا التصدي بالرفض فقط ، بل ان هناك إجراءات رادعة اتخذها الإمام الصادق (عليه السلام) لكي لا يتغلغل في الفكر الإسلامي النقي. فقد حرَّم الإمام الصادق (عليه السلام) الاستماع إلى القصاصين وذلك حين سُئل (عليه السلام) عنهم : "أيحل لهم الاستماع ؟ فقال : لا" ، فضلاً عن انه (عليه السلام) عدّهم من الغاوين أتباع الشعراء[1]. كما نصت الآية الكريمة : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾[2].

وكان للإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً موقف يكذب فيه أباطيل أهل الكتاب ، ويحذر العلماء من الانجرار وراء ترهاتهم ، فقال (عليه السلام) وهو يتحدث عن العلماء : "ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ، ويكثر حديثه ، فذاك في الدرك الخامس من النار ..."[3].

وعند التدقيق في أحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، لم نجد في أحاديثهم (عليهم السلام) ما يمت بأي صلة للإسرائيليات أو التأثر باليهود وثقافتهم ، مما يشكل عامل اطمئنان كبير لكل باحث في دراسة مروياتهم (عليهم السلام) والاعتماد عليها لأنهم أبعد الناس عن هذه الثقافة الدخيلة الواضحة الغايات وهي هدم الإسلام من الداخل.

يتضح مما سبق أن القصاص يتصدون لأعمال لم تكن لهم المعرفة بها ، فيلجأون إلى إدخال البدع والأكاذيب ، وخطورة عملهم تكمن بتحريف الدين وتفسير القرآن بما يحلو لهم ، والمؤكد أن الوضع كان في السيرة النبوية. وهذا له تأثير فكري سيء على الأمة الإسلامية.

ومن المؤسف حقاً ان هذه المدسوسات من الإسرائيليات والقصص وجدت طريقها

١- الصدوق ، الاعتقادات في دين الإمامية ، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٠٩ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٣ ، ص٣٩٤ ؛ الشاهرودي ، الشيخ علي النمازي ، مستدرك سفينة البحار ، تحقيق : حسين علي النمازي ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٥ ، ص١٤٦ ؛ النجفي ، الشيخ هادي ، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج٩ ، ص١٥٦.

٢- الشعراء : ٢٢٤.

٣- الصدوق ، الخصال ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) ، ص٣٥٣ ؛ الفتال النيسابوري ، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ/ ١١١٣م) ، روضة الواعظين ، تحقيق : السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان ، (منشورات الشريف الرضي ، قم ، د.ت) ، ص٧ ؛ الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٦هـ/ ١٥٦١م) ، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد ، تحقيق: رضا المختاري ، ط١ ، (مكتب الإعلام الإسلامي ، طهران ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص١٣٩ ؛ الريشهري ، محمد ، العلم والحكمة في الكتاب والسنة ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث الثقافية ، قم ، د.ت) ، ص٤٢٧.

إلى مصادر المسلمين الحديثية والتفسيرية والتاريخية ، وكان من نتائجها – فضلاً عن التشويه والتحريف لحقائق كثيرة – بروز العديد من الأفكار التي لا يقرها العقل والمنطق ، كفكرة التجسيم والتشبيه.

يقول الشهرستاني[1] : «وضع كثير من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام أحاديث متعددة في مسائل التجسيم والتشبيه وكلها مستمدة من التوراة».

وكمثال على ما ذكره الشهرستاني ، فقد روى البخاري[2] عن أبي سعيد قال : «سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة".

وفي رواية أخرى عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له. من يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له"[3].

ويعقب الشيخ محمود أبو رية[4] على مثل هذه الأحاديث الموضوعة بقوله : «ويا للأسف إنهم يرفعون أخبارها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ويثبتونها في كتبهم الصحيحة ويروجونها بين الناس بنشرها ويدافعون عنها".

وقد يستشكل بعضهم ويقول : إن في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) أثراً واضحاً لفكرة التجسيم والتشبيه ، وللرد على هذا القول نرى أن في كتب الشيعة الإمامية[5] الكثير من الروايات الضعيفة المنسوبة للإمام الصادق (عليه السلام) زوراً وبهتاناً ، وإن علماء الشيعة ضعّفوا هذه الأحاديث والروايات قبل غيرهم ، ولم يدافعوا عنها ، بل رفضوا ما ورد فيها من معان للتشبيه والتجسيم جملةً وتفصيلاً ، والدليل على ذلك هو الأحاديث والروايات الصحيحة والعديدة الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهي :

١ – الملل والنحل ، ج١ ، ص١١٧.
٢ – صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٧١. من قوله تعالى : {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} سورة القلم : ٤٢.
٣ – المصدر نفسه ، ج٧ ، ص١٤٩. قوله تعالى : {يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ} سورة الفتح : ١٥.
٤ – أضواء على السنة المحمدية ، ص١٢٥.
٥ – مثال ذلك : ما ورد في كتاب (الأصول الستة عشر) الذي جمعه عدة محدثين ، ط٢ ، (دار الشبستري ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص٥٤. والحديث يقول : «عن عبد الله بن سنان سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : إن الله ينزل في يوم عرفة في أول الزوال إلى الأرض على جمل أفرق يصال بفخذيه أهل عرفات يميناً وشمالاً ولا يزال كذلك حتى إذا كان عند المغرب ونفر الناس وكل الله ملكين..."

١-...عن أبي بصير[١] عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : "إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ، ولا مكان ، ولا حركة ، ولا انتقال ، ولا سكون ، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً"[٢].

٢-... عن داوود الرقي[٣] قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٤] فقال : «ما يقولون ؟ قلت : يقولون إن العرش كان على الماء والرب فوقه. فقال : كذبوا ، ومن زعم هذا فقد صيَّر الله محمولاً ، ووصفه بصفة المخلوق ، ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه...»[٥].

٣-عن يعقوب السراج[٦] قال : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : "ان بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان ، وقال آخر : إنه في صورة امرئ أجعد قطط. فخر أبا عبد الله (عليه السلام) ساجداً ثم رفع رأسه ، فقال : سبحان الله الذي ليس كمثله شيء ، ولا تدركه الأبصار ، ولا يحيط به علم ، لم يلد لان الولد يشبه أباه ، ولم يولد فيشبه من كان قبله ، ولم يكن له من خلقه كفواً أحد ، تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً"[٧].

٤-ومن النصوص الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "...من زعم أن الله في شيء ، أو على شيء ، فقد وصفه بصفة المخلوقين ، والله خالق كل شيء ، لا يقاس بالقياس ، ولا يشبه بالناس ، لا يخلو منه مكان ، ولا يشتغل به مكان ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ،

---

١ - هو أبو بصير الاسدي من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم (عليهم السلام) ثقة ، وجيه ، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله (c) ، مات سنة خمسين ومئة. ينظر : الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، د.ت) ، ج٢ ، ص٧٧٣ ؛ الفهرست ، ص٢٦٢ ؛ العلامة الحلي ، جمال الدين الحسين بن يوسف بن علي المطهر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٣٥م) ، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق: السيد جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٤١٦.

٢ - الصدوق ، التوحيد ، تحقيق : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، د.ت) ، ص١٨٤.

٣- داوود الرقي : ورد في مدحه حديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) يأمرهم بأن ينزلوه منه منزلة المقداد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، عاش إلى زمان الرضا (عليه السلام) . ينظر : الطوسي ، الفهرست ، ص٦٨ ؛ صاحب المعالم ، الشيخ حسن (ت١٠١١١هـ/ ١٦٠٣م) ، التحرير الطاووسي ، تحقيق: فاضل الجواهري ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص١٩١ ؛ منتقى الجمان ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط١ ، (المطبعة الإسلامية ، قم ، د.ت) ، ج١ ، ص١٩.

٤- هود : ٧.

٥- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٣٢.

٦- يعقوب السراج : كوفي ، ثقة ، له كتاب. ينظر : النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الاسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) ، فهرست اسماء مصنفي الشيعة المشهور برجال النجاشي ، تحقيق: موسى الشيري الزنجاني ، ط٥ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٤٥١ ؛ الشيخ الطوسي ، الفهرست ، ص٢٦٤ ؛ العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص٤٩٤ ؛ ابن داود ، رجال ابن داود ، ص٢٠٦.

٧- الصدوق ، التوحيد ، ص١٠٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣ ، ص٣٠٤.

ذلك الله ربنا ، لا إله غيره ، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين ، وان أحبه بغير هذه الصفة ، فالله منه بريء ونحن منه براء"[1].

وهذه الأحاديث والروايات هي غيض من فيض من الأحاديث والروايات التي تزخر بها المؤلفات الإسلامية على اختلاف مذاهبها ، والمروية عن الإمام الصادق (عليه السلام) بخصوص مسألة التوحيد والتجسيم والتشبيه. فهي تلغي كل ما هو عالق من شوائب المنقولات غير الصحيحة عنه (عليه السلام).

وقد علق احد الباحثين[2] على هذه المسألة بقوله : «... إن الأحاديث التي تنفي الرؤية وتفند التجسيم والتشبيه التي استخرجت في كتب الشيعة صريحة وبينة ومعتبرة سنداً ، بحيث إن علماء الشيعة ومتكلميهم اعتمدوا مضامينها وجعلوها أساساً وأصلاً من مباحثهم في علم الكلام ، وكل حديث ورواية تناقض هذه الأحاديث الصحيحة والصريحة في نفي التجسيم فإنها مردودة ومرفوضة علمياً ، ومن هنا فلا يبقى طريق وسبيل للإشكال عليهم».

وخلاصة القول : إنه لما صدَّ الخلفاء باب التحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفتحوا باب الأحاديث الإسرائيلية على مصراعيه بوضع حديث : "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" تسربت إلى التراث الإسلامي هذه الأحاديث التي اتصفت بالتشبيه والتجسيم كما قال الشهرستاني[3].

ثالثاً : روايات الغلاة وأصحاب الفرق والمذاهب المختلفة :

١-روايات الغلاة للسيرة النبوية :

الغلو في اللغة : تجاوز الحد عن القصد[4] ، ومنه غلا السعر ، ويغلو غلاء ، وغلا

١- الخزاز القمي ، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الرازي (ت ق٤هـ/ ق١٠م) ، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر ، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص٢٥٧.
٢- النجمي ، محمد صادق ، أضواء على الصحيحين ، ترجمة: يحيى كمال البحراني ، ط١ ، (مطبعة باسدار إسلام ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص١٨٤.
٣- الملل والنحل ، ج١ ، ص١١٧.
٤- ابن الأثير ، النهاية ، ج٣ ، ص٣٨٢.

الرجل غلواً"[1].

ويرى ابن منظور[2] : أن الغلو أشد من التعدي ، لان التعدي هو تجاوز الحد ، أما الغلو فهو الزيادة في التجاوز ، قال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[3].

والغلو في الاصطلاح : هو مجاوزة الحد المعقول والمفروض في العقائد الدينية ، كأن يقول شخص بإلوهية النبي ، أو إلوهية الإمام ، أو مشاركته في العبودية ، أو الخلق أو الرزق ، وإن الله تعالى قد حل فيهم ، أو اتحد بهم ، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحي ، أو إلهام ، أو فضل من الله ، أو القول في الأئمة أنهم كانوا أنبياء ، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض ، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي[4].

والغلاة منهم من ينتسب إلى الشيعة ، ومنهم من ينتسب إلى أهل السنة ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن وجود مجموعة أو شخصيات مغالية داخل مذهب معين لا يجيز لنا اتهام الجميع بالتطرف والغلو ، لأن التطرف والغلو يصيبان الأفراد والجماعات معاً ، ولا يختصان بطائفة دون أخرى أو مذهب أو دين دون آخر ، والغلو يرفضه المسلمون الواعون ، وكان الأئمة الأطهار (عليهم السلام) هم أوائل المسلمين الذين رفضوا فكرة الغلو ، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : "اللهم اني بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللهم اخذلهم أبدا ، ولا تنصر منهم أحدا"[5] ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام): "لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، واليه مآبنا ومعادنا ، وبيده نواصينا"[6].

١- الراغب الاصفهاني ، أبو القاسم الحسيني بن محمد (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، (مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) ، ص٣٦٤.

٢- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) ، لسان العرب ، (مطبعة الحوزة ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج١٥ ، ص١٣٢.

٣- النساء : ١٧١.

٤- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٥ ، ص٣٤٦.

٥- الطوسي ، الامالي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة ، ط١ ، (دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٦٥ ، رقم ١٣٥٠ ؛ ابن شهراشوب ، المناقب ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٥ ، ص٢٦٦ ؛ الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، تحقيق: دار الحديث ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ج٣ ، ص٢٢٩٥.

٦- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٨٩ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٩ ، ص٢٩٩ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج١٠ ، ص١٨٨.

أسباب نشوء الغلو :

الغلو ظاهرة غير طبيعية تنم عن الانحطاط الفكري والفساد العقيدي ، مرد هذا الفساد إلى عدم فهم الدين والابتعاد عن حقيقة الله والانبهار بكرامات المخلوق دون معجزات الخالق ، وقد نشأ الغلو لأسباب أخرى أيضاً وعديدة منها الرواسب والآثار الفكرية المتسربة من الديانات السابقة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود هذا الانحراف عند أهل الكتاب كما في قوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾((١)).

وللأسباب السياسية حصة لا يستهان في بروز ظاهرة الغلو ونشوئها ، والأهداف السياسية لا يخفى على احد انها تهدف إلى التسلط على رقاب الناس وطلب الرئاسة والزعامة ، وسيمر بنا في الصفحات القادمة العديد من الشواهد والنصوص التي تؤيد ذلك.

وبما أن أهداف الغلو وغاياته غير مشروعة ومنافية للحق ، جاءت وسائله أيضاً وكأنها صورة واضحة لارتكاب الأخطاء التي لا تحتاج إلى عقل كبير ليعرف مدى انغماسها في الباطل والابتعاد عن الصواب ، فنرى دائماً في وسائله إشارات إلى الحط من كرامة الأشخاص ومكانتهم وتشويه سمعتهم والتقليل من شأنهم وتكفيرهم ، أو إلى اتهام احدى الفرق بتأليه البشر لإفساد عقيدتها وتشويه مبادئها وإبعاد الناس عنها.

وقد أشار الإمام الرضا (عليه السلام) إلى وسائلهم هذه فقال : "إن مخالفينا وضعوا في فضائلنا ، وجعلوها ثلاثة أقسام ، أحدها الغلو ، وثانيها التقصير في أمرنا ، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا ، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا ، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا ، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾((٢))"((٣)).

١- المائدة : ٧٧.

٢- الانعام : ١٠٨.

٣- الطبري ، محمد بن جرير بن رستم الآملي (ت ق٤هـ/ ١٠م) ، دلائل الإمامة ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، ط١ ، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٢٤ ؛ الطبري الإمامي ، أبو جعفر محمد بن القاسم (ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م) ، بشارة المصطفى لشيعة المرتضى (عليه السلام) ، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٣٤٠ ؛ الحويزي ، عبد علي بن جمعة العروسي (ت١١١٢هـ/ ١٧٠١م) ، تفسير نور الثقلين ، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ط٤ ، (مؤسسة اسماعيليان ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٧٥٨.

نماذج من أخبار الغلو :

١-عند الشيعة :

بعد التتبع في الأحاديث المنتشرة في مجاميع الحديث كالكافي والوافي وغيرها ، نجد أن الغلاة والحاقدين على الأئمة والهداة لم يتركوا باباً من الأبواب إلا ودخلوا منه لإفساد أحاديث الأئمة والإساءة إلى سمعتهم ، ومن ثمَّ رجعوا إلى القرآن الكريم لينفثوا من طريقه سمومهم ودسائسهم لانه الكلام الوحيد الذي يتحمل ما لا يتحمله غيره ففسروا مئات الآيات بما يريدون وألصقوها بالأئمة الهداة زوراً وبهتاناً[١].

فقد روي عن محمد الحسن بن شمون[٢] عن عبد الله بن القاسم البطل[٣] عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال في تفسيره الآية : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾[٤] . أنها تعني قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وطعن الحسن بن علي (عليه السلام) وقتل الحسين (عليه السلام) ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾[٥] تعني فإذا جاء نصر دم الحسين (عليه السلام) ، وإن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾[٦] تعني خروج الحسين في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهب لكل بيضة وجهان المؤدون إلى الناس أن هذا الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وانه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين اظهرهم[٧].

والرواة لهذه الرواية كلهم من المنحرفين عن التشيع الصحيح ومن الوضاعين كما نص على ذلك المؤلفون في أحوال الرواة[٨].

وجاء في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في تفسيره "كهيعص"[٩] : «الكاف : كاف لشيعتنا ، هاء : هادي لهم ، ياء : ولي لهم ، عين : عالم بأهل طاعتنا ، صاد: صادق لهم

١- الحسني ، الموضوعات ، ص٢٥٣.
٢- محمد الحسن بن شمون ، أبو جعفر ، بغدادي ، واقف ثم غلا ، وكان ضعيفاً جداً ، فاسد المذاهب وأضيفت إليه أحاديث في الواقف. ينظر : المحقق الحلي ، أبو القاسم نجم الدين (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ، المعتبر في شرح المختصر ، ط١ ، (مدرسة سيد الشهداء ، قم ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٤٧.
٣- عبد الله بن القاسم البطل الحضرمي ، كذاب غال يروي عن الغلاة ، لا خير منه ، ولا يعتّد بروايته . ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٢٦ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١١ ، ص٣٠٢.
٤- الإسراء : ٤.
٥- الإسراء : ٥.
٦- الإسراء : ٦.
٧- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٠٦.
٨- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٢٦ ؛ المحقق الحلي ، المعتبر ، ج١ ، ص٣٤٧ ، السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١١ ، ص٣٠٢.
٩- مريم : ١.

وعدهم حتى يبلغ بهم المنزلة التي وعدها إياهم في بطن القرآن»[1].

وجاء في رواية ثانية عن الإمام الثاني عشر (عليه السلام) عمن اجتمع بهم، قال (عليه السلام) في تفسيره "كهيعص" : الكاف : اسم كربلاء، والهاء: هلاك العترة، والياء: يزيد وهو ظالم الحسين (عليه السلام)، والعين : عطشه، والصاد : صبره[2].

إن مجرد التناقض بين الروايتين، هو دليل على ان أحدهما غير صحيحة في أقل تقدير، ولو افترضنا أن الرواة لهاتين الروايتين كلهم من الموثوقين، فهل يجوز على الإمام الصادق (عليه السلام) والإمام الثاني عشر (عليه السلام) أن يتصرفا بالقرآن الكريم بمثل هذا النوع من التأويل الذي لا يتناسب وأسلوب القرآن وإعجازه، ولا يتناسب وأسلوب الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، لاسيما أنهم (عليهم السلام) لم يعطوا في يوم من الأيام رأياً يتناقض فيه أحدهم والآخر، ولا اختلفت أقوالهم فيما هو حق أبداً، والتناقض هو دليل الضعف – وحاشاهم من هذا الضعف – مما يدل على أن الغلو لعب دوره في بث هذه التفاسير المتناقضة لنصوص القرآن. والمغالون لا يهمهم إلا إضافة ما هو خارج المألوف، وكشاهد على فكر المغالين وما يفكرون فيه، روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "جاء حبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين أفنبي أنت ؟ فقال (عليه السلام) : ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله)[3].

٢-عند أهل السنة :

ولم تقتصر روايات الغلو على طرف دون آخر، فمثلما رويت ودست الروايات التي تغالي في أهل البيت (عليهم السلام)، كذلك تلاقفت كتب الصحاح والحديث والمساند روايات الغلو في بعض الصحابة، ورفعت قدرهم أكثر من الرسول (صلى الله عليه وآله)، مثال ذلك ما روي في الخليفة عمر بن الخطاب ومنها هذه الروايات:

١- الصدوق، معاني الأخبار، ص٢٨.

٢- الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: علي أكبر غفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٤٦١.

٣- الكليني، الكافي، ج١، ص٨٩؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج١، ص٣١٣؛ الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، تحقيق: محمد بن محمد الحسيني القائيني، ط١، (مطبعة نكين، قم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)، ج١، هامش ص١٦٧؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٢٣٣؛ المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، شرح أصول الكافي، تحقيق: السيد علي عاشور، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٣، ص١٢٩.

١-قال ابن عمر : «ما انزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر ، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر!»[١].

٢-وروي عن أنس ان عمر بن الخطاب قال : «وافقت الله في ثلاث ، أو وافقني ربي في ثلاث ، قلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وقلت يا رسول الله : لو أمرت نسائك ان يتحجبن ، فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب ... وقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن فنزلت هذه الآية»[٢].

وعلق السيد هاشم الحسني[٣] على هذه الرواية بقوله : «ويبدو من هذه الرواية أن الآية الأخيرة هي من كلام عمر بن الخطاب بهادتها وهيئتها ، وأن الله أنزلها كما نطق بها أبو حفص رحمه الله بدون تغيير أو تحريف ، وفي ذلك ما يؤكد أن الرواية المذكورة وضعت لإثارة الشبهة حول القرآن الكريم وأن بعضه من صنع الصحابة كما يرى الحاقدون أعداء الإسلام وليس بغريب على الأمويين وأنصارهم أن يوفروا الأجواء للتشكيك برسالة محمد (ﷺ) لأنهم لم يؤمنوا بها طرفة عين أبداً كما يدل على ذلك تاريخهم الأسود"

٣-عن عبد الرحمن بن يسار[٤] قال : «شهدت موت عمر بن الخطاب فانكسفت الشمس يومئذ...»[٥] وهذا يتنافى وتوجيهات محمد (ﷺ)وتعاليمه حين توفي ابنه إبراهيم وقال

١- ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر (ت٢٦٢هـ/ ٨٧٥م) ، تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط١ ، (مطبعة قدس ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٣ ، ص٨٥٩ ؛ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ج٥ ، ص٢٨٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٦٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١ ، ص٤٢٣ ؛ السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المندوب ، ط١ ، (مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ج١ ، ص١٠١.

٢- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج١ ، ص٢٤ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٤٩ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٥ ، ص٣١٩ ؛ الثعلبي ، تفسير الثعلبي ، ج١ ، ص٢٧٠ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٨٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٢ ، ص٥٧ ؛ الزيلعي ، العلامة جمال الدين (ت٧٦٢هـ/ ١٣٥٢م) ، تخريج الأحاديث والآثار ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط١ ، (دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٨٠.

٣- دراسات في الحديث والمحدثين ، هامش ص٢٦٦ ؛ وينظر : الأحمدي ، الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ط١ ، (دار الحديث ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٦٦٦ ؛ الكوراني ، ألف سؤال وإشكال ، ج٢ ، ص٣٢٩.

٤- عبد الرحمن بن يسار بن أبي ليلى الأنصاري غرق بنهر البصرة ، قال أبو نعيم : مات سنة ثلاث وثمانين في الجماجم ، حدث عن عمر وعثمان وعلي (عليهم السلام) وأبو ايوب الأنصاري وسعد بن أبي وقاص وغيرهم. ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٥ ، ص٣٦٨ ؛ ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٠م) ، الجرح والتعديل ، ط١ ، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م) ، ج٥ ، ص٣٠١ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٨ ، ص١٨٦ ؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ج٦ ، ص٢٦٩.

٥- ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني ، تحقيق : باسم فيصل الجوابرة ، ط١ ، (دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ،

الناس إن الشمس انكسفت لموت إبراهيم فقال (ﷺ) : "أيها الناس إن كسوف الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، يجريان بأمره ، مطيعان له ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته..."[1].

٤-عن عقبة بن عامر[2] قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : "لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب"[3] ، وفي رواية أخرى عنه أيضاً «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر»[4] وقال ابن الجوزي[5] عن هذا الحديث : «إنه من الموضوعات».

ونقل ابن أبي الحديد[6] ما روي في فضل عمر من غير الصحاح أحاديث منها حديث عن رسول الله (ﷺ) قوله: "ما أبطأ عني جبرائيل إلا ظننت أنه بعث إلى عمر". ومنها: أن شاعراً أنشد النبي (ﷺ) شعراً فدخل عمر فأشار النبي (ﷺ) إلى الشاعر أن أسكت ، فلما خرج عمر قال له عُد فعاد فدخل عمر فأشار النبي (ﷺ) بالسكوت مرة ثانية فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول الله (ﷺ) عن الرجل فقال: "هذا عمر بن الخطاب لا يحب الباطل". وهنا يحار المسلم قبل غيره ويتساءل : هل هذا يعني ان النبي (ﷺ) يحب الباطل لدرجة انه يتخفى عن عمر ويشير للشاعر بالسكوت عند دخوله عليهم ؟ فأي درجة من الغلو غزت كتب التراث الإسلامي عند بعض المذاهب ؟ وما زالت هذه الروايات تحاط بهالة من التقديس الذي لا يقبل النقاش. لان مجرد النقاش فيها هو نوع من الزندقة والكفر.

ج١ ، ص١٠٠ ؛ الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م) ، المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٧١ ؛ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٣٠٨م) ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٩ ، ص٧٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج١٠ ، ص١٤٧ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص٦٩٠.

١- البرقي ، المحاسن ، ج٢ ، ص١٣١٣ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٢٠٨ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٣ ، ص١٥٤ ؛ الاحسائي ، عوالي اللئالي ، ج١ ، ص٢٠٦.

٢- عقبة بن عامر بن عبس ... الجهني ، أبو جهاد ويقال : أبو سعاد ، روى عن النبي (ﷺ) كثيراً وروى عنه ابن عباس وأبو أمامة وأبو أدريس الخولاني ، مات سنة ٥٨هـ. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٣٤٣ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٦ ، ص٣١٣ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٢٨٠ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٢ ، ص١٧١.

٣- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص١٥٤ ؛ الترمذي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٢٨١ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٧ ، ص٢٩٨.

٤- ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص١٥٥ ؛ الكراجكي ، التعجب ، ص١٤٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٤ ، ص١١٤ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص٣٢٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٢ ، ص١٧٨ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٥٠.

٥- الموضوعات ، ج١ ، ص٣٢٠.

٦- شرح نهج البلاغة ، ج١٢ ، ص١٧٨.

موقف مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) من الغلو والمغالين :

كان للإمام الصادق (عليه السلام) الدور البارز في عملية التصدي لحركات الزنادقة والغلاة والوقوف في وجههم ، وتعطيل أثرهم السلبي في الإسلام ، والإنسان المسلم ، فقد كانت له (عليه السلام) مواقف جريئة ورائعة في الرد على هؤلاء ، فعندما اظهر المغيرة بن سعيد[1] بدعته وجد نفسه في حاجة إلى شخصية من آل البيت (عليهم السلام) يحمي بها نفسه فجاء إلى الإمام محمد الباقر (عليه السلام) فقال : "أقرر إنك تعلم الغيب أجبي لك العراق فنهره وطرده"[2] ولم ييأس المغيرة فجاء إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال له مثل ذلك فأجابه الصادق (عليه السلام) : "أعوذ بالله وطرده"[3].

وعن هشام بن الحكم[4] انه سمع أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول : " كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي ، ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيرفعونها إلى المغيرة ، فكان يدس فيها الكفر والزندقة ، ويسندها إلى أبي ثم يدفعها إلى أصحابه ، فيأمرهم أن يبثوها في الشيعة ، فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم"[5].

ولم يكتف الإمام الصادق (عليه السلام) بتشهير هذا المنحرف بل نجد أن الإمام (عليه السلام) قد

١- المغيرة بن سعيد مولى بجيلة ، كذاب ، كان يكذب على أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد أجمع المؤلفون في أحوال الرجال على كذبه فقالوا فيه : إنه رجل سوء ، ومن الضعفاء ، وانه دجال ، مبتدع ، ويصنع الحديث ، وحذروا منه بقولهم : إياكم والمغيرة بن سعيد. ينظر : ابن معين ، يحيى الدوري (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٨م) ، تاريخ ابن معين ، تحقيق: عبد الله أحمد حسن ، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٧٤ ؛ العقيلي ، ضعفاء العقيلي ، ج٤ ، ص١٧٧ رقم ١٧٥٥ ؛ ابن عدي ، الكامل، ج٨ ، ص٧١ ، الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٤، ص١٦٠ ؛ سبط بن العجمي، برهان الدين الحلبي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٩م) ، الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١، (مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص١٧٢ ؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ط٢ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م) ، ج٦ ، ص٧٥ رقم ٢٨١ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج٧ ، ص٢٧٦ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٩ ، ص٣٠٠.

٢- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، (دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ، ج٥ ، ص٢٠٩.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- هشام بن الحكم ، أبو محمد مولى كندة ، مولده بالكوفة ، ومنشأه في واسط ، وتجارته ببغداد ، روى عن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن (c) ، وكان ثقة في الروايات ، حسن التحقيق بهذا الأمر ، رويت له مدائح جليلة عن الإمامين الصادق والكاظم (c) ، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام. مات سنة سبع وسبعين ومئة ، وقيل انه مات سنة تسع وتسعين ومئة. ينظر : العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص٢٨٩ ؛ ابن داود الحلي ، ص٢٠٠ ؛ التفرشي ، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ق١١هـ/ ١٧م) ، نقد الرجال ، تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٥ ، ص٤٨ ؛ الاردبيلي ، محمد بن علي (ت١١٠١هـ/ ١٦٩٠م) ، جامع الرواة ، (مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ج٢ ، ص٣١٣.

٥- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٩١ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج١٠ ، ص١٨٩ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٩ ، ص٣٠٠ ؛ الساعدي ، حسين ، المعلى بن خنيس ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٥٧.

تصدى له بكل قوة وكان من جملة الإجراءات التي اتخذها (عليه السلام) التي تنهي تجرأه هو وغيره على الدس والكذب أنه أعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروى عنه فقال: "لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فأن المغيرة بن سعيد لعنه الله دس في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يحدث بها فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا (صلى الله عليه وآله)"[1].

وهذا أبو الخطاب الاسدي، وهو محمد بن مغلاص الاسدي الكوفي، كان رجلاً من الموالي واشتهر بكنيته دون اسمه[2]. ظهر في الكوفة، وكان المجتمع يموج بالتيارات السياسية، والدعوة العباسية تشق طريقها إلى النجاح بسرعة، فاستغل ذلك الظرف الذي يأمل منه نجاح مهمته في نشر دعوته الالحادية، فدعا إلى عقيدة عرف أتباعها بالخطابية، وساعدته الظروف المواتية أن يجمع حوله تلاميذ يلقنهم تعاليمه، وكانت حركتهم سرية محكمة، وهي حركة سياسية من جهة، وعقائدية من جهة أخرى، وتلتقيان في نقطة العداء للإسلام[3].

وقد وقف الإمام الصادق (عليه السلام) تجاه هذه الدعوة الالحادية موقفاً مهماً، وأعلن استنكاره على أبي الخطاب وتكفيره والبراءة منه، وانه غال ملعون فكان موقفه (عليه السلام) صدمة لموجة الغلو الجامحة وقضاءً مبرماً على مزاعم الملحدين، ويتجلى عظيم اهتمامه من أقواله وأمره للناس بالابتعاد عنهم. فكان (عليه السلام) يهتم أشد الاهتمام بأمر الغلاة، لأن بعضهم ادعى أن جعفر بن محمد إله – تعالى الله عن قوله – فعظم ذلك على الإمام الصادق (عليه السلام) ... فأعلن لعنه والبراءة منه، وجمع أصحابه وأعلمهم بذلك وكتب إلى جميع البلدان بكفره ولعنه والبراءة منه[4]. وقال (عليه السلام): (...أبرأ إلى الله مما قال فيّ الاجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه

١- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٤٨٩؛ المحقق البحراني، يوسف بن أحمد (ت١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، د.ت)، ج١، ص٩؛ البروجردي، السيد حسين الطباطبائي، جامع أحاديث الشيعة، (المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص٢٦٢.

٢- الايجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، شرح المواقف، تحقيق: علي بن محمد الجرجاني، ط١، (مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)، ج٨، ص٣٨٦؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج٨، ص٣٤٨، السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٥، ص٢٥٥.

٣- حيدر، أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ط١، (مطبعة ستارة، قم، د.ت)، ج٣، ص١٢٤؛ الشاكري، الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعترة (عليهم السلام)، ط١، (مطبعة ستارة، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج٩، ص٥٧٩؛ نشوء المذهب والفرق الإسلامية، ط١، (مطبعة ستارة، قم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص١٤٣.

٤- القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت الرسول عليه أفضل السلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، ط١، (دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، ج١، ص٤٩.

الله ، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب ان لا يقبلوه ، فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً استعدي الله عليهم واتبرأ إلى الله منهم ؟ اشهدكم اني امرؤ ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما معي براءة من الله ان أطعته رحمني وان عصيته عذبني عذاباً شديداً أو أشد عذابه"[1].

وقد قطع الإمام الصادق (عليه السلام) الطريق أمام ظاهرة الغلو من اجل تنقية أخبار السيرة المحمدية من الشوائب التي علقت بها من جراء هذا الفكر الهدام ، وحاربهم بكل ما بوسعه من عناصر القوة والإمكان للحيلولة دون انتشاره ، فبين ان الغلو كفر وشرك وخروج عن الإسلام ، لذا نجده (عليه السلام) تصدى لهم بالأقوال والأفعال.

ومن أقواله (عليه السلام) في هذا الشأن :

١-عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا ترفعوني فوق حقي فأن الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً"[2].

٢- وقال (عليه السلام) : "فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضر ولا نفع ، وإن رحمنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون مقبورون ومنشرون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون"[3].

٣-وقال (عليه السلام) : "من قال فينا إنا انبياء ، فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله"[4].

ولم يكتف الإمام الصادق (عليه السلام) بالأقوال فقط على هؤلاء الغلاة ، بل اتخذ خطوات وإجراءات عملية لإيقاف هذه الظاهرة ، ولكي يُبعد خطر هؤلاء الغلاة على فكر الأمة حذّر من التقرب اليهم والاختلاط بهم، فقال (عليه السلام) : "لا تقاعدوهم ، ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا تؤاثروهم"[5] ، وفي قول آخر له بهذا الشأن أيضاً : «احذروا شبابكم الغلاة

١- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٩٢.
٢- الصدوق ، عيون أخبار الرضا ، تحقيق: حسين الأعلمي ، (مطبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ج١ ، ص٢١٧ ؛ الراوندي ، فضل الله علي بن الحسين (ت٥٧١هـ/ ١١٧٨م) ، النوادر ، تحقيق : سعيد رضا علي العسكري ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ص١٢٥ ؛ البحراني ، هاشم ، (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م) ، مدينة المعاجز ، تحقيق: عباد الله الطهراني الميانجي ، ط١ ، (مطبعة دانش ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٧ ، ص١٥١. ونقل الحديث نفسه عن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام). ينظر : الدولابي ، محمد بن احمد (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق: سعد المبارك الحسن ، ط١ ، (مطبعة السلفية ، الكويت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص١٢٧ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص١٧٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٦٥٢.
٣- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٩١.
٤- المصدر نفسه ، ص٥٩٠.
٥- المصدر نفسه ، ص٥٨٦.

لا يفسدوهم ، الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله ، والله إن الغلاة لشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[1].

ويوجز الإمام الصادق (عليه السلام) الأدوار التاريخية للغلاة ، وأثرهم في تشويه سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) بقوله : "إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصدق البرية لهجة ، وكان مسيلمة[2] يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أصدق من برأ الله من بعد رسوله (صلى الله عليه وآله) وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله بن سبأ[3] لعنه الله»[4].

لقد تمادى الغلاة في أفكارهم المنحرفة ليس في حب آل البيت فحسب ، بل أصبحوا مركزاً للفساد والانحراف عن الدين ونبذهم شعار الشريعة حتى أطلق عليهم الإمام الصادق (عليه السلام) لقب السفلة[5]. واستمروا بعنادهم وإصرارهم على أفكارهم وعدم استجابتهم لنداء الإمام بالرجوع إلى جادة الحق ، فما كان من الإمام إلا وضع حل جذري يفقد هؤلاء أهليتهم في المجتمع المسلم بصورة عامة ، ولا يتحقق هذا الأمر إلا بأسلوب المقاطعة والهجران لإشعارهم بأنهم عنصر غير مرغوب فيه[6].

وهكذا واجه الإمام الصادق (عليه السلام) وتصدى بكل حزم وقوة إلى مظاهر الغلو

١- الطوسي ، الامالي ، ص٦٥٠ ؛ ابن شهراشوب ، المناقب ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٥ ، ص٢٦٥ ؛ الشاهرودي ، مستدرك سفينة البحار ، ج٨ ، ص١٤ ؛ السبحاني ، كليات في علم الرجال ، ط٣ ، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٩٦ ؛ الريشهري ، محمد ، أهل البيت في الكتاب والسنة ، تحقيق : دار الحديث ، ط٢ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ص٥١٩.

٢- مسيلمة الكذاب الحنفي كذاب اليمامة الذي أدعى النبوة فاسمه بن اليمامة ، يكنى أبا هارون. اتبعه قومه وجعل لهم أسجاعاً يضاهي بها القرآن وأحل لهم الخمر والزنا واسقط عنهم الصلاة ، قتل في خلافة أبي بكر. ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص٤٧٥ ؛ الدرر ، ص٢٥٣ ؛ الاصبهاني ، موفق الدين أبي القاسم بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ/ ١١٤١م) ، دلائل النبوة ، تحقيق : مساعد بن سليمان الراشد الحميد ، (دار العاصمة للنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج٣ ، ص٨٣٢.

٣- عبد الله بن سبأ : رأس الطائفة السبئية أصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام ، وطاف بالمسلمين ليبعدهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ، وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : "ان عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم ان أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الله (تعالى عن ذلك)". ينظر : الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج١ ، ص٣٢٣ ؛ العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص٣٧٢ ؛ ابن داود الحلي ، رجال ابن داود ، ص٢٥٤.

٤- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٥٩٣ ؛ الاردبيلي ، جامع الرواة ، ج٢ ، ص٢٢١ ؛ الميرزا النوري ، حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط٢ ، (دار الكتب لإحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٩ ، ص٩٠ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١٣ ، ص٥٨٠ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٣ ، ص٥٦٤ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٥ ، ص٢٦٣ ؛ الجندي ، عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، تحقيق: محمد توفيق عويضة ، (مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص١٦٨ ؛ السيد المرعشي ، نور الله الحسيني التستري ، شرح احقاق الحق ، تحقيق : السيد محمود المرعشي ، ط١ ، (مطبعة حافظ ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٢٨ ، ص٤٩٢.

٥- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٥٨٣ و ص٥٩٥.

٦- فخر الدين ، محمد جواد نور الدين عبد الزهرة ، موقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من الغلو والفرق الغالية حتى وفاة الإمام الصادق (عليه السلام)، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ، ص٣٤٠.

والانحراف ، وعبأ كل إمكاناته العلمية والشخصية من أجل تقويض أركان الغلو معتبراً الغلو أحد أقسام الكفر الذي يجب محاربته ، وحاول بكل قوة إبراز الوجه المشرق لعلم السيرة وتطهيرها من الشوائب ، لأن السيرة النبوية فيها من اللطف والتسامح وحسن التعامل ما يرفض جانب التشدد والغلو.

وهنا تنبغي الإشارة إلى ان كتب الفرق والمذاهب الإسلامية التي كتبت فيما بعد على يد أهل السنة وبسبب عدم تمييزها بين الشيعة الواقعيين والغلاة ، حرفت أفكارها عن حقيقة الحال وضللتهم ، وبقيت الأوساط السنية إلى ما قبل عدة سنوات بل بقي بعضها إلى الآن ، غير مدركة لهذه الحقيقة وهي أن الشيعة الإمامية يختلفون عن الغلاة ، وان الأئمة الأطهار (عليهم السلام) رفضوا وجود هذه الفئة بين أوساط الشيعة ، فلو كان مؤلفو تلك الكتب على دراية بمدى تصدي الشيعة للغلاة ، وتكفير أئمة الشيعة لهم لما وقعوا في مثل هذا الخطأ الفاحش. ولا يعني هذا عدم وجود كتابات منصفة لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) من غير أبناء الشيعة تُبرئ الشيعة الإمامية من ظاهرة الغلو ، وخير من مثل هذا الاتجاه الدكتور عبد الله سلوم السامرائي الذي بين في كتابه الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية موقف مدرسة الإمام الصادق من الغلو والمغالين ، فقد أكد ان الإمام الصادق (عليه السلام) كان على جانب كبير من العلم والمعرفة وقوة الحجة ، فكان مشاهير الزنادقة يخشون اللقاء به ، وعلى الرغم من مشاغل الإمام الصادق الكثيرة في التثقيف والمناقشة والرد على خصوم الإسلام فقد أملى كتابه "توحيد المفضل" الذي رد فيه على المانوية وناقش آراءها وفند حججها بأسلوب متين وحجة دامغة ، ومن حججه في هذا الصدد قوله في الرد على المانوية : "أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل في كل منهما ضرباً من المصلحة ، فما عسى ان يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجمع على ما فيه الصلاح والمنفعة"[1].

١ - السامرائي ، عبد الله سلوم ، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، ط٢ ، (الدار العربية ، بغداد ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ص١٩٠.

٢-روايات أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة :

أصبحت الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول (ﷺ) أمام خطين متصارعين منذ وفاة الرسول الأكرم (ﷺ) إلى يومنا هذا. خط حافظ أصحابه على الوحي والرسالة والسنة النبوية ، وكل مقررات السماء ، والخط الثاني : آثر الدنيا ومصالحها فكل ما يطابق مصالحهم الدنيوية وموروثهم الجاهلي عدوه ديناً. وما لم يتفق والدنيا رموه في سلة المهملات ، وهذا هو لب القضية وجوهر المشكلة ، واختلط الحابل بالنابل واتخذ الصراع لوناً فكرياً.

والإنسان منذ القِدم أسير لأمرين : (طريقة التفكير المتبناة) والثاني : (الدفاع عنها بالصراع مع طريقة تفكير الآخر).

ونتج عن هذه الاختلافات الفكرية صراع كبير أثر في انتشار حركة الوضع في السيرة النبوية ، وبرزت للسطح فرق ومذاهب عديدة كل واحدة منها تريد أن تثبت صحة إيديولوجيتها وذلك بربط فكرها بالرسول (ﷺ) ، فأحاديث الرسول (ﷺ) كانت السبيل الوحيد لإثبات صواب معتقداتهم. ليس هذا فحسب بل إن متبعي المذاهب آثروا الوضع في سبيل تعظيم أئمتهم والنيل ممن خالفهم ، فمثلاً نجد أن أتباع الحسن البصري قد وضعوا له فضيلة بان الرسول (ﷺ) مسح على رأسه عند ولادته ودعا له ، فقد روى جابر بن عبد الله اليمامي[١]. انه قال : «كنت جالساً عند الحسن البصري فسمعت الحسن يقول : ولدت فحملوني إلى النبي (ﷺ) ، فدعا لي رسول الله (ﷺ) ومسح بيده على رأسي وقال : اللهم نزهه في العلم"[٢]. وهذا الحديث لا يصمد لحظة واحدة أمام الحقائق التاريخية ، فولادة الحسن البصري كانت سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م[٣] ، فكيف مسح النبي (ﷺ) على رأسه ووفاة النبي (ﷺ) كانت سنة ١١هـ/ ٦٣٢م.

ومن الروايات الموضوعة في مقابل الحديث الصحيح الوارد عن الرسول (ﷺ) : "انا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب"[٤] – وهو ما يشير إلى الارتباط العميق بين الرسول (ﷺ) وأمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان القرآن والسنة – الرواية الآتية : "أنا مدينة العلم

١ – أحد الكذابين حدث ببخارى بعد المائتين عن الحسن البصري فنفي منها. ينظر: الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٣٧٨.
٢ – ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٢ ، ص٤٤.
٣ – الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٤ ، ص٥٦٤.
٤ – ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٠١ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص١٨١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٣٧٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٧ ، ص٢١٩.

وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها"[1]. ونسي هذا الراوي ان المدينة لم يكن لها سقف، إذا قبلنا روايته على علاتها بان المدينة لها حيطان ولها أساس، ويدل هذا النهج الروائي على سطحية تفكير الرواة وسذاجتهم، حتى انهم يطلقون الأحكام جزافاً، مما يتطلب من الجميع القيام بدراسة معمقة بخصوص بعض الآراء الواردة في كتب السيرة، عسى ان تخرج هذه الدراسة بنتائج تشجع على تأسيس طرق جديدة لفهم القضايا الخلافية.

ومن نماذج الأحاديث الموضوعة التي روجها بعض أصحاب الفرق المذهبية التي تحمل الطابع السياسي: ان النبي (ﷺ) قال لمعاوية : "اللهم اجعله هادياً مهدياً وأهد به"[2] و»اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب»[3]، وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله يقول : «إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة انا وجبرائيل ومعاوية»[4].

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية ؟ أطرق ثم قال: «اعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيداً منهم لعلي، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له»[5].

ويقول أبو رية[6] : وعلى كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق ابن راهويه وهو الإمام الكبير والمحدث وشيخ البخاري قال : إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء.

وقال الخطيب[7] : «وعندما نشأت الأحزاب والفرق التي اتخذت شكلاً دينياً كان له أبلغ الأثر في قيام المذاهب الدينية في الإسلام. وقد حاول كل حزب أن يدعم ما يدّعي بالقرآن والسنة، ومن البدهي ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه في نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فتأول

١- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٠؛ ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ج١، ص٤٢٢.
٢- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٧، ص٤١٨؛ الترمذي، السنن الكبرى، ج٥، ص٣٥٠؛ ابن أبي عاصم، الآحاد والمثاني، ج٢، ص٣٥٨؛ الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله منشد، (دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص٢٥٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٨٤٣؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦، ص٦٢؛ ج٥٩، ص٨٠.
٣- الطبراني، المعجم الكبير، ج١٩، ص٤٣٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤، ص٣٠٩؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص٣٥٦؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط٢، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢، ص١٦٤.
٤- ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص٧٤؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٢٨.
٥- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٨؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٣٣.
٦- أضواء على السنة المحمدية، ص١٢٨.
٧- محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط١، (مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص١٨٨-١٨٩.

بعضهم القرآن وفسّر بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله ، إلا ان هذا لم يحقق ما يرمون إليه ، ولم يجد بعضهم إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلاً ، لكثرة حفاظه ، فتناولوا السنة بالتحريف وزادوا عليها ، ووضعوا على رسول الله (ﷺ) ما لم يقل".

وقد امتد وضع الأحاديث السياسية إلى السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/ ٧٤٨-٧٥٢م)- أيام بني العباس - فقد روي احمد عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله (ﷺ) قال : "يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح"[١].

وقد كانت الأسباب السياسية في عملية الوضع للحديث - المارة الذكر - أسبق من الأسباب العقائدية ، إذ إن الفرق والمذاهب تبلورت بوضوح في العصر الأموي وأخذت تنمو ويبرز تحزبها بعد ذلك فأصبح الحديث الشريف موضع دليل تفاقم المناظرات الجدلية والمحاججات الكلامية[٢].

فالفرق والمذاهب الدينية قد أرخت الأحداث من جهتها بما ينسجم ومواقفها العقائدية والسياسية ، لأن كل فريق من الفرق المتنازعة كان يلجأ دائماً لنصوص الدين ليؤيد موقفه ويبرره[٣].

ويأتي رأي الدكتور عبد العزيز الدوري[٤] ، سانداً وموضحاً لهذا الأمر بقوله: «وأحسب ان القارئ الكريم يعلم كثرة ما وضعته الأحزاب والفرق من الأحاديث لتثبيت كيانها ومهاجمة خصومها».

وقد لعب الخوارج دوراً كبيراً في عملية الوضع ، فروي أن رجلاً من الخوارج رجع عن بدعته فجعل يقول : «انظروا هذا الحديث ممن تأخذون ، فإنا كنا إذا رأينا رأياً جعلنا له حديثاً»[٥].

١- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٣ ، ص٨٠ ؛ المرزوي ، نعيم بن حماد (ت٢٨٨هـ/ ٩٠١م) ، الفتن ، تحقيق: سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٢٢٤ ؛ أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م) ، ذكر أخبار أصبهان ، (مطبعة بريل ، ليدن المحروسة ، ١٩٣٤م) ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٢ ، ص٢٧٩ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٧ ، ص٣١٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص١٦١.

٢- ينظر : صادق ، سهاد محمد باقر ، الموضوعات من أخبار السيرة النبوية في الصحاح الستة - دراسة مقارنة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة كربلاء ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م ، ص٦٩ وما بعدها.

٣- التفتازاني ، أبو الوفا الغنيمي ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، ط١ ، (مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ، ص١٨.

٤- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ط١ ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص١٩.

٥- ابن حبان ، المجروحين ، ج١ ، ص٨٢ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص٣٨.

وكان للزنادقة دور أيضاً في هذا الأمر فقد روى العقيلي[1] عن حماد بن زيد[2] قال : «وضعت الزنادقة على رسول الله (ﷺ) أربعة عشر ألف حديثاً".

ومن مشاهير الزنادقة المعروفين بوضع الحديث عبد الكريم بن أبي العوجاء[3] ، فلما أخذ لضرب عنقه قال : «وضعت فيكم أربعة آلاف حديث ، أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام ، ولقد فطرتكم في يوم صومكم ، وصومتكم في يوم فطركم»[4].

وأخذت عملية الوضع في الحديث بالاتساع والانتشار حتى شملت بعض المذاهب الإسلامية التي ظهرت في العصر العباسي ، فقد وضعت الأحاديث في فضائل هذا المذهب ومؤسسه ، وفي ذم ذاك ومؤسسه[5].

وكشاهد على ذلك ، هو ما وضعه أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة في الترويج لمذاهبهم وأفكارهم بنشر الأحاديث المكذوبة على لسان النبي الأكرم (ﷺ) ، كالذي فعله الأحناف من أتباع أبي حنيفة النعمان[6] ، فقد وضعوا قولاً للرسول (ﷺ) وهو انه قال: "سيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي"[7] ، و»سيأتي من بعدي رجل يقال له النعمان بن ثابت ويكنى بأبي حنيفة ليحيين دين الله وسنتي على يديه»[8] ، وحديث آخر موضوع في ذم الإمام الشافعي : «سيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس فتنته أضر على أمتي من

١- ضعفاء العقيلي ، ج١ ، ص١٤.
٢- حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري مولى آل جرير ، ورى عن ثابت البناني وابن سيرين وعبد العزيز بن صهيب وغيرهم ، وروى عنه ابن عيينة والثوري وغيرهم ، مات سنة ١٩٧هـ. ينظر : ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٣ ، ص٩.
٣- عبد الكريم بن أبي العوجاء : من تلامذة الحسن البصري وقد انحرف عن التوحيد وحبسه محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور وهو خال معن بن زائدة ، خبيث ملحد في زمن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام). ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٢ ، ص٦٤٤ ، ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ج٣ ، ص٢٠٢؛ الشاهرودي، الشيخ علي النمازي ، مستدركات علم رجال الحديث، ط١ ، (مطبعة حيدري، طهران ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٤ ، ص٤٥٥ ؛ التستري، قاموس الرجال ، ج١١ ، ص٥٧٩.
٤- سبط بن العجمي ، الكشف الحثيث ، ص١٧٢.
٥- الحكيم ، حسن عيسى ، مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث ، ط١ ، (مطبعة لسان الصدق ، قم ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص٢٧٣.
٦- النعمان بن ثابت ، أبو حنيفة التيمي ، إمام أصحاب الرأي ، وفقيه أهل العراق ، وهو من أهل الكوفة نقله أبو جعفر المنصور إلى بغداد ، فأقام فيها حتى مات عام (١٥٠هـ/ ٧٢٧م) ، ودفن بالجانب الشرقي منها في مقبرة الخيزران. ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٣ ، ص٣٢٥ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٢٩ ، ص٤٢٢ ؛ سركيس ، أليان ، معجم المطبوعات العربية ، (مطبعة بهمن ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٣٠٢.
٧- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٣٧٩ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج٢ ، ص٤٨ ؛ سبط بن العجمي ، الكاشف الحثيث ، ص٢٣٢ ؛ الأميني ، الوضاعون وأحاديثهم ، ص٤٠.
٨- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٢ ، ص٢٨٧ ؛ العجلوني ، إسماعيل بن محمد الجراحي (ت١١٦٢هـ/ ١٧٥٠م) ، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ط٣ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٣٣ ، الأميني ، الوضاعون ، ص٣١٥.

فتنة إبليس»[1].

وكان للعوامل الاقتصادية ، ودوافع المال والتملق للحكام نصيب في وضع الحديث على لسان رسول الله. ويقول الشيخ محمود أبو رية[2] : «ومن الأحاديث الموضوعة في هذا الباب ما اشتمل على مدح السلاطين وتعظيم شأنهم ، وهو ما يتملق به الجهال للملوك في هذا العصر كما تملقوا لهم فيما قبله». ومن أولئك غياث بن إبراهيم[3] ، إذ دخل على المهدي بن منصور – وكان يعجبه الحمام الطيارة الواردة من الأماكن البعيدة – فروي حديثاً عن النبي (ﷺ) انه قال : "لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل أو جناح" فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فلما خرج قال المهدي : أشهد ان قفاه قفا كذاب على رسول الله (ﷺ) ، وما قال رسول الله (ﷺ) (جناح) ، ولكن أراد ان يتقرب إلينا ، وأمر بذبحها ، وقال : أنا حملته على ذلك[4].

وهكذا تضافرت العوامل السياسية والعقائدية والمذهبية ، والفكرية ، والاقتصادية ، وأدت إلى ظهور هذه التيارات المنحرفة الفاسدة التي أفسدت على الناس عقولهم ، لأنها عصفت بهم وهم غير محصنين بثقافة كافية تجعلهم قادرين على تمييز الحق من الباطل والصحيح من الخطأ. ولابد من الإشارة إلى ان العامل الاقتصادي وحب المال كان دافعاً مهماً للعديد ممن لديهم القدرة على التحريف واتخاذ مسألة الوضع حرفة يعتاش منها ، مثل ذلك ما أشرنا إليه من حديث غياث بن إبراهيم للخليفة المهدي. وللأسف كان هناك عدد من رجال الدين الذين يردون بلاط الملوك والحكام للتزلف اليهم ، لم يتورعوا عن وضع الأحاديث أو تحريفها ، لتصحيح مواقف الحكام ، أو لتبرير سلوكهم إرضاءً لأسيادهم ومداراة لدنياهم. كل ذلك ساعد بشكل مباشر على ظهور حركة الوضع في تاريخ السيرة النبوية وتزييف متون الأخبار.

وخلاصة القول : إن وقوع الاضطهاد والخوف على أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم في الدولتين

١ – الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢٣ ، ص٥٧١ ؛ الأميني ، الوضاعون ، ص٤٣.
٢ – أضواء على السنة المحمدية ، ص١٢٣.
٣ – غياث بن إبراهيم النخعي ، قال أحمد : ترك الناس حديثه ، قال الجوزجاني : كان فيما سمعت غير واحد يقول يضع الحديث. ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٣٧٧.
٤ – الاسترابادي ، مير داماد محمد باقر الحسيني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣٦م) ، الرواشح السماوية ، تحقيق : غلام حسين قيصر ونعمة الله الجليلي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ص٢٨١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط٢ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص٤٦ (مقدمة التحقيق) ؛ الصدر ، السيد حسن هادي الكاظمي ، نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة الوجيزة للبهائي ، تحقيق: ماجد الغرباوي ، (مطبعة اعتماد ، قم ، د.ت) ، ص٢٣.

الأموية والعباسية أدى إلى تسترهم واختفائهم وكتمان أهل البيت (عليهم السلام) علومهم ، إلا عن خواص أصحابهم خوفاً ، من كثرة المائلين إلى الأمويين والعباسيين وما أيدوه ونصروه من المذاهب وكثرة المتقربين منهم رغبةً أو رهبةً ، ولأن الناس على دين ملوكهم ، وحب المال والجاه والرئاسة أمر مجبولة عليه النفوس والحق مر والصبر على الأذى صعب ، على الرغم من ذلك كله كثر أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وانتشرت علومهم كثرة لا تتناسب ومجرى العادة في مثل هذه الأحوال ، لاسيما في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، لقلة الخوف كما هو الشأن في انتهاء دولة وابتداء دولة أخرى ، ولأن الثانية هاشمية ، فاشتهر في العصر العباسي الأول منها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في الناس وفي عصر الإمام الصادق (عليه السلام) خاصة ولذلك نسب مذهبهم إليه فقيل المذهب الجعفري[1].

١ - ينظر : الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٥.

المبحث الثاني :
التدوين التاريخي لسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)
عند أهل البيت (عليهم السلام)

أولاً : الأسبقية في التدوين :

بقيت الأمة الإسلامية حائرة بعد قرارات الحظر التي فرضها الشيخان أبو بكر وعمر ومنعهما تدوين الحديث ، وبعد الإجراءات التي اتخذتها السلطة الحاكمة أيام الأمويين ، كما أشرنا ، حتى أصبح كبار الصحابة ومن هو دونهم محظوراً عليهم تدوين الحديث بل مُنع عليهم ذكر الحديث والاستشهاد به في مناظراتهم وغيرها ، فقد روي ان عمر بن الخطاب قال لأبي هريرة : «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس[1] ، فروى أبو هريرة قال : ما كنا نستطيع ان نقول : قال رسول الله حتى قبض عمر»[2].

غير أن مدرسة أهل البيت (صلى الله عليه وآله) رفضت القرارات المذكورة ، ودونت الحديث على الرغم من الحظر الشديد ، وذلك ابتداءً من عصر النبي (صلى الله عليه وآله) مروراً بعصر الإمام علي (عليه السلام) وما بعده ، وبذلك سجلت هذه المدرسة العظيمة الأسبقية في التدوين لكل العلوم والمعارف العلمية بما فيها سيرة جدهم الأكرم (صلى الله عليه وآله).

فلو قارنا بين مشروع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في الكتابة والتصنيف في مختلف العلوم والمعارف وبين مشروع الكتابة عند الآخرين نجد ان الذهبي[3] يقول : «... في سنة ثلاث

١- دوس : قبيلة يمانية وهم قوم ابو هريرة . قرية من بلاد زهران بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد بطن كبير من الازد ينسب اليهم خلق كثير منهم ابو هريرة الدوسي. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٥٣.

٢- ابن شاذان ، الفضل بن شاذان الازدي النيسابوري (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) ، الإيضاح ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، (مطبعة انتشارات ، طهران ، د.ت) ، ص٥٣٦ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج٣ ، ص٨٠٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥ ، ص١٧٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٦٠٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص١١٤ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج١ ، ص٦٨ ؛ السيد حامد التقوي ، خلاصة عبقات الأنوار ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج٣ ، ص٢٤٦ ؛ الشيخ الأميني ، الغدير ، ج٦ ، ص٢٩٥.

٣- تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١٥١ ؛ وينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص٣٥١.

وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث ، والفقه والتفسير ...» إلا أننا نجد ان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قد بدأت مرحلة التصنيف والتدوين ونشر الحديث في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد أجمع العلماء على أهمية الكتابة وفضلها ، والكتاب وفضله ، بما لا مجال لنقل كلماتهم في هذه الدراسة. ولقد دعم الإسلام موقف العقلاء من الكتابة بنصوص من القرآن الكريم ومن الحديث الشريف ، بوصفها واحدة من أفضل النعم الإلهية التي ألهمها للبشر ، ومن أحسن الخصائص البشرية التي يمتاز بها الإنسان[1].

وقد وردت في القرآن الكريم لفظ (كتب) المراد منها الكتابة بالقلم ، في سبعة وخمسين موضعاً. وورد لفظ (كتاب) في مئتي واثنين وستين موضعاً من القرآن الكريم[2].

ولم يرد نهي عن الكتابة في أي من تلك الآيات ، وكلها تؤكد بأن الكتابة هي الوسيلة الوحيدة للتوثيق ، ومن اللافت للنظر أن أول آية نزلت من القرآن هي : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[3] .

يقول التبريزي[4] : «إن أمر الكتابة وقيد العلم بها مما يدل على حسنه بداهة العقل ، وقد أمر الله تعالى في كتابه بها ، حيث قال وقوله الحق : ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[5] ، أمرهم بالكتابة حيث يكون الأمر محتاجاً إليها كثير المؤونة محتاجاً إلى ضبط الدائن والمديون إلى غير ذلك ، ولم يكلفهم حيث لا يكون كذلك. هذا أمر دنيوي من الأمور الدنيوية ، فكيف بأمر العلوم الدينية التي هي حياة النفوس وقوت الأرواح ، وبه يتم نظم المعاد. وقد أخذ النبي (صلى الله عليه وآله) جمعاً كتاباً للوحي ، وأمرهم بكتابة القرآن مع سهولة حفظه وتوفر الرغبات إليه ، وأراد أيام وفاته كتابة كتاب" لئلا تضل الأمة بعده وهذا كله يدل على غاية الاهتمام بالكتابة".

١- الجلالي ، السيد محمد رضا ، تدوين السنة الشريفة ، ط٢ ، (مطبعة مكتبة الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٣٤.
٢- عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط٤ ، (مطبعة نويد اسلام ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص٧٤٠-٧٤٥.
٣- العلق : ١.
٤- علي بن موسى بن محمد بن شفيع (ت١٢٧٧هـ/ ١٨٦٢م) ، مرآة الكتب ، ، تحقيق : محمد علي الحائري ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٢٩.
٥- البقرة : ٢٨٢.

إن هذا الوصف الدقيق للكتابة ولأهميتها – بحسب رأي التبريزي – الذي أجاد في الوصف معتمداً على قول الله تعالى ومذكراً بحادثة يوم الخميس المشهورة[1] التي أراد بها الرسول (صلى الله عليه وآله) كتابة كتاب للأمة يعطينا دليلاً قوياً على استحالة منع الرسول (صلى الله عليه وآله) للتدوين والكتابة التي تحدثت عنها كتب السيرة والتاريخ العام.

وهناك الكثير من النصوص والشواهد التاريخية التي تؤكد أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان مهتماً بدرجة كبيرة بمسألة التدوين التاريخي للسنة والسيرة النبوية وأخبارها. ومن هذه الشواهد ما نجده في كتابات الرسول (صلى الله عليه وآله) شخصياً. فقد كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسائل فيها مضامين عديدة تبين أوامره ووصاياه للأصحاب، وآخرين تدعوهم إلى الإسلام، إلى غيرها من الكتب الأخرى. وقد جمع المحقق الكبير آية الله الأحمدي الميانجي[2] رسائل النبي (صلى الله عليه وآله) في كتاب اسماه "مكاتيب الرسول" وهي مجموعة موضوعات مختلفة منها: الدعوة إلى الإسلام، وتأليف القلوب، وتعليم معالم الدين وغيرها. وقد جمع الرسائل والكتب مع موضوعاتها والأشخاص أو الجماعات الذين أرسلت إليهم هذه الكتب مع ذكر المصادر التي ذكرتها، هذا فضلاً عن العهود وما كتبه في تأمين الوفود وغيرها. وفي قسم آخر من الكتاب تعرض للكتب التي أملاها النبي (صلى الله عليه وآله) وكتبها الإمام علي (عليه السلام) ونذكر إنموذجاً منها: "كتاب من محمد رسول الله لخثعم إن كل دم أصبتموه في الجاهلية فهو عنكم موضوع ومن أسلم منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث ... تسقيه السماء ... فله نشره وأكله وعليهم في كل سيح العشر ..."[3].

ونموذج آخر لمكاتباته (صلى الله عليه وآله): "هذا كتاب من محمد رسول الله لبني عُريض طُعْمة من رسول الله عشره أوسق[4] قمحاً وعشرة أوسق شعيراً في كل حصاد وخمسين وسقاً تمراً في كل

١- وهي آخر حادثة تاريخية في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) مربوطة باهتمامه (صلى الله عليه وآله) بمسألة التدوين عندما طلب قرطاساً ودواة ليكتب في آخر لحظات عمره الشريف، غير انه لم يجد من يلبي دعوته، وهذه الحادثة يصفها ابن عباس فيقول: "لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله) الوجع قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده... فاختلفوا وكثر اللغط. قال (صلى الله عليه وآله): قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع". ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٣٩؛ ج٦، ص١١.

٢- الأحمدي، مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله)، ج١، ص١٨٢ وما بعدها.

٣- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٤٨.

٤- أوسق: جمع وسق من وحدات الكيل الأساسية التي كانت تستعمل عند العرب، والوسق يبلغ ستين صاعاً بصاع النبي (صلى الله عليه وآله). ينظر: ابن آدم، يحيى بن سليمان القرشي (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)، الخراج، (المكتبة العلمية، باكستان، لاهور، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ص١٤٠-١٤١؛ قدامة ابن جعفر، أبو الفرج بن جعفر بن زياد (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٩م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٢٢١؛ العلامة الحلي، تحرير الأحكام الشرعية على مذاهب الإمامية، تحقيق: إبراهيم البهادلي، ط١، (مطبعة اعتماد، قم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١، ص٣٧٤؛ أبو طالب الحلي، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)،

عام لحينه لا يظلمون شيئاً»[1].

ويكشف لنا تاريخ السيرة النبوية عن تدوينات كثيرة حصلت في مراحل مختلفة من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) بعضها في عهد الرسالة المبكر ، وبعضها بعد ذلك العهد. فكان أولها الوثيقة التي كتبها الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته من مكة إلى المدينة ، وكانت هذه الوثيقة تبتدئ : "هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم ، إنهم امة واحدة من دون الناس"[2].

وتوضح نصوص هذه الوثيقة طبيعة العلاقة بين قبائل المدينة من الأنصار ، وبين المهاجرين من جهة ، وبين هؤلاء جميعاً مع اليهود من جهة أخرى ، كما يتضح من بنودها بما فيها من التزامات مادية واجتماعية وعسكرية[3].

وما كتبه النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والأمراء في السنة السادسة من الهجرة ، وما أملى عليه أفضل الصلاة والسلام على الإمام علي (عليه السلام) من بنود الحديبية في السنة السادسة للهجرة ، وكانت هدنة الحديبية تبتدئ بعبارة : "باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو[4] ، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم على بعض»[5].

وقد تضمنت بعض هذه الوثائق المدونة أحاديث شريفة ، وأحكاماً وتشريعات ،

إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد ، تحقيق : حسين الموسوي الكرماني وآخرون ، ط٢ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ، ج١ ، ص١٨١ ؛ الكبيسي ، فرات حمدان ، وحدات الوزن والكيل والطول والمساحة في الحجاز والعراق وبلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية – ابن رشد ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص١١٦-١١٧.

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٧٩.

٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٤٨ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص١٠٦ ؛ ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) ، السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط١ ، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٢٧٣ ؛ السيد سابق ، فقه السنة ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٧٠٥ ؛ القرشي ، باقر شريف ، النظام السياسي في الإسلام ، ط٢ ، (دار التعارف ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ص١٥٢.

٣- حميد الله ، محمد ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط٥ ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص ص٥٩-٦٠.

٤- سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن غالب القرشي العامري ، كان احد الأشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية أسر يوم بدر وكان كافراً ، وهو الذي جاء في الصلح يوم الحديبية ، وبعد ان أسلم أصبح كثير الصلاة ، قتل في اليرموك ، وقيل مات في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ج٢ ، ص٦٦٩ ؛ السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٧م) ، أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ط١ ، (دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص١٨ ؛ ابن قدامة ، عبد الله (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م) ، كتاب التوابين ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، (مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، د.ت) ، ص١٢٥.

٥- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٥ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط٤ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م) ، ج٢ ، ص٢٨٠.

فلولا تدوينها لضاعت أو حصل فيها تدليس وتحريف ، وهي في الوقت نفسه تُعد من الوثائق التاريخية الخطيرة التي تكشف عن العلاقات الاجتماعية والسياسية التي سبقت عام الفتح[1].

وكل هذه النصوص تؤكد أن مسألة الكتابة والتدوين في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت سارية المفعول من دون أي مانع لها ، وتدل الشواهد والنصوص القادمة على ان التدوين لم يتوقف في عهد رسول (صلى الله عليه وآله) ، بل انه (صلى الله عليه وآله) كان يأمر ويحث على الكتابة والتدوين . فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله) قوله : "اللهم ارحم خلفائي. قيل: ومن هم خلفائك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يروون حديثي وسنتي ويعلمونها الناس"[2].

وعن الإمام علي (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : "اكتبوا هذا العلم ، فإنكم تنتفعون به أما في دنياكم وأما في آخرتكم ، وإن العلم لا يضيع صاحبه"[3].

وعن عبد الله بن عمرو قال : «كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد حفظه ، فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتابة. فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق وأشار إلى فيه"[4].

ويظهر من هذا الحديث أن القرشيين نشطوا لمنع كتابة الحديث وتدوينه في أيام الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو بينهم ، والنبي (صلى الله عليه وآله) من جانبه يصر على كتابة الحديث وتدوينه لكونه جزءاً من الدين ولا يمكن تركه ، لان تركه يعني إضاعة لجزء من الدين .

وعن انس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال : "قيدوا العلم بالكتاب"[5].

وعن أبي هريرة قال : كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فيسمع من النبي (صلى الله عليه وآله) الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله : إني أسمع

١- حسن الحكيم ، مذاهب الإسلاميين ، ص٥١.
٢- الصدوق ، معاني الأخبار ، ص٣٧٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٢١.
٣- المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٦٢.
٤- الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، ج١ ، ص١٠٥.
٥- ابن شعبة الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ت ق ٤هـ/ ١٠م) ، تحف العقول عن آل الرسول ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٣٥ ؛ الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) ، المجازات النبوية ، تحقيق : طه محمد الزيني ، (مكتبة بصيرتي ، قم ، د.ت) ، ص١٧٩ ؛ ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج١ ، ص٧٢ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٤٨.

منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "استعن بيمينك ، وأومأ بيده للخط"[1].

يتضح من هذه الأحاديث انه لم تكن هناك أي مشكلة في حفظ الحديث وأخبار السيرة النبوية العطرة وتدوينها ونشرها ، وهو النهج نفسه الذي انتهجه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مسألة التدوين التاريخي العلوم والمعارف جميعاً الدينية وغير الدينية ، ابتداء بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)وسار من بعده الأئمة الآخرون (عليهم السلام) على نهجه .

وقد مثلت السياسة التي اتبعها الإمام علي (عليه السلام) في التدوين التاريخي لسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) امتداداً واستمراراً للنهج الذي سلكه الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو إباحة التدوين وتشجيع الناس على حفظ أخبار السنة والسيرة النبوية العطرة وتدوينها ونشرها ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "قيدوا العلم بالكتاب"[2] ، وقوله (عليه السلام) في بعض خطبه : "من يشتري مني علماً بدرهم"[3] قال أبو خثيمة[4] مفسراً هذا الحديث : «يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم».

وقد ثبت ان الإمام علي (عليه السلام) كان يكتب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو أول من دون الحديث في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)[5] ، وأول كتاب في الحديث ألف في الإسلام هو كتاب الإمام علي (عليه السلام) ، فعن أبي جحيفة[6] قال : «قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، قال : قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسر ، ولا يقتل مسلم بكافر»[7].

١- الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ، ص١٤٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص٧٥.
٢- الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص٨٢.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص١٦٨ ؛ الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص٩٤.
٤- النسائي ، زهير بن حرب (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م) ، كتاب العلم ، (إصدار مصادر الحديث السنية ، د.ت) ، ص٣٤.
٥- صالح ، محمد أديب ، لمحات من أصول الحديث والبلاغة النبوية ، (الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ص٥٩ ؛ خضر ، محمد نبها ، أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) المشتركة بين الشيعة والسنة ، ط١ ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص١٩.
٦- أبو جحيفة : وهب بن عبد الله السوائي ، منسوب إلى عامر بن صعصعة ، قدم على النبي (صلى الله عليه وآله) في أواخر عمره الشريف وحفظ عنه ، ثم صحب علياً (g) بعده وسماه وهب ، وشهد مشاهده كلها. توفي سنة ٧٤هـ. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٦ ، ص٦٣ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٨٤ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٦١ ؛ الخطيب التبريزي ، الإكمال في اسماء الرجال ، ص٣٤ ؛ الخزرجي الأنصاري اليمني (ت ق١٠هـ/ ١٦م) ، خلاصة تهذيب الكمال ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط٤ ، (دار البشائر الإسلامية ، حلب ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٤١٨ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٢٠ ، ص٢٢٣ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج١٠ ، ص٤٥٢.
٧- الشافعي ، الأم ، ج٦ ، ص٤٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣٦ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٢ ، ص٤٣٢ ؛ النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـ/ ٩٠٥م) ، سنن النسائي ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م) ، ج٨ ، ص٢٣ ؛ ابن حزم ، المحلى ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ج١٠ ، ص٣٥٣ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص٢٨ ؛ النووي ، المجموع شرح المهذب ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج١٨ ، ص٣٥٦.

وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه حين اختلف مع أحد رواده في مسألة شرعية. قال لابنه الصادق (عليه السلام) : "قم يا بني ، فاخرج كتاب علي ، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة فقال (عليه السلام) : هذا خط علي وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)... ثم قال فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (عليه السلام)"[1].

ويتضح من النصوص السابقة أن علياً (عليه السلام) فضلاً عن حثه الناس وتشجيعهم على الكتابة والتدوين ، فانه أيضاً مارس عملياً هذه المسألة ، لان همه كان في الجانب العملي أكثر من أي جانب آخر ، ودليل ذلك هو مؤلفاته ومدوناته التي أشارات إليها المؤلفات الإسلامية ومن هذه المدونات :

١-كتاب علي (عليه السلام) (الصحيفة الجامعة)[2] : وكانت هذه الصحيفة موجودة عند جميع الأئمة المعصومين ، فعن أبي بصير قال : قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) : "يا أبا محمد إن عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة ؟ قال : قلت جعلت فداك وما الجامعة ؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذارعاً بذراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) إملاء من فلق فيه وخطه علي (عليه السلام) بيمينه ، فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الارش[3] في الخدش»[4].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "إن عندنا صحيفة كتب علي (عليه السلام) ... إن علياً كتب العلم كله ، القضاء والفرائض ، فلو ظهر أمرنا لم يكن شيء إلا فيه سنة نمضيها"[5].

٢-كتاب علوم القرآن أملى فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن وذكر لكل نوع مثالاً يخصه ، وهو الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن[6]. وقد جمع

١- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٣٦٠ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١ ، ص٦٢ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١ ، ص٨.
٢- الصفار ، محمد بن الحسن (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) ، بصائر الدرجات الكبرى ، (مطبعة الأحمدي ، طهران ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٦٢ ؛ الخصيبي ، أبو عبد الله الحسن بن حمد (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) ، الهداية الكبرى ، ط٤ ، (مؤسسة البلاغ ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٢٥٣ ؛ الطبري ، دلائل الإمامة ، ص٢٦٣ ؛ الأربلي ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) ، كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط٢ ، (دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج٢ ، ص٤٠٦.
٣- الارش : التفاوت ما بين الصحيح والمعيب ، فيؤخذ النسبة بينهما وينقص مقدارها من الثمن ، أي هو أن يقوم الشيء صحيحاً ثم يقوم معيباً ويحسب الفرق بينهما ويدفع لمستحقه ، ما يسترد من ثمن البيع إذا ظهر فيه عيب. ينظر: فتح الله ، أحمد ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ط١ ، (مطبعة المدوخل ، الدمام ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٤١.
٤- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٦٣.
٥- المصدر نفسه والصفحة.
٦- الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٩٠ ؛ شرف الدين ، عبد الحسين الموسوي ، المراجعات ، تحقيق: حسين الراضي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ص٤١١ ؛ السيد الجلالي ، تدوين السنة ، ص١٣٦.

الإمام علي (عليه السلام) القرآن عقيب وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد أوردت المصادر[1] عن محمد بن سيرين[2] قال : «لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال: أكرهت إمارتي ؟ فقال لا ولكن آليت لا ارتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى اجمع القرآن فزعموا انه كتبه على تنزيله. قال محمد بن سيرين : لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم" .

وورد في كتاب سليم بن قيس الهلالي[3] عن سلمان[4] قوله : «فلما رأى علي (عليه السلام) غدرهم ، وقلة وفائهم له ، لزم بيته ، وأقبل على القرآن يؤلفه ويجمعه ، فلم يخرج من بيته حتى جمعه ؛ وكان في الصحف والشظاظ والاكتاف والرقاع ، فلما جمعه كله وكتبه بيده : تنزيله وتأويله ، والناسخ منه والمنسوخ ، بعث إليه أبو بكر أخرج فبايع ، فبعث إليه علي (عليه السلام) إني لمشغول وقد آليت على نفسي يميناً ان لا ارتدي برداء إلا للصلاة حتى أؤلف القرآن وأجمعه ، فسكتوا عنه أياماً فجمعه في ثوب واحد وختمه ، ثم خرج إلى الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فنادى علي (عليه السلام) بأعلى صوته: أيها الناس اني لم أزل منذ قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مشغول بغسله ، ثم بالقرآن حتى جمعته كله في هذا الثوب الواحد ، فلم ينزل الله على رسوله آية منه إلا وقد جمعتها ، وليست من آية إلا وقد اقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلمني تأويلها ، ثم قال علي (عليه السلام) لئلا تقولوا غداً انا كنا عن هذا غافلين".

٣-نهج البلاغة : قام السيد الرضي بجمع بعض الآثار الروائية للإمام علي (عليه السلام) فقد كان (عليه السلام) أخذ العلوم الإلهية من النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال موقعه كأول إمام ثم نقلها إلى الأئمة من بعده ، وكذلك لأهل زمانه ، وسمى السيد الرضي هذه المجموعة "نهج البلاغة". والكتاب لشهرته البالغة لا يحتاج إلى تعريف وتخريج لشيوعه بين الناس إلى أقصى حدود

١- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٣٩٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٦٣٧ ؛ ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن حجر المكي (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) ، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، (شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، د.ت) ، ص١٢٨ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٢ ، ص٥٨٨.

٢- محمد بن سيرين : يكنى أبو بكر مولى أنس بن مالك ، وكان ثقة مأموناً عالياً رفيقاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً ، وكان أصله من سبي عين التمر ، مات سنة ١١٠هـ. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص١٩٣ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٣٤٥ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج٩ ، ص٣٢٢.

٣- تحقيق : محمد باقر الأنصاري ، ط١ ، (مطبعة المتنبي ، بغداد ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م) ، ص١٤٧.

٤- سلمان الفارسي : أبو عبد الله يقال انه مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويعرف بسلمان الخير كان أصله من فارس من رام هرمز ، ويقال بل كان أصله من اصبهان ، توفي سلمان (رض) في سنة خمس وثلاثين وقيل سنة ست وثلاثين. ينظر : الخطيب البغدادي ، الرحلة في طلب العلم ، تحقيق: نور الدين عتر ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ، ص٥٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦٣٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٨ ، ص٣٤.

الشيوع والشهرة.

وكان للإمام مجموعة من صحابته الذين يروون عنه ، وتتلمذوا على يديه بصحبتهم له (عليه السلام) وتركوا آثاراً ومدونات تخص كل منهم ، ومن هؤلاء :

١-أبو رافع[١] مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخازن بيت المال في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي صنف كتاب : "السنن والأحكام والقضايا"[٢].

٢-كتاب الأصبغ بن نباتة[٣] الذي روى عهد مالك الاشتر[٤].

٣-علي بن أبي رافع[٥] ، كاتب أمير المؤمنين ، صنف كتاباً في فنون الفقه : الوضوء والصلاة وسائر الأبواب[٦].

وهناك كتب ومؤلفات أخرى ذكرت في المصادر الرجالية :

١-كتاب سليم بن قيس الهلالي في شرح وقائع الإسلام[٧].

٢-كتاب سلمان الفارسي الصحابي الجليل المعروف ، وهو كتاب خبر جاثليق[٨].

٣-كتاب أبي ذر الغفاري ، وهو عبارة عن خطبة يشرح فيها الأمور بعد النبي (صلى الله عليه وآله) "كتاب وصايا النبي" ، وقد شرحه العلامة المجلسي وسماه عين الحياة[٩].

٤-كتاب التابعي المعروف (أبو الأسود الدؤلي) الذي أخذ النحو عن أمير المؤمنين

١- أبو رافع : مولى رسول الله ، اختلف في اسمه فقيل إبراهيم وقيل اسلم - وهو الأشهر - وقيل هرمز ، وقيل ثابت ، كان قبطياً ، شهد أحداً والخندق ، توفي في خلافة علي بن أبي طالب (عليه السلام). ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٦٥٦.

٢- ابن عقدة الكوفي ، عبد الرزاق حرز الدين (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) ، كتاب الولاية ، (إصدارات العقائد عند الشيعة الإمامية) ، ص٧١ ؛ النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٦ ، التبريزي ، مرآة الكتب ، ص٤٢ ؛ الصدر ، نهاية الدراية ، ص٥١٩ ؛ الشيعة وفنون الإسلام ، (إصدارات العقائد عند الشيعة الإمامية) ، ص٤٥ ؛ القمي ، الشيخ عباس ، الكنى والألقاب ، (مكتبة الصدر ، طهران ، د.ت) ، ج١ ، ص٧٨ ؛ الطهراني ، آقا بزرك ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط٢ ، (دار الأضواء ، بيروت ، د.ت) ، ج١٢ ، ص٢٣٨.

٣- الاصبغ بن نباتة المجاشعي ، كان من خاصة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، روى عنه عهد الأشتر ووصيته إلى محمد ابنه ، وعدّه أمير المؤمنين من ثقاته. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٨.

٤- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٨ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٤ ، ص١٣٦.

٥- علي بن أبي رافع ، كانت له صحبة من أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان كاتباً له ، وحفظ كثيراً . ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٦ ؛ العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص١٨٩.

٦- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٦.

٧- الحلي ، الحسن بن سليمان (ت ق ٩هـ/ ١٥م) ، مختصر بصائر الدرجات ، ط١ ، (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ، ص٤٠ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج١١ ، ص٨٧ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٠ ، ص٤٢ ؛ المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج٢٥ ، ص٣٧٢ ؛ الجواهري ، محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م) ، جواهر الكلام ، تحقيق: عباس القوجاني ، (مطبعة خورشيد ، طهران ، د.ت) ، ج١٢ ، ص٤.

٨- الطوسي ، الفهرست ، ص١٤٢ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج١ ، ص١٨٣ ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج٦ ، ص٣٧٦ ؛ الشاهرودي ، مستدركات سفينة البحار ، ج٥ ، ص٢٧ ؛ الغفار ، الكليني والكافي ، ص٢٧ ؛ الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج١ ، ص٤٣٣.

٩- عباس القمي ، الكنى والألقاب ، ج١ ، ص١٠.

وكتبه في كراس وعرضه على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : "نعم ما نحوت"[1].

وهناك مؤلفات أخرى للإمام علي (عليه السلام) وصحابته ، تعكس الاهتمام الكبير والخطوات الفعلية التي كان يخطوها الإمام (عليه السلام) في عملية تدوين سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) وسنته وكتابتها ونشرها ، وهذا الاهتمام الواضح عند الإمام علي (عليه السلام) هو الذي أنتج هذه الثروة الضخمة من علوم ومعارف أهل البيت (عليهم السلام) حتى قيل له (عليه السلام) : "مالك أكثر أصحاب الرسول حديثاً ؟ فقال : إني كنت إذا سألته أنبأني ، وإذا سكت ابتدأني"[2].

وفي حديث مطول له ، تحدث أمير المؤمنين (عليه السلام) عن أسباب الكذب في الحديث ، وإجراءات الرسول (صلى الله عليه وآله) لمواجهة هذا الكذب ، وأشار في حديثه هذا أيضاً إلى أسباب تصديه لهذا الكذب وأسباب حمله لعلوم النبي (صلى الله عليه وآله) وتراثه. فقد أورد الكليني[3] عن سليم بن قيس الهلالي قوله : «قلت لأمير المؤمنين (عليه السلام) اني رأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن ومن الأحاديث عن نبي الله (صلى الله عليه وآله) وأنتم تخالفون فيها وتزعمون ان ذلك كله باطل ، افترى الناس يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم ؟ وقال: فأقبل عليّ فقال : قد سألت فأفهم الجواب : ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً ، وصدقاً وكذباً ، وناسخاً ومنسوخاً ، وعاماً وخاصاً ، ومحكماً ومتشابهاً ، وحفظاً ووهماً ، وقد كذب على رسول الله على عهده حتى قام خطيباً فقال: ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ثم كذب عليه من بعده – إلى ان قال : – وقد كنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة ، وكل ليلة دخلة ، فيخليني فيها أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري ، ... وكنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ،

١- ابن النديم ، الفهرست ، ص٤٥ ؛ ابن البراج ، عبد العزيز الطرابلسي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٧م) ، جواهر الفقه ، تحقيق: إبراهيم البهادري ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١١.

٢- الصدوق ، الأمالي ، ص٣١٥ ؛ ابن البطريق ، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) ، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٢٨٣ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٩٤ ؛ ابن حجر الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، ص١٢٣.

٣- الكافي ، ج١ ، ص٦٢ ؛ وينظر: النعماني ، محمد بن إبراهيم (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) ، كتاب الغيبة ، تحقيق: فارس حسون كريم ، ط١ ، (مطبعة مهر ؛ قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ص٨٠-٨٢ ؛ الصدوق ، الاعتقادات ، ص١١٨-١٢٠.

وخاصتها وعامتها. ودعا الله ان يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلالاً أو حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي ان يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه ، افتتخوف عليّ النسيان فيما بعد ؟ فقال: لا لست اتخوف عليك النسيان والجهل" .

وقال (عليه السلام) : "والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً"[1].

وقد توارث الإمام علي (عليه السلام) هذا العلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وتوارثه بعده الأئمة الأطهار (عليهم السلام). وهذا تؤيده النصوص الآتية :

١-قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال تبارك وتعالى في صفة أهل البيت (عليهم السلام) "هم خُزّاني على علمي من بعدك"[2].

٢-روى الكليني[3] والطوسي[4] عن ابان عن سليم بن قيس قال : «شهدت وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) حين أوصى إلى ابنه الحسن (عليه السلام) وأشهد وصيته الحسين ومحمداً ، وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ، وقال لابنه الحسن (عليه السلام) : يا بني أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن أوصي إليك ، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إليّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودفع إليّ كتبه وسلاحه وأمرني أن أمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين (عليه السلام) ثم أقبل إلى ابنه الحسين (عليه السلام) فقال : وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تدفعها إلى ابنك هذا ، ثم أخذ بيد علي بن الحسين (عليه السلام) ثم قال لعلي بن الحسين ، وأمرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقرأه من رسول الله ومني السلام؟"

٣-ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) وجود هذا العلم في أهل بيته ، ففي أول خطبة له (عليه السلام)

١- ابن حجر الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، ص١٢٧.
٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٩٣.
٣- المصدر نفسه ، ص٢٩٧.
٤- تهذيب الأحكام ، ج٩ ، ص١٧٦.

بعد توليه الخلافة قال : "ألا إن أبرار عترتي ، وأطايب أرومتي ، أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، ألا وإنّا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ...معنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق"[1].

٤-عن الإمام الحسن (عليه السلام) قال : "إن العلم فينا ونحن أهله ... وأنه لا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش إلا وهو عندنا مكتوب بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخط علي (عليه السلام) بيده"[2].

٥-وعن الإمام الحسين (عليه السلام) : "ما ندري ما تنقم الناس منا ! إنا لبيت الرحمة ، وشجرة النبوة ، ومعدن العلم"[3].

٦-أما الإمام زين العابدين (عليه السلام) فيؤكد كل ما سبقه به آباؤه (عليهم السلام) عن هذا الأمر فيقول: "...نحن والله شجرة النبوة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم ، ومختلف الملائكة"[4].

٧-وعن جابر ، عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) قالا : "لو كنا نفتي الناس برأينا لكنا من الهالكين ، ولكنها آثار من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصل علم نتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم"[5].

٨-وينفرد الإمام الصادق (عليه السلام) بغزارة الأحاديث الواردة عنه بخصوص وراثة هذا العلم الرباني. فقد أثر عنه (عليه السلام) قوله :

"إن علم علي بن أبي طالب (عليه السلام) من علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعلمناه نحن فيما علمناه"[6].

١- القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت) ، ج٣ ، ص٥٦٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٨٢م) ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ط١ ، (دار الأسوة للطباعة والنشر ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٨٠.

٢- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص٦ ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ج١ ، ص٥١٦.

٣- الحلواني ، الحسين بن محمد بن الحسن (ق ٦هـ/ ١٢م) ، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٨٥ ؛ محمد الريشهري ، أهل البيت في القرآن والسنة ، ص١٩٩ ؛ مجموعة مؤلفين ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ، ط٣ ، (دار المعروف للطباعة والنشر ، مطبعة الأسوة ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٧٠٠.

٤- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٧٦.

٥- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٣٢٠ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى بأعلام الهدى ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٥٣٧.

٦- المفيد ، الاختصاص ، ص٢٧٩ ؛ محمد الريشهري ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ط٢ ، (مطبعة دار الحديث

وعنه (عليه السلام) : "إنا أهل البيت عندنا معاقل العلم ، وآثار النبوة ، وعلم الكتاب ، وفصل مابين ذلك"[1]. وقال (عليه السلام) : "...والله ما نقول بأهوائنا ، ولا نقول برأينا ، ولا نقول إلا ما قال ربنا"[2].

وعنه (عليه السلام) : "إن الكتب كانت عند علي (عليه السلام) فلما سار إلى العراق استودع الكتب أم سلمة[3]، فلما مضى علي (عليه السلام) كانت عند الحسن (عليه السلام) فلما مضى الحسن (عليه السلام) كانت عند الحسين (عليه السلام) فلما مضى الحسين (عليه السلام) كانت عند علي بن الحسين (عليه السلام) ثم كانت عند أبي (عليه السلام)"[4].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ما مضى أبو جعفر حتى صارت الكتب اليّ"[5].

وقال (عليه السلام) : "نحن شجرة العلم ، ونحن أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفي دارنا مهبط الوحي ، ونحن خزان علم الله ، ونحن معادن وحي الله ، من تبعنا نجا ، ومن تخلف عنا هلك ، حقاً على الله عز وجل"[6].

وعنه (عليه السلام) : "إنا – أهل البيت – شجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وبيت الرحمة ، ومعدن العلم"[7].

وبالاستناد إلى وراثته العلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، يردُّ الإمام الصادق (عليه السلام) رداً بليغاً على من حاصروهم فكرياً ، وحاولوا إبعادهم عن الساحة العلمية والدينية ، وظهور المحاولات السلطوية التي تحاول أن تبرِّز فقهاء السلطة ووعاظها على أنهم هم الأعلم في المجتمع الإسلامي: "عجباً للناس يقولون ، أخذوا علمهم كله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعملوا

، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص١٤ ؛ مروان خليفات ، وركبت السفينة ، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، قم ، د.ت) ، ص٥٨٦.

١- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٣٨٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٦ ، ص٢٥٠.

٢- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٣٢٠ ؛ المفيد ، الامالي ، ص٦٠ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٥٣٧.

٣- أم سلمة : زوج النبي (صلى الله عليه وآله) ، روت عنه ، اسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد شمس بن عمرو بن مخزوم ، واسم أبي أمية سهيل ، ماتت بعد الحسين بن علي (عليه السلام) في آخر سنة إحدى وستين. ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٩ ، ص٤٦٤ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٣ ، ص٤٣٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٢١١.

٤- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٨٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٦ ، ص٥٠ ؛ مرتضى العسكري ، معالم المدرستين ، ج٢ ، ص٣١٤ ؛ الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج٢ ، ص٤٣.

٥- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٨٧.

٦- ابن بابويه القمي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) ، الإمامة والتبصرة ، ط١ ، (مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص١٣٣ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص٣٨٣ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٢٧٢ ؛ الفيض الكاشاني ، الأصول الأصيلة ، (مطبعة دانشكاه ، طهران ، د.ت) ، ص٤٨.

٧- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٢٢١.

به واهتدوا ويرون إنا أهل البيت لم نأخذ علمه ، ولم نهتد به ونحن أهله وذريته ، في منازلنا نزل الوحي ، ومن عندنا خرج الناس إلى العلم ، أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا ؟! ان هذا محال"[1].

وفي كتاب بصائر الدرجات للصفار[2] روايات كثيرة تتحدث عن وراثة أهل البيت (عليهم السلام) لكتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلومه. وقد أفرد لها صاحب الكتاب باباً خاصاً أسماه : "باب في الأئمة (عليهم السلام) وأنه صارت إليهم كتب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) ".

إن هذه النصوص تعكس لنا اتجاه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) إلى تصنيف الكتب التي شملت مختلف العلوم الإسلامية في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والسيرة النبوية ، وتحدثت هذه المدرسة عن كل صغيرة وكبيرة في سيرة جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، ومواعظ الدين الإسلامي ، فإن قال قائل : لماذا لا ينشر هذا العلم ؟ فالإجابة : إن هذا العلم موجود بين الأئمة ، وقد رووا منه الكثير ، لكن الحصار السلطوي وعدم منحهم الفرصة من الحكومات وممارسات الضغط والأساليب التعسفية ضدهم لم تبرز ما كانوا يتحدثون به للناس لإيصال دين جدهم (صلى الله عليه وآله) الذي جاء رحمة للعالمين ، فقد أعلنت عليهم الحرب من الاتجاهات السلطوية وتوابع السلطة كافة ، وعلى الرغم من ذلك كله لم يبق هذا العلم أسير الحفظ بل رأى النور بين الأتباع والمريدين.

وقد أشار التبريزي[3] إلى سبب مهم لمنع تداول كتب أهل البيت (عليهم السلام) ومؤلفاتهم فقال: "إن من الموانع التي منعت نشر الكتاب هو الخوف من أخذه قسراً منهم كما طلب بنو العباس مواريث النبي (صلى الله عليه وآله) منهم ، والفرق بين ذلك الكتاب وسائر المواريث كالفرق بين الظاهر المشهور من الأئمة والغائب منهم".

١ - المفيد ، الأمالي ، ص ص١٢٢-١٢٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢ ، ص١٧٩ ؛ مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، ط٤ ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص٤٤ ؛ الياتي ، جعفر ، الأخلاق الحسينية ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٩ ؛ التيجاني ، محمد ، الشيعة هم أهل السنة ، (مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم ، د.ت) ، ص٨٣.

٢- ص٣١٥ وما بعدها.

٣- مرآة الكتب ، ص٣٣.

آثار الأئمة ومدوناتهم بعد الإمام علي (عليه السلام) :

وبعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) سنة (٤١هـ/ ٦٢١م) سار الأئمة (عليهم السلام) من بعده بالنهج الذي سلكه (عليه السلام) نفسه في نشر العلوم والمعارف الدينية وتدوينها وكتابتها ، إلا إن الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) كانا يواجهان بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) صراعاً سياسياً وحكام عصرهما الذين كانوا يعارضونهما بشدة ، ومع ذلك فان الإمام الحسن (عليه السلام) دعا أبناءه وأبناء أخيه وقال لهم : "يا بني وبني أخي : إنكم صغار قوم يوشك ان تكونوا كبار آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يرويه أو يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته"[1].

والإمام الحسين (عليه السلام) هو الآخر على الرغم ممّا مر به من الظروف المعروفة للجميع التي لا تدع مجالاً للتفرغ للكتابة والتدوين ونشر الحديث ، إلا انه (عليه السلام) لم ينس هذا الجانب لأهميته الكبيرة في منهجهم (عليهم السلام) ، بل أنه أراد من نشر هذه العلوم المحمدية الوقوف بوجه الظلم والتشهير بالظالمين ، وأكد (عليه السلام) في كلماته القصار الكبيرة المعنى ، وجوب كتابة الأحاديث لأنها سنة عملية ، لأنه (عليه السلام) وارث لروايات من سبقه من الأئمة ومدوناتهم (عليهم السلام) ، فهو حامل كتاب علي (عليه السلام) الذي كان بإملاء النبي (صلى الله عليه وآله) وقام بنقله إلى الأجيال اللاحقة. ومن مآثره (عليه السلام) قوله : "... اسمعوا مقالي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمنتم من الناس ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون من حقنا ، فإني اتخوف أن يدرس هذا الأمر ويذهب"[2].

وقد سنحت الفرصة للإمام السجاد (عليه السلام) أكثر من أبويه الحسن والحسين (عليهما السلام) ، فقد استمرت إمامته أربعة وثلاثين عاماً تمكن فيها من تدوين بعض الآثار العلمية. ومن المدونات التي كتبها الإمام السجاد (عليه السلام) التي تدل كل منها على اهتمامه بمسألة التدوين والكتابة ونشر الحديث :

١- الدارمي ، سنن الدارمي ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٨ ، ص٤٠٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٣ ، ص٢٥٩ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٦ ، ص٢٤٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٠ ، ص٢٥٧ ؛ العجلوني ، كشف الخفاء ، ج٢ ، ص٢٤ ؛ محمد الريشهري ، موسوعة العقائد الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ج٢ ، ص٢٥٨.
٢- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص١٨.

١-الصحيفة السجادية[١] : وتعدّ الصحيفة السجادية من أعظم الكتب عند الشيعة الإمامية بعد القرآن ونهج البلاغة ، وهي تحتوي على (٥٤) دعاءً للإمام السجاد (عليه السلام).

يقول الطهراني[٢] : «الصحيفة السجادية الأولى ، المنتهي سندها إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) المعبَّر عنها (أخت القرآن) و(إنجيل أهل البيت) و(زبور آل محمد) ويقال لها الصحيفة الكاملة أيضاً". تعد هذه الصحيفة في مقدمة الآثار الروائية المدونة عن الإمام السجاد (عليه السلام) .

٢-رسالة الحقوق[٣] : ومن المدونات الأخرى المنسوبة للإمام السجاد (عليه السلام) رسالة الحقوق ، وهو كتاب في القضايا الأخلاقية والاجتماعية وأسس السلوك الفردي.

٣-مناسك الحج[٤] : وهو في الأحكام الشرعية للحج.

٤-صحيفة الزهد[٥] : وهي صحيفة تحوي كلام الزهد للإمام علي بن الحسين (عليه السلام).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما حضر علي بن الحسين الموت ، قبل ذلك أخرج السفط أو الصندوق عنده فقال : يا محمد احمل هذا الصندوق فيه سلاح رسول الله وكتبه"[٦].

ويؤكد النص الأخير ان علوم أهل البيت يتوارثها الأئمة (عليهم السلام) الواحد بعد الآخر ، وهي حاوية وجامعة لعلوم كل واحد منهم ليتسلمها الذي يأتي بعده ابتداءً من النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) وانتهاءً بآخر إمام (عليه السلام).

وبعد انتقال الإمامة إلى الإمام الباقر (عليه السلام) ووراثته لعلوم آبائه (عليهم السلام) التي ورثوها من جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، انتعشت الحياة العلمية في هذه المدة ، لاسيما ان الإمام الباقر (عليه السلام) كان

١- الطوسي ، النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ، (مطبعة قدس ، قم ، د.ت) ، ص٣٣ ؛ الشهيد الأول ، شمس الدين محمد بن مكي العاملي (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) ، الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٦٠ ؛ الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٦هـ/ ١٥٦١م) ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، تحقيق: السيد محمد كلانتر ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ج١ ، ص١٤٣ ؛ المحقق النراقي ، أحمد بن محمد مهدي (ت١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) ، مستند الشيعة في أحكام الشريعة ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٦ ، ص٣٠.

٢- الذريعة ، ج١٥ ، ص١٨.

٣- ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٢٥٥ ؛ النجاشي ، رجال النجاشي ، ص١١٦ ؛ الابطحي ، محمد علي ، تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، ص٢٨٥.

٤- ابن بابويه القمي ، الإمامة والتبصرة ، ص٢٤.

٥- الكليني ، روضة الكافي ، ج٨ ، ص١٤.

٦- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٢٠٠ ؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٣٠٥ ؛ ابن شهراشوب ، المناقب ، ج٣ ، ص٣٤١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٤٦ ، ص٢٢٩.

قد عاصر أواخر الحكم الأموي الذي كان يمثل نهاية عهد الظلم والحصار ، ولهذا فقد كان الإمام الباقر (عليه السلام) يمتاز بحرية أكبر مقارنة بعهود الأئمة السابقين (عليهم السلام). ولهذا بلغ الإنتاج المعرفي للإمام (عليه السلام) غايته فازدادت منزلته العلمية من خلال آثاره ومدوناته وتدريسه الفقه والتفسير وسائر العلوم الأخرى حتى لقب بـ(باقر العلوم)[1].

وقد اتبع الإمام الباقر (عليه السلام) منهجية متميزة في بث علومه ومعارفه العديدة ، فقد حثّ (عليه السلام) على طلب العلم وأهمية الكتابة ، ولهذا أنجزت في عهده آثار مهمة ، ومدونات عديدة ، فقد روي عنه (عليه السلام) ، قوله : "سارعوا في طلب العلم ، فوالذي نفسي بيده ، لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة"[2].

وقد وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) آثار ومدونات عديدة مها :

١-تفسير القرآن[3].

٢-نسخة في الأحاديث[4].

٣-كتاب رسالة أبي جعفر[5].

وغيرها من الكتب التي ذكرها النجاشي[6].

عهد الإمام الصادق (عليه السلام) :

كان يلقب (عليه السلام) بعدة ألقاب منها الصابر والفاضل والطاهر، وأشهر ألقابه الصادق[7]. وقد بلغت المدرسة العلمية التي أسسها أبوه الإمام الباقر (عليه السلام) أوج ازدهارها في عهده ، واستمرت إمامته (عليه السلام) لمدة (٣٤) سنة[8] امتدت من سنة (١١٤-١٤٨هـ/ ٦٩١-٧٢٥م) .

١- ابن حجر الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، ص٢٠١.
٢- البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص٢٢٧ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٨ ، ص٧٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢ ، ص١٤٦ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١ ، ص١٠٣. وذكر هذا الحديث أيضاً السيوطي ، دون نسبته إلى الإمام الباقر (عليه السلام) في الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٣٨.
٣- ابن النديم ، الفهرست ، ص٣٦.
٤- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص١٥١.
٥- المصدر نفسه ، ص١٧٨.
٦- رجال النجاشي ، ص١٥١ ، وص١٧٨ وغيرها.
٧- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٢ ، ص١٣.
٨- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٨١ ؛ الكاتب البغدادي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي الثلج (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٢م) ، تاريخ الأئمة (المجموعة) ، (مطبعة الصدر ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص١٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٩٨.

ونتيجة للانفتاح السياسي الناشئ من سقوط الحكم الأموي ، ومجيء الحكم العباسي ، وحصول الانفراج الفكري لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، قياساً للعهود السابقة التي مرت بها الأمة الإسلامية ، وأسباب هذا الانفراج كثيرة أهمها ضعف الحكم الأموي وانهياره سنة (١٣٢هـ/ ٧٠٩م) وضعف بداية دولة بني العباس ، فكان من الطبيعي أن ينشغل الحكام عن رموز أهل البيت (عليهم السلام) لذلك كان الإمام الصادق (عليه السلام) بعيداً عن المواجهة السياسية العلنية.

فكان فضلاء الشيعة ورواتهم في تلك السنين آمنين مطمئنين مجاهرين بولاء أهل البيت (عليهم السلام) ، ولم يكن الإمام الصادق (عليه السلام) مُزاحماً لنشر الأحكام ، فضلاً عن أن هذا العصر هو عصر ترجمة الكتب إلى العربية من الديانات والفلسفات المحتملة كاليونانية ، والهندية ، والفارسية ، والعبرية ... ، ونشأت في هذا العصر العديد من التيارات والمذاهب ، وحصلت المناظرات الكلامية والفقهية المختلفة[١].

فضلاً عن كل ما تقدم من ظروف مواتية لنشر العلم ، فان الإمام الصادق (عليه السلام) سلك طريقاً وسطاً وذلك بابتعاده عن السياسة وطريقها ، وعكف على العلم عكوفه على العبادة ، وتلازم علمه وعبادته ، حتى ما كان يُرى إلا عابداً أو دارساً أو قارئاً للقرآن أو راوياً الحديث ، أو ناطقاً بالحكمة التي أشرق بها قلبه ، واستنارت بها نفسه[٢].

كان الإمام الصادق (عليه السلام) يحث على الكتابة والتدوين مثل آبائه (عليهم السلام) من قبله ، ومن أقواله (عليه السلام) في هذا المجال : "اكتبوا فأنكم لا تحفظون حتى تكتبون"[٣] ، وقال (عليه السلام) : "احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون إليها"[٤].

إن منهجية الإمام الصادق كانت منهجية خاصة في تعليم العلوم الدينية والطبيعية ونشرها ، إذ تعتمد هذه المنهجية على تثقيف الناس على طلب العلم وتعليمه مع بسط في البيان وعمق في المعرفة ، ونجد هذا واضحاً في النصوص القادمة عنه (عليه السلام) ، فقد ورد عنه (عليه السلام)

١- بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، تعريب: حمزة طاهر ، (مطبعة المعارف ، القاهرة ، د.ت) ، ص٤٧ ؛ مجموعة مؤلفين ، محطات من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، (مركز نون للتأليف والترجمة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص٦٥ ؛ أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري ، بيروت ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ج١ ، ص١٨.

٢- أبو زهرة ، محمد ، الإمام الصادق – حياته وعصره – آرائه وفقهه ، ط١ ، (مطبعة أحمد علي مخيمر ، القاهرة ، د.ت) ، ص ص٩٣-٩٤.

٣- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٢ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٧ ص٨١.

٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ؛ ص٥٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢ ، ص١٥٢.

قوله: "خطب رسول الله يوم منى فقال : نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها ، فكم من حامل فقه غير فقيه ، وكم حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[1].

وكان (عليه السلام) يكره الجهل والكذب ويرى أنه : "لا عدو أضر من الجهل ولا داء أردأ من الكذب"[2].

أما حبه للعلم والتعليم ، فلا يمكن وصفه إلا من أقواله في العلم وحثه الناس على ممارسته. فقد ثبت من حديث له (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلَّك الله له طريقاً إلى الجنة ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر"[3].

ولقد بلغ مقدار النصيحة التي أعلنها الإمام الصادق (عليه السلام) للناس بخصوص العلم درجة لا توصف من الدقة والتنظيم لما للعلم من أهمية كبيرة في الحياة الإسلامية. فيقول (عليه السلام) : "لست أحب أن أرى الشاب منكم إلا غادياً في حالين ، أما عالماً أو متعلماً ، فإن لم يصل فرط ، وإن فرط ضيع ، وإن ضيع أثم"[4].

ولم يقتصر الإمام الصادق (عليه السلام) على حث الناس على العلم فقط ، بل حثهم على ما يزدان به هذا العلم من الحلم والوقار والتواضع ، فقال (عليه السلام) : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم"[5]. وفي قول آخر له (عليه السلام) : "اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم"[6].

فما أبلغ هذه النصائح ، وأدقها ، وأسماها ، فإن العلم لا ينفع صاحبه ، ولا الناس ما لم يكن مقروناً بالتواضع سواء كان المتحلي به معلماً أو متعلماً. وقد سبقه إلى الحث على التواضع

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٠٣ ؛ وينظر : الدارمي ، سنن الدارمي ، ج٢١ ، ص٧٤ ؛ ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد ين يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) ، سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت) ، ج١ ، ص٨٤.
٢- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٩٠.
٣- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٣٤ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص١١٦ ؛ المازندراني ، شرح الكافي ، ج٢ ، ص٤٧.
٤- الطوسي ، الأمالي ، ص٣٠٣ ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ج١ ، ص٤٧٠.
٥- الصدوق ، الخصال ، ص٣٧ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢ ، ص٤٦.
٦- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٣٦ ؛ القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج١ ، ص٨٠ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص٤٤٠ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص١٠ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص٢٧٦.

في العلم جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) فقال : "لا تقعدوا إلا إلى عالم يدعوكم من ثلاث إلى ثلاث : من الكبر إلى التواضع ، ومن المداهنة إلى المناصحة ، ومن الجهل إلى العلم"[1]. وقوله (صلى الله عليه وآله) : "إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله"[2].

إن التواضع عند أهل البيت (عليهم السلام) لا يعني الضعف والسكوت على الحق ، ولا يعني المجاملة على حساب القيم ، ولابد من الإشارة والتوقف عند شجاعة الإمام الصادق (عليه السلام) ، وجرأته الكبيرة في قول الحق في مواقف شهد التاريخ بها ، ففي حكمة بسيطة واجه الإمام الصادق (عليه السلام) المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧١٢-٧٣٤م) عندما تسلط عليه الذباب بشكل متكرر فتضايق المنصور وسأل الإمام الصادق (عليه السلام) : "لأي شيء خلق الله الذباب ؟" فكانت الإجابة سريعة ومباشرة لتكون كلمة حق في وجه سلطان جائر : "ليذل به الجبابرة"[3].

وأدرك الإمام الصادق (عليه السلام) أن الظروف السياسية والعسكرية والاجتماعية المحيطة به لم تكن تساعده للقيام بأي ثورة أو انتفاضة عسكرية أو سياسية ، وأدرك أيضاً أن أي ثورة تنتهي لا تنتهي بفشل صاحبها فقط وإنما بضياع الخط والرسالة والمذهب أيضاً. فقرر حينها التصدي لتأدية الدور العلمي الذي يصون الرسالة والمذهب إلى الأبد. وقام به (عليه السلام) خير قيام. ومع ذلك فأن السلطات العباسية اتبعت كل الأساليب لمحاربته ومراقبته ، وإبعاده عن ممارسة دوره العلمي وذلك بتقريب العلماء الآخرين ونشرهم الفقه المعارض لفقهه ، فأرسل المنصور إلى بعض العلماء والفقهاء لكي يقفوا موقفاً مضاداً للإمام (عليه السلام) ولو من الناحية العلمية ، فبعث إلى أبي حنيفة للقيام بهذا الدور[4]. وقد أدلى بذلك أبو حنيفة نفسه قائلاً: «بعث إليَّ – أي الخليفة المنصور – فقال : يا أبا حنيفة إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد ، فهيأت له أربعين مسألة ، ثم بعث إليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته

١- المالكي ، أبو الحسين ورام بن أبي فراس الاشتري (ت٦٠٥هـ/ ١٢١٤م) ، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، ط١ ، (دار صعب ودار التعارف ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٢٢٣ ؛ محمد الريشهري ، العلم والحكمة ، ص٢٣٦.
٢- ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ج١ ، ص١٤١.
٣- سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي بن عبد الله البغدادي ، (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) ، تذكرة الخواص ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص٤٣٠.
٤- الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٥٨.

فدخلت عليه ، وجعفر بن محمد جالس عن يمينه ، فلما أبصرت به خلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصادق ما لم يدخل لأبي جعفر ، فسلمت عليه وأومأ إليَّ فجلست ثم التفت إليه فقال : يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة ، قال جعفر : نعم ، ثم اتبعها قد أتانا. كأنه كره ما يقول فيه قوم إنه إذا رأى الرجل عرفه ، ثم التفت إليّ المنصور فقال : يا أبا حنيفة ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك ، فجعلت أُلقي عليه فيجيبني ، فيقول : انتم كذا ، وأهل المدينة يقولون كذا ، ونحن نقول كذا ، فربما تابعهم وربما خالفت جميعاً ، حتى أتيت على الأربعين مسألة ثم قال أبو حنيفة : ألسنا روينا أن اعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[1]. وقد أورد أبو حنيفة هذه الحادثة عندما سُئل : «من أفقه من رأيت ؟ قال : ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد»[2].

وهكذا تجمعت لدى الإمام الصادق (عليه السلام) الخبرة الكافية والدراية الواسعة بنيات السلطات وكيفية إتباعها لأساليب القسوة والإقصاء والاضطهاد لكل أثر يتعلق بالدين من اجل السلطة ، لا يهمهم في ذلك قتل حتى أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) صاحب الرسالة العظيمة التي أخرجتهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان ، الذين لم يكونوا يعرفونه في يوم من الأيام ، فعقلية الجاهلية المليئة بالتسلط مازالت فوق كل الاعتبارات لديهم ، ونسوا ان هذه المنابر التي يصدرون منها أحكام القتل والتشريد ما قامت لولا دين محمد (صلى الله عليه وآله) ، فقد أقامها (صلى الله عليه وآله) لتمنع القتل والتشريد لكنهم أعادوها جاهلية جهلاء. فقد اشتهر في الرواية: أن المنصور أمر الربيع[3] بإحضار أبي عبد الله (عليه السلام) ، فأحضره ، فلما بصر به قال: "قتلني الله إن لم أقتلك ، أتلحدني في سلطاني وتبغيني الغوائل ؟ فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): والله ما فعلت ولا أردت ، فإن كان بلغك فمن كاذب..."[4]. وهكذا كان رد الصادق (عليه السلام) ، انه رد مدرسة أهل بيت النبوة ، فلا عصبية ولا تعصب ولا عودة لأفكار الجاهلية الأولى التي تتسم بالنزق والطيش

١- المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٩ ؛ المطهر الحلي ، العدد القوية ، ص١٥٣.
٢- ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص١٣٢ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٩ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٥٧ ؛ تاريخ الإسلام ، ج٩ ، ص٨٩.
٣- الربيع بن يونس : أبو الفضل حاجب المنصور ومولاه ، قيل ان الربيع وزر للمنصور وللهادي ولم يوزر للمهدي ، وكان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه ، مات في أول سنة سبعين ومئة للهجرة. ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص٤١٢-٤١٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٤ ، ص٥٨.
٤- الشيخ المفيد ، الارشاد ، ج٢ ، ص١٨٢ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٢٠٨ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٥٢٤ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص١٣ ؛ هاشم البحراني ، مدينة المعاجز ، ج٥ ، ص٢٥٦.

والسفه والحمق ، لأن الهدف هو نشر فكر هذه المدرسة ، فلا مجال لإعطاء الفرصة للحكام لاجتثاثها والقضاء عليها.

ومن الشواهد التاريخية الأخرى التي سلكها المنصور العباسي في محاربة الإمام الصادق (عليه السلام) ومحاصرته ، هو مراسلاته معه (عليه السلام) والتي جاء فيها : "لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ فأجابه الإمام (عليه السلام) : ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنئك ، ولا تراها نقمة فنعزيك بها ، فما نصنع عندك ؟ فكتب إليه : تصحبنا لتنصحنا ، فأجابه الإمام (عليه السلام) : من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك"[1].

وهكذا كانت روح التصدي للإمام (عليه السلام) بوجه الحكام ، فهذه المواقف وغيرها أكسبت مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) شهرة عظيمة في مختلف أرجاء البلاد الإسلامية ، فصار باعثاً قوياً لشد الرحال إليها والتزود من عطائها ، فمنهج الاستقلال والابتعاد عن التأثير السلطوي زاد في تقدمها وتألقها وأصبحت هذه المدرسة ذات خط استقلالي روحي وفكري وعقائدي وثقافي متميز ، أكدت فيه عدم خضوعها لنظام السلطة ، إذ إنها لم تفسح المجال أمام ولاة الجور أن يتدخلوا في شؤونها وتغيير أمورها ، وهذا ما لم نلمسه في المدارس الأخرى التي ظهرت قبل مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) وبعدها حيث كانت تسيرها السلطات وفق الرؤى التعسفية والمصالح الشخصية.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) بهذا الخصوص : "الفقهاء أمناء الرسل ، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلطان فاتهموهم"[2] ، فقد كان (عليه السلام) يخشى من افتتان الفقهاء بالسلطة والأمراء والحكام.

وقد اجتمعت عند الإمام الصادق (عليه السلام) صفات قلما تجتمع في شخص ، فقد اجتمع فيه الشرف الذاتي : العلم ومكارم الأخلاق المحمدية ، وهذه جعلته (عليه السلام) مناراً ومنبراً للعلوم

١- الأربلي ، كشف الغمة ، ج٢ ، ص٤٢٧ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج١٢ ، ص٣٠٧ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١٤ ، ص٤٣٠.

٢- أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٦م) ، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٣ ، ص١٩٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٦٢ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج١٧ ، ص٣١٩.

المختلفة. لذا نجده (عليه السلام) قد شرع في خطه الجهادي بنشر العلم والفكر الثقافي الإسلامي ، بعد ان هجر الآخرون هذا الجانب وانحدروا في ملذات السلطة والأموال ، فحقق (عليه السلام) في نهاية المطاف مفخرة عظيمة بنشره هذه العلوم ، لذا كان (عليه السلام) يوصي بالتدوين ونشر الكتابة والحديث لئلا تضيع الحقائق وتشوه ، فكان (عليه السلام) يقول : "اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا"[1] وكان (عليه السلام) يقول : "القلب يتكل على الكتابة"[2].

آثار الإمام الصادق (عليه السلام) ومدوناته :

لاشك ان إماماً بمكانة الإمام الصادق (عليه السلام) الجليل القدر ، الغزير العلم ، ستكون له الكثير من المصنفات والمؤلفات ، ولكن ما يؤسف عليه ضياع الكثير منها ، كما ضاع كثير من تراث الأمة المختارة ، فما وصل الينا من مصنفات الإمام الصادق (عليه السلام) قليل مقارنة ببحر علمه .

وقد كتبت في عهده (عليه السلام) آثار ومدونات كثيرة نسبت في الكتب التاريخية إليه (عليه السلام) والى تلامذته ، وكانت هذه الآثار أحياناً بإملائه ، ومنها :

١-كتاب التوحيد ، أو ما يسمى بتوحيد المفضل ، وهو من إملاء الإمام الصادق (عليه السلام) على المفضل بن عمر الجعفي[3] ، وكان الباعث للإمام الصادق (عليه السلام) على وضع (كتاب التوحيد) إن المفضل كان جالساً ذات يوم في روضة القبر النبوي فإذا هو بجماعة من الزنادقة فيهم عبد الكريم بن أبي العوجاء فدار حديث بينهم في قضايا إلحادية عنيفة ، فثارت ثائرة الإيمان في قلب المفضل ، وتوجه بعد نقاش حاد جرى بينه وبين ابن أبي العوجاء إلى دار الإمام الصادق (عليه السلام) ليخبره بجلية الأمر ، فما كان من الإمام (عليه السلام) إلا أن أملى عليه كتاب

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٢ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٧ ، ص٨١.

٢- الشهيد الثاني ، منية المريد ، ص٣٤٠ ؛ العاملي ، الشيخ حسين عبد الصمد (ت٩٨٤هـ/ ١٥٧٩م) ، وصول الأخيار إلى أصول الأخبار ، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١٤٩.

٣- أبو محمد وقيل أبو عبد الله المفضل بن عمر الجعفي ، ولد في أواخر القرن الأول الهجري في مدينة الكوفة ، واتصل بالإمام الباقر (عليه السلام) وعاصر الإمام الصادق والكاظم (عليهما السلام). توفي عن عمر ناهز الثمانين عاماً ، روى عن أبي عبد الله الصادق وأبي الحسن الكاظم (عليهما السلام). ينظر : الغضائري ، أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الواسطي البغدادي (ت ق٥هـ/ ١١م) ، الرجال المعروف بـ(رجال ابن الغضائري) ، تحقيق : السيد محمد رضا الجلالي ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ص٨٧ ؛ ابن داود الحلي ، رجال ابن داود ، ص٢٨٠ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٤ ، ص٤٠٧.

التوحيد[1].

٢-وذكر كارل بروكلمان[2] كتباً منسوبة للإمام الصادق (عليه السلام) مثل كتاب (تفسير القرآن) ، وكتاب (منافع سور القرآن) ، وكتاب (بحر الأنساب).

٣-كتاب الاهليلجة : وهي مجموعة مناظرات للإمام الصادق (عليه السلام) مع الطبيب الهندي واحتجاجه عليه بالتكلم في الاهليجلة ، وفيها رد الإمام الصادق (عليه السلام) على الملحدين والمنكرين للربوبية[3].

٤-كتاب الوصية : وهي الوصايا التي أوصى بها الصادق (عليه السلام) تلميذه المفضل ، فيما يتعلق بأحوال المسلمين[4].

٥-كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقية المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام) وطبع طبعة حديثة ، وهي من منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات في بيروت لعام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ويتحدث الكتاب عن مسائل في أصول المعاملات والعبادات والفقه والشريعة[5].

٥-كتاب الاهوازية : وهي رسالة كتبها الإمام الصادق (عليه السلام) تتضمن ردوداً على مجموعة من الأسئلة التي بعثها والي الاهواز عبد الله النجاشي في مواضيع أخلاقية[6].

٦-كتاب الجعفريات : والكتاب عنوانه يدل على انه عبارة عن مجموعة أحاديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) في أبواب الفقه ، وهي مرتبة على أبواب ، وهذا الكتاب رواه عنه حفيده إسماعيل بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)[7]. وأن هذا الكتاب يمتاز بميزة فريدة وهي أن أسانيده كلها متصلة عن الصادق (عليه السلام) وعن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)[8].

١- الجعفي ، المفضل بن عمر (ق ٢هـ/ ٨م) ، كتاب التوحيد (المعروف بتوحيد المفضل) ، إملاء الإمام الصادق (g) ، تحقيق: كاظم المظفر ، ط٢ ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٧ ؛ عبد الله سلوم ، الغلو والفرق الغالية ، ص١٩٠.

٢- تاريخ الأدب العربي ، ترجمة: عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب ، ط٥ ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٧ه/ ١٩٧٧م) ، ج١ ، ص٢٦٠.

٣- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣ ، ص١٥٢ وما بعدها ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج٢ ، ص٤٨٤ ؛ لاوند ، رمضان ، الإمام الصادق (عليه السلام) علم وعقيدة ، (دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت) ، ص١١٢ ؛ الجلالي ، تدوين السنة ، ص١٦٥.

٤- الطوسي ، الفهرست ، ص٢٥١.

٥- العلامة الحلي ، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان ، تحقيق: فارس الحسون ، ط١ ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛ محمد الريشهري ، الحج والعمرة في الكتاب والسنة ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ص٤٠١.

٦- هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ الميرزا النوري ، خاتمة المستدرك ، ج٣ ، ص١٤٦ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٩ ، ص٦١ ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج٢ ، ص٤٨٥ ؛ الجلالي ، تدوين السنة ، ص١٦٥.

٧- الشهيد الأول ، الدروس ، ج١ ، ص٣٧ ؛ الشهيد الثاني ، شرح اللمعة ، ج١ ، ص١١٨.

٨- الحسيني ، السيد نبيل ، الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد ، دراسة في نشأة علم السيرة النبوية وتطوره خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، ط١ ، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص١٥٨.

٧-كتاب الجفر : وهو من أشهر ما نسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[١].

يقول الاحمدي الميانجي[٢] : «تكلم المخالفون في كتاب الجفر ، نسبه بعضهم إلى علي (عليه السلام) وبعضهم إلى الصادق (عليه السلام) واختلفوا أيضاً ، فبعضهم جعله كتاباً في أسرار الحروف لكشف المغيبات ، وبعضهم جعله كتاباً في العلوم الإسلامية والحوادث...".

وقد نفى بعض الكتاب المعاصرين[٣] نسبة الجفر إلى الإمام الصادق (عليه السلام) على أساس أن الكتاب يحتوي الكثير من المزاعم بعلم الغيب ، وان الله سبحانه وتعالى هو الذي ينفرد وحده بعلم الغيب ، ولا يعطى إلا لبعض الأنبياء كمعجزات لإثبات رسالاتهم.

أما ابن خلدون فقال[٤] : «...هذا الكتاب لم تتصل روايته ولا عرف عينه وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ولو صح السند إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو من رجال قومه فهم أهل الكرامات وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصح كما يقول».

والروايات متضافرة على ان الجفر غير (الجامعة) ، وبعضهم يقول ان الجفر من مؤلفات الإمام علي (عليه السلام) أملاه عليه النبي (صلى الله عليه وآله)[٥].

٨-مجموعة رسائل الإمام الصادق (عليه السلام) : ومن جملتها رسالة كتبها الإمام (عليه السلام) بخصوص إرشاد أصحابه في التعامل بالحسنى والسلوك الديني ، ورسالة في طرق الكسب ورسالة في الخمس والغنائم ، ونقلت الكتب الروائية هذه الرسائل[٦].

وهناك مجموعة من الكتب التي تتحدث عن مختلف علوم المعرفة نسبتها إليه الرواة ، وبلغ مجموعها حتى عام (١٤٨هـ/ ٧٢٥م) وهي السنة التي توفي فيها الإمام الصادق (عليه السلام) ،

١- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٧١ ؛ الصدوق ، كمال الدين ، ص٣٥٣.
٢- مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ج٢ ، ص١١.
٣- أبو زهرة ، الإمام الصادق ، ص٣٣ ؛ ابن الهادي ، لطيفة بنت إبراهيم بن القاسم ، مرويات الإمام جعفر بن محمد الصادق في السنة النبوية وأحوال الرواة عنه ونماذج مما نُسب إليه ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م ، ص٧٦.
٤- المقدمة ، ص٣٣٤.
٥- الجندي ، المستشار عبد الحليم ، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، تحقيق: محمد توفيق عويضة ، (مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص٢٠٦.
٦- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢ ، ج١ ، ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٣٣١ ، ص٣٣٩.

واحد وخمسين كتاباً[1]، ناهيك عن الكتب التي كتبها تلامذته الذين وصفهم (الحسن بن علي الوشاء)[2] بقوله: «أدركت تسعمائة شيخ من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) بمسجد الكوفة كل يقول حدثني جعفر بن محمد (عليه السلام)»[3].

ولقد قام الإمام الصادق (عليه السلام) في مدة قياسية بإنشاء مدرسة الكوفة العلمية التي كانت تدرس العلوم الدينية والطبيعية كالرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها، فكان من ثمارها العالم الكيميائي جابر بن حيان الصوفي[4] صاحب المصنفات الكثيرة في (علم الكيمياء)[5] كـ«كتاب علل المعادن»[6]، وكتاب «الحدود في الكيمياء»[7].

واستناداً لكل ما تقدم يتضح ان الوجه الحقيقي للتاريخ العربي الإسلامي هو ما خرج من هذه المدرسة «مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)" وان نشأة علم التاريخ ومعلوماته الممنهجة حسب الضوابط والمقاييس النبوية وتطوره كان فيها، ومنها خرج إلى الناس قبل أن يوفق محمد بن إسحاق المطلبي لتدوين السير والمغازي بأكثر من مئة عام. وقد علق المستشار الجندي[8] على هذا الأمر بقوله: «...فالسبق في التدوين فضيلة الشيعة».

وتزخر كتب الصحاح والسنن بأحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) ومروياته، بل ان هناك دراسة شاملة لهذا الموضوع تحت عنوان: "مرويات الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في الكتب التسعة وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الصغير"[9] وهي عبارة عن دراسة تتضمن جمعاً للأسانيد وتصنيفها ودراستها، وهذا دليل على المكانة العلمية المتميزة لمرويات الإمام الصادق (عليه السلام)، وغزارة إنتاجه المعرفي الذي لا تخلو منه المؤلفات الإسلامية.

وقد قام الباحث بعمل جدول يبين بعض روايات الإمام الصادق (عليه السلام) في كتب

١- الحسيني، الشيعة والسيرة، ص١٦١.
٢- الحسن بن علي الوشاء البجلي الكوفي، له كتب منها: ثواب الحج والمناسك والنوادر، وله مسائل الرضا (عليه السلام). ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٩.
٣- النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٩؛ الطهراني، الذريعة، ج٥، ص١٨؛ السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٦، ص٣٨.
٤- جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي، عالم مشارك في الطبيعة والكيمياء والفلسفة والفلك والأدب وغيرها. توفي عام ١٩٨هـ/ ٨١٣م. ينظر: كحالة، عمر، معجم المؤلفين، (مكتبة المثنى، بيروت، د.ت)، ج٣، ص١٠٥.
٥- ابن النديم، الفهرست، ص٤٢٠.
٦- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١١٦٠.
٧- البغدادي، إسماعيل باشا، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: رفعت بيلكه الكيسي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٢٨٨.
٨- عبد الحليم، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، ص٢٠٣.
٩- بطيخ، ياسر موسى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، مصر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

التفسير عند أهل السنة ، واختار الباحث – انموذجاً – تفسير القرطبي[1] المعروف بـ(الجامع لأحكام القرآن) وحسب الجدول المبين في أدناه :

التسلسل	السورة	الآية	الجزء	الصفحة
١	آل عمران	١٨	٤	٤٣
٢	آل عمران	٩٦	٤	١٤١
٣	ال عمران	١٥٩	٤	٢٥٢
٤	ال عمران	١٩١	٤	٣١٨
٥	المائدة	٢٧	٦	١٣٤
٦	الأعراف	١٩٩	٧	٣٤٥
٧	إبراهيم	٦	٩	٣٤٣
٨	النحل	٩٧	١٠	١٧٤
٩	يس	١	١٥	٥
١٠	الرحمن	٣١	١٧	١٦٩
١١	المؤمنون	١	١٨	٢٢٤
١٢	المؤمنون	٥١	١٨	٢٥٥

وقد صنف قدماء الشيعة الاثني عشرية المعاصرين للائمة من عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عهد أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) في الأحاديث المروية عن طريق أهل البيت (عليهم السلام) المستمدة من مدينة العلم النبوي ما يزيد على ستة آلاف وستمئة كتاب مذكورة في كتب الرجال على ما ضبطه الشيخ محمد ابن الحسن بن الحر العاملي صاحب الوسائل[2]. وامتاز من بين هذه الستة آلاف والستمئة أربعمئة كتاب عرفت عند الشيعة «بالأصول الأربعمائة» وهي أربعمئة مُصنَّف لأربعمائة مصنِّف[3].

ونقل ابن شهراشوب[4] قول المفيد : «صنفت الامامية من عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) أربع مائة كتاب تسمى الأصول هذا معنى قولهم له أصل". والفرق بين الكتاب والأصل هو ان الأصل : ما كان يتضمن كلام المعصوم فقط ، والكتاب : ما فيه كلام مصنفه.

والأصول هي التي أخذت من المعصوم (عليه السلام) مشافهة ، ودونت من غير واسطة راوٍ ،

١- أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

٢- وسائل الشيعة ، ج٣٠ ، ص١٦٥ (الفائدة الرابعة).
٣- الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج١ ، ص١٩.
٤- معالم العلماء ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، ط٢ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) ، ص٣٨.

وغيرها أخذ منها. فهي أصل باعتبار ان غيرها أخذ منها[1].

ويعرف الشيخ الفضلي[2] الأصول الأربعمائة بقوله : هي أربعمئة كتاب ، أطلق عليها عنوان «أصل» بمعنى مرجع لرجوع العلماء إليها واعتمادهم عليه ، وقد انفردت هذه الأصول عند العلماء بمزية انفرادها بمنهجها الخاص في التأليف ، وهو أن الحديث المروي فيها انه برواية مؤلفه عن الإمام مباشرة أو بروايته عمن يرويه عن الإمام مباشرة ... وتمتاز هذه الأصول بشدة الاطمئنان بالصدور والأقربية إلى الحجية والحكم بالصحة.

وهذه الأصول الأربعمئة قد بقي بعضها في خزائن الكتب عند علماء الشيعة ، فقد كان بعضها عند المحدث محمد بن الحسن بن الحر العاملي وعند المجلسي وعند الميرزا حسين النوري وغيرهم ، وأكثرها قد تلف لكن مضامينها محفوظة في الكتب المجموعة منها[3].

وقد جمعت هذه الأصول في أربع موسوعات روائية هي : (الكافي) للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤١م ، و(من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد ابن علي القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م، وكتابا (التهذيب) و(الاستبصار) لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[4].

وبعد تدوين هذه الكتب الأربعة وتكوين الجوامع الأساسية للشيعة أخذت هذه الأصول يطويها النسيان على مر الزمن ، وتلاشت الرغبة في كتابتها وحفظها بعد تثبيت مطالبها في الكتب الأربعة بنظم جديد.

وبعد تعرض بغداد للغزو المغولي سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وحرق المكتبات ، أُحرق بعضها ، إذ كان موجوداً في مكتبة الكرخ ببغداد في القرن الخامس الهجري[5].

١- الصدر ، نهاية الدراية ، ص٥٢٩ ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج٢ ، ص١٣٦ ؛ رضا مؤدب ، تاريخ الحديث ، ص٧٨ .
٢- عبد الهادي ، أصول الحديث ، ط٣ ، (مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، ص٤٨.
٣- الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص١٤٠.
٤- الكلباسي ، الرسائل الرجالية ، تحقيق: محمد حسين الدرايتي ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ، ج٤ ، ص١١٣ ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج١٤ ، ص١٦٥ ؛ حصر الاجتهاد ، تحقيق: محمد علي الأنصاري ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص٤٠ ؛ الأنصاري ، محمد علي ، الموسوعة الفقهية الميسرة ، ط١ ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٤١ ؛ الراضي ، حسين ، سبيل النجاة في تتمة المراجعات ، تحقيق: حسين الراضي ، ط٢ ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت) ، ص٨٩ ؛ الغفاري ، دراسات في علم الدراية ، ص١٥٩ ؛ الغفار ، الكليني والكافي ، ص٤٣٤ ؛ مغنية ، الشيعة في الميزان ، ص٤٣٦ ، أسد حيدر ، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، ج٢ ، ص٥٧٦.
٥- الطهراني ، الذريعة ، ج٢ ، ص١٣٤.

ثانياً : القيمة العلمية لمرويات الإمام الصادق (عليه السلام)

١-الاستشهاد بالسور والآيات القرآنية في توثيق مروياته (عليه السلام) :

امتازت مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) بقيمة علمية عالية ، وتأتي هذه القيمة العالية من المصادر التي اعتمد عليها الإمام (عليه السلام) في بث علومه ومعارفه.

ويأتي القرآن الكريم في مقدمة المصادر التي استقى منها الإمام الصادق (عليه السلام) معرفته التاريخية ، وقد اشتمل القرآن على نصوص تاريخية منبثة في تضاعيف السور تضمنت أخبار الرسول (صلى الله عليه وآله) وما تعرض له من أذى المشركين أو اليهود ، وكيف كان يتعامل معهم.

وقد تعرض القرآن الكريم للكثير من أخبار السيرة النبوية ، ومنها انه تحدث عن نشأته (صلى الله عليه وآله) : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ۞ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾[١] ، وتعرض أيضاً لأخلاقه العالية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٢].

وأشار القرآن الكريم إلى العديد من المعارك الحربية التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته إلى المدينة ، فتحدث عن معركة بدر[٣] ، وعن معركة احد[٤] ، وفتح مكة[٥] ، وغزوة حنين[٦] ، وتحدث أيضاً عن بعض معجزاته كمعجزة الإسراء[٧] ، وانشقاق القمر[٨] ، أو بالإشارة إليه كالمعراج[٩] وغيرها.

وقد كان الأئمة (عليهم السلام) أفضل الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) معرفةً بالقرآن من حيث الظاهر والباطن ، والأهداف والمقاصد ، والأبعاد الحاضرة والمستقبلية ، وغير ذلك من شؤون القرآن ، وقد كانت معرفتهم بالقرآن شاملة ومستوعبة لكل ما يتعلق بالقرآن من قريب أو

١- الضحى : ٥-٦.
٢- القلم : ٤.
٣- الأنفال : ٦ ، ٧ ، ٨. ينظر : الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٩ ، ص٩-١٢.
٤- آل عمران : ١٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣. ينظر : الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٣ ، ص٧٢.
٥- النصر : ١ ، ٢ ، ٣. ينظر : الطوسي ، الخلاف ، تحقيق : السيد علي الخراساني ، وجواد الشهرستاني ، ومهدي نجف ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإعلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ج٥ ، ص٥٢٨.
٦- التوبة : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨. ينظر : العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٨٤ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص١٢٢.
٧- الإسراء : ١. ينظر : ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ج٢ ، ص١٠٣ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١١ ، ص٢٠٨.
٨- القمر : ١-٢. ينظر : الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٩م) ، الخرائج والجرائح ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، ط١ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص١٤٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٧ ، ص١٤١.
٩- النجم : ١٣-١٨. ينظر : الصدوق ، التوحيد ، ص٢٦٢ ؛ علل الشرائع ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) ، ج١ ، ص٢٧٧ ؛ السيد المرتضى ، الأمالي ، تحقيق : السيد محمد بدر الدين الغساني الحلبي ، ط١ ، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م) ، ج١ ، ص١٠٤ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٣٣.

بعيد ، ودليل ذلك أن الإمام علي (عليه السلام) قد حدث نفسه في هذا الشأن كاشفاً عن انه كان يلج في مسائله لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في شأن القرآن من جميع وجوهه. فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: "سلوني عن كتاب الله فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليل ولا نهار ولا مسير ولا مقام إلا وقد اقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلمني تأويلها"[1] وفي رواية أخرى قال : «سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به ، سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا انا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل نزلت أم في جبل»[2].

ومثلما نادى جده أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا النداء ، نادى الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله : "سلوني قبل ان تفقدوني ، فإنه لا يحدثكم أحد بعدي بمثل حديثي"[3].

وقد اعتمدت مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) على القرآن الكريم مصدراً للسيرة النبوية ، لأن القرآن الكريم أشار إلى الكثير من الوقائع النبوية ، ولكنه لم يتعرض لها بالتفصيل ، وإنما تعرض لها إجمالاً ، فهو حين يتحدث عن معركة لا يتحدث عن أسبابها ، ولا عن عدد المسلمين ، وإنما يتحدث عن دروس المعركة وما فيها من عبر السابقين والأمم الماضية ، لذلك لا يستطيع الباحث أن يكتفي بنصوص القرآن المتعلقة بالسيرة النبوية ليخرج منها بصورة متكاملة عن حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، إلا باللجوء إلى المرويات والتفاسير القرآنية للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) لكي يحصل على التفاصيل المتعلقة بالحادثة ، لأن مرويات الإمام (عليه السلام) امتازت بربط الحدث التاريخي الحاصل في أحداث السيرة النبوية بالحدث التاريخي الموجود في القرآن وإعطائه بعداً تاريخياً وعقائدياً في آن واحد ، مثال ذلك ما ورد عنه (عليه السلام) بخصوص إيمان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله : "إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم الله أجرهم مرتين"[4] ، وهذا الربط للحدث التاريخي

١- كتاب سليم بن قيس ، ص٣٣١ ؛ الطوسي ، الأمالي ، ص٥٢٣ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٣٨٨ ؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص٢٦٤.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٣٨ ؛ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، أنساب الاشراف ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، ص٩٩ ؛ العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٨٣ ؛ السمعاني ، تفسير السمعاني ، تحقيق : ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط١ ، (دار الوطن ، الرياض ، د.ت) ، ج٥ ، ص٢٥ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١ ، ص٣٥ ؛ الخطيب التبريزي ، الاكمال ، ص١٢٨ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٣ ، ص١٤٢.

٣- الأربلي ، كشف الغمة ، ج٢ ، ص٣٧٥ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٩ ؛ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١٦٦ ؛ سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ص٢٥٧ ؛ تاريخ الإسلام ، ج٩ ، ص٨٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٩٩.

٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٨ ؛ الصدوق ، الامالي ، ص٧١٢ ؛ معاني الأخبار ، ص٢٨٥ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص١٣٩ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٦ ، ص٢٢٥.

بالتفسير القرآني لحدث آخر مماثل له امتازت به مرويات الإمام (عليه السلام) هو الأصل المعتمد في صحة أحداث السيرة النبوية وقوتها ، وهو المعتمد في كتابة هذه الأحداث. وبعبارة أخرى فان الإمام الصادق (عليه السلام) ومن خلال تفسيره للسور والآيات القرآنية فإنه كان يكشف عن أحداث السيرة النبوية بشكلها الصحيح ، وكان (عليه السلام) يربط الحدث الحاصل في السيرة النبوية مع السورة أو الآية القرآنية ويبين حالة التوافق بين الحدث والآية ليسوقه دليلا عمليا لتطبيق ما ورد في تلك الآية من أخبار ومعلومات بشأن السيرة ، وبذلك يقدم لنا مادة تاريخية نقية تزيل اللبس الحاصل في الفهم الخاطئ لبعض الأحداث وهذا حاصل في رواياته جميعاً (عليه السلام)[1].

وقد أكدت أحاديث الإمام الصادق وكلماته (عليه السلام) ان القرآن الكريم يستوعب حاجات المجتمع البشري كلها، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله بهذا الشأن : "عن الله تبارك وتعالى انزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا انزل في القرآن ؟ إلا وقد انزله الله فيه"[2]. وفي قول آخر له (عليه السلام): "ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال"[3].

٢- الزامه (عليه السلام) تلاميذه بقاعدة عرض النصوص على القرآن والسنة للوثوق من صحتها :

وقد أعطى الإمام الصادق (عليه السلام) أتباعه ومريديه قاعدة لتنقية الأحاديث والمرويات من الشوائب التي علقت بها وهي قاعدة عرض النصوص والأحاديث والروايات على القرآن والسنة ، مما زاد القيمة العلمية لهذه الروايات. وهذه القاعدة لابد من الاعتماد عليها في الأحاديث والمرويات المنقولة جميعاً عن الأئمة (عليهم السلام) ، سواء أكانت تاريخية أم شرعية أم غير ذلك ، فما وافق كتاب الله نأخذ به وما خالفه نتركه ، استناداً لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) "تكثر لكم

١- للمزيد ينظر : الحكيم ، حسن عيسى ، الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في ضوء رواياته التاريخية وخططه البلدانية ، ط٢ ، (مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) ، ص٣٦-٤٧.

٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٩ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج١ ، ص٥٦ ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ج١ ، ص٤٨١ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٣ ، ص٧٤ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١ ، ص١١٤.

٣- البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٠ ؛ الطبرسي ، مشكاة الأنوار ، ص٤٣٦ ؛ المحقق النراقي ، أحمد بن محمد مهدي (ت١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م) ، عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام ومهمات مسائل الحلال والحرام ، ط١ ، (مطلعة تكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٦٤٧.

الأحاديث بعدي ، فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فردوه"[1].

وتأسيساً على ما تقدم من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) فان عدم تعارض الحديث مع ما نطق به القرآن الكريم وموافقته يعد شرطاً من شروط صحته وقبوله ، وهذه القاعدة تجعلنا في مأمن من الدس والكذب والتدليس الذي يطرأ على الأحاديث المروية.

وقد جاءت توجيهات الإمام الصادق (عليه السلام) لتطبيق هذه القاعدة في عدة أحاديث منها :

قال (عليه السلام) : "خطب النبي (صلى الله عليه وآله) بمنى فقال : أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله"[2].

وقال (عليه السلام) : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه"[3].

وقال (عليه السلام) : "كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف[4])[5].

وفي حديث آخر له (عليه السلام) : "إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (عليه السلام) وإلا فالذي جاءكم به أولى به"[6].

وعرض الحديث على القرآن مقياس صحيح أخذ به الكثير من الثقات ، وهو يتفق وقواعد النقد العلمي[7].

وتعدّ قاعدة العرض على كتاب الله من أهم القواعد الأساسية عند الإمام الصادق (عليه السلام) لأنه : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾[8] وقد غفل عن هذه القاعدة العلمية المهمة المحدثون ، على الرغم من أننا لو رجعنا إلى شروطهم في الحديث الصحيح لوجدنا ان

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩ ؛ السرخسي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩١م) ، أصول السرخسي ، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص٣٦٥.

٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩.

٣- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٤- زخرف : أي المموه والكذب المحسَّن والمزور وذكر الخبر بخلاف ما سُئل عنه. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٩ ، ص٩٨..

٥- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٨.

٦- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٧٠.

٧- الغروي ، محمد هادي النجفي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٣٥.

٨- فصلت : ٤٢.

أحد هذه الشروط هو ان لا يكون الحديث شاذاً أو معلولاً ، وقد عرّف الحفاظ[1] الشاذ : بأنه «الحديث المنكر الذي لا يعرف» أو «ما رواه الثقة مخالفاً به الثقات» فإذا روى الثقة حديثاً مخالفاً به الثقات عد حديثه مقدوحاً فيه على قاعدتهم هذه. فما بالك إذا خالف الثقة القرآن المقطوع بصحته ؟ هل يعدّ حديثه مقدوحاً فيه أو لا ؟ ! نعم ولا شك في ذلك بل لا يقبل أبداً ، ويرد بلا تردد أو وجل فما خالف القرآن ردّ مهما كان وممن كان.

ولذلك نجد أهل البيت (عليهم السلام) يصرّون على ضرورة عدم مخالفة الحديث للقرآن فإذا خالفه طُرِح مطلقاً ، وهذا مسلك عظيم وقاعدة قوية يجب العمل بها ويجب ان تحاكم إليها الصحاح جميعها.

٣-سلامة السند في مروياته (عليه السلام) :

والأحاديث المارة الذكر تؤكد أن الفكر التاريخي للإمام الصادق (عليه السلام) ومروياته بخصوص السيرة النبوية أو غيرها موافقة للمنهج القرآني والنبوي في فهم حركة التاريخ ، لان الرأي الذي جاء به (عليه السلام) حول صحة المرويات وتمحيصها هو بعرضها على القرآن والسنة النبوية وعدّ ذلك السند القاضي بقبول الحديث أو رفضه ، وغض النظر عن سند الرجال حتى لا تصبح كتب الحديث المخالفة نظيرة للقرآن تنافسه الحكم والقول ، وهذا ينقلنا إلى ميزة أخرى من الميزات العلمية لمرويات الصادق (عليه السلام) وهي ميزة سلامة السند التي تعد من العوامل المهمة في صحة المرويات من عدمها.

كان الإمام الصادق (عليه السلام) ينقل رواياته لتلاميذه وكانوا شيعتهم وسنتهم يكتبونها الا ان أهل السنة كانوا ينقلون الحديث عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وبعبارة أخرى ينقلون الحديث عنه مع ذكر السند كاملاً ، بينما كان تلامذته من الشيعة ينقلونه عن أبي عبد الله (عليه السلام) من دون بقية السند إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لان اعتقاد الشيعة

١ - الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ، تحقيق: أحمد عمر هاشم ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص١٧١ ؛ ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن السهرزوري (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٤م) ، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ص٦٠ ؛ الالباني ، محمد ناصر الدين ، إرواء الغليل ، تحقيق: زهير الشاويس ، ط٢ ، (مطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص١٧٧ ؛ تمام المنة في التعليق على فقه أهل السنة ، ط٢ ، (دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ص١٥ ؛ محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٢٥٥ ؛ أبو حبيب ، سعدي ، القاموس الفقهي ، ط٢ ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٨٠.

بعصمة الأئمة وإمامتهم وحجية قولهم بوصفهم (عليهم السلام) امتداداً للنبوة الطاهرة يغنيهم عن ذكر السند[1]. وإن الأدلة القطعية من الكتاب المحكم والسنة المتواترة دلت على طهارتهم من الكذب والباطل، ووجوب إتباعهم والأخذ منهم، أدت إلى أن أتباعهم ومحبيهم لا يسألون عن سند ما يروونه من الأحاديث، ولا عن مدرك ما يدلون به من أحكام، وقد جرى هذا الأمر لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) مجرى المُسلَّمات[2].

ولكي يضع الإمام الصادق (عليه السلام) قاعدة الإسناد هذه بشكلها الواضح والصحيح، الذي روته معظم المصادر والمؤلفات الإسلامية[3]، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: "حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليه السلام)، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو قول الله عز وجل". إذن فالأحاديث المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) – من وجهة نظر الإمام الصادق (عليه السلام) – هي في حقيقتها أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ولم تكن مسألة السند وليدة مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) بل سبقه إلى ذلك أبوه الإمام الباقر (عليه السلام). فقد روى الشيخ المفيد[4] بسنده عن جابر، قال: «قلت لأبي جعفر (عليه السلام) إذا حدثتني بحديث فأسنده لي؟ فقال: حدثني أبي، عن جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الله عز وجل، وكل ما أحدثك بهذا الإسناد".

وروى في الإرشاد[5] مرسلاً، قال: وروى عنه (عليه السلام) انه سُئل عن الحديث، ترسله ولا تسنده؟! فقال: "إذا حدثت الحديث فلم أسنده، فسندي فيه: أبي، عن جدي، عن أبيه، عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل، عن الله عز وجل".

١- جعفريان، رسول، الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل البيت (b)، ط١، (منشورات دار الحق، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج٢، ص٢٧٤.
٢- الحسيني، محمد رضا، المصطلح الرجالي، بحث منشور في مجلة تراثنا الصادرة عن مؤسسة آل البيت (b) لإحياء التراث، قم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج٣، ص١٣٨.
٣- الكليني، الكافي، ج١، ص٥٣؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص٢١١؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٢، ص٨٩٥؛ الشهيد الثاني، منية المريد، ص٣٧٣؛ عبد الصمد العاملي، وصول الأخبار، ص١٥٣؛ الحويزي، نور الثقلين، ج٥، ص١٤٨.
٤- الأمالي، ص٤٢. وللمزيد ينظر: السبحاني، مفاهيم القرآن، ص٣٥٠.
٥- الشيخ المفيد، ص١٦٧؛ وينظر: الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص٢٠٤؛ الأربلي، كشف الغمة، ج٢، ص٣٣٩؛ الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٦٥٦.

واستمرت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بعد الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان السند في الحديث. فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) قوله : "إنا عن رسول الله نحدّث ، ولا نقول قال فلان وقال فلان ، فيتناقض كلامنا ، إن كلام آخرنا مثل كلام أولنا ، وكلام أولنا مصادق لكلام آخرنا..."[1].

وفي سلامة السند لروايات الإمام الصادق (عليه السلام) قال الحاكم النيسابوري[2] : «إن أصح أسانيد أهل البيت جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي إذا كان الراوي عن جعفر ثقة». وقال الجندي[3] «والشيعة يكفيهم أن يصلوا بالحديث إلى الإمام ...لا يطلبون إسناداً قبل الإمام جعفر (عليه السلام) ... بل لا يطلبون إسناداً قبل الأئمة عموماً ؛ لأن الإمام بين ان يكون يروي عن الإمام الذي أوصى له ، وبين ان يكون قرأ الحديث في كتب آبائه ، إلى ذلك فإن ما يقوله سنة عندهم ، فهو ممحص من كل وجه... فليست روايته للحديث مجرد شهادة به ، بل هي إعلان لصحته".

وقال الكليدار[4] : «وهذه النصوص التي أوضحت جوانب من السيرة النبوية قد استقى بعضها الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده وصولاً إلى الإمام علي (عليه السلام) فهي ذات قيمة تاريخية مهمة لسلامة إسنادها . ولمعاصرة كل من الإمام علي والحسن والحسين (عليهم السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن هؤلاء وصلت أخبار السيرة إلى الإمام الصادق (عليه السلام) لذا نجده قد أرخ للسيرة النبوية بدءاً من مولد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحتى وفاته وفق التسلسل الزمني لحياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ".

وعند الشيعة الامامية هناك آلاف الأحاديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) وغيره من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أجمعين مباشرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من دون سند ، وهذا عندهم حجة على كل الأحوال لان الإمام عندهم معصوم ولا يحتاج إلى سند ليصدقوه ، فهو إنْ نَسَبهُ إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جزموا بصدوره عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنه معصوم وعالم بالواقع أيضاً

١- الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٩٠.
٢- معرفة علوم الحديث ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي ، ط٤ ، (منشورات دار الآفاق الحديث ، بيروت ، ١٤٠٠هـ١٩٨٠م) ، ص٥٥.
٣- الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، ص٢٠٣.
٤- حيدر محمد حسن عباس ، الإمام الصادق ودوره في المعرفة التاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ص١٠٨.

ولأنه (عليه السلام) لا يروي في الأصل إلا عن آبائه المعصومين (عليهم السلام) ، إلا إذا صرح بخلاف ذلك كأن يروي عن سلمان أو جابر فحينئذ يجب عليه البيان (عليه السلام)[1].

وأكدت مصادر الجمهور هذه الحجية بذكرها ما ورد عن الصادق (عليه السلام) عن أبي بكر بن عياش[2] انه قيل له: «مالك لم تسمع من جعفر بن محمد وقد أدركته ؟! فقال: سألناه عن ما يتحدث به من الأحاديث شيئاً سمعته ؟ قال: لا ولكنها رواية رويناها عن آبائنا»[3]. فمن الواضح من هذه الأقوال الصادرة عن الإمام (عليه السلام) أنه كان يقصد عدم ذكر السند لتميزه من غيره في أنه لا يروي إلا عن آبائه ، عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه وآباءه فوق التوثيق وانه لا يحتاج إلى ذكرهم لأن قولهم حجة.

والإمام أبو حنيفة نفسه يؤمن بعصمة عدد كبير من الأحاديث التي وردت من طريق أهل البيت (عليهم السلام) حتى انه سمع في أحد الأيام حديثاً للإمام الصادق (عليه السلام) ولما خرج من عنده سُئِلَ : "لماذا لم تسأل جعفر بن محمد عن السند الذي نقل إليه الحديث عن النبي ؟ قال : ماذا أقول لرجل يقول قال رسول الله؟"[4].

وهناك علماء لديهم معلومات كثيرة ، لكنهم يجمعون كل شيء أينما يرونه وينقلونه بأجمعه من دون أن يتدبروه ، لمعرفة مدى ملاءمته ودقته ؟ والعجيب انه مع وجود روايات تقول : «إن الراوي ينبغي أن يكون ناقداً ، وأن لا ينقل كل ما سمعه» ، نرى الكثير من هؤلاء المحدثين والرواة والمؤرخين لا يراعون هذه القاعدة.

ومن الانتقادات التي يوجهها ابن خلدون[5] لبعض المؤرخين أنهم يبحثون عن صحة السند فقط في نقلهم للتاريخ ، فيقول : «قبل هذا ينبغي أن نبحث في صحة المضمون ، فلابد من التفكير في أن هذا المطلب هل ينسجم مع المنطق أو انه لا ينسجم».

ومما يؤسف عليه أن الفقهاء مثلاً استندوا في موقفهم من الروايات المنسوبة للرسول (صلى الله عليه وآله)

١- للمزيد ينظر : الحسيني ، المصطلح الرجالي ، ج٣ ، ص١٣٨ وما بعدها ؛ خليفات ، وركبت السفينة ، ص٥٧٧ وما بعدها.
٢- أبو بكر بن عياش : قيل اسمه شعبة بن عياش ، وقيل غير ذلك ، والغالب على اسمه كنيته ، مات سنة ثلاثة وتسعين بعد المئة. ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٤ ، ص٣٧٤ وما بعدها ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٣ ، ص١٢٩ وما بعدها.
٣- ابن عدي ، الكامل ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٥ ، ص٧٧ ، ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص٨٨.
٤- المفيد ، الأمالي ، ص٢١.
٥- المقدمة ، ص٣٤٤.

على أساس قاعدة نقد السند لا نقد المتن ، فهم في مواجهة هذا الكم الهائل من الروايات التي تهين الرسل والرسول خاصة وتشكك في الدعوة التي بعث بها لا يعملون عقولهم في نصها ومحتواها وأبعادها ، ما يعنيهم من أمرها هو بحث كونها صحيحة أو ضعيفة أو موضوعة من حيث سلسلة الرواة الذين يروونها فإذا سلم هؤلاء الرواة من التجريح سلمت الرواية مهما يكن محتواها ونصها[1].

وعلى هذا الأساس جرى تمرير الكثير من النصوص المنسوبة للرسول (صلى الله عليه وآله) تحت دعوى صحتها وسلامتها من ناحية السند.

وهناك روايات منكرة متناً وصحيحةً سنداً ، فهذه لا تُقبل لأنها لا تلائم العقل والمنطق في محتواها رغم صحة سندها. وهناك روايات منكرة سنداً وصحيحة متناً ، فيأخذ بها لأنها لا تعارض نصوص القرآن والسنة. وهذا الإجراء يعدّ تنفيذاً فعلياً لقول الإمام الصادق (عليه السلام) عن محمد بن مسلم قال ، قال أبو عبد الله (عليه السلام) : "يا محمد ما جاءك في رواية من بر أو فاجر يوافق القرآن فخذ به ، وما جاءك في رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به"[2]. وهذه الرواية صحيحة السند لأن راويها محمد بن مسلم الذي كان من أوثق الناس كما يقول النجاشي[3] وابن داوود[4] وكان من حواري أبي جعفر محمد بن علي وابنه جعفر بن محمد الصادق (عليهما السلام) .

يقول الغروي[5] إن هذا الأمر فرض علينا أن نتخذ من المبادئ القرآنية ، وشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) مقياساً لتقييم كثير من النصوص والحكم عليها من خلال انسجامها مع كل ذلك ، وهكذا بالنسبة إلى كل شخصية من إمام معصوم وغيره حصلنا منه على علم عام بسيرته وأخلاقه ، مستعينين بالكثير من أدوات البحث الأخرى التي توفرها الممارسة الطويلة في هذا الموضوع كتناقض النصوص ، أو التوصل إلى عدم إمكان وقوع ذلك الحدث في تلك المدة

١- الورداني ، صالح ، دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م) ، ص١١.
٢- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٨ ؛ الأنصاري ، الشيخ مرتضى (ت١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م) ، فرائد الأصول ، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج١ ، ص٢٤٤.
٣- رجال النجاشي ، ص٣٢٣.
٤- خلاصة الأقوال ، ص٢٥١ ؛ وينظر : صاحب المعالم ، الشيخ حسن (ت١٠١١هـ/ ١٦٠٣م) ، التحرير الطاووسي ، تحقيق: فاضل الجواهري ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٤٩٤ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج٩ ؛ ص٥٧٢.
٥- موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص٦٢.

الزمنية ، أو بالنسبة إلى الشخصية المنسوب إليها.

إن حالة عدم الأمانة التامة لا تدعنا نعتمد الأسانيد لتكون ميزاناً نهائياً ومقياساً مطلقاً في موضوع التاريخ ، إذ ان ذلك يعني ان نحصر أنفسنا في حصار نصوص يسيرة لا تكاد تفي حتى بالفهرسة الإجمالية لسيرة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) ومجمل تاريخ صدر الإسلام ، ويعني ان نفقد الكثير من النصوص الصحيحة التي لم تحتفظ بسند فيه أدنى شروط القبول ، وسوف يفقد الناقد حرية حركته بين النصوص للاستنتاج.

إن أخطر ما وقعت فيه الأمم السابقة هو عبادة الرجال ، وهو ما نص عليه قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ . . . ﴾[1] ، وقد وقعت الأمة الإسلامية في هذا الأمر حين حكمت الروايات وأقوال الرجال في كتاب الله ... وحين رفعت الرجال فوق النصوص وحين تعبدت بروايات تهين الرسول (صلى الله عليه وآله) وغيره من الرسل وقبلت تبريرات الفقهاء وتأويلاتهم حول هذه الروايات.

وهنا يجب ان نخضع هذا الكلام للدراسة والتحليل والنقد بإخضاع هذه الروايات للعقل والفطرة السليمة وضبطها بالقرآن ، حتى يتبين لنا أنها من صنع الرجال ، والهدف من ذلك هو إثبات أن كتاب الله هو العقيدة الحقة والبرهان المبين الذي يبطل حجج الروايات وأقوال الرجال أجمعين. لأن القرآن الكريم لم ينص على شيء يمس الرسل ويقلل من شأنهم ويحط من قدرهم ويشوه صورتهم إنما تتركز هذه النصوص في دائرة كتب السنن وشروحاتها ، أي تتركز في نصوص منسوبة للرسول (صلى الله عليه وآله) ونصوص منسوبة للصحابة ، وشروح للفقهاء تدور حول هذه النصوص[2].

وفي هذا الشأن قال أحمد أمين[3] : «إن المحدثين والعلماء لم يعتنوا بمتن الحديث عنايتهم بالسند ، وان بعض الأحاديث وان كانت صحيحة السند ، فأن متنها يدل على الوضع إذا ما عرضته للتجربة أو على العقل أو الواقع ، واستدل لذلك بأحاديث مثل حديث «الكمأة من

١- التوبة : ٣١.
٢- صالح الورداني ، دفاع عن الرسول ، ص١١.
٣- ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص١٠١ وما بعدها.

المن[1] وماؤها شفاء للعين»[2] وحديث : «العجوة[3] من الجنة وهي شفاء من السم»[4] ، وتعجب احمد أمين[5] قائلاً : فهل اتجهوا في نقد الحديث إلى امتحان الكمأة ؟ وهل فيها مادة تشفي العين ؟ أو العجوة ؟ وهل فيها ترياق ؟.

وهذا يعني أن الرجوع لمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) التي تخضع للقرآن والسنة وقوانين العقل والمنطق ، وهي قاعدة فرضها الإمام (عليه السلام) على مروياته لتكون شرطاً من شروط الأخذ بها وهو الطريق الأصوب لمعالجة الأخبار الخاصة بالسيرة النبوية التي تأثرت بمسألة الأسانيد المارة الذكر ، لان الإمامية ترى إن علم الإمام لا يدخل فيه الرأي والاجتهاد فيحاسب الإمام على المصدر والسند ، وإنما علمه إلهي موروث ، نعم ربما يسأله السائل علة الحكم ، سؤال تعلُّم فائدة لا سؤال رد وجدل[6].

والإمام الصادق (عليه السلام) كسائر الأئمة علمه لم يكن كسباً وأخذاً من أفواه الرجال ومدارسهم ، ولو كان كذلك فممن أخذ وعلى يد من تخرج ؟ وليس في تاريخ واحد من الأئمة (عليهم السلام) أنه تتلمذ أو قرأ على واحد من الناس حتى سن الطفولة فلم يذكر في تاريخ طفولتهم أنهم دخلوا الكتاتيب أو تعلموا القرآن على المقربين كسائر الأطفال من الناس ، فما علم الإمام إلا وراثة عن أبيه عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن جبرئيل عن الجليل تعالى.

وقد ألف الشيخ محمد بن علي التبريزي كتاباً أسماه (سلاسل الذهب فيما يرويه العترة عن سيد العجم والعرب) جمع فيه الأخبار التي رواها المعصومون عن جدهم النبي (صلى الله عليه وآله) مسنداً[7].

١- المن : نوع من أنواع النبات الذي نزل على بني إسرائيل ، أي مما خلقه الله لهم في التيه ، كان ينزل عليهم في شجرهم مثل السكر ، وقد ورد في قوله تعالى : {وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} البقرة : ٥٧. ينظر : المناوي ، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١هـ/ ١٤٤١م) ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، تحقيق: أحمد عبد السلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٥ ، ص٨٤.

٢- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص١١.

٣- العجوة : ضرب من التمر ، وهي من أجود أنواع التمر في المدينة. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص٣١.

٤- مسلم ، صحيح مسلم ، ج٦ ، ص١٢٤.

٥- ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص١٠١ وما بعدها.

٦- المظفر ، الإمام جعفر الصادق (g) ، ص١٣٥.

٧- الطهراني ، الذريعة ، ج١٢ ، ص٢١١.

٤-انسجام مضمون مروياته (عليه السلام) مع صفات الشخصية المحمدية وخصائصها ومميزاتها – (العصمة) :

العصمة : هي التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها ، وعن الخطأ والنسيان ، وان لم يمتنع عقلاً على النبي ان يصدر منه ذلك ، بل يجب ان يكون منزهاً حتى عما ينافي المروءة ، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال ، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام[١].

والدليل على وجوب العصمة ، انه لو جاز ان يفعل النبي المعصية أو يخطئ وينسى ، وصدر منه شيء من هذا القبيل ، فأما يجب إتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ أو لا يجب ، فإن وجب إتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى ، بل وجب علينا ذلك ، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل ، وان لم يجب إتباعه فذلك ينافي النبوة التي لابد ان تقترن بوجوب الطاعة أبداً[٢].

والعصمة عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادراً على المعاصي كلها ، كجائز الخطأ ، وليس معنى العصمة ان الله يجبره على ترك المعصية ، بل يفعل به ألطافاً يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها ، كقوة العقل وكمال الفطنة والذكاء ونهاية صفاء النفس وكمال الاعتناء بطاعة الله تعالى ، ولو لم يكن قادراً على المعاصي بل يكون مجبوراً على الطاعات لكان منافياً للتكليف وعدم الإكراه في الدين ، والنبي أول من كلف ، حيث قال : ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾[٣] ، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٥] ، فلو لم يكن قادراً على المعصية لكان أدنى مرتبة من صلحاء المؤمنين القادرين على المعاصي التاركين لها[٦].

١- المظفر ، محمد رضا ، عقائد الامامية ، تحقيق: حامد حفني داود ، (مطبعة بهمن ، قم ، د.ت) ، ص٥٣ ؛ الجزائري ، محسن ، بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، ط٥ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص٢٤٩.
٢- المظفر ، عقائد الامامية ، ص٥٤.
٣- الزخرف : ٨١.
٤- الأنعام : ١٦٣.
٥- الحجر : ٩٩.
٦- الصافي ، لطف الله ، رسالتان حول العصمة ، تحقيق: لجنة التحقيق في مؤسسة الإمام الصادق (g) ، (منشورات دار القرآن ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٨٨.

واستناداً لما تقدم يثبت لنا بالدليل القطعي الصحيح ان شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) هي من أعلى درجات الطهر والعصمة والحكمة والشجاعة ، وانه يتحلى بكل الصفات النبيلة والفاضلة ، جامعاً لكل القيم الإنسانية السامية ، فلابد من جعل كل ذلك معياراً وميزاناً لأي نص يروى بشأنه ، أو يريد أن يسجل لنا قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو موقفاً له (صلى الله عليه وآله).

فإذا لم يكن النص منسجماً وهذه الخصائص والمميزات الثابتة بالدليل القطعي الصحيح فأنه لا يمكن قبوله ، كما لو نسب النص – والعياذ بالله – الرذيلة والفجور لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أو عبادة الأصنام ، أو التصرفات التي تعبر عن جهله أو عدم اتزانه ، فأننا لا نتردد في رفض مثل هذا النص ، كذلك لا نقبل ان تنسب إلى احد من الأئمة (عليهم السلام) تصرفات لا تليق بمقامهم الثابت.

لهذا كله ، أكدت مصادر الشيعة الامامية ان اعتقادهم في الأنبياء أنهم معصومون من الذنوب ، كبيرها وصغيرها ، قبل النبوة وبعدها ، لا يصدر عنهم ما يشين لا عمداً ولا سهواً ، وأنهم منزهون عن دناءة الآباء وعهر الأمهات ، وعن الفظاظة والغلظة وعن الأعمال المباحة المنافية للتعظيم والتوقير كالأكل في الطريق ، وأنهم لا يعصون أمر الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفي عنهم العصمة في شيء فقد جهلهم[1].

بينما نجد ان هناك الكثير من الروايات عند المذاهب الإسلامية من غير الإمامية ، تؤكد ان شخص الرسول (صلى الله عليه وآله) يخطئ ، وينسى ، وهناك أحاديث تفضح الحياة الخاصة للرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهناك أحاديث أخرى تظهر الرسول (صلى الله عليه وآله) بانه شخص أقل من المستوى الاعتيادي في مختلف مجالات الحياة ، فهو يلعن الآخرين من غير استحقاق ، ولا يصبر عن النساء ، وهو أمر يفرض عليه ان يصطحب معه في كل غزوة واحدة من نسائه ، ويوجد في صحابته من هو أشد حياءً منه ، ويبول واقفاً ، إلى غير ذلك من السلوكيات الشائنة والعياذ بالله[2].

١ – الصدوق ، الاعتقادات ، ص٩٦ ، باب الاعتقاد في العصمة.

٢ – للمزيد ينظر : الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٧ ، ص١١٤ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص١٢٧ ؛ البدري ، السيد سامي ، المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ط٢ ، (مطبعة برهان ، بغداد ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص٤٧ ؛ صالح الورداني ، دفاع عن الرسول ، ص٢٤٥.

وكمثال على ما ذكرنا : روى البخاري[1] ومسلم[2] : «ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى العصر ركعتين ، ودخل حجرته ثم خرج فذكره بعض من كان معه فأتمها".

حاشا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يسهو في صلاته ولا يدري كم صلى ، فإذا كان الإنسان الاعتيادي يخجل من زوجته وأولاده إذا نسي صلاة أو ركعة فكيف بسيد الكائنات المصطفى الذي اصطفاه الخالق جل وعلا عن العالمين. ولكنه الكذب لتبرير فعل السلاطين والأمراء الذين كانوا كثيراً ما يأتون الصلاة وهم سكارى فلا يدرون كم يصلون ، وقصة الوليد بن عقبة[3] الذي صلى بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت اليهم وقال : أزيدكم أو يكفيكم ؟ مشهورة في الكتب والمؤلفات[4].

يقول الله سبحانه وتعالى في حق نبيه (صلى الله عليه وآله) : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾[5] ، وقال أيضاً: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾[7] ، وتدل هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كل شيء.

أما شخصية النبي عند الإمام الصادق (عليه السلام) فهي شخصية متكاملة متجانسة مع روح الإسلام وطبيعة الوحي ، وليست شخصية مهزوزة متقلبة ضعيفة الجذور متلونة أخلاقياً. فمدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) ترفض أي مساس بشخص الرسول (صلى الله عليه وآله) كالسحر والخطأ والنسيان وتعرية حياته الشخصية ومشاركة بعض الصحابة له في شؤون الوحي ونسبة الكفر إلى والديه وعمه.

ولهذا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) يتألم لظلم الناس للأنبياء ، فعن علقمة قال : قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) وقد قلت له : "يا ابن رسول الله أخبرني من تقبل شهادته ومن لا

١- صحيح البخاري ، ج٧ ، ص٢٨. باب الأدب – باب ما يجوز من ذكر الناس.
٢- صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٨٤. باب السهو في الصلاة.
٣- الوليد بن عقبة : واسمه أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسم أبي عمرو ذكوان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قيل انه كان عبداً لأمية فاستلحقه. وهو الذي نزل فيه قول الله عز وجل : {إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ} وكان الوليد بن عقبة فاسقاً شريب للخمر ، وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : "جلد علي (عليه السلام) الوليد بن عقبة في الخمر أربعين جلدة بسوط له طرفان". ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٥٢ ؛ التمهيد ، ج٢ ، ص١٨٣ .
٤- الصنعاني ، المصنف ، ج٢ ، ص١٩ ؛ البيهقي ، معرفة السنن والآثار ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ج٦ ، ص٤٥٩ ؛ السنن الكبرى ، ج٨ ، ص٣١٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٧ ، ص٢٢٨.
٥- المائدة ٦٧.
٦- النجم : ٣-٤.
٧- الحشر : ٧.

تقبل شهادته ؟ فقال : يا علقمة ، كل من كان على فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له : تقبل شهادة المقترف للذنوب ؟ فقال : يا علقمة لو لم تقبل شهادة المقترفين للذنوب لما قبلت إلا شهادات الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ، لأنهم المعصومون دون سائر الخلق ، فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً أو لم يشهد عليه بذلك شاهدان ، فهو من أهل العدالة والستر ، وشهادته مقبولة ، وان كان في نفسه مذنباً ... قال علقمة : فقلت للصادق (عليه السلام) : يا ابن رسول الله ان الناس ينسبونا إلى عظائم الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا ، فقال (عليه السلام) : يا علقمة ان رضا الناس لا يملك ، وألسنتهم لا تضبط ، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام ؟!

ألم ينسبوا يوسف إلى أنه هم بالزنا ؟! ألم ينسبوا أيوب إلى انه ابتلى بذنوبه ؟! ألم ينسبوا داوود إلى انه تبع الطير حتى نظر إلى امرأة اوريا فهواها ! وإنه قدم زوجها أمام التابوت حتى قتل ثم تزوج بها ؟!

ألم ينسبوا إلى مريم بنت عمران أنها حملت بعيسى من رجل نجار اسمه يوسف ؟!

ألم ينسبوا إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)أنه شاعر مجنون ؟ ألم ينسبوه إلى أنه هوى امرأة زيد بن حارثة[1] فلم يزل بها حتى استخلصها لنفسه ؟! ألم ينسبوه يوم بدر إلى انه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء ! حتى أظهره الله على القطيفة ، وبرأ نبيه من الخيانة ، وأنزل بذلك كتابه : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2] ! ألم ينسبوه إلى انه ينطق عن الهوى في ابن عمه علي حتى كذبهم الله عز وجل فقال سبحانه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[3] ؟!

ألم ينسبوه إلى الكذب في قوله : إنه رسول من الله إليهم ؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه :

١- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، أبو أسامة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان ابن اسحاق يقول زيد بن حارثة بن شرحبيل ولم يتابع على قوله شرحبيل وإنما هو شراحيل ، كان زيد قد اصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام في سوق حباشة وهي سوق بناحية مكة ، اشتراه حكيم لخديجة بنت خويلد فوهبته خديجة لرسول الله فتبناه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة قبل النبوة وهو ابن ثماني سنين. وقال عبد الله بن عمر : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم ، وقتل زيد بن حارثة بمؤتة سنة ثمان للهجرة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٠ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٣٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٤٢-٥٤٤ ؛ الاصبهاني ، دلائل النبوة ، ج٢ ، ص٦٩٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٩ ، ص٣٤٣.

٢- آل عمران : ٦١.

٣- النجم : ٣-٤.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]؟!

ولقد قال يوماً: عرج بي البارحة إلى السماء، فقيل: والله ما فارق فراشه طول ليلته»[2].

٥- ابتعاد مروياته (عليه السلام) عن التأثر بالمعجزات:

الدارس لمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) يجد أنها تحتكم دائماً إلى العقل والمنطق الذي صرح به القرآن الكريم، لان الدين الإسلامي هو دين العقل والدليل العلمي.

إن معجزة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) الخالدة هي القرآن الكريم، المعجز ببلاغته وفصاحته، في وقت كان فيه فن البلاغة معروفاً، وكان البلغاء هم المقدمين عند الناس بحسن بيانهم وسمو فصاحتهم فجاء القرآن كالصاعقة، أذلهم وأدهشهم، وأفهمهم أنهم لا قبل لهم به فخنعوا له مطيعين عندما عجزوا عن مجاراته وقصروا عن اللحاق بغباره[3].

وقد أكد الإمام الصادق (عليه السلام) في روايات عديدة ان معجزة محمد (صلى الله عليه وآله) هي القرآن الكريم، وكمثال على واحدة من هذه الروايات قال اليعقوبي[4]: «وروى جعفر بن محمد انه قال: إن الله لم يبعث نبياً قط إلا بما هو أغلب على أهل زمانه، فبعث موسى بن عمران إلى قوم كان الأغلب عليهم السحر فأتاهم بما ضل معه سحرهم من العصا ... وانفلاق البحر وانفجار الحجر حتى خرج منه الماء والطمس على وجوههم، فهذه آياته، وبعث داوود في زمن أغلب الأمور على أهله الصنعة والملاهي فألان الحديد وأعطاه حسن الصوت فكانت الوحوش تجتمع لحسن صوته ... وبعث عيسى في زمان أغلب الأمور على أهله الطب فبعثه بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وبعث محمداً في زمان الأمور على أهله الكلام والكهنة والسجع والخطب فبعثه بالقرآن المبين والمحاورة».

إذن يتضح من رواية الإمام الصادق (عليه السلام) أن المعجزات التي جاء بها الأنبياء كانت محددة بحدود مكانية وزمانية، لم يشاهدها من لم يحط في بلدها ولم يرها من تأخر زمانه عن

١- الأنعام: ٣٤.
٢- الصدوق، الأمالي، ص١٦٣؛ البحراني، الحدائق الناظرة، ج١٠، ص٣٤؛ الجواهري، جواهر الكلام، ج١٣، ص٢٨١.
٣- المظفر، عقائد الامامية، ص٦١.
٤- تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٤.

زمان وقوعها. فقد شاهدها أناس معدودون وحدثوا بها الآخرين. ولكن معجزة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) موجودة في كل عهد وزمان، وفي صقع ومكان، ماثلة أمام كل نسل وجيل، وان محمداً يتلو آيات ربه في كل مكان وزمان على كل أحد في كل يوم، انه رسول الله إلى الناس كافة وبني البشرية بأجمعها[1].

لذلك تحدى القرآن الكريم كل المناوئين له في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[2]. ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور في قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3] ثم تحداهم بسورة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

فلم يستطيعوا، وإذا قرأنا القرآن بتدبر وإمعان علمنا منه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الآخر لم يتحد خصومه بمعجزة غير القرآن، ولم يأتهم بمعجزة سواه – هذا بعد النبوة فكيف قبلها – وهذا واضح من القرآن نفسه، وذلك لأننا نرى عند تلاوتنا الآيات القرآنية أن الكفار كلما سألوه أن يأتيهم بآية أحالهم إلى الله، وقال لهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[5].

وقد حكى لنا القرآن الكريم ذلك بصورة مفصلة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ﴾[6] فلم يكن جوابه لهم إلا ما جاء بعد هذه الآية من قوله تعالى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾[7].

وهكذا يقرر القرآن بصراحة ووضوح أن محمداً (صلى الله عليه وآله) إنسان رسول، انه لا يعتمد في دعوى الرسالة على الخوارق والمعجزات، وإنما يخاطب العقول والقلوب. وان ميزته

١- للمزيد ينظر: الصدر، رضا، محمد (صلى الله عليه وآله) في القرآن، ط٢، (مطبعة قدس، قم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٥٤.
٢- الإسراء: ٨٨.
٣- هود: ١٣.
٤- البقرة: ٢٣.
٥- الكهف: ١١٠، فصلت: ٦.
٦- الإسراء: ٩١-٩٣.
٧- الإسراء: ٩٣.

الواضحة في سيرته (صلى الله عليه وآله) أنه ما آمن به أحد من طريق مشاهدته لمعجزة خارقة ، بل عن اقتناع عقلي ووجداني ، وإذا كان الله قد أكرم رسوله بالمعجزات الخارقة فما ذلك إلا إكرام له (صلى الله عليه وآله) وإفحام لمعانديه المكابرين.

والمعجزة عندما تحصل فانها تكتفي بمدة زمنية محددة وجماعة صغيرة من الناس محددين أيضاً ، ولا تصلح لجميع الأزمان والعصور ، بينما جاء القرآن ليلائم كل العصور والأزمان.

إن بقاء الدين حتى نهاية البشر لا يحتاج معجزات حسية آنية تحدث زمن الرسول فقط، بقدر ما تحتاج حقائق مقنعة تبقى لكل الأجيال لمن أراد أن يتدبر. لأن المعجزة الحسية تنطبق على الأنبياء السابقين فقط لأنهم أرسلوا لقوم معينين وتنتهي مهمتهم بمجيء نبي جديد ، أما معجزة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فلابد أن تكون مستمرة ، لأنه (صلى الله عليه وآله) جاء لكل الناس ولجميع الأمم فلابد أن تكون مستمرة ، ولن تكون مستمرة إذا كانت حسية ، فلابد ان تكون المعجزة عقلية ، فكان القرآن الكريم.

ولكن هذا لا يعني عدم حصول المعجزات والكرامات الخاصة بنبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) ، فقد حصلت الكثير من المعجزات والآيات الدالة على عظمته (صلى الله عليه وآله) إلى درجة أذهلت المشركين وردعتهم بقوة مثال ذلك ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) : "... لما انصرف النبي (صلى الله عليه وآله) ثم نظر في أمورهم ، فقال أبو جهل : لئن أصبحت وهو قد دخل المسجد لأطرحن على رأسه أعظم حجر أقدر عليه ، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد فصلى ، وأخذ أبو جهل الحجر وقريش تنظر ، فلما دنا رمى الحجر من يده ، وأخذته الرعدة فقالوا : مالك ؟ قال : رأيت أمثال الجبال مقنعين في الحديد لو تحركت أخذوني"[1].

هذه هي المعاجز والكرامات الحقيقية المنقولة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وبهذا أنقذ الخالق جل وعلا نبيه الأكرم من هؤلاء الأشرار بهذه المعجزة والكرامة الخالدة.

٦-ابتعاد مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) عن التعصب والعصبية :

إن التجارب التي يختزنها الإمام الصادق (عليه السلام) في طرحه لقضايا السيرة النبوية فريدة

١ - الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٩٤.

في نوعها ، وتوفر فرصة للباحث للخوض في غمار هذه السيرة ، لانها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم ، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

والتعصب هو مناصرة المرء لقومه ، أو أسرته ، أو وطنه ، فيما يخالف وينافي الحق والعدل ، وهو من أخطر النزعات وافتكها في شرذمة المسلمين وتفريق شملهم ، وإضعاف طاقاتهم الروحية والمادية ، وقد حاربها الإسلام وحذر منها الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار (عليهم السلام).

عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال : "إن الله تبارك وتعالى قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية ، وتفاخرها بآبائها ، إلا إن الناس من آدم ، وآدم من تراب ، وأكرمهم عند الله أتقاهم"[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية ، بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية"[2].

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية"[3].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "من تعصب أو تُعُصِّب له خلع ربقة الإسلام من عنقه"[4].

وهكذا تقف مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في كل علومها وسلوكها وتاريخها هذا الموقف الصلب تجاه العصبية والتعصب ، وقد تجسد هذا الموقف في مراحل حياتهم جميعاً (عليهم السلام) ، لذا من الأجدر الرجوع إليهم في كتابة سيرة نبينا الأعظم لخلو مروياتهم من الانحياز والميول والأهواء ، تلك الصفات التي طغت على المخالفين لهم ، وزورت الكثير من الحقائق من اجل الأمور الدنيوية الوضيعة.

١- الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ج٤ ، ص٣٦٣ ؛ الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص٤٣٨ ؛ ابن ادريس الحلي ، مستطرفات السرائر ، ص٦١٩ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٦ ، ص٤٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٧٤ ، ص٥٣ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٧٦.

٢- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٣٠٨ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص٣٧١.

٣- أبو داود ، سنن أبي داود ، ج٢ ، ص٥٠٢ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص١٤٦ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٣ ، ص٥٠٩ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٤٦٦ ؛ المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، تحقيق : احمد عبد السلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٥ ، ص٤٩٢.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٣٠٧ ؛ الصدوق ، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، د.ت) ، ص٢٧٠ .

وأصدق شاهد على واقعية الإسلام ، واستنكاره للنعرات العصبية المفرقة ، وجعله الإيمان والتقى مقياساً للتفاضل ، أن أبا لهب وهو من صميم العرب ، وعم النبي (صلى الله عليه وآله) ، صرح القرآن بثلبه وعذابه ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ Q مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ Q سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[1] وذلك بكفره ومحاربته لله ورسوله.

لقد عانت السيرة النبوية كثيراً وتأثرت بظاهرة العصبية والتعصب ، تلك الظاهرة المنافية للعقل والحكمة ، ولتلك العصبية روى النسائي[2] عن ابن عباس قوله : «قد تركوا السنة من بغض علي». وقال الحاكم النيسابوري[3] في ذلك في الجهر بالبسملة في الصلاة : «ان علياً كان يبالغ في الجهر بالبسملة فلما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع عن الجهر سعياً في إبطال آثار علي».

وهنا علينا ان نتصور كيف كانت تكتب السيرة بأقلام تبغض علياً (عليه السلام) وهو المعروف بصلته بسيد الكائنات والمرسلين (صلى الله عليه وآله) ، هذا هو التعصب للباطل الذي حاربته مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

وهنا قد يسأل سائل : هل جميع أنواع العصبية مذمومة ، ألم يكن هناك تعصب للحق والعدل ؟ فالجواب : نعم ان التعصب للحق والدفاع عنه ، والتناصر على تحقيق العدالة الإسلامية العامة ، كالدفاع عن الدين ، وحماية الوطن ، وصيانة الكرامة والنفس وحفظ الأموال ، هو التعصب المحمود الباعث على توحيد الجهود والأهداف.

يقول المازندراني[4] : «وينبغي ان يُعلم أن تعصب الرجل وحميته في الدين وحميته لقومه وإعانته لهم لا على الظلم ليست من الحمية المذمومة ، قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : لم تدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب وذلك حين أسلم غضباً للنبي (صلى الله عليه وآله) في حديث السلا[5] الذي ألقي على النبي (صلى الله عليه وآله)".

١- المسد : ١-٣.

٢- سنن النسائي ، ج٥ ، ص٢٥٣ ؛ ينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص١١٣.

٣- المستدرك ، ج١ ، ص٢٣٣ ؛ وينظر : الرازي ، تفسير الرازي ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ الشهرستاني ، السيد علي ، وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٢٠٢.

٤- شرح أصول الكافي ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ وينظر : الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٣٠٨.

٥- السلا : بقايا أمعاء الناقة المذبوحة ، أو الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد من المواشي ساعة يولد. ينظر : الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٤م) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ،

أما التعصب المذموم فهو الذي نهى عنه الإسلام لانه يناصر الباطل ، وفيه تعاون على الظلم ، وتفاخر بقيم الجاهلية ، وفي هذا قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : "إن العصبية التي يأثم عليها صاحبها ، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار آخرين ، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم"[1].

إذن فمدرسة علمية هذه مبادئها أجدر بأن تُتبع وتُعتمد في الوصول إلى الحقيقة لأنها تنشر علومها وهي أبعد ما يكون عن حالات التعصب والعصبية.

٧- تصحيح المسار التاريخي :

إذا كنا نعلم ان أوثق من يمكن الاعتماد عليهم في إعطاء صورة واقعية وواضحة عن أي حديث كان ، وعن علله وأسبابه ، هم أولئك الذين عاصروه وعايشوه ، وعاينوه عن قرب ، وعاشوا معه روحياً وجوهرياً وعقائدياً ، وهذا ينطبق على ما جرى من أحداث في سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله). إذ ان أهل بيته هم أدرى الناس بسيرته وسنته ، وهم المنبع الأصيل في ذلك ، ومن هنا تنبع أهمية دراسة هذه السيرة العطرة من خلال مروياتهم (عليهم السلام).

ولان التاريخ علمنا ، انه حتى الأحداث التي تقع للناس ، ويشاهدونها عن قرب ، بل حتى كثير من الذين شاركوا في صنع الحدث لا يستطيعون ان يقدموا صورة واضحة عن ذلك الحدث المفترض ، ولا عن علله وأسبابه ، وآثاره ونتائجه ، بل قد نجدهم يعطون تفسيرات مختلفة ، بل متباينة ، والسبب في ذلك ان الناس يختلفون في مستويات عقولهم ووعيهم وإدراكهم ، وفي نسبة اطلاعهم على جزئيات ذلك الحدث وظروفه. وهو أمر يؤثر في قدرتهم في فهمه واستيعابه أحياناً.

كل ذلك فيما لو كان الحدث عادياً ، لا يوجد من يهتم بالتلاعب فيه ، فكيف اذن تكون الحال بالنسبة لتلك الأحداث التي تتشارك في صنعها أيادٍ خفية ، وتعمل على تزييف الحقائق ، ثم على التحوير والتزوير ، وإذا كانت الأحداث التي دونت ووصلت الينا أكثرها أو كثير منها

١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج٦ ، ص٢٣٨١ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص٣٩٦. وسترد تفاصيل هذا الحديث في الفصل الثالث بحسب تسلسل الأحداث.

١- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٣٠٨.

، ولاسيما أكثرها حساسية ، وأعظمها أهمية هي من هذا النوع خاصة ، فاننا ندرك مدى حاجتنا إلى الناقل الخبير والناقد البصير في هذا المجال[1].

وقد يندر ان نجد بين المؤرخين وبالأخص كتاب السيرة النبوية من أخضع الحدث إلى النقد والتحليل قبل التدوين ، أو انه دوّن مع الحدث ما قاده البحث إلى حقيقة تكون الأحداث ونشوئها وعناصرها[2].

هذا النوع من المنهج التاريخي وجد عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) مع امتيازهم بالأسبقية في كتابة السيرة النبوية ، ومع امتيازهم أيضاً بدقة التوثيق. امتازوا كذلك بتصحيح الفكر التاريخي[3] ، ولهم في هذا المجال إسهامات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

عن إسحاق بن جعفر[4] ، عن أبيه الصادق (عليه السلام) قال : قيل له : "إنهم يزعمون ان أبا طالب كان كافراً ؟ فقال : كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسى خط في أول الكتب

وفي حديث آخر : كيف يكون أبو طالب كافراً وهو يقول :

لقد علموا ان ابننا لا مكذب

لدينا ولا يعبأ بقيل الأباطيل

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

شمال اليتامى عصمة للأرامل»[5]

إذن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في نظرتها وتدوينها للسيرة تقوم على أساس تحليل الحدث

١- شمس الدين ، محمد مهدي ، حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ، ط٤ ، (المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص١٣.

٢- نبيل الحسيني ، الشيعة والسيرة النبوية ، ص١٩٠.

٣- يراجع أبواب التاريخ من الكافي ، الجزء الأول من الأصول .

٤- إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، ممدوح بالفضل والصلاح والورع والاجتهاد والحديث. ينظر : أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق: كاظم المظفر ، ط٢ ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ، ص٣٧٦ ؛ المفيد ، الارشاد ، ج٢ ، ص٢١١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٣٠ ، ص٣١٦.

٥- الكافي ، ج١ ، ص٤٤٩.

ونقده وإظهار علله وأسبابه ونتائجه ، ثم تبني رأيها على ضوء هذه المعطيات ، لذلك قال أحد الباحثين[1] في التاريخ النقدي : «لا يكفي أن نقرأ النصوص ، يجب ان نقرأها قبل أن نجعل من آرائنا عقيدة راسخة».

وفي مدرسة التاريخ عند الإمام الصادق (عليه السلام) ، نجد ان هناك ربطاً عجيباً لأحداث التاريخ بعضها ببعض ، في فكر فلسفي ثاقب ، ومدلول إيماني بالأمور الدينية ، لكي يستوعب بها القارئ أن ما يحدث في أغلب الأحيان من أحداث ، إنما يحصل لأجل حكمة يراد بها تبصرة الناس إلى طريق الهداية من طريق رسله وأوصيائه ، والأئمة الأطهار (عليهم السلام). فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "إنه لما قتل عمار بن ياسر[2] رحمه الله ، ارتعدت فرائص خلق كثيرين وقالوا: عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو بن العاص على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا ، قال : لماذا ؟ قال : قتل عمار بن ياسر ، قال : فماذا ؟ قال : أليس قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : تقتله الفئة الباغية ، فقال معاوية : دحضت في قولك ، أنحن قتلناه ، إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا. فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : فإذاً رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي قتل حمزة وألقاه بين رماح المشركين"[3].

هكذا تفسير مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) لفلسفة الأحداث التاريخية وكسب العبرة منها ، لان المنتفعين والمزورين لحقيقة الأحداث موجودون في كل زمان ومكان ، والمتلقين السذج لما يصدر من رموز السلطة موجودون أيضاً في كل زمان ومكان ، فجاءت مدرسة الصادق (عليه السلام) لتزيل هذه الغشاوة وتكشف حقيقة الأحداث.

٨-أقوال العلماء فيه دليل على عِظم علميته :

كان الإمام الصادق (عليه السلام) إمام عصره ، ومرجع الفقهاء والمحدثين ، وعليه تتلمذ وعنه اخذ مئات من مشايخ العلم والحديث ، وقد شهد له العلماء والفقهاء ودونوا شهاداتهم لجليل

١- العروي ، عبد الله ، مفهوم التاريخ ، ط٤ ، (المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٨٨.

٢- عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين العنسي ، وكان ممن عذب في الإسلام هو وأمه سمية ، شهد بدراً والمشاهد كلها ، استشهد في معركة صفين عام ٣٦هـ. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٣٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٣ ، ص٣٤٨.

٣- الصدوق ، معاني الأخبار ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) ، ص٣٥ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٢٦٨ ؛ حجازي ، سيد مهدي ، درر الأخبار من بحار الأنوار ، ترجمة: محمد عيدي خسرو وحاج سيد علي رضا حجازي ، ط١ ، (مطبعة المهدي ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٢٢٣.

قدره وعظيم شأنه وغزارة علمه. لذا وردت في علمه والثناء عليه أقوال كثيرة نقتطف منها بعض ما ذكره هؤلاء العلماء بحسب التسلسل الزمني لتاريخ وفياتهم.

١-قال اليعقوبي[١] : «... وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله ، وكان أهل العلم الذين سمعوا منه ، إذا رووا عنه قالوا : أخبرنا العالم».

٢-وقال عنه ابن حبان[٢] : «... أبو عبد الله من سادات أهل البيت وعباد أتباع التابعين وعلماء أهل المدينة ...».

٣-أما الشيخ المفيد[٣] فقال : «... ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر ذكره في البلدان ، ولم ينقل عن احد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه ، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار ، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله (عليه السلام) ، فان أصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات ، على اختلافهم في الآراء والمقالات ، فكانوا أربعة آلاف رجل".

٤-وقال أبو نعيم الاصبهاني[٤] : «جعفر بن محمد الإمام الناطق ذو الزمام السابق أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق أقبل على العبادة والخضوع وآثر العزلة والخشوع ، ونهى عن الرئاسة والجموع».

٥-وقال الشهرستاني[٥] : «أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق هو ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم ، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ، ما تعرض للإمامة قط ، ولا نازع في الخلافة أحداً ، ومن غرق في بحر المعرفة لم يقع في شط ، ومن تعلا إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط».

٦-وقال ابن الجوزي[٦] : «جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كان مشغولاً بالعبادة

١- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٨١.
٢- مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم ، ط١ ، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٢٠٦.
٣- الارشاد ، ج٢ ، ص١٧٩.
٤- حلية الأولياء ، ج٣ ، ص١٩٢.
٥- الملل والنحل ، ج١ ، ص١٦٦.
٦- صفة الصفوة ، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم ، ط١ ، (دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، د.ت) ، ج١ ، ص٣٣٠.

عن طلب الرياسة».

٧-أما محمد بن طلحة الشافعي[١] فقال عنه (عليه السلام) : "هو من عظماء أهل البيت (عليهم السلام) وساداتهم ذو علوم جمة وعبادة موفورة وأوراد متواصلة وزهادة بليغة ، وتلاوة كثيرة ، يتتبع معاني القرآن الكريم ويستخرج من بحر جواهره ويستنتج عجايبه ، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات ... ، نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأمة وأعلامهم ... وعدوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها".

٨-وقال ابن خلكان[٢] : «جعفر الصادق ... كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله أشهر من ان يذكر».

٩-ونقل الذهبي[٣] والصفدي[٤] قول أبي حنيفة وقد سُئِل عن أفقه من رأى قال : «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد».

١٠-ونقل ابن حجر العسقلاني[٥] كذلك أقوال علماء عدة عنه (عليه السلام) ، نذكر منها قول مالك بن انس : "اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصل وإما صائم وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدث إلا على طهارة".

١١-وذكر السخاوي[٦] فقال : «... كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً وجوداً ، يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه ، ومناقبه كثيرة تحتمل كراريس...».

١٢-وقال ابن حجر الهيثمي[٧] : «... ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأكابر...».

وللكتابات المعاصرة حصة كبيرة في قول الثناء والإشادة بعلوم الإمام الصادق (عليه السلام) نذكر منها :

١- كمال الدين محمد بن طلحة (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) ، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية ، (د.م ، د.ت) ، ص٤٣٦.
٢- وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٣٢٧.
٣- تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ص١٦٦.
٤- الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٩٩.
٥- تهذيب التهذيب ، ج٢ ، ص٨٩.
٦- محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ/ ١٤٦٩م) ، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ج١ ، ص٢٤٢.
٧- الصواعق المحرقة ، ص٢٠١.

١-قال الإمام أبو زهرة[١] : «إن الإمام الصادق كان قوة فكرية في هذا العصر ، ولم يكتف بالدراسات الإسلامية وعلوم القرآن والسنة والعقيدة ، بل اتجه إلى دراسة الكون وأسراره ، ثم حلق بعقله الجبار في سماء الأفلاك ومدارات الشمس والقمر والنجوم ، ثم علم وحدانية الخالق من إبداع المخلوق ومن تعدد الأشكال والألوان ... وعني عناية كبيرة بدراسة النفس الإنسانية».

٢-وقال رمضان لاوند[٢] : «وكانت حياته كلها إشعاعاً لا ينقطع ، يصوغ به العلماء ، ويشيع به حب المعرفة ، ويشارك به في الاستنتاج المنطقي السليم والتأمل الفكري ، ... لقد أخرجت مدرسته رجالاً خالدين كأبي حنيفة ، وهو من نعلم من بين صفوة الرجال».

٣-وقال عبد الحليم الجندي[٣] عنه : «... الإمام في مجلسه الرفيع يروي السنة عن آبائه ، وما يقوله يجري عند الشيعة مجرى الأصول ، فإذا أبدى الرأي في واقعة معينة جعله الشيعة مجعل السنة والتزموها باعتبارها نصاً عنه. أما أهل السنة فيأخذونه مأخذ اجتهاد الأمة».

٤-وقال حسين الشاكري[٤] : «الإمام الصادق (عليه السلام) السادس من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) معين لا ينضب ، بحر عجاج ، متلاطم الأمواج ، لا يسبر غوره ، ولا يدرك صفاته ، وقد تخرج عليه فطاحل العلماء ، وأساتذة المدارس الفقهية ورؤساء المذاهب ، وقد تتلمذ عليه ونهل من نمير علومه وغزير معارفه الجم الكثير".

٥-وأجاد حسين غيب غلامي[٥] في وصفه (عليه السلام) فقال: "فالصادق من آل محمد أرفع وأعلى من ان يذكر في طبقات الثقات من رجال الحديث ، لان الثقة والاتقان والتثبت ألفاظ قاصرة عن رفعة شأنه وعلو جنابه وسمو درجاته".

٦-وفي الموسوعة العربية الميسرة[٦] : «جعفر الصادق (عليه السلام) (١٤٨هـ/ ٧٢٥م) سادس أئمة الشيعة الإمامية ... كان عالماً حكيماً زاهداً متبحراً في علوم الدين ، ومما عرف من

١- الإمام الصادق حياته وعصره ، ص١٠١-١٠٢.
٢- الإمام الصادق علم وعقيدة ، (منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت) ، ص١٧.
٣- الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، ص١٦٥.
٤- موسوعة المصطفى والعترة الطاهرة (عليهم السلام) ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ج٩ ، ص٩.
٥- محو السنة أو تدوينها ، ط١ ، (مطبعة الهادي ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٣٦.
٦- مجموعة من العلماء والباحثين ، ط١ ، (المكتبة لعصرية ، صيدا - بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ، ص١٢٠٦.

مبادئه أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يرد فيها نهي ، وأنه يجوز نقل الحديث بالمعنى ... وكان أستاذ جابر بن حيان".

وقد أشار إلى أقوال العلماء فيه عدد من الكتاب المعاصرين وذكروهم بطرق مختلفة ، ومنهم الأستاذ أسد حيدر[1] ، والسيد رسول جعفريان[2] ، والحاج حسين الشاكري[3] وآخرون.

هذا جزء يسير مما نقل عن أقوال العلماء فيه ، وهناك أقوال لعلماء آخرين ولكتاب معاصرين لم نذكرهم خشية الإطالة ، والواضح من هذه الإطراءات التي قيلت بحق الإمام الصادق (عليه السلام) أنها برَّزت أثره الكبير في ترسيخ قواعد الشريعة ، وتثبيت أسس المذهب ، سواء على صعيد أصول الدين أو ما يتفرع عليها من العلوم والمعارف ، أو على صعيد فروعه وما تشتمل عليه من أحكام شرعية وبيانات سلوكية ، وإرشادات أخلاقية ، وها هي كتب الحديث والمجاميع الروائية أقوى شاهد على ذلك ، فما من باب من أبواب العلم ، ولا حقل من حقول المعرفة إلا وللإمام الصادق فيه القول الفصل والرأي العدل.

١- الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ، ج١ ، ص٥٥-٦٨.
٢- الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ص٢٥٢-٢٥٩.
٣- تدوين الحديث وتاريخ الفقه ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٣٤-٣٦.

الفصل الثاني

مرويات الإمام الصادق عليه السلام في نشأة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى البعثة المباركة

المبحث الأول : النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآباؤه

المبحث الثاني : ولادته ونسبه

المبحث الثالث : كفالته وعمله

المبحث الرابع : النشأة العائلية والشخصية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

المبحث الخامس : تجديد بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود

المبحث الأول:
النبي (صلى الله عليه وآله) وآباؤه :

أولاً : طهارة أصله ، وصفاته ، وأوصافه :

تدلنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية جميعاً الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على طهارة مولده (صلى الله عليه وآله) وصدقه وأمانته ، ونزاهته عن الرذائل قبل البعثة النبوية المباركة حتى تطمئن إليه القلوب ، وتركن إليه النفوس ويستحق هذا المقام الإلهي العظيم.

ولما كان النبي (صلى الله عليه وآله) مصدر الهداية ، فلابد ان يكون موضع الطمأنينة التامة ، ولا يكون كذلك إلا إذا تميز بالاستقامة والطهر مدة حياته. فكان (صلى الله عليه وآله) منزهاً عن جميع الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها وعن الخطأ والنسيان وعن كل عمل يُستهجن فعله عند العرف العام.

قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾[1].

ويحدثنا الإمام علي (عليه السلام) عن طهارته ومكارم أخلاقه (صلى الله عليه وآله) فيقول : "لقد قرن الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، ويسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ..."[2].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط (عليهم السلام) "ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : إنما خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن آدم ولم يصبني

١- الفتح : ٢٨.
٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص١٩٧ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٣٣٥ ؛ ناصر الشيرازي ، الأمثل ، ج١٥ ، ص٥٩٢.

من سفاح الجاهلية شيء لم أخرج إلا من طهره"[1].

وقد فسَّر الإمام الباقر (عليه السلام) قوله عز وجل ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾[2] قال : «يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام)"[3].

وذكر الثعلبي[4] والبغوي[5] عن الصادق عن أبيه (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[6] قال : «لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية».

وفي مكارم أخلاقه (صلى الله عليه وآله) يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن الله خصَّ رسوله بمكارم الأخلاق"[7]. ومكارم الأخلاق هي نتاج طهارة أصله ومولده (صلى الله عليه وآله) وتؤكد الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) بخصوص طهارته ، ومكارم أخلاقه ان الله تعالى اصطفاه من بين خلقه ، لذلك لقب بالمصطفى ، والاصطفاء ، هو أخذ صفوة الشيء[8]. لذا ينقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال : "قسم الله الأرض نصفين فجعلني في خيرهما ، ثم قسم النصف على ثلاثة فكنت في خير ثلث منها ثم اختار العرب من الناس ثم اختار قريش من العرب ثم اختارني من بني عبد المطلب"[9].

وقد ورد في طهارة أصله (صلى الله عليه وآله) وصفاته العديد من الروايات والأحاديث منها :

١-عن الإمام علي (عليه السلام) "كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم تسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر"[10].

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٦٠ ؛ فرات الكوفي ، ابن إبراهيم (ت٣٥٢هـ/ ٩٦٢م) ، تفسير فرات الكوفي ، تحقيق: محمد الكاظم ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد ، طهران ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٢٠.

٢- الشعراء : ٢١٩.

٣- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٢٤ ؛ البحراني ، مدينة المعاجز ، ج٢ ، ص٣٧٥ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص٣.

٤- تفسير الثعلبي ، ج٥ ، ص١١٤.

٥- أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٠هـ/ ١١١٧م) ، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، تحقيق: خالد بن عبد الرحمن العك ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٣٤١ ؛ وينظر : عز الدين الدمشقي ، ابن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) ، تفسير العز بن عبد السلام ، تحقيق: عبد بن إبراهيم الوهبي ، ط١ ، (مطبعة دار بن حزم ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ج٢ ، ص٥٩.

٦- التوبة : ١٢٨.

٧- ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٣٦٢ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٤٣١ ؛ الكراجكي ، معدن الجوهر ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، ط٢ ، (مطبعة مهر استوار ، قم ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ، ص٦٧ ؛ الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص٢٣٣.

٨- الشيرازي ، السيد خان المدني (ت١١٢٠هـ/ ١٧١٠م) ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام) ، تحقيق: السيد محسن الحسيني الاميني ، ط٤ ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) هامش ص٣٥٨.

٩- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٣٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٤٣ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص٢٩٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص٤٥١.

١٠- السيوطي ، الدر المنثور ، ج٣ ، ص٢٩٤ ؛ الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م) ، إنسان العيون في سيرة الأمين

٢-عن العباس بن عبد المطلب انه قال : «إن رسول الله قال : حين خلقني جعلني من خير خلقه ، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلة ، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً»[١].

٣-عن واثلة بن الاسقع[٢] قال : «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"[٣].

وكان (صلى الله عليه وآله) منذ نشأته الأولى لا يخالطه نقص ، ولا يشوب سيرته ذم أو لوم ، مجبولاً على النزاهة وسلامة النفس وبراءة العرض من الرجس والدنس ، والصفات الدنيئة تخالف طبعه وتغايره بالكلية ، فهو مجبول على الفضيلة ومكارم الأخلاق ومعالي الهمم. وهذه هي العصمة التي تلطف بها الله تعالى على صفوة خلقه.

ولكن بعضاً من المؤلفات الإسلامية[٤] أوردت رواية عن الإمام علي (عليه السلام) لا تتناسب وهذه الصفات الحميدة الكبيرة التي اختص بها (صلى الله عليه وآله) منذ صغره ، فقد روي عن علي (عليه السلام) انه قال : "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول ما هممت بقبيح مما يهم به أهل الجاهلية إلا مرتين من الدهر كلتاهما عصمني الله عز وجل منها قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهله يرعاها أبْصِر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت إلى صاحبي فقال ما فعلت فأخبرته ثم فعلت

والمأمون المعروف باالسيرة الحلبية ، (دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ج١ ، ص٤٦ ؛ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م) ، فتح القدير ، (عالم الكتب ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٤٢٠.

١- محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص١٠.

٢- واثلة بن الاسقع بن كعب بن عامر أبو محمد الليثي أو أبو شداد مات سنة (٨٣هـ) ، كان من أهل الصفة فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) خرج إلى الشام ومات بدمشق في آخر خلافة عبد الملك وهو ابن مئة سنة. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٦٣ ؛ الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٢٠ ، ص٢٠٥.

٣- ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص١٠.

٤- ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٤ ، ص١٦٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٦٥-٦٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٧٩ ؛ النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٣م) ، نهاية الارب في فنون الأدب ، تحقيق: مفيد محمد قميحة وحسن نور الدين ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) ، ج٢ ، ص١٤٥ ؛ الهيثمي ، مورد الظمآن ، تحقيق : حسين سليم اسد الداراني وعبد علي الكوشك ، ط٢ ، (دار الثقافة العربية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج٦ ، ص٤٤٨.

الليلة الأخرى مثل ذلك فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ما قيل لي فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مس الشمس ثم رجعت إلى صاحبي فقال لي ما فعلت فقلت ما فعلت شيئا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله ما هممت بغيرها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته".

وعند التدقيق في هذه الرواية نجد انها تعكس صورة غير واقعية لصفات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) التي تمتع بها منذ صغره ، فالرواية تعامل النبي (صلى الله عليه وآله) كغيره من الناس العاديين الذين يتأثرون بما يحدث من الانجرار وراء بعض المظاهر الاجتماعية التي يترفع عنها أبسط الناس ، فكيف بمحمد (صلى الله عليه وآله) وهو من بانت عليه علامات الوقار والهيبة منذ نعومة أظفاره ، وهذا ما يجعل الباحث وأي فرد مسلم يشكك في صحة ما ورد في هذه الرواية.

وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى مجمل صفاته (صلى الله عليه وآله) الدالة على طهارته ومكارم أخلاقه ، وتنزهه عن المعاصي والرغبات ، وذلك في خطبة له (عليه السلام) : "فلم يمنع ربنا الحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم ، ان انتحب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ، في حومة العز مولده ، وفي دومة الكرم محتده ، غير مشوب حسبه ، ولا ممزوج نسبه ، ولا مجهول عند أهل العلم صفته ، بشرت به الأنبياء في كتبها ، ونطقت به العلماء بنعتها ، وتأملته الحكماء بوصفها ، مذهب لا يدانى ، هاشمي لا يوازى ، أبطحي لا يسامى ، شيمته الحياء ، وطبيعته السخاء ، مجبول على أوقار النبوة وأخلاقها ، مطبوع على أوصاف الرسالة وأحلامها ، إلى ان انتهت به أسباب مقادير الله إلى أوقاتها ، وجرى بأمر الله القضاء فيه إلى نهايتها..."[1].

أما أوصافه فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) انهم قالوا : "يا علي ، صف لنا نبينا (صلى الله عليه وآله) كأننا نراه ، فإنا مشتاقون إليه ، قال : "كان النبي (صلى الله عليه وآله) أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ، كث اللحية ، ذا وفرة[2]

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٤.
٢- الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج٥ ، ص٢١٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٢٨٨ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص٥٩٤.

، دقيق المسربة[1] ، كأنما عنقه أبريق فضة ، يجري في تراقيه الذهب ، ... ليس بالقصير المتردد ولا بالطويل الممعط[2] ، وكان في وجهه تداوير ، إذا كان في الناس غمرهم ، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ ، عرقه أطيب من ريح المسك ، ليس بالعاجز ولا باللئيم ، أكرم الناس عشرة ، وألينهم عريكة ، وأجودهم كفاً ، من خالطه بمعرفة أحبه ، ومن رآه بديهة هابه ، غرة في عينيه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله (صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً)"[3]. وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا رُئي في الليلة الظلماء رُئي له نور كأنه شقة قمر"[4].

ثانياً : فضل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على الأنبياء والمرسلين :

قال الصادق (عليه السلام) : "قال علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ما أعطى الله نبياً درجة ، ولا مرسلاً فضيلة ، إلا وقد جمعها لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة... "[5] في رواية له (عليه السلام) أكد الإمام الصادق ان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) هو أفضل الأنبياء لأنه بعث آخرهم وخاتمهم ، وان الله عز وجل حين أخذ ميثاق الأنبياء وأشهدهم على أنفسهم كان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) أول نبي قال : بلى. فسبق بذلك الأنبياء جميعاً بالإقرار بالخالق عز وجل. فقد روي عن الصادق (عليه السلام) قوله: "عن بعض قريش قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : بأي شيء سبقت الأنبياء وفضَّلت عليهم وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم ؟ قال : إني كنت أول من أقر بربي جل جلاله ، وأول من أجاب ، حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، فكنت أول نبي قال (بلى) فسبقتهم إلى الإقرار بالله عز وجل"[6].

وفي رواية أخرى للإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً عن أبيه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) انه قال : "إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد قبل ان يخلق السماوات والأرض والعرش

١- المسربة : الشعر وسط الصدر إلى البطن. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، ص٤٦٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٧٢.
٢- الممعط : البائن الطول ، وقيل : المفرط الطول. ينظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٢ ، ص٣٨٦ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص٤١٧.
٣- الطوسي ، الامالي ، ص٣٤٠.
٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٦.
٥- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٣١٤ وما بعدها.
٦- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص١٠٣ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص١٢ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٢ ، ص٩٤.

والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل ان يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود عليهم السلام..."[1].

وردت أحاديث خلق نور النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في معظم المصادر الإسلامية ، وبطرق متعددة. ففي الخصال[2] عن أبي الجارود[3] عن محمد بن عبد الله عن أبيه عن آبائه قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل ان يخلق آدم بأربعة آلاف عام. فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عز وجل ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب ثم أخرجه من صلب عبد المطلب فقسمه قسمين فصير قسماً في صلب عبد الله وقسماً في صلب أبي طالب فعلي مني وانا من علي".

وعن أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال : "خلقني الله تبارك وأهل بيتي من نور واحد قبل ان يخلق آدم بسبعة آلاف عام ، ثم نقلنا إلى صلب آدم ، ثم نقلنا من صلبه في أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات. فقلت : يا رسول الله فأين كنتم وعلى أي مثال كنتم ؟ قال : كنا أشباحاً من نور إلى نور تحت العرش نسبح الله تعالى ونحمده"[4].

وعن ميسرة الفجر[5] قال : قلت يا رسول الله متى كنت نبياً ؟ قال : «وآدم بين الروح والجسد»[6].

وعن سليمان قال : «سمعت حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : كنت انا وعلي نوراً بين الله عز وجل قبل ان يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام..."[7].

وقد وردت العديد من الأحاديث الأخرى التي لا مجال لحصرها في ان نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) خلق

١- الصدوق، الخصال، ص٤٨١ ؛ المجلسي، بحار الأنوار،ج١٥ ، ص٤ ؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج١ ، ص٦٨.
٢- الصدوق ، ص٦٤٠.
٣- أبو الجارود : زياد بن المنذر الهمداني ، زيدي المذهب واليه تنسب الجارودية ، كوفي من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) ، روى عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) وعن ابن إسحاق والاصبغ بن نباتة ، له كتاب تفسير القرآن. ينظر: السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٨ ، ص٣٣٢ ؛ ج٢٢ ، ص٨٢.
٤- الخزاز القمي ، كفاية الأثر ، ص٧١.
٥- ميسرة الفجر ، أبو بديل بن ميسرة العقيلي له صحبة ، نزل البصرة ، روى عنه عبد الله بن شقيق العقيلي. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٥٩ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٧ ، ص٣٧٤ ؛ الرازي ، الجرح والتعديل ، ج٨ ، ص٢٥٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٨٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج٦ ، ص١٨٨.
٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٤ ، ص٣٦٠ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص٢٢٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص١٤٧ ؛ الميلاني ، السيد علي ، نفحات الأزهار ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٥/ ، ص٢٥٣.
٧- ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٢ ، ص٦٧ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج٢ ، ص٨٣٧ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٩ ، ص١٧١ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٥٠٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج٢ ، ص٢٢٩.

من نور قبل ان يخلق آدم (عليه السلام) ، وتباينت المصادر في سبق رسول الله (صلى الله عليه وآله) آدم بأربعة آلاف عام[1] ، وأخرى بسبعة آلاف عام[2] وأخرى بأربعة عشر ألف عام[3]. وفي حديث انفرد به الإمام الصادق (عليه السلام) انه خلق قبل الخلق بألفي عام. فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "إن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل خلق العالم بألفي عام..."[4]. وعند البحث والتدقيق في المصادر الإسلامية عن أحاديث خلق النور قبل آدم (عليه السلام) ، نجد ان تركيز هذه المصادر انصب على حديثين هما : حديث النبي (صلى الله عليه وآله) : "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد"[5] ، وحديثه (صلى الله عليه وآله) : "كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله"[6]. وهذا التواتر والاهتمام بالحديثين ونقلهما في معظم المؤلفات ، وعدم وجود إشارات في المصادر لتضعيفها سوى القلة ، يدفعنا إلى الإقرار بها فإنّ قدرة الله تعالى على كل شيء تدعونا إلى عدم نفي أحاديث ان خلق الكون بدأ بنور محمد (صلى الله عليه وآله). ولابد من الاعتراف بان قدرتنا العلمية هي أقل بكثير من ان نضع أنفسنا في موضع اكبر من إمكانياتنا العلمية ، لان قدرتنا المعرفية لا تسمح لنا بالنفي أو الإثبات ، فلا وسائل عندنا لمعرفة كيف يعمل الله تعالى ، وكيف بدأ خلقه ، إلا بما أخبرنا به النبي (صلى الله عليه وآله) عن الله تعالى.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ الكوراني[7] : «فيجب ان نعترف بمحدودية معلوماتنا على الرغم من تطور العلم وكشفه الكثير عن النور والأشعة ، واستفادة العلماء منها في الطب والحرب...الا إنا مع كل ذلك لا نعرف كيف بدأ الله تعالى خلق الكون ، فغاية ما توصل إليه العلماء مرحلة الغيوم السديمية ، ثم وصلوا إلى مرحلة قبلها هي بحر الغاز السائل. لكن بقيت مسائل بدء الخلق وتنويعه وتطوره من الأسرار»!

١ – الصدوق ، الخصال ، ص٦٤٠.
٢- الخزار القمي ، ص٧١.
٣- ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص١٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٩ ، ص١٧١ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٥ ، ص١٩٢.
٤- الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص٧٤ ؛ معاني الاخبار ، ص٣٥١ ؛ الشهيد الأول ، الأربعون حديثاً ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٧١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١١ ؛ القندوزي ، ينابيع المودة ، ج١ ، ص٤٢٢.
٥- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٦٦ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٢٤٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١١ ، ص١١٠ ؛ المباركفوري ، تحفة الاحوذي ، ج٧ ، ص١١١.
٦- الصدوق ، الخصال ، ص٦٤٠ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج٢ ، ص٨٣٧ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص١٤ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٥٠٦.
٧- السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢-٢٣.

ثالثاً : إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) وطهارتهم :

المعروف ان سعة الدعوة ، وسمو الهدف يكشفان عن عمق إيمان الداعية ، ورسوخه في قلبه ، ومن اهتم بدعوة العالم كله فله أقوى مراتب الإيمان وأعلى درجاته ، وهذا ما ناله محمد (صلى الله عليه وآله) باستحقاق وامتياز كبيرين.

ومما يؤثر في صلابة الإيمان ورسوخه الوراثة ، وان الإيمان الموروث من أبوي الولد أقوى من الإيمان الموروث من أحدهما ، كما ان الإيمان الموروث من الأسلاف جميعهم أكمل من الإيمان الموروث من سلف واحد ، وكان أسلاف النبي (صلى الله عليه وآله) جميعاً مؤمنين موحدين بتصريح من ربه عز وجل ، ومن أقواله وأحاديثه (صلى الله عليه وآله) ، ومن الأحاديث والروايات الصادرة عن أئمة أهل بيته الأطهار (عليهم السلام).

أثبت السيد فخار بن معد[1] الذي يعود نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) من القرآن الكريم ، فقال : "ومما يدل على إسلام آباء النبي (صلى الله عليه وآله) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2] فغير جائز ان تنقطع هذه الأمة المسلمة من امة إبراهيم وإسماعيل إلى يوم القيامة ، فمن زعم بعد تلاوة هذه الآية من كتاب الله تعالى ، ان النبي (صلى الله عليه وآله) ولد من كفار ، فقد زعم إن الأمة المسلمة من ذرية إسماعيل قد انقطعت في وقت من الأوقات ، ومن زعم انها انقطعت في وقت من الأوقات ، فقد زعم أن دعوة إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) لم تُستَجبْ ، ومن قال بذلك فما آمن بالله ، ولا برسوله ولا عرف حق أنبيائه ... فهذا جميعه دليل على إيمان عبد الله بن عبد المطلب ، وآمنة بنت وهب ، وعبد المطلب بن هاشم ، وأبي طالب بن عبد المطلب -رضي الله عنهم-".

وقد أكد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) إيمان آبائه بأحاديثه الكثيرة التي صرح بها ، فقال (صلى الله عليه وآله) : "لم يمسني سفاح أهل الجاهلية ، ولم أزل أتقلب من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»[3].

١- الإمام شمس الدين الموسوي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) ، الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ، تحقيق : السيد محمد بحر العلوم ، ط١ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٥٩.

٢- البقرة : ١٢٧-١٢٨.

٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٦١ ؛ الطبري الإمامي ، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : أحمد المحمودي =

وقد ثبت إجماع أهل البيت (عليهم السلام) على إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: "والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط ، فقيل له : فماذا كانوا يعبدون ؟ فقال : كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به»[1].

وعند دراسة الأحاديث والروايات الواردة عن أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) نصل إلى نتيجة مفادها أن آباء النبي (صلى الله عليه وآله) هم أطهار مطهرون ، والطهارة طريق من طرق الإيمان ، بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2] أي ان المشرك لا يحمل صفة الطهارة ، وان الطهارة تخص المؤمن فقط ، وقد نفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) صفة الشرك عن أجداده ووالديه فقال : "نقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يدنسني بدنس الجاهلية"[3]. وهذا خبر لا خلاف في صحته ، فبيَّن النبي (صلى الله عليه وآله) ان الله نقله من أصلاب الطاهرين ، فلو كان فيهم كافر لما جاز وصفهم بأنهم طاهرون ، لان الله تعالى وصف المشركين بأنهم أنجاس كما ورد في الآية الكريمة ، فأوجبت تلك الآية نفي الشرك عن أجداده ووالديه.

وبما إننا نقف على ثروة هائلة مما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) في حق جده المصطفى فانه (عليه السلام) يؤكد مسألة الطهارة ، والإيمان ورفعة النسب هذه في خطبة له (عليه السلام) : "... بشر به كل أمة من بعدها ، ويدفعه كل أب إلى أب من طهر إلى طهر ، لم يخلطه في عنصر السفاح ، ولم ينجسه في ولادته نكاح من لدن آدم إلى أبيه عبد الله في خير فرقة ، وأكرم سبط ، وأمنع رهط ، وأكلأ حمل ، وأودع حجر ، اصطفاه الله وارتضاه واجتباه وأتاه من العلم مفاتيحه ومن الحكم ينابيعه..."[4].

=، ط١ ، (مطبعة سلمان الفارسي ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٥٨١ ؛ البيهقي، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص١٩٠؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج٣ ، ص٤٠١ ؛ السيوطي ، الدر المنثور، ج٣ ، ص٢٩٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص٤٢٨ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٥.

١- الصدوق ، كمال الدين ، ص١٧٥ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ص ص١٠٧٤-١٠٧٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص٤٠٩.

٢- هود : ٧٠.

٣- الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١ ، ص٣٢٩ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص١٩٠ ؛ الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٤ ، ص١٧٥ ؛ المقريزي ، تقي الدين أبو محمد بن علي بن إبراهيم بن تميم (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ، إمتاع الأسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد المجيد النميسي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٣ ، ص٢١٤ ؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج١١ ، ص٤٢٨ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٣ ، ص٣٣٨.

٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٤.

ومما يدل على إيمان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) دلالة واضحة ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) وعلى لسان نبي الرحمة والإنسانية من أن النار محرمة عليهم. فقد نقل عنه (عليه السلام) قوله : "نزل جبرائيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول : إني حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملتك ، وحجر كفلك ، فقال : يا جبرائيل بيِّن لي ذلك ؟ فقال : أما الصلب الذي أنزلك ، فعبد الله بن عبد المطلب ، وأما البطن الذي حملتك فآمنة بنت وهب ، وأما الحجر الذي كفلك فحجر أبي طالب"[1].

وفي رواية أخرى له (عليه السلام) قال : "هبط جبرائيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمد إن الله قد شفعك في خمسة : في بطن حملك وهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، وفي صلب أنزلك وهو عبد الله بن عبد المطلب ، وفي حجر كفلك وهو عبد المطلب بن هاشم ، وفي بيت آواك وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب..."[2] وهذا الخبر يدل على إيمان هؤلاء ، فإن الله تعالى أوجب النار على المشركين والكفار جميعهم كما دلت عليه الآيات والأخبار الواردة عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والعترة الطاهرة (عليهم السلام).

ومن الأخبار المهمة التي ينقلها الإمام الصادق (عليه السلام) التي تُعد من الدلائل القوية على إيمان أمهاته (صلى الله عليه وآله) هو افتخاره (صلى الله عليه وآله) بأمه وجداته. فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "أغار المشركون على سرح المدينة فنادى فيها مناد : يا سوء صباحاه ! فسمعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الخيل فركب فرسه في طلب العدو ... وتتابعت الخيل ... فقيل له : يا رسول الله إن العدو قد انصرف فإن رأيت ان نستبق ؟ فقال : نعم ، فاستبقوا فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) سابقاً عليهم ، ثم أقبل عليهم فقال : أنا ابن العواتك[3] من قريش ، إنه لهو الجواد البحر ، يعني فرسه»[4]. فلو لم تكن أمه

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٦ ؛ الصدوق ، معاني الاخبار ، ص١٣٦ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٦٧ ؛ ابن الجوزي ، الموضوعات ، ج١ ، ص٢٨٢ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٦٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج٦ ، ص٢٤٨.

٢- الصدوق ، الخصال ، ص٢٩٣.

٣- العواتك : جمع عاتكة ، وأصل عاتكة المتضمخة بالطيب ، وكان هذا الاسم لثلاث نسوة من أمهات النبي (صلى الله عليه وآله) إحداهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي ، والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف ، والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب أبي آمنة أم النبي (صلى الله عليه وآله). فالأولى من العواتك عمة الثانية ، والثانية عمة الثالثة ، قيل : وبنو سليم كانوا يفتخرون بهذه الولادة. وقيل : العواتك في جدات النبي (صلى الله عليه وآله) تسع ثلاث من بني سليم وهن المذكورات ، والبواقي من غيرهم. ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦٩١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص٤٤٣ ؛ الشيخ الطريحي (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٥م) ، مجمع البحرين ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ، ط٢ ، (مكتبة النشر الثقافة الإسلامية ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج٣ ، ص١١٨ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٩ ، ص٢٥٠ ؛ البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج٢٢ ، ص٣٥٦ ؛ الجواهري ، جواهر الكلام ، ج٢٨ ، ص٢٢٢.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٥٠ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٣ ، ص٣٤٦ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج١٩ ، ص١٥٧.

وجداته من الطاهرات المؤمنات لما افتخر بهن.

واستناداً لكل ما تقدم ، فقد اتفقت كلمة الامامية على ان آباء النبي (صلى الله عليه وآله) من آدم إلى أبيه عبد الله كلهم مؤمنون موحدون[1].

قال الصدوق[2] : «اعتقادنا في آباء النبي (صلى الله عليه وآله) أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله ، وإن أبا طالب كان مسلماً وإن أمه كانت مسلمة" ، وقد احتج الإمامية في قولهم هذا بالقرآن والأخبار كما قال الشيخ المفيد[3].

وليس من يستطيع أن يظن بأقوال العترة الطاهرة شيئاً غير الحق ، فيحمله على حمية النسب ، ورابطة الرحم ، بعدما جاء في القرآن الكريم بطهارتهم ، فكان كل واحد منهم يسعى ليرد للحق رواءه ، ويهد من الباطل دعائمه الواهية البناء ، ليصدح بكلمة الحق بالحجج والأدلة وقوة الإقناع ونقل الحقائق كما هي. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الإسلام أصل"[4]. لذلك كل ما حصل في الإسلام من بروز شخصية أبي طالب وقبل الإسلام كان عبد المطلب وامتيازهما في الإيمان والتقوى وعدم الشرك فأصله قبل الإسلام. وقد شخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هذا بقوله : "الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية ، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[5].

فلو جئنا إلى عبد المطلب لنعرف ما قام به من الأعمال الموصوفة بالإيمان والطهارة ، نجد إننا أمام ثروة كبيرة من هذه المزايا والصفات منها : الصفات الأخلاقية والخلقية التي عُرف بها ميزته كثيراً عن شخصيات عصره ، فقد وصف بالزعامة والطاعة والهيبة ، ونفاذ القول والجود والعطاء والسخاء ورجاحة العقل. وأكدت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) ان

١- المفيد ، أوائل المقالات ، تحقيق: إبراهيم الأنصاري ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٤٥ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١١٧ ؛ العاملي ، الصحيح ، ج٢ ، ص١٨٥.

٢- الاعتقادات ، ، ص١١٠.

٣- أوائل المقالات ، ص٤٥.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص١٧٧ ؛ الطبرسي ، مشكاة الأنوار ، تحقيق : مهدي هوشمند ، ط١ ، (دار الحديث ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٤٥٥.

٥- الشافعي ، الأم ، ج١ ، ص١٨٨ ؛ الصنعاني ، المصنف ، ج١١ ، ص٣١٦ ؛ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٢ ، ص٢٥٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٢٢ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٨١ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٣ ، ص٦٩ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج٢ ، ص٤٨٣ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص٢٤٤ ؛ الشوكاني ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ج٥ ، ص١٦٤ ؛ السيد سابق ، فقه السنة ، ط٣ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ج٢ ، ص١٤٧ .

عبد المطلب كان مؤمناً بالله الواحد وانه كان على دين إبراهيم فقد روى الصدوق[1] عن الإمام الصادق ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، عن النبي (صلى الله عليه وآله) انه قال في وصية له : "يا علي إن عبد المطلب سن في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام : حرم نساء الآباء على الأبناء وأنزل الله عز وجل : ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾[2] ، ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدق به ، وانزل الله عز وجل : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[3] ، ولما حفر بئر زمزم سماها سقاية الحاج ، وأنزل الله عز وجل : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[4] ، وسن عبد المطلب في القتل مئة من الإبل فأجرى الله ذلك في الإسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواطاً فأجرى الله ذلك في الإسلام. يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ، ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ، ويقول : أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام».

لهذه المزايا التي قلما كان يتمتع بها شخص في وسط جاهلي يسود فيه الباطل على الحق ، ويأكل القوي فيه الضعيف ، وحمية الجاهلية التي تقول : «أنصر أخاك ظالماً كان أم مظلوما»[5] التي كانت مزدهرة بامتياز ، أمام كل هذه العادات والقيم الجاهلية يظهر شخص يسن هذه السنن فلابد من الاعتراف به وإعطائه المكانة التي يستحقها ، لاسيما ان هذه الأخبار المنقولة عنه مصدرها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) فلا سبيل للمزايدة عليها. لهذا نجد ان هذه الأخبار تنقلها أيضاً العديد من المصادر الإسلامية المختلفة[6] التي أكدت ان عبد المطلب كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن دنيات

١- الخصال ، ص٣١٢ ؛ من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٥ ؛ وينظر : البروجردي ، جامع أحاديث ، ج٨ ، ص٥٣٨.
٢- النساء : ٢٢.
٣- الأنفال : ٤١.
٤- التوبة : ١٩.
٥- وقد عُدلت هذه العبارة بحسب مفهومها الجديد في الإسلام حين سُئل (صلى الله عليه وآله) "يا رسول الله كيف أنصره ظالماً ؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : ترده عن ظلمه فذاك نصرك إياه". ينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٩٤ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ج١ ، ص٤١٨ ؛ الطباطبائي ، السيد علي (ت١٢٣١هـ/) ، رياض المسائل ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، (قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج١٣ ، ص٢٨٦ ؛ الجوهري ، جواهر الكلام ، ج٤١ ، ص٧٦.
٦- ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ص١٠-١١ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج١ ، ص١٠٣ ؛ عبد الكريم ، خليل ، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ، (سينا للنشر ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص١٩٤.

الأمور ، وانه كان يوحد الله عز وجل ، ويرفض عبادة الأصنام ، وكان يحرم الخمر والزنا والحد عليه ، وكان يؤكد على الناس ان لا يحجوا إلا من طيب أموالهم ، وتعظيم الأشهر الحرم ، ونفي ذوات الرايات ، فكانت قريش تقول : «عبد المطلب إبراهيم الثاني»[1] وكان سيد قريش حتى توفاه الله.

واستناداً لكل ما تقدم نجد أن الإمام الصادق (عليه السلام) يوقر ثواب أعماله ويبين عاقبته بكلمات قليلة ذات معنى شامل وواسع فيقول (عليه السلام) : "يحشر عبد المطلب يوم القيامة امة وحده عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك"[2] كدليل على إيمانه بالله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) والإسلام العظيم.

وعلق ابن الأثير[3] على قول الصادق (عليه السلام) : إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده "الأمة : الرجل المتفرد بدين كقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[4]» وقد روي انه قيل لأكثم بن صيفي[5] وكان حكيم العرب ومن المعمرين : «إنك لأعلم أهل زمانك وأحكمهم وأعقلهم واحلمهم ، فقال : وكيف لا أكون كذلك وقد جالست أبا طالب بن عبد المطلب دهره ، وعبد المطلب دهره ، وهاشماً دهره ، وعبد مناف دهره وكان هؤلاء سادات وأبناء سادات فتخلقت بأخلاقهم وتعلمت من حلمهم ، واقتبست سؤددهم ، واتبعت آثارهم»[6].

ومن الأحداث المهمة التي وقعت في عهد عبد المطلب حادثة أصحاب الفيل وجيش ابرهة ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "لما أقبل صاحب الحبشة بالفيل يريد هدم الكعبة مروا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها فتوجه عبد المطلب إلى صاحبهم يسأله رد إبله عليه

١ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١ ، المطهر الحلي ، العدد القوية ، ص١٣٦.

٢ – الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٦ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٦٥.

٣ – النهاية في غريب الحديث ، ج١ ، ص٦٨ ؛ ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٢٧ ؛ الأنصاري ، التبريزي ، اللمعة البيضاء ، تحقيق : السيد هاشم الميلاني ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٤٤٨.

٤ - سورة النحل : ١٢٠.

٥ - أكثم بن صيفي بن رياح ين الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي ، وكان من المعمرين ، عاش مئة وتسعين سنة وقيل أكثر من ذلك ، وأدرك الإسلام واختلف في إسلامه ، إلا ان أكثرهم لا يشك في إسلامه ، وكان أحكم العرب في زمانه ، وكان أكثر أهل الجاهلية حكماً ومثلاً وموعظة سائرة. ينظر : الصدوق ، كمال الدين ، ص٥٧٠ ؛ الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص٨٥ ؛ الطوسي ، الغيبة ، تحقيق : عباد الله الطهراني وعلي أحمد ناصح ، ط١ ، (مطبعة بهمن ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص١١٥ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، ص١٣٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٩ ، ص١٩٩ ؛ الزركلي ؛ الأعلام ، ج٢ ، ص٦.

٦ - الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص٨٥ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١٥٧.

فاستأذن عليه فأذن له وقيل له : إن هذا شريف قريش أو عظيم قريش ، وهو رجل له عقل ومروءة ، فأكرمه وأدناه قال لترجمانه : سله ما حاجتك ؟ فقال له : إن أصحابك مروا بإبل لي فاستاقوها فأحببت ان تردها عليَّ ، قال : فتعجب من سؤاله إياه رد الإبل وقال : هذا الذي زعمتم أنه عظيم قريش وذكرتم عقله يدع ان يسألني ان أنصرف عن بيته الذي يعبده ! أما لو سألني ان انصرف عن هذه لانصرفت له عنه ! فاخبره الترجمان بمقالة الملك فقال له عبد المطلب : إن لذلك البيت رباً يمنعه وإنما سألتك رد إبلي لحاجتي إليها فأمر بردها عليه ..."[1]

وقول عبد المطلب لابرهة بان لذلك البيت رباً يحميه ويمنعه هو دليل إيمانه بالله الواحد الأوحد وبما سيحدث لأصحاب الفيل حين قصدوا تهديم بيت الله الحرام.

ويؤيد ذلك ان قصة أصحاب الفيل ورد نبأها في القرآن الكريم فقال سبحانه : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2]، وأكد الإمام الصادق (عليه السلام) خبر نبوءة عبد المطلب بهم وخبر ما جرى لهم بقوله (عليه السلام) : "...فنادى عبد المطلب : يا معشر قريش ، ادخلوا منازلكم فقد اتاكم الله بالنصر من عنده ، فأقبلت الطير الأبابيل في منقار كل طير حجر وفي رجليه حجران ، فكان الطائر الواحد يقتل ثلاثة من أصحاب ابرهة..."[3].

إن اعتقاد عبد المطلب بتدخل العناية الإلهية ، لهو أكبر دليل على صدق إيمانه ، وثباته ، وشجاعته ، ورأيه في المصير المحتوم لجيش ابرهة ، وهذا الثبات والإيمان ينفي جميع المزاعم التي اتهمت عبد المطلب بالهرب إلى جبال مكة[4]. وفي رواية الإمام الصادق (عليه السلام): "وخرجوا هاربين يطلبون الشعاب ، ومنهم من طلب الجبال ، ومنهم من ركب البحر ، قال : فعند ذلك قالوا لعبد المطلب : ما يمنعك أن تهرب مع الناس ؟ قال : استحيي من الله أن أهرب عن بيته وحرمه ، فوالله لا برحت من مكاني ولا نأيت عن بيت ربي حتى يحكم الله بما يشاء ... فقال : فلما نظر عبد المطلب إلى الكعبة خالية قال : اللهم أنت أنيس المستوحشين ولا وحشة معك ،

١ - الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢١٦.
٢ - الفيل : ١.
٣ - الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص٨١.
٤ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٣٤.

فالبيت بيتك والحرم حرمك والدار دارك ، ونحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء"[1].

وأورد الإمام الصادق (عليه السلام) أشعاراً أنشدها عبد المطلب في مهمة جيش ابرهة وانصرافهم خائبين فأنشد يقول :

إن للبيت لَرَباً مانعاً ... من يُرده بآثام يصطلم
لم يزل لله فينا حجة ... يدفع الله بها عنها النقم
تعرف الله وفينا حجة ... صلة الرحم ونوفي بالذمم
نحن آل الله فيما قد خلا ... لم يزل ذاك على عهد إبرهم[2]

ومن الأدلة الكبيرة والمهمة الدالة على إيمان عبد المطلب ، هو ما نقلته المصادر الإسلامية جميعها بلا استثناء عند الحديث عن سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وخاصة في أوقات المحنة والشدة والغزوات ، وعلى سبيل المثال : عندما انهزم المسلمون في حنين وتركوا نبيهم (صلى الله عليه وآله) بين سهام الكفر ورماحهم وسيوفهم في أشد ظروف الخطر ، ولم يبقَ معه إلا علي (عليه السلام) وبعض بني هاشم ، ترجل (صلى الله عليه وآله) للحرب وافتخر على الكفار بأمرين : نبوته ، وأنه ابن عبد المطلب وتباهى (صلى الله عليه وآله) بذلك بين يدي الله تعالى وقاتلهم ! والمؤمن العادي لا يفتخر بجده وآبائه إذا كانوا كفاراً غير مؤمنين ، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين واتقى الموحدين ؟

وفي هذا روى البخاري[3] : «قال رجل للبراء بن عازب[4] رضي الله عنه : افررتم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين قال ولكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يفر إن هوازن كانوا قوماً رماة وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام ، فأما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء ... والنبي (صلى الله عليه وآله) يقول : أنا النبي لا كذب

١- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢١٦.
٢- الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص٨١.
٣- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٢١٨.
٤- البراء بن عازب بن الحارث بن عدي ، وكنيته أبو عمارة ، غزا مع الرسول (صلى الله عليه وآله) ثمانية عشر غزوة ، وقيل خمسة عشر ، ونزل بالكوفة وتوفي فيها أيام مصعب بن الزبير. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٣٦٤ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٢٢٨ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص١١٧ ؛ العجلي ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله الكوفي (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م) ، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم واخبارهم ، ط١ ، (مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج١ ، ص٢٤٥.

انا ابن عبد المطلب ...".

وروى مسلم[1] «...فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب قال : فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه».

وقال المسعودي[2] : «قد تنازع الناس في عبد المطلب ، فمنهم من رأى ان عبد المطلب وغيره من آباء النبي (صلى الله عليه وآله) كان مشركاً ، إلا من صح إيمانه ، ومنهم من رأى أن عبد المطلب كان مؤمناً موحداً ، وانه لم يشرك بالله عز وجل ، ولا أحد من آباء النبي (صلى الله عليه وآله) وانه نقل في الأصلاب الطاهرة ...".

أما أبو طالب فإن التشكيك بإيمانه أخذ منحىً اكبر مما يُتصور ، فإذا كان عبد المطلب يُشك في إيمانه ، فان أبا طالب عدّوه كافراً مخلداً في النار. والأحاديث التي جاءت بهذا الوصف تناقلتها كتب السيرة والتاريخ العام بكثرة ، ومنها حديث "الضخضاخ" المشهور.

يقول ابن كثير[3] : «وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى ان أبا طالب مات مسلماً» وينقل أحاديث تدل على كفر أبي طالب وانه في ضخضاخ من النار. فنقل عن العباس بن عبد المطلب قوله : «قلت للنبي (صلى الله عليه وآله) : ما أغنيت عن عمك ؟ فانه كان يحوطك ويغضب لك. فقال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

وقد رفض الإمام الصادق (عليه السلام) هذا الحديث ، فعن محمد بن يونس[4] عن أبيه ، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال : "يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب ؟ قلت : جعلت فداك يقولون هو في ضحضاح من نار ، وفي رجليه نعلان من نار تغلي منهما أم رأسه ، فقال : كذب أعداء الله ، إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقاً".

١- صحيح مسلم ، ج٥ ، ١٦٨ ؛ وينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١٥٤ ؛ مجموعة مؤلفين ، العقائد الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٣ ، ص٤١٩.

٢- مروج الذهب ، ج٢ ، ص١٠٣ ، ص١٠٨.

٣- البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٩٣ ؛ ونقل حديث (الضحضاح) بطرق مختلفة كل من : ابن حنبل ، مسند احمد ، ج١ ، ص٢٠٧ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٤٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٦ ، ص٣٤٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٧ ، ص١٤٨.

٤- محمد بن يونس : من أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) ، ثقة. ينظر : العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص٢٣٧ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٤ ، ص٣٥٦.

ولأن مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) العلمية حاضرة في دفاعها عن أهل بيت النبوة ، فقد أوجز الإمام الصادق (عليه السلام) سيرة أبي طالب في خدمة الإسلام ودفاعه عنه وعن نبي الرحمة والإنسانية ، فقال (عليه السلام) : "إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف اسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك فأتاهم أجرهم مرتين"[1].

إن هذا الوصف الدقيق لحالة أبي طالب في إيمانه تعطينا بُعداً فلسفياً عميقاً للفكر الذي كان يحمله أبو طالب تجاه دعوة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). فالإمام الصادق (عليه السلام) بهذا الوصف يريد أن يعطينا صورة كاملة وواضحة عن أبي طالب بأنه كان عارفاً بما يفكر به القوم من دسائس ومؤامرات على النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهو يعلم جيداً أن ضعف مستوى تفكيرهم وضحالة ثقافتهم في تلك المدة تجعل منهم لا يتحملون ما كان يحصل لو ان أبا طالب أعلن إسلامه ، لذلك حاول أبو طالب ان يلعب دور الوسيط بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان السبيل الوحيد إلى ذلك هو عدم انحيازه انحيازاً كاملاً مع الفكر الجديد الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وذلك في محاولة منه للتوفيق بين ما كان سائداً من قيم وأفكار لدى عامة المعارضين وبين ما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) لكي يُمكّن الرسول (صلى الله عليه وآله) من القيام بأداء رسالته ، لذلك وجد أبو طالب ان من مصلحة هذا الدين ان لا ينحاز علناً إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأن يستر إيمانه بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) ، لكي لا يُظهر لقريش انه يتخلى عما كانوا يعتقدون به ، فيرسل لهم بذلك رسالة اطمئنان بأنه معهم ، والشاهد على ذلك قول أبي طالب : "أنباني أبي عبد المطلب بأن محمداً النبي المبعوث وأمرني ان استر ذلك لئلا يغرى به الأعادي"[2] ، ولولا لجوء أبي طالب للاستتار بهذه الطريقة وتنسيقه مسبقاً مع عبد المطلب على الكتمان والسرية في مساعدة النبي (صلى الله عليه وآله) لتمكن القوم من الانفراد به ، وهكذا استطاع أبو طالب ان يوفر فرصة العمل بنشر الدعوة الإسلامية ، ولو كان مصطفى مع ابن أخيه اصطفاء كاملاً لأعلن القوم عداءهم الصريح له ولابن أخيه ولتمكنوا منه في نهاية الأمر.

لذلك نرى الإمام الصادق (عليه السلام) قد قرأ وفسر هذه الحالة تفسيراً دقيقاً فأوجز المعنى

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٩ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص١٣٩ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٦٧.
٢- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١١.

بكلامه المختصر الدقيق : "فأتاهم أجرهم مرتين"[1] ومثّله بأصحاب الكهف ، وهذه هي مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) في سردها لأحداث السيرة النبوية ، فانه (عليه السلام) يربط الأحداث ربطاً عجيباً من الناحيتين التاريخية والعقائدية ، فقدم لنا مادة تاريخية بخصوص سيرة جده (صلى الله عليه وآله) مدعومة بالأدلة القرآنية.

وللسيد الخنيزي[2] قول في بيان فكر الإمام الصادق (عليه السلام) بخصوص هذا الحديث : "إن الإمام يقول: إن الله أتى أبا طالب ضعفي المثوبة والأجر ، إذا استطاع أن يكتم إيمانه ، لما رأى الكتمان هو الأصلح ... فله أجر الإيمان وأجر الكتم هذا ... فما كان مؤمن بقادر على ان يكتم ما يؤمن به ، وان كان ذلك في صالح الدعوة ... وانه ليقول ذلك بعد ان مثله بأهل الكهف ، الذين حكى قصتهم القرآن الكريم. فما مضاعفة الأجر بكثير على من بلغ به الإيمان هذا الذروة الرفيعة ... وما الكتم إذا فرضته المصلحة ببدع على أبي طالب ، أو بممتنع الوجود بعد أن تجده في أهل الكهف ..." ويقول الخنيزي[3]: « إن الإمام يدعم قوله ... بدليل راسخ وحجة لا ترفض ...».

إن القول في إيمان أبي طالب وإسلامه وكتمانه هذا الإيمان ، لم يقتصر تأكيده على الإمام الصادق (عليه السلام) فقط ، وإنما صدرت نصوص أخرى عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أكدت هذا الأمر ، بل سبقهم إلى ذلك النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) نفسه حين قال في عمه أبي طالب : "رحمك الله يا عم لقد كفلت يتيماً وربيت صغيراً ونصرت كبيراً"[4].

وعن الإمام علي (عليه السلام) "كان والله أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب مؤمناً مسلماً يكتم إيمانه مخافة على بني هاشم ان تنابذها قريش"[5].

وعن الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) إنه سُئل عن أبي طالب أكان مؤمناً ؟ فقال : "نعم ، فقيل له : إن ههنا قوماً يزعمون أنه كافر ، فقال : واعجباه أيطعنون على أبي طالب أو على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ وقد نهاه الله ان يقر مؤمنة على كافر في غير آية من القرآن ، ولا يشك أحد

١ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢ ، ص١١.
٢ - عبد الله ، أبو طالب مؤمن قريش (دراسة وتحليل) ، ط٤ ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ص٢٦٧.
٣ - المصدر نفسه والصفحة.
٤ - الصدوق ، الامالي ، ص٤٨٩.
٥ - السيد فخار ، الحجة على الذاهب ، ص١٢١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٦ ، ص٢٣١ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج١٤ ، ص٥٨٣.

ان بنت أسد من المؤمنات السابقات ، وأنها لم تزل تحت أبي طالب حتى مات أبو طالب (رضي الله عنه")[٦].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) إنه قال : "مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً"[٧].

ولم يقتصر الإمام الصادق (عليه السلام) في سرده وتحليله لأحداث السيرة النبوية على الأدلة القرآنية دون السنة النبوية ، وفي هذا الصدد قال (عليه السلام) : "أول جماعة كانت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يصلي وأمير المؤمنين معه ، إذ مر أبو طالب به ، وجعفر معه ، قال: يا بني صل جناح ابن عمك فلما أحسه رسول الله (صلى الله عليه وآله) تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول :

إن علياً وجعفراً ثقتي ... عند ملم الزمان والكرب

والله لا أخذا النبي ولا ... يخله من بني ذو حسب

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما ... أخي لأمي من بينهم وأبي[٨]

وهذا يدل على ان أبا طالب وجعفراً كانا مسلمين قبل ذلك ، بدليل ان جعفراً دخل مباشرة في الصلاة ، وان أبا طالب شهد بنبوة النبي (صلى الله عليه وآله) ، أما لماذا لم يصلِ معهم فأن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر أن يكتم إسلامه فلو أظهره لما استطاع ان يحمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قريش[٩].

ولم يقتصر التصريح بإيمان أبي طالب على الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ، بل ان الكثير من العلماء صرح بهذا الأمر ، قال الصدوق[١٠] : «إن أبا طالب كان مؤمناً ولكنه يظهر الشرك ويستتر الإيمان ليكون أشد تمكناً من نصرة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم")».

وقد ذكر ابن أبي الحديد[١١] قسماً من أقوال العلماء في قضية إيمان أبي طالب ، وآخرون ذكرهم العلامة الاميني[١٢].

ويخلص ابن أبي الحديد[١٣] بعد عرضه للعديد من الروايات والأحداث التي تثبت

٦- السيد فخار ، الحجة على الذاهب ، ص١٢٣ ؛ الشيخ الاميني ، إيمان أبي طالب ، ص٨٢.
٧- السيد فخار ، الحجة على الذاهب ، ص١٣٩ .
٨-القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٣٧٧ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص٥٩٧ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٨٦.
٩- الكوراني ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٥١.
١٠- كمال الدين وتمام النعمة ، ص١٧٤.
١١- شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٦٣.
١٢- الغدير ، ج٧ ، ص٣٦٩.
١٣- شرح نهج البلاغة ، ج ، ص٢٦٧.

إيمان أبي طالب إلى القول : «فأني اعلم أنه لولاه – يعني أبا طالب – لما قامت للإسلام دعامة ، اعلم أن حقه واجب على كل مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة».

إن الأحاديث الدالة على إيمان أبي طالب الواردة عن الصادق (عليه السلام) وأئمة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) لا تنحصر بما ذكرناه في هذه الدراسة ، واكتفينا بالموجز منها لكثرة الدراسات الصادرة في هذا الموضوع[1] ، فقد بلغ عدد الكتب المؤلفة في إيمان أبي طالب العشرات. وسيرد في أحداث السيرة لاحقاً ما يؤيد أن أعماله كلها تدل على إيمانه لان أفعاله لا يفعلها إلا المؤمن مما يشهد له بصحة الإيمان.

رابعاً : أبناء عبد المطلب وقصة النذر :

ورد عن الإمام الصادق عن أبيه (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قوله : "سُئل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن ولد عبد المطلب فقال : عشرة والعباس[2] وهذا يعني ان عددهم أحد عشر رجلاً.

وذكر اليعقوبي[3] ان عدد أولاد عبد المطلب عشرة ، ولكن حين يعد أسماءهم يذكر اسماء أحد عشر رجلاً.

ويبدو ان الإشكال الحاصل في العدد سببه ان بعض المصادر الإسلامية تذكر لأحدهم الاسم زائداً اللقب بصورة منفردة ، أي تذكر الواحد منها اثنين مرة باسمه ومرة بلقبه ، فيبدو

١- ومن هذه الدراسات :

١- إيمان أبي طالب لأبي نعيم علي بن حمزة البصري اللغوي (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المحققين العارفين بصحيحها من سقيمها واديب لغوي كبير. ينظر (عباس القمي ، الكنى والالقاب ، ج١ ، ص١١٠ ؛ عمر كحالة ، معجم المؤلفين ، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٧ ، ص٨٣.

٢- إيمان أبي طالب ، للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م).

٣- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ، للسيد فخار بن معد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) .

٤- التعظيم والمنة في ان أبوي الرسول في الجنة ، ورسالة ثانية عنوانها السبل الجلية في الآيات العلية ، للسيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

٥- إيمان أبي طالب ، الشيخ الاميني.

٦- عقيدة أبي طالب ، للسيد طالب الرفاعي.

٧- أبو طالب حامي الرسول وناصره ، للسيد نجم الدين العسكري.

٨- شيخ البطحاء ، للحاج حسين الشاكري.

٩- أبو طالب عم الرسول ، محمد كامل حسن المحملي.

١٠- أبو طالب مؤمن قريش ، للأستاذ عبد الله الخنيزي القطيفي.

١١- أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية لعلي صالح رسن المحمداوي ، وهناك دراسات أخرى لا مجال لذكرها تجنباً للإطالة.

٢- الصدوق ، الخصال ، ص٤٥٢.

٣- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٠.

انهما اثنان فيحصل الاشتباه على انهم احد عشر. والدليل على ذلك هو ان ابن قتيبة الدينوري[1] بعد ان عدَّد أولاد عبد المطلب ذكر عبارة : «الغيداق بن عبد المطلب واسمه حجل». وهكذا يُذكر الاسم مرتين كما حصل عند الصدوق[2] حين عدد اسماء أولاد عبد المطلب فقال : «أسنهم الحارث – وبه يكنى عبد المطلب – وعبد العزى وهو أبو لهب ، وأبو طالب – وهو عبد مناف – وضرار ، والزبير ، والغيداق ، والمقوم ، والحَجَل ، وحمزة ، والعباس ، وعبد الله» فتكرر اسم الغيداق والحجل مرتين مع انهما اسم واحد.

وهذا ربما يقودنا إلى السبب الذي من اجله وضعت عبارة «والعباس» بعد ان قالت الرواية ان عدد أولاد عبد المطلب عشرة ، فحشرت كلمة «والعباس».

أما قصة نذر عبد المطلب بذبح احد أولاده قرباناً لله تعالى إذا رزقه الله بعشرة أولاد ذكور ، فقد كثر الجدال بين الباحثين حول صحة هذه الرواية من عدمها. وقصة النذر هذه مرتبطة بشكل مباشر بقصة عدد الأولاد وبلوغهم عشرة وهو العدد الذي كان عبد المطلب يتمناه حسب أغلب الروايات. وقبل الإشارة إلى الآراء التي وردت في هذا الموضوع لابد من الإتيان ببعض هذه الروايات لنرى مدى الاختلاف بينها.

فالروايات الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) جاءت لتؤكد حادثة النذر هذه. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ذكر قصة عبد المطلب : "نذر ذبح من يولد له فولد له عبد الله أبو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فألقى الله عليه محبته فألقى عليه السهام وعلى إبل ينحرها يتقرب بها مكانه ، فلم تزل السهام تقع عليه وهو يزيد حتى بلغت مئة ، فوقع السهم على الإبل فأعاد السهام مراراً وهي تقع على الإبل ، فقال : الآن علمت ان ربي قد رضي ونحرها"[3].

وروى الصدوق[4] بسنده عن علي بن الحسن بن فضال[5] قال : قال الإمام علي بن

١ – المعارف ، ص١١٨.
٢ – الخصال ، ص٤٥٢.
٣ – القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٥٢٢.
٤ – الخصال ، ص٥٦ ؛ عيون أخبار الرضا ، ج٢ ، ص١٨٩.
٥ – علي بن الحسن بن فضال ، فطحي المذهب ، كوفي ، جيد التصانيف ، كثير العلم ، واسع الرواية والأخبار ، غير معاند ، وكان قريب الأمر إلى الإمامية القائلين بالاثني عشرية ، وكتبه في الفقه مستوفاة في الأخبار حسنة ، وقيل إنها ثلاثون كتاباً ، وعدد النجاشي والطوسي أكثرها. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٥٧ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٣٨٩ ؛ الفهرست ، ص١٥٦ ؛ ابن الغضائري ، رجال ابن الغضائري ، ص١٢٣؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٣ ، ص٢٤٥ ؛ البروجردي ، طرائف المقال ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٢ ، ص٣٦٠.

موسى الرضا (عليه السلام) : "...فأن عبد المطلب كان قد تعلق بحلقة باب الكعبة ودعا الله عز وجل ان يرزقه عشرة بنين ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته. فلما بلغوا عشرة قال : قد وفى الله لي فلأوفين لله عز وجل فادخل ولده الكعبة وأسهم بينهم ، فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان أحب ولده إليه. ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبد الله ، ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله ، فأخذه وحبسه وعزم على ذبحه ، فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك ، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصيحن فقالت له ابنته عاتكة[1] : يا أبتاه أعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل أبنك. قال وكيف أعذر يا بنية فإنك مباركة ، قالت : اعمد إلى تلك السوائم[2] التي لك في الحرم فاضرب القداح على ابنك وعلى الإبل وأعط ربك حتى يرضى...».

وهناك روايات أخرى صادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) في حادثة النذر لا يتسع المجال لذكرها ، ومنها رواية الإمام الباقر (عليه السلام) التي ينقلها الشيخ الصدوق[3].

أما الروايات الأخرى فان ملخص ما جاء فيها عن حادثة النذر ان عبد المطلب كان عند حفر زمزم ليس له من الولد حينذاك إلا الحارث ، وان سبب نذره هو منازعة قريش له حين حفر زمزم فقال له عدي بن نوفل بن عبد مناف[4]: «يا عبد المطلب ، اتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك ؟ فقال عبد المطلب: أ لقلةٍ تعيرني ؟ فوالله لئن أتاني عشرة من الولد ذكوراً لأنحرن أحدهم عند الكعبة». وكان عبد المطلب عند حفر زمزم ابن أربعين سنة ، وأراد ذبح ولده بعد ذلك بثلاثين سنة[5].

تؤكد الأخبار الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ان حادثة النذر حقيقية وحاصلة وان عبد

١- عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم أسلمت عاتكة وهاجرت إلى المدينة ، وكانت زوجة أبي أمية بن المغيرة والد أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله). وكانت ذات رؤيا فذكروا رؤياها في مصاب أهل بدر. ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج٨ ، ص٤٣ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٣٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٢٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٨ ، ص٢٢٩.

٢- السوائم : مفردها سائمة ، وهو المال الراعي ، أي ترسل ترعى ولا تعلف ، والسائمة من الإبل والبقر والغنم. وهي الراعية. ينظر : محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٤٨٣.

٣- الخصال ، ص٥٦.

٤- عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، شاعر من سادات قريش في الجاهلية ، كانت له سقاية الحجيج بمكة ، وهو جد الصحابي جبير بن مطعم،أسلم يوم الفتح. ينظر: ابن عبد البر،الاستيعاب،ج٣، ص١٠٦١؛الزركلي، الإعلام،ج٤، ص٢٢١.

٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨٨ ؛ البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج١ ، ص٨٦ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٥٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، ص٢١٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ص٣٣٧.

المطلب كان عازماً على ذبح ابنه عبد الله ، ويؤكد الإمام الرضا (عليه السلام) هذه الحقيقة فيقول : "لولا ان عبد المطلب كان حجة وان عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي (صلى الله عليه وآله) بالانتساب اليهما لأجل انهما الذبيحان ، في قوله : انا ابن الذبيحين. والعلة التي من اجلها دفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها دفع الذبح عن عبد الله ، وهي كون النبي والأئمة المعصومين – صلوات الله عليهم – في صلبيهما ، فببركة النبي والأئمة (عليهم السلام) دفع الله الذبح عنهما"[1].

وورد افتخار النبي (صلى الله عليه وآله) بالانتساب إلى آبائه في حديث "انا ابن الذبيحين" في معظم المصادر الإسلامية[2] ومنها :

١ –قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في افتخاره بآبائه : "... انا ابن الذبيحين... "[3].

٢–في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عن النبي انه قال : "يا علي أوصيك بوصية فأحفظها فلن تزال بخير ما حفظت وصيتي ... يا علي أنا ابن الذبيحين... "[4].

وعن سليمان بن مهران[5] عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) "قال النبي (صلى الله عليه وآله) ...أنا ابن الذبيحين"[6].

روى الصدوق[7] بسنده عن علي بن الحسن بن فضال قال : «سألت الرضا (عليه السلام) عن

١– الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ج٢ ، ص١٨٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص١٢٣.

٢– الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٥٥٨ ؛ السرخسي ، المبسوط ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ج٨ ، ص١٤١ ؛ الكاساني ، علاء الدين بن مسعود الحنفي (ت٥٨٧هـ/ ١٩٨٩م) ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط١ ، (المكتبة الحبيبية ، باكستان ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ج٥ ، ص٨٥ ؛ ابن نجيم ، زين الدين بن ابراهيم بن محمد المصري (ت٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م) ، البحر الرائق ، ط١ ، (منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص٢٨٧ ؛ الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٩ ، ص١٦٤.

٣– الشريف المرتضى (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م) ، الفصول المختارة ، تحقيق: نور الدين جعفريان الاصفهاني ويعقوب الجعفري ومحمد الأحمدي ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٦٠.

٤– الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٨ ؛ عيون الأخبار ، ج٢ ، ص١٧ ؛ الخصال ، ص٥٨ ؛ الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص٤٣٣ وص٤٤٢ ؛ ابن ادريس الحلي ، محمد بن منصور بن أحمد (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م) ، مستطرفات المسائل ، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لجماعة المدرسين ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٦١٩.

٥– سليمان بن مهران ، الإمام التابعي المشهور من كبار العلماء في الفقه والحديث مات سنة ١٤٨هـ ، رأى أنساً وأبا بكرة ، قال المدني : حفظ العلم على أمة محمد . ينظر : ابن شاهين ، أبو حفص عمرو (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) ، تاريخ اسماء الثقات ، تحقيق : صبحي السامرائي ، ط١ ، (دار السلفية ، تونس ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص١٤ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٩ ، ص٤ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٢ ، ص٦١٤.

٦– الصدوق ، الخصال ، ص٥٨.

٧– المصدر نفسه ، ص٥٦.

معنى قول النبي (صلى الله عليه وآله) : أنا ابن الذبيحين ؟ قال : يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) وعبد الله بن عبد المطلب".

على الرغم من الجدال الذي ظهر بين الباحثين المعاصرين حول صحة قصة الذبح من عدمها ، لم نجد من بينهم من تصدى لبيان الموقف في أحاديث أهل البيت عليهم السلام المارة الذكر ، لانها صادرة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، وورودها بسند معتبر بحسب ما تؤشر له كتب الرجال. فتباينت هذه الآراء. وحري بنا أن نذكر قسماً منها لنعرف من هم المؤيدون لتلك الحادثة ومن هم الرافضون لها. ولنبدأ بمن يؤيد :

١-العلامة جعفر مرتضى العاملي[١] : «... ومهما يكن من أمر فقد أراد عبد المطلب ذبح ولده عبد الله ، فأطاعه ولده ، فمنعوه من ذلك ، فضربت القداح عليه ، وعلى عشرة من الإبل – مقدار دية رجل – من جديد فخرجت عليه ، فزادها عشرة وضربت القداح ، فخرجت عليه ، وهكذا إلى ان بلغت مئة ، فخرجت على الإبل فنحرت ، ولذلك يقال : إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقول : أنا ابن الذبيحين ، أي إسماعيل وعبد الله".

٢-الشيخ الغروي[٢] : «وعليه فلا مانع من ان يكون في أول أمره يرى لنفسه أن ينذر نذراً كهذا ، وقد أمر الله نبيه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل ، ونذرت امرأة عمران[٣] ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس. كما أشار إلى هذا ابن شهراشوب فقال وتصور عبد المطلب ان ذبح الولد أفضل قربة لما علم من أمر إسماعيل ...»

٣-أما الشيخ علي الكوراني[٤] فيقول : «إن الإشكالات التي نراها في عمل عبد المطلب ، ان سببها هو جهلنا بالمستند الشرعي له في نذره وطريقة وفائه به ، غير ان ما ثبت عن شخصيته وإيمانه العميق وإلهام الله تعالى إياه حفر زمزم ، وظهور المعجزة لما أرادت قريش أخذها منه ، وإخباره بآية أصحاب الفيل ، يدل على أنه لم ينذر ولا تحلل من نذره إلا بحجة

١ – الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص٤٣.
٢ – موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج١ ، ص٢٢٥.
٣ – امرأة عمران : هي أم مريم بنت عمران أم المسيح (عليه السلام) وقيل ان اسمها كان حنة. ينظر : الطوسي ، التبيان ، ج٢ ، ص٤٤٢.
٤ – السيرة النبوية ، ج١ ، ص٦٣.

من ربه تعالى».

٤-الباحث محمد الفارس[1] : وعندما عزم عبد المطلب على نحر ابنه عبد الله وفاءً لله تعالى عندما استجاب لدعائه وهو معلق على أستار الكعبة داعياً الله عز وجل أن يرزقه عشر بنين فكان له ما ابتغى ، فقد تجلى في هذه الحالة إيمان عبد الله بالعقيدة الحنيفية في أبهى صورها حينما استجاب لوالده من دون تردد ، لذلك كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفتخر بهذه الحادثة ويقول : "أنا ابن الذبيحين" عبد الله وإسماعيل.

أما الباحثون الذين نفوا حادثة النذر والذبح جملة وتفصيلاً وعدوها من الروايات المفبركة والموضوعة التي لا أساس لها فقد استندوا في أدلتهم إلى ما أوردوه من ملاحظات وتحليلات للثغرات والهفوات والأخطاء التاريخية الواردة في معظم روايات حادثة النذر والذبح. وهي ملاحظات صحيحة في معظمها ، ولا يمكن تجاوزها ، وعبرت آراؤهم عن علمية وحيادية ، ومنهم الأستاذ علي أكبر غفاري الذي جاء في تعليقه على حادثة النذر فقال: "جاءت هذه القصة في كثير من كتب الحديث من الطريقين ، واشتهرت بين الناس وأرسلها جماعة من المؤلفين إرسال المسلمات ، ونقلوها في مصنفاتهم من دون أي نكير ، وهي كما ترى تضمنت أمراً غريباً ، بل منكراً لا يجوز ان ينسب إلى أحد من أوساط الناس والسذج منهم ، فضلاً عن مثل عبد المطلب الذي كان من الأصفياء وهو في العقل والكياسة والفطنة حتى لا يكاد ان يدانيه أحد من معاصريه ... وفي الكافي روايات تدل على عزيمته وجلالته وكمال إيمانه وعقله ودراياته ورئاسته في قومه"[2].

فإذا كان الأمر كذلك فكيف يصح ان يقال : إنه نذر أن يذبح سليله وثمرة مهجته وقرة عينه قربة إلى الله سبحانه ، وان يتقرب بفعل منهي عنه في الشرائع جميعها ، والقتل من أشنع الأمور واقبحها ، والعقل مستقل بقبحه بل يعده من أعظم الجنايات ، مضافاً إلى كل ذلك أن النذر بذبح الولد قرب للمعبود من سنن الوثنيين والصابئيين وقد ذكره الله تعالى في جملة ما

١ - محمد خضير ، عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية من السيرة النبوية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ص١٦٢.

٢- مجموعة مؤلفين ، العقائد الإسلامية ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٣ ، ص٤٣٥.

شنع به على المشركين[1].

ومنهم الأستاذ جواد النصر الله[2] الذي قال : «إن حديث أنا ابن الذبيحين ، هو أحد الأحاديث المختلقة والموضوعة من معاوية الذي قام بتشكيل لجنة لكتابة التاريخ حسبما يراه هو».

إن نفي حديث : «أنا ابن الذبيحين» يعني نفي حادثة النذر أيضاً ، لان الحديث هو تأكيد لحادثة النذر ، بل لم يخرج هذا الحديث للوجود لولا حصول هذه الحادثة ، فالذي ينفي الحديث المذكور ينفي أيضاً هذه الحادثة ، وهذا يعني ان الأستاذ النصر الله ينفي حادثة النذر كذلك.

ومن الباحثين المعاصرين الذين نفوا حادثة النذر الباحثة الساعدي[3] التي عدّت حادثة النذر قصة مفبركة لها غايات أموية وإسرائيلية ، وناقشت الساعدي الثغرات الموجودة في روايات النذر بطريقة علمية ، وركزت كثيراً على الأخطاء التاريخية في الروايات ، وأشارت إلى التناقضات الحاصلة فيها ، وهي كلها التفاتات صحيحة ، إلا إنها حين تطرقت إلى كل ذلك وخلصت إلى القول بنفي الحادثة فاتتها بعض الملاحظات ومنها :

١-أشارت الباحثة[4] ان نذر عبد المطلب كان لأغراض عصبية ، فهو حين جرى الصراع بينه وبين قريش نذر بأن لو ولد له عشرة من الولد أن يذبح أحدهم لله.

وللرد على رأي الباحثة نقول : إن العصبية كانت من أمور الجاهلية وعاداتها ، ولا يمكن لنا أن نطالب الناس بالتخلص منها بسهولة ويسر ، بدليل أنها مازالت موجودة عند الكثير من الناس إلى الآن ، ولم يستطيعوا التخلص منها ، فلماذا نحمل عبد المطلب ما لا يطيق ، ونطلب منه ان لا يكون متعصباً ، وعلى الرغم من كل الأدلة التي ذكرناها في إيمانه ، إلا إنه لم يكن معصوماً ، فهو يخطئ ويصيب حاله حال الآخرين من عامة الناس. فمن المحتمل أن يكون جزءاً من أسباب النذر هو حالة العصبية ، وهذا ليس عيباً فعبد المطلب لم يكن مجرداً من

١- المصدر نفسه ؛ ص٤٣٦.
٢- هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ، بحث منشور في مجلة رسالة الرافدين ، العدد الخامس ، ٢٠٠٨م ، ص٩٤-٩٥.
٣- إيمان حسن مجيسر ، والدا النبي (ﷺ) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م ، ص٣٦.
٤- المصدر نفسه ، ص٣٣.

عادات قومه المعاصرين له.

ثم انه لابد لنا من الانتباه إلى مسألة مهمة جداً في دراستنا للتاريخ ، وهو انه يجب علينا ان يكون قياسنا للأمور بما كان يدور في عصرهم ، لا كما نحن الآن من التقدم في الحوار والأفكار وربط الأحداث بعضها ببعض ، فلو قسنا عبد المطلب بزمانه فهو متطور جداً بالقياس إلى ما كان حوله من أحداث وأفكار وسلوك. والمشكلة التي نعاني منها أن كثيراً من الباحثين يحللون أحداث الماضي بعقلية الحاضر.

ثم ان قول الباحثة الساعدي : ان النذر كان لأغراض عصبية ، يعني اعترافها بحصول الحادثة وعدم نفيها. وهذا يناقض الرأي الذي ذكرته في بداية الأمر من ان قصة النذر مختلقة ولا أساس لها من الصحة.

٢-وعند دراسة الباحثة لسند إحدى الروايات ذكرت ان الراوي هو (الحسن بن علي بن فضال) وأكدت بعدم وجود ترجمة له في كتب الرجال أو كتب التراجم[١] أي انه شخص مغمور ، وهذا الأمر بعيد عن الصحة ، فأولاً : ان اسم الراوي هو (علي بن الحسن بن فضال) وليس كما ذكرته الباحثة من انه (الحسن بن علي بن فضال)[٢] .

وثانياً : أن الراوي (علي بن الحسن بن فضال) ترجم له أكثر من عالم ومصنف في علم الرجال ، فهو : علي بن الحسن بن فضال ، فطحي المذهب[*] ، كوفي ، جيد التصانيف ، كثير العلم ، واسع الرواية والأخبار ، غير معاند ، وكان قريب الأمر إلى الإمامية القائلين بالاثني عشرية ، وكتبه في الفقه مستوفاة في الأخبار حسنة ، وقيل إنها ثلاثون كتاباً[٣].

وبعد هذا العرض الموجز لآراء الباحثين من المؤيدين لحادثة النذر ، وحديث «انا ابن الذبيحين» ، أو النافين لهما ، والذين تناولوا هاتين الحالتين بالدراسة والتحليل بشكل مستفيض ، لم يبق للباحث إلا ان يسجل بعض الملاحظات أيضاً على هذه الروايات :

١- الساعدي ، والدا النبي (ﷺ) ، ص٤١.
٢- المصدر نفسه ، ص٢٩.
٣(*) الفطحية: القائلون بأمامة عبدالله الافطح بن جعفر الصادق(عليه السلام) لان عبدالله كان افطح الراس، وقال بعضهم كان افطح الرجلين. ينظر: الاردبيلي ، جامع الرواة، ج٢، ص٥٤٦.
- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٥٧ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٣٨٩ ؛ الفهرست ، ص١٥٦ ؛ ابن الغضائري ، رجال ابن الغضائري ، ص١٢٣ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٣ ، ص٢٤٥ ؛ البروجردي ، طرائف المقال ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٢ ، ص٣٦٠.

١-إن عبد المطلب الملقب بـ(إبراهيم الثاني) ، كما تسميه قريش[١] ، وموقفه المعروف الذي يثبت إيمانه بالله في قصة الفيل ، والسنن التي سنها في الجاهلية وأقرها الإسلام[٢] تنفي عنه ممارسته لأعمال الشرك التي ذكرتها الروايات ، وان الباحث يعتقد ان عبد المطلب لم يلجأ إلى الكاهنة أو العرافة لأخذ رأيها والاهتداء به ، والذي يؤيد ذلك هو قول الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذاب يصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب"[٣]. فمن غير المعقول أن يقول الإمام الصادق كلاماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) يثبت الكفر وكان عبد المطلب قد عمل به ، مما ينفي ذهابه إلى الكاهنة.

٢-إن عبد المطلب – ربما – لم يلجأ إلى الضرب بالقداح كما وصفته الروايات بدليل قول الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام) : يا علي ان عبد المطلب كان لا يعبد الأصنام ولا يستقسم بالأزلام ..."[٤].

٣-وعلى الرغم من ان نفي الضرب بالقداح من عبد المطلب أكده قول الإمام الصادق (عليه السلام) إلا انه من الممكن ان يكون عبد المطلب قد لجأ إلى أسلوب آخر لحل المشكلة ، وهو أسلوب (القرعة) ، والقرعة عمل مشروع باتفاق الفقهاء[٥] ، وهذا الرأي يدعمه قول الإمام الصادق (عليه السلام) في انه تجب القرعة فيما أشكل فيه[٦] ، وذكر القرعة في قصة يونس (عليه السلام) في السفينة[٧] في قوله تعالى : ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾[٨] ، وفي قصة زكريا (عليه السلام) في كفالته لمريم (عليها السلام)[٩] في قوله تعالى : ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[١٠].

١- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٩.
٢- الصدوق ، الخصال ، ص٣١٢ ؛ من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٥.
٣- ابن ادريس الحلي ، مستطرفات السرائر ، ص٥٩٢ ؛ المحقق السبزواري (ت١٠٩٠هـ/ ١٦٣٤م) ، كفاية الأحكام ، تحقيق : الشيخ مرتضى الواعظي الاراكي ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج١ ، ص٤٤١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٧ ، ص١٥٠ ؛ السيد الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج٨ ، ص٧٢.
٤- الصدوق ، الخصال ، ص٣١٣ ؛ من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٦٥ ؛ الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص٤٤٠ ؛ ابن حاتم العاملي ، جمال الدين يوسف بن فوز بن مهند الشامي (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) ، الدر النظيم ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، د.ت) ، ص٧٩٨.
٥- النراقي ، أحمد بن محمد بن مهدي (ت١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م) ، عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام ومهمات مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٦٤٠ ؛ كريمي ، حسين ، قاعدة القرعة ، تحقيق: مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٨٤.
٦- القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٥٢٢.
٧- الصدوق ، الخصال ، ص١٥٦ ؛ حسين كريمي ، قاعدة القرعة ، ص٨٤.
٨- الصافات : ١٤١.
٩- حسين كريمي ، قاعدة القرعة ، ص٨٥.
١٠- آل عمران : ٤٤.

أما مشروعية القرعة في السنة ، فقد أكدها الإمام الصادق (عليه السلام) ، فقد روي عنه (عليه السلام) "وأي حكم في الملتبس أثبت من القرعة ؟ أليس هو التفويض إلى الله جل ذكره"[1] وروي عنه (عليه السلام) قوله : "فأي قضية أعدل من القرعة إذا فوض الأمر إلى الله تعالى ، أليس الله يقول ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾"[2] وقال الإمام الصادق (عليه السلام) ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلى الله تعالى إلا خرج سهم المُحق[3]. وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر يقرع بين نسائه تطييباً لنفوسهن ، فعن عائشة قالت : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد السفر أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه"[4] . لذا فإن روايات الإمام الصادق (عليه السلام) أكدت ان عبد المطلب حين ألقى الله عليه محبة ابنه عبد الله لجأ إلى إلقاء السهام على عبد الله وعلى الإبل لكي ينحرها كوسيلة للحصول على رضا ربه ، أي أنه بالأساس لجأ إلى هذه الوسيلة لكسب رضا الله الواحد الأحد ، مما يدل على ان عبد المطلب أبعد ما يكون عن فكرة الشرك وأعمال الشرك. وتؤيد هذا الرأي الروايات الصادرة عن الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) حين يشيرون إلى هذه الحادثة فانهم يذكرون معها (إلقاء السهام على عبد الله وعلى الإبل) عملاً بالقرعة المشروعة. وهو أيضاً ما أشار إليه الإمام الصادق (عليه السلام) في انه تجب القرعة فيما أشكل عليه وذكرنا العديد من الأحاديث عنه (عليه السلام) بهذا الشأن.

وخلاصة القول : إن حادثة الذبح وحديث انا ابن الذبيحين : لا يمكن نفيهما ، وذلك لورودهما على لسان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وعن طريق الأئمة الأطهار (عليهم السلام) جميعهم وبأسانيد معتبرة ، وان النافين لهاتين الحادثتين على الرغم من انهم شخصوا مواطن الضعف في الروايات من حيث السند والتناقضات والأخطاء التاريخية ، إلا انهم لم يبينوا موقفهم من الروايات الصادرة عن أهل البيت من حيث المتن والمحتوى وموافقته أو مخالفته للقرآن الكريم . لأن مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) العلمية تؤكد قاعدة عرض النصوص على القرآن في قوله (عليه السلام)

١- القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٥٢٢.
٢- البرقي ، المحاسن ، ج٢ ، ص٦٠٣ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٧ ، ص٢٦٢ ؛ الشيرازي ، ناصر مكارم ، القواعد الفقهية، ط٣، (مطبعة مدرسة أمير المؤمنين (عليه السلام)، قم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)،ج١، ص٣٣٢ ؛ النجفي، هادي، موسوعة الأحاديث أهل البيت(عليهم السلام)، ط١، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٩، ص١٢٨.
٣- النراقي ، عوائد الأيام ، ص٦٤١.
٤- ابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن احمد بن محمد (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م) ، المغني ، (دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج٧ ، ص٤٠٥.

: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه"[1] والقرآن الكريم خلد لنا حادثة الذبح في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[2] مما يعني ان هذه الحادثة لا تخالف المنهج القرآني ومن ثمَّ يصعب علينا نفيها ، وهو أمر يشكل علامات استفهام فيما ذهبوا إليه من نفي هذه الحادثة.

والذي يبدو أكثر وضوحاً ان حادثة النذر أو الذبح هي حاصلة فعلاً ، وان الضعف في الروايات جاء من الإضافات عليها فيما بعد ، أي ان هذه الحادثة أضيف لها ما ليس فيها ، شانها شأن معظم روايات السيرة النبوية التي تعرضت للتحريف والتشويه ، ولا يقتصر التحريف على الوضع والحذف بل شمل الإضافات أيضاً وهذا ما حصل في هذه الحادثة.

١ - الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩.
٢ - الصافات : ١٠٢.

المبحث الثاني :

ولادته ونسبه :

أولاً : ولادته (صلى الله عليه وآله) :

على الرغم من الاتفاق السائد بين الجميع بان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وُلِدَ عام الفيل (570م) ، إلا ان الاختلاف كان في تحديد اليوم الذي ولد فيه ، فقد اتفقوا على ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. واختلفوا فيما مضى من ذلك الشهر لولادته على أربعة أقوال : أحدهما : إنه ولد لليلتين خلتا منه[1] ، والثاني : لثمان خلون منه[2] ، والثالث: لعشر خلون منه[3] ، والرابع : لاثنتي عشر خلت منه[4]. وانفرد الكليني[5] من بين علماء الشيعة الإمامية في القول بإنه ولد يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول. بينما اتفق علماء الامامية انه ولد في الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول[6].

وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن ولادته (صلى الله عليه وآله) ثلاث روايات الأولى : نقلها اليعقوبي[7] بسنده عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يذكر فيها ان تاريخ ولادته (صلى الله عليه وآله) كان في يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر رمضان ، وهو خبر شاذ لم يذكره غيره من المتقدمين فيما يخص الشهر الذي ولد فيه ، باستثناء ابن سيد الناس[8] الذي نقل الرواية عن الزبير.

١- ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ج١ ، ص١٨ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م) ، ج١ ، ص١٩٨.
٢- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٨١.
٤- ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٦٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣١٩ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص٦.
٥- الكافي ، ج١ ، ص٤٣٩.
٦- الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٧٠ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٤٢ ؛ المطهر الحلي ، العدد القوية ، ص١٠١.
٧- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥.
٨- عيون الأثر ، ج١ ، ص٣٩.

والرواية الثانية : نقلها عن الصادق (عليه السلام) الراوندي[1] : «... ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عام الفيل شهر ربيع الأول حتى طلوع الفجر ...".

وهذه الرواية تنفي ما ورد عن الإمام الصادق في خبر اليعقوبي من ان ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت في شهر رمضان.

وجاء في الرواية الثالثة عن علي بن جعفر[2] قائلاً : «جاء رجل إلى أخي موسى بن جعفر (عليه السلام) فقال له : جعلت فداك إني أريد الخروج فادعُ لي. قال : ومتى تخرج ؟ قال : يوم الاثنين . فقال له : ولم تخرج يوم الاثنين. قال : اطلب فيه البركة لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولد يوم الاثنين. فقال : كذبوا ، ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الجمعة ...".

ولعمل مقارنة أو إجراء دراسة توافقية بين الروايات الثلاث المذكورة نشير الى الملاحظات الاتية :

١-إن خبر اليعقوبي بتحديد شهر رمضان كشهر ولد فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يُعتد به ، لانه مخالف لجميع الروايات الواردة في المؤلفات الإسلامية جميعها، وهو خبر شاذ كما ذكرنا.

٢-في الرواية الثانية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) نقرأ تأكيد ان ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت في شهر ربيع الأول ، وهو ما تقدمت الإشارة اليه من ان هذا الخبر ينفي ما ورد في رواية اليعقوبي بخصوص شهر رمضان.

٣-لا مجال لإنكار ما ورد في الرواية الثالثة وهي حديث علي بن جعفر لان مصدرها الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) الذي نقل الخبر بالتأكيد عن والده الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، والذي يؤكد ان ولادته (صلى الله عليه وآله) كانت يوم الجمعة وليس يوم الاثنين.

٤-واستناداً لكل ما تقدم ، فإن الروايات الثلاث الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) تُجمع على أن ولادته كانت في يوم الجمعة وفي شهر ربيع الأول. وبما ان الامامية متفقة على انه (صلى الله عليه وآله) ولد يوم الجمعة في السابع عشر من شهر ربيع الأول باستثناء رواية الكليني التي

١- الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٢١.

٢- ابن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ت ق٢هـ/ ٨م) ، مسائل علي بن جعفر ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص٣٤٠ ؛ الحميري ، قرب الإسناد ، ص٢٩٩ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٣٨٥ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١١ ، ص٣٥٢.

لم يسندها إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وإنما جاءت مرسلة عنه يتفق فيها مع الامامية بأن اليوم الذي ولد فيه (صلى الله عليه وآله) هو يوم الجمعة ، فإن هذا الأمر لا يستقيم إلا إذا قلنا ان ولادته يوم الاثنين لاثني عشر خلت من ربيع الأول أي بعد مضي اثنا عشر يوماً من هذا الشهر ، أي الثالث عشر منه ، فيكون مقابل ذلك ان يوم الجمعة هو لستة عشر مضت من ربيع الأول ، أي أن أول يوم من ولادته يكون السابع عشر من ربيع الأول وهو المصادف ليوم الجمعة. وهو أمر يثبت أن الكليني أصاب في تحديده يوم الجمعة وأخطأ في تحديده حين قال الثاني عشر من شهر ربيع الأول . وسبقت الإشارة في الفصل الأول إلى أن الكليني حينما ينقل رواياته مرسلة فأنه يعني انها صادرة عن الإمام الصادق (عليه السلام) على الأرجح ، لأنه اعتمد بنسبة كبيرة في نقل رواياته على كتاب إبان المعاصر للصادق (عليه السلام) ، فأشار إلى يوم الجمعة الذي لا يمكن ان يصادف الثاني عشر وإنما السابع عشر من شهر ربيع الأول.

وفي أخبار ولادة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وردت العديد من الروايات التي لا تخلو من الدس والتشويه والتحريف ، وقد تباينت هذه الروايات في أسباب حصولها وكيفية حدوثها.

الرواية الأولى : "... ان آمنة بنت وهب قالت : رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام ثم والله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ ولا أيسر منه ووقع حين ولدته واضعاً يديه على الأرض ورافعاً رأسه إلى السماء"[1].

وهنا ينبغي الوقوف عند قول السيدة آمنة ... فبالنسبة للشق الأول من قولها بأنها رأت حين حملت به (صلى الله عليه وآله) نوراً خرج منها أضاء قصور بصرى من أرض الشام ، في الوقت الذي أكدت رواية الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما ولد فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام"[2] أي ان آمنة رأت بياضاً ونوراً لما وُلِدَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحسب رواية الإمام الصادق (عليه السلام) وليس حينما حملت به – بحسب الرواية الأولى – وهذا فرق كبير بين الحالتين

١- الطبري ، تاريخ الأمم ، ج١ ، ص٥٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ، ص٤٦٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٥٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج١ ص٤١٣ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٤ ، ص٨٦.

٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٥٤ ؛ ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٣١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٥ ، ص٦ ؛ الشيخ الماحوزي ، سليمان بن عبد الله البحراني (ت١١٢١هـ/ ١٧١٠م) ، كتاب الأربعين حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: السيد مهدي رجائي ، ط١ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٢٠٥.

، لأن مدة الولادة لا تستغرق وقتاً طويلاً ، بينما مدة الحمل تكون لعدة أشهر ، فلم تحدد الرواية المنقولة عن السيدة آمنة كم هي المدة التي كان يخرج منها النور في أثناء الحمل. فإذا كان المقصود ان النور يخرج منها طوال مدة الحمل – يومياً – وترى كل يوم في ذلك النور قصور بصرى والشام ، فهذا الأمر خارج عن حدود التصور والمعقول ، وإذا كان غير ذلك فهذا ما لم تذكره الرواية ، ومن ثمَّ فلا نتمكن من معرفة هذه المدة المقصودة. مما يؤكد صحة رواية الإمام الصادق (عليه السلام) ان النور خرج منها أثناء الولادة – أي مدة قصيرة ومحددة – وهي معجزة ليست ببعيدة عن سيد الكائنات وما خصه الله بها من المكارم ، وهذه المدة المحدودة تمكنت السيدة آمنة من رؤية ما رأت.

وورد في الشق الثاني من قول السيدة آمنة : "والله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليَّ وأيسر منه ..." والمعروف أن السيدة آمنة كانت بكراً وان محمداً (صلى الله عليه وآله) هو أول أولادها ، أي لم يسبق لها قبل ذلك حمل أو ولادة ، فكيف تسنى لها معرفة آلام الولادة وخفتها وكأنها صاحبة تجربة في الحمل سابقاً وهي بكرٌ ، والذي يؤيد انها كانت بكراً هو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "... إني كنت بكر أمي..."[1] أي أول مولود ولدته أمي.

وقد أورد الشيخ الصدوق[2] وابن شهراشوب[3] روايات عن الإمام الصادق (عليه السلام) تخص ولادة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) تحمل طابع الأسطورة والمبالغة ومنها الرواية التي تصور الحوار الذي دار بين إبليس وبين مجموعة من الأبالسة وهي من الروايات الموضوعة حتماً والمنسوبة للإمام الصادق (عليه السلام) زوراً وبهتاناً ، فجاء في احدى الروايات عن لسان آمنة انها حين ولدت محمد (صلى الله عليه وآله) أخذه جده عبد المطلب ووضعه في حجره ثم عوذه باركان الكعبة وقال فيه أشعاراً فصاح إبليس – لعنه الله – في ابالسته فاجتمعوا إليه وقال لهم : "ويلكم ، لقد انكرت السماء والأرض منذ الليلة ، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث منه منذ رفع عيسى بن مريم فاخرجوا وانظروا ما هذا الذي حدث ، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا :

١- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص٥٧٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٤٦٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص٤٦٠.
٢- الأمالي ، ص٣٦٠-٣٦١.
٣- مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٢٩-٣٠.

ما وجدنا شيئاً ! فقال إبليس : انا لهذا الأمر. ثم انغمس في الدنيا فجالها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوفاً بالملائكة ، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع ، ثم صار مثل الصرّ وهو العصفور فدخل من قبل حراء ، فقال له جبرئيل : وراءك لعنك الله. فقال له : حرف أسألك عنه يا جبرئيل ، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض ؟ فقال له : ولد محمد (صلى الله عليه وآله) ! فقال له : هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا ، ففي أمته ؟ قال : نعم. قال : رضيت".

ولو دققنا في مضامين هذه الرواية نجدها مليئة بالمغالطات والتناقضات ، وهي أبعد ما تكون عن مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) الذي يؤكد عدم قبول مروياته إلا بعد عرضها على النص القرآني والمنهج النبوي الشريف في قوله (عليه السلام) : "إذا جاءكم عنا الحديث فاعرضوه على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة فهو حديثنا وما لم يوافق الكتاب والسنة فهو مردود"[1].

وعند التركيز على ما ورد من عبارات في الرواية نجد أنها لا تصمد أمام المنطق العلمي المتجرد عن العواطف ، فقد ورد في الرواية عبارة «هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا» أي ان ابليس تأكد من جبرئيل بعدم وجود نصيب أو حظ للشيطان في هذا المولود ، وهذا ينسف مقدماً ما ورد في كتب التاريخ والسير في موضوع «شق الصدر»[2] الذي تلاقفته هذه الكتب من دون نقد علمي دقيق ، فحين نقرأ هذه العبارة ونقارنها في قصة شق صدره (صلى الله عليه وآله) من ان جبرئيل خاصة أخرج من صدره نصيب الشيطان[3] نصل إلى نتيجة مفادها ان الروايات توضع من دون الالتفات إلى ما يناقضها في الراويات الأخرى وحول المسألة أو الموضوع نفسه.

ومن الروايات التي نُسبت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وهي جديرة بالمناقشة والتحليل

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٩ ؛ القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٢٢٧ ؛ الشيخ الأنصاري (ت١٢٨١هـ/ ١٨٦١م) ، فوائد الأصول ، تحقيق: لجنة تحقيق التراث الأعظم ، ط١ ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج١ ، ص٢٤٤.

٢- لم ترد أي إشارة لحديث «شق الصدر» عند الإمام الصادق (عليه السلام) ، مما يثبت عدم صحته ، وقد تناول هذا الموضوع بالدراسة والنقد والتحليل بطريقة علمية صائبة وموضوعية كل من السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، ج٢ ، ص١٨١-١٨٩ ؛ والشيخ الغروي في كتابه موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج١ ، ص٢٤١-٢٤٨ ؛ والشيخ محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية ، ص١٥٨-١٦٢. وملخص القصة: "ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه جبرئيل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه ، فشق عن قلبه فاستخرج قلبه ، واستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لامه ، ثم أعاده في مكانه". وكتب الحديث والسيرة عند غير الامامية لا تخلو من هذه الرواية ، بل ذكروا انه قد شُق صدره خمس مرات. ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٤-١٧٥ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص١٠١-١٠٢.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧١ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم ، ج١ ، ص١٥٨.

هي رواية تحطم الأصنام وارتجاس إيوان كسرى في ليلة مولده (صلى الله عليه وآله) . تقول الرواية : "وأصبحت الأصنام كلها صبيحة مولد النبي (صلى الله عليه وآله) ليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه ، وارتجس[1] في تلك الليلة إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وغاصت بحيرة ساوة[2] ، وفاض وادي السماوة ، وخمدت نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، ورأى المؤبذان[3] في تلك الليلة في المنام إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم ، وانقصم طاق الملك كسرى من وسطه ، وانحرفت عليه دجلة العوراء ، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكساً ، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة وبطل سحر السحرة ، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها ، وعظمت قريش في العرب ، وسموا آل الله عز وجل[4]".

ولمناقشة هذه الرواية نسجل الملاحظات الاتية :

١ - لاشك أن هذه الرواية من الموضوعات لان الإمام الصادق (عليه السلام) أرفع شاناً وأعلى مقاماً من ان يتحدث أو يروي أساطير كهذه ، وهو الذي وضع قواعد إخضاع الرواية للعقل والمنطق والفطرة السليمة ، وهذه المعجزات ينفيها القرآن والسنة النبوية والأئمة الأطهار جملة وتفصيلاً. قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[5]. أي ان سنة الله جرت على خلق الأشياء بأسبابها فجعل لكل شيء سبباً ، وهو ما يؤكده قول الإمام الصادق (عليه السلام) : "أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسباب ، فجعل لكل شيء سبباً ، وجعل لكل سبب شرحاً ، وجعل لكل شرح

١- الارتجاس : الاضطراب والتزلزل ، وقيل : هو صوت الشيء المختلط ، كالجيش والسيل والرعد. **ينظر : ابن منظور ، لسان العرب** ، ج٦ ، ص٩٥ ؛ البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٩١هـ/ ١٢٩٢م) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٣٣ ؛ أبو السعود ، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٥م) ، تفسير أبو السعود المسمى ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٢٣٩.

٢- ساوة : بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة ، مدينة حسنة بين الري وهمذان في الوسط بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً ، وبقربها مدينة يقال لها : آوة. فساوة سنية شيعية ، وآوة أهلها شيعة إمامية. ينظر : ناصر خسرو ، (ت٤٨١هـ١٠٨٩م) ، سفرنامة ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط٣ ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٣٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص١٧٩ ؛ ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٩٦.

٣- المؤبذان : فقيه الفرس ، وحاكم المجوس ، وقيل : المؤبذان كقاضي القضاة للمسلمين ، والمؤبذ كالقاضي. ينظر: ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص٣٦٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص٥١١ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٦٠ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٥ ، ص٤٠٥.

٤- الشيخ الصدوق ، الأمالي ، ص٣٦٠ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٦٦.

٥- الفتح : ٢٣.

مفتاحاً ، وجعل لكل مفتاح علماً"[1]. أي أن العقل هو أداة معرفة الله تعالى ، والعقل لا يفهم شيئاً إلا بسبب ولا يفهم سبباً إلا بغاية ، والعقل لا يقبل التناقض. وفي هذا الخصوص قال السيد محمد باقر الصدر[2] : «ان من أوليات ما يدركه البشر في حياته الاعتيادية ، مبدأ العلية القائل ان لكل شيء سبباً ، وهو من المبادئ العقلية الضرورية ، لان الإنسان يجد في صميم طبيعته ، الباعث الذي يبعثه إلى محاولة تعليل ما يجد من أشياء ، وتبرير وجودها باستكشاف أسبابها . وهذا الباعث موجود بصورة فطرية في الطبيعة الإنسانية. وهكذا يواجه الإنسان دائماً سؤال : لماذا ... ؟».

ويضيف : «إن مبدأ العلية هو الركيزة التي تتوقف عليها جميع محاولات الاستدلال ، في كل مجال التفكير الإنساني ، لان الاستدلال بدليل على شيء من الأشياء ، يعني أن الدليل إذا كان صحيحاً فهو سبب للعلم بالشيء المستدل عليه. فحين نبرهن على حقيقة من الحقائق بتجربة علمية أو بقانون فلسفي ، أو بإحساس بسيط إنما نحاول بذلك ان يكون البرهان ، علّة للعلم بتلك الحقيقة ، فلولا مبدأ العلية والحتمية لما أتيح لنا ذلك»[3].

ثم أن عظمة النبي (صلى الله عليه وآله) تكمن في سيرته وشخصيته وسلوكه ورسالته وأخلاقه وما تركه من أثر ضخم على هذه البسيطة وليس في هذه المعاجز التي لا تمثل حتى لو حدثت فعلاً إلا معجزة في حينها لإقناع أقوام معاصرة للحدث ، لكن رسالة محمد (صلى الله عليه وآله) جاءت لجميع الأزمان ولكل العصور ولكل الأماكن ، فهل يبقى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) دائماً بحاجة إلى هذه المعاجز كي يثبت نبوته ورسالته؟! فإذا كان الأمر كذلك فان هذا يعني اننا نحتاج دائماً إلى معاجز لكي نقنع كل جيل على حدة بالمعجزة التي تلائم زمنه وعصره حتى يؤمن بالرسالة.

٢-ما الدليل الذي يثبت ان هذه المعاجز حدثت كلها يوم ولادته (صلى الله عليه وآله) ؟ وكيف عرفوا أنها حدثت في ذلك اليوم الذي ولد فيه النبي (صلى الله عليه وآله) علماً بأنهم اختلفوا في تاريخ ولادته بل في تاريخ وفاته فاهتز الايوان ؟ وخمدت النار ؟ وفاض وادي السماوة ... الخ ؟ لاسيما أن

١- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٢٦ ؛ الكليني ، أصول الكافي ، ج١ ، ص١٨٣ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج٥ ، ص٣٩ ؛ الاحسائي ، عوالي اللئالي ، ج٣ ، ص٢٨٦.
٢- فلسفتنا ، ط٣ ، (مطبعة الأمير ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ص٢٦٠.
٣- المصدر نفسه ، ص٢٦٥.

هذه الأحداث لم نلحظ عليها – على الرغم من عظمتها – انها كانت في يوم من الأيام مصدراً للمحاججة استعملها النبي (صلى الله عليه وآله) في أثناء حواراته وجداله مع الخصوم والمشركين لإقناعهم بالدخول إلى الإسلام ، فما الحكمة من حدوث كل هذه الحوادث إذا لم تستغل لإقناع الخصوم ؟

٣-أشارت الرواية إلى ان الأصنام انكبت على وجهها فمن الذي أرجعها ؟ ألم تتكسر ؟ والدليل على ذلك الرواية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) والتي تثبت ان الأصنام لم تتعرض للتحطيم والتكسير إلا بعد فتح مكة. فقد روى الشيخ الطوسي[١] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة والأصنام حول الكعبة ، وكانت ثلاث مئة وستين صنماً ، فجعل يطفها بمخصرة في يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد فجعلت تكبب لوجوهها".

وفي رواية أخرى عن الإمام علي (عليه السلام) قال : "... أنا صاحب فتح مكة ، أنا كاسر اللات والعزى ، أنا الهادم هبل الأعلى ، ومناة الثالث الأخرى ، أنا علوت على كتف النبي (صلى الله عليه وآله) وكسرت الأصنام ..."[٢] ومن هذه الرواية نستنتج أن أحداث السيرة النبوية أكدت ان الأصنام لم تتكسر إلا في فتح مكة وما بعدها ، وان النبي (صلى الله عليه وآله) تكفل تحطيمها بنفسه بمشاركة الإمام علي (عليه السلام).

٤- أشار عدد من العلماء القدامى إلى عدم صحة هذه الرواية ، فقد علق الذهبي[٣] عليها بقوله: «هذا حديث منكر غريب» ، وقال ابن كثير[٤] : «أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلاً».

ورب سائل يسأل : إذا كانت هذه الروايات غير صحيحة وموضوعة ، فما السبب في اختلاقها ، وما الغايات الأساسية من وضعها ؟ فنقول : إن القصد منها جذب تفكير

١- الامالي ، ص٣٣٦ ؛ وينظر : الساعدي ، والدا النبي ، ص١١١.
٢- القمي ، شاذان بن جبرئيل (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م) ، الفضائل ، ط١ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م) ، ص٨٥ ؛ البحراني ، حلية الأبرار ، ج٢ ، ص١٢٥.
٣- تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٣٨.
٤- السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٠.

الناس وإبعاد عقولهم عن التفكير في السيرة الصحيحة لسيد الكائنات والتحدث عن هذه المعاجز والأساطير فقط. وبذلك تكون محاربة هذا الدين وتهديمه من الداخل فكرياً ، لأن هذا السلاح أقوى من الأسلحة الأخرى ، وهو سلاح يمد الخصوم الألداء بأسلحة الهدم والتخريب وبأيسر الطرق وان أعداء أهل البيت هم الذين وضعوا المرويات الكاذبة ونسبوها إلى أهل البيت (عليهم السلام) لينفذوا سمومهم إليها ، وتلاقفها علماؤنا من دون نقد أو تمحيص ، وبحسن نية ، لأن ظاهرها هو المدح والثناء.

وهناك رواية أخرى تخص ولادته (صلى الله عليه وآله) لابد من المرور بها كذلك لكي تُنقى السيرة المطهرة من بعض ما علق بها من شوائب وترهات ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "لما ولد النبي (صلى الله عليه وآله) ولد ليلاً ، فأتى رجل من أهل الكتاب إلى الملأ من قريش وهم مجتمعون : هشام بن المغيرة[1] ، والوليد بن المغيرة[2] ، وعتبة ، وشيبة[3] ، فقال : أُولِدَ فيكم مولود الليلة ؟ قالوا : لا ، وما ذاك ؟ قال : لقد ولد فيكم الليلة ، أو بفلسطين مولود اسمه أحمد ، به شامة ، يكون هلاك أهل الكتاب على يديه ، فسألوا فأخبروا ، فطلبوه ، فقالوا : لقد ولد فينا غلام. فقال : قبل ان آتيكم أو بعد ؟ قالوا : قبل ، قال : وانطلقوا معي أنظر إليه فأتوا أمه وهو معهم فأخبرتهم كيف سقط ، وما رأت من النور ، قال اليهودي : أخرجيه ، فنظر إليه ونظر إلى الشامة فخر مغشياً عليه ، فأدخلته أمه ، فلما أفاق قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : ذهبت نبوة بني إسرائيل إلى يوم القيامة ، هذا والله مبيرهم[4]، ففرحت قريش لذلك ، فلما رأى فرحهم قال : والله ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب»[5].

١- هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي من سادات العرب في الجاهلية من أهل مكة ، كانت قريش وكنانة ومن والاهم يؤرخون بثلاثة أشياء ، بناء الكعبة ، وعام الفيل ، ثم بموت هشام . وهو قريب عهد من البعثة النبوية. ينظر : المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٦ ، ص٢١٩-٢٢٠ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج٨ ، ص٨٨.

٢- الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، وهو الذي ارتقى على ظهر البيت ومعه الفأس عندما رأت قريش تهديم الكعبة ثم هدم فلما رأوه هدموا معه ، وكان الوليد من المستهزئين الخمسة بالرسول (صلى الله عليه وآله). ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٥٧ ؛ التمهيد ، ج١٠ ، ص٣٧ ؛ الاصبهاني ، دلائل النبوة ، ج٢ ، ص٥٥٤ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٥ ، ص٤٥٥.

٣- عتبة وشيبة أولاد ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف قتلا يوم بدر كافرين دعوا إلى البراز ومعهما الوليد بن عتبة فخرجوا ثلاثتهم بين الصفين فقتلوا ، وبارزهم حمزة بن عبد المطلب والإمام علي (عليه السلام) وعبيدة بن الحارث. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٧٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣٨ ، ص٢٣٨ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٣ ، ص٣٥٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ق٢ ، ج١ ، ص٣٢٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الاصابة ، ج١ ، ص٦٢٦.

٤- مبيرهم : أي مهلكهم. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٨٦.

٥- الشيخ الطوسي ، الأمالي ، ص١٤٦ ؛ هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، ص٣٧ ؛ أما الكليني فنقل الرواية نفسها لكن بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، ج٨ ، ص٣٠٠.

وهذه الرواية تحتاج منا وقفة وتدقيق :

١-هذا الظهور المفاجئ لأحد أفراد أهل الكتاب ما هو سببه؟ وكيف حصل ؟ وكيف تنبأ هذا الكتابي بالمولود الجديد ؟ وهل كانت كل امرأة تولد يصل خبر ولادتها لكل الناس في الحال؟

٢-ما العلامات التي ظهرت في هذا اليوم حتى يأتي هذا اليهودي متلهفاً للحصول على معلومات عن هذا المولود ،لاسيما ان الذين سألهم لم يبدوا أي استغراب أو أي علامة تدل على ان أمر المولود مهم عندهم إلى هذه الدرجة ، فقد كانوا طبيعيين وفاجأهم ما يفعل هذا اليهودي. وحين أجابوا بعدم العلم بالمولود رفض إجابتهم وأكد ان الولادة حاصلة فلماذا سألهم أصلاً ؟

٣-بأي حق ذهبوا بصحبة اليهودي إلى بيت آمنة لرؤية المولود في أول يوم ولادته ، ولماذا أخرجته لهم بكل يسر وأخبرتهم كيف ولدته وهي امرأة مازالت متعبة من الولادة – لان مجيأهم كان يوم ولادته – ؟ فلا يجوز لها ان تكلم الرجال ، والتقاليد العربية معروفة بهذا الخصوص. ولماذا كل هذه التساؤلات ؟ ثم ان آمنة لم تسجل أي اعتراض على تصرفهم وأسئلتهم ؟

٤-لماذا لم يكن ذهابهم إلى جده عبد المطلب أو أحد أعمامه؟

٥-وصف اليهودي – محمد (صلى الله عليه وآله) – بأنه سيسطو على أهل قريش ويهلكهم ، وكأن الإسلام جاء ليهلك قريش وليس لهدايتهم ؟

كل هذه التساؤلات ترشدنا إلى أن الحديث موضوع ومختلق ، وغايته إبراز الأثر اليهودي الإسرائيلي على تعاليم الإسلام ، ولفت الأنظار عن الغاية الحقيقية لهذا الدين وهدمه من الداخل ، لأن هذه الرواية وضعت بعد عصر الرسالة بزمن ليس بالقليل فجاءت بهذا المستوى من الوضع والتحريف للحقائق وتصوير النبي (صلى الله عليه وآله) بانه نبي السيف ، والقتل والسبي بقولهم لقريش ليسطون بكم سطوة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب. فالرواية اذن لا تخلو من الأثر الإسرائيلي الواضح لاسيما انها تحدثت عن ذهاب نبوة بني إسرائيل ، فهي

إسرائيلية الوضع بامتياز ، وغايتها جر العقل العربي للتفكير بالغرائب والخوارق لانها أفضل وسيلة لإبعاد الناس عن التفكير في ما جاءت به هذه السيرة العظيمة وضرب أهدافها الكبيرة ، وما يحدث في الوقت الحاضر من تفسير سطحي للدين هو من صنع الفكر اليهودي البغيض الذي أسس لهذه الروايات.

ثانياً : نسبه الشريف :

الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) غني عن التعريف ، فاسمه وتسلسل أجداده الأوائل منهم بالتحديد هو ظاهر معلوم لكل مسلم ومسلمة ، ولكن لابد من الإشارة إلى ما تقتضيه منهجية البحث. فهو (صلى الله عليه وآله) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب – واسمه شيبة – بن هاشم – واسمه عمرو – بن عبد مناف – واسمه المغيرة – يبن قصي – واسمه زيد – بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن كنانة بن خزيمة بن مدركة – واسمه عامر – بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1]. وروي عنه (صلى الله عليه وآله) : "إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا"[2].

والمتيقَّن ان النبي (صلى الله عليه وآله) ينتسب إلى إبراهيم (عليه السلام) ، وان اسماء أجداده الطاهرين إلى عدنان صحيحة في الجملة ، أما بقية اسماء أجداده إلى إبراهيم وآدم (عليهما السلام) وعددهم ، فليست إلا ظنوناً واحتمالات وليس فيها ما يوجب الاطمئنان ، ويؤيد ذلك كلامه (صلى الله عليه وآله) المار الذكر. ومعناه ان ما يأتي بعد عدنان غير صحيح ، ولعله (صلى الله عليه وآله) لم يبين الصحيح لانه يرتبط بخطأ معلوماتهم عن التاريخ كله ، وتصحيحه قضية متشعبة لم يؤمر بها (صلى الله عليه وآله).

أما أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وأبوها سيد بني زهرة[3]. وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري"[4].

١- ابن الكلبي ، هشام بن محمد السائب (ت٢٠٦هـ/ ٨١٩م) ، جمهرة النسب ، تحقيق: ناجي حسن ، ط١ ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٢٧ وما بعدها ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٥٥ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢١٠.

٢- الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٤٣ ؛ المطهر الحلي ، العدد القوية ، ص١٤١ ؛ ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص١٥٥.

٣- ابن الكلبي ، جمهرة النسب ، ص٣٠ ؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٣٩ ؛ ابن حبان ، جامع الثقات ، ج١ ، ص٢٦ ؛ المفيد ، المقنعة ، ص٤٥٦ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٢٥٧ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج١ ، ص٢٦.

٤- ابن عقدة الكوفي (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٥م) ، فضائل أمير المؤمنين ، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين ، (د.م ، د.ت) ، ص١٧٥ ؛ الطوسي ، الامالي ، ص٣٤٠ ؛ ابن حجر الهيثمي ، الصواعق المحرقة ، ص٢٠١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٠ ، ص٣٨ ؛ المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج٣ ، ص١٥٣ ؛ أورد الحديث دون إسناده للإمام الصادق (عليه السلام). ابن العربي ، محمد بن عبد الله المعافري المالكي

ثالثاً : رضاعته (صلى الله عليه وآله) :

أحاطت قضية رضاعة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هالة كبيرة من التناقضات والروايات المفبركة التي لا يمكن الركون إليها والقبول بها ، فقد كانت هذه الروايات أقرب إلى الأسطورة منها إلى الواقع ، لانها تحمل غايات واضحة وهي إعطاء المناقب لبعض الشخصيات والقبائل وفي الوقت نفسه التقليل من شأن شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) وأجداده وآبائه. فأكثروا الروايات في رضاعه (صلى الله عليه وآله) فضاعت الحقيقة في وسط هذا الكم الهائل من هذه الروايات ، لأنه من المستحيل أن تحدث القصة الواحدة بصور متعددة وطرق شتى لان الحدث واحد.

وملخص ما ذكرته المؤلفات الإسلامية[1] بخصوص رضاعته (صلى الله عليه وآله) وتربيته في ديار بني سعد ، إن أمه أرضعته أياماً قليلة ، ثم أرضعته ثويبة[2] ، وقالوا : «إن أمه لم ترضعه لأنها كانت قليلة اللبن» ، وقالوا : «إن حليمة السعدية قدمت إلى مكة مع رفيقات لها بحثاً عن ولد ترضعه ، لتستفيد من رعاية أهله ومعوناتهم ، فعُرِضَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليها ، فرفضته – في بادئ الأمر – ليتمه ، ولكنها عادت فقبلته ، إذ لم تجد غيره ، فرأت فيه كل خير وبركة ، فأرضعته سنتين ثم أعادته إلى أهله وهو ابن خمس سنين ويومين ليكون في كفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب".

ويتضح من قصة إرضاعه (صلى الله عليه وآله) ان هناك مرضعتين أرضعتاه هما ثويبة وحليمة السعدية.

ولعل خير من ناقش قصة إرضاعه من ثويبة العلامة جعفر مرتضى العاملي[3] والشيخ

(ت٥٤٣هـ/ ١١٤٩م) ، أحكام القرآن ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٤٧٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٩ ، ص٤٨٢ ؛ ابن الصباغ ، علي بن محمد بن احمد المكي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥٠م) ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، تحقيق: سامي الغريري ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ج٢ ، ص١١٧١.

١- ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٠٥ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٣١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٠ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص٥٧٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٩١ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٢٧ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٨-٥١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٣٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج ، ص١٠٣.

٢- ثويبة : مولاة أبي لهب ، اختلف في إسلامها ، ولا يعلم أحد أثبت إسلامها غير المتأخر ، ماتت سنة سبعة للهجرة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ ابن الأثير ؛ اسد الغابة ، ج٥ ، ص٤١٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٨ ، ص٦٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص١٠٢.

٣- الصحيح من السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٧١-٨١.

علي الكوراني[1] والباحثان جواد النصر الله[2] وإيمان الساعدي[3] وتوصل هؤلاء الباحثون إلى أنه لا وجود لثويبة هذه وانها اختلقت لتؤدي دور الإرضاع من أحفاد أبي لهب لتكون لهم أفضلية على الإسلام أو من أهل الكتاب وبني أمية للتقليل من شأن والدته (عليها السلام) فهي لم يكن لها فضل عليه حتى في إرضاعه (صلى الله عليه وآله).

وما يؤيد ما ذهب إليه الباحثان المذكوران هو رواية عروة بن الزبير : "ان ثويبة كان أبو لهب اعتقها فأرضعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في النوم بشر حيبة[4]. فقال : ماذا لقيت ؟ قال أبو لهب : لم نذق بعدكم رخاء ، غير اني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة وأشار إلى النقيرة التي بين الابهام والتي تليها من الأصابع»[5].

وحين ندقق في الرواية الأخيرة نجد ان ما ورد فيها يتعارض وآيات القرآن الكريم ، لذلك فلا قيمة علمية لها ، فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : "...كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف"[6] وزخرف القول : «هو مزينه ومحسنه بالأباطيل والزخرفة أكثر ما تستعمل في الشر أو الباطل»[7]. وعليه فالرواية التي تعارض قوله تعالى باطلة ولا قيمة لها من الناحية العلمية. فقد أشارت رواية عروة بن الزبير الآنفة الذكر بتخفيف يسير للعذاب الذي ناله أبو لهب من شربه للماء جزاء عتقه لثويبة ، وان المتتبع لحياة أبي لهب يراه أشد عداوة وبغضاً للإسلام ورسوله (صلى الله عليه وآله)[8] ونزلت فيه سورة تدل على نصبه العداء والبغضاء لله ورسوله حتى تبت يداه في نار جهنم ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[9]. فالذي يصدر قرار عقابه من السماء لا يمكن حجب حقيقة سيئاته بهذه الروايات

١- السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٠٥.
٢- نشأة النبي في ديار بني سعد ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٩ ، ٢٠١٠م ، ص٩.
٣- والدا النبي (صلى الله عليه وآله) ، ص١٣٠.
٤- حيبة : تعني الحوبة ، وبشر حيبة أي بشر حال ، والحيبة : الهم والحزن والحاجة والمسكنة. ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص١١٦ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج١ ، ص٤٦٦ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج٢٠ ، ص٩٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١ ، ص٣٧٦.
٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٠٨ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٦ ، ص١٢٥ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص١٦١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٧ ، ص١٧٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، مقدمة فتح الباري ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٣١٩.
٦- البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص٢٢١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٧ ، ص١١١.
٧- ابن زمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٣٩٩هـ/ ١٠١٠م) ، تفسير ابن زمنين ، تحقيق: أبو عبد الله حسين عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، ط١ ، (مطبعة الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج٢ ، ص٩٢ ؛ السمعاني ، تفسير السمعاني ، ج٢ ، ص١٣٧ ؛ الراغب الاصفهاني ، مفردات غريب القرآن ، ص٢١٢.
٨- الفارس ، مرويات عروة بن الزبير ، ص١٧٩.
٩- المسد : ١-٣.

من اجل مخالفة الآخرين على حساب الدين ، فلا مجال اذن لقبول ما جاء في رواية عروة التي تهدف بلاشك إلى مجاملة أسلاف بعض كبار الصحابة ذوي النفوذ السلطوي في المجتمع من الذين ماتوا على شركهم وبغضهم للإسلام.

أما فيما يخص روايات الإمام الصادق (عليه السلام) بشان قصة ثويبة فلم يجد الباحث ما يمكن الاطمئنان إليه في قصة إرضاعه (صلى الله عليه وآله) من ثويبة في مرويات أهل البيت (عليهم السلام) ، وليس في أحاديث ومرويات الإمام الصادق (عليه السلام) سوى روايتين ، الأولى نستطيع الحكم عليها من أول وهلة بانها من الموضوعات التي نسبت إلى الإمام الصادق (عليه السلام).

وقبل الدخول في مضمون الرواية الأولى ودراسة متنها وسندها لابد من الإشارة إلى ان حالات الوضع والتشويه والتدليس بشأن قصة إرضاع النبي من ثويبة الواردة في كتب الحديث والسير والتاريخ العام لا تقتصر على فئة دون أخرى أو مذهب دون آخر فكتب الحديث الموجودة بين أيدي المسلمين فيها الصحيح والفاسد لأنها من صنع الإنسان الذي يخطأ ويصيب وتستبد به الأهواء والأغراض فتكفيه وتسيره كما تشاء ، لذا قد وجب على كل باحث نزيه ان لا تتلاعب به الميول والأهواء وأن يكون مؤمناً بواجبه العلمي والأكاديمي والقيام بما يقتضيه هذا الواجب لتنزيه الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من الترهات والشوائب والتي ألصقت بهم زوراً وبهتاناً – وحاشاهم من ذلك – ، وبيان الأخطار التي تكمن في التغاضي عن بعض الأحاديث والمتاجرة بها على حساب الدين ، لان أعداء أهل البيت هم الذين وضعوا المرويات الكاذبة ونسبوها إلى أهل البيت (عليهم السلام) لينفثوا سمومهم. إذ نقل الكليني[1] بسنده عن علي بن حمزة البطائني[2] عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام) انه قال : "لما وُلد النبي مكث أياماً ليس له لبن ، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه فانزل الله فيه لبناً فرضع منه أياماً ! حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها".

١ – الكافي ، ج١ ، ص٤٤٨ ؛ وينظر : ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٣١ ؛ هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، ص٢٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٥ ، ص١٣٦ ؛ الشاهرودي ، مستدرك سفينة البحار ، ج٦ ، ص٥٥٥.

٢- علي بن حمزة البطائني : روي فيه أخبار كثيرة تتهمه بالكذب. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٤٩ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٢٤٥ ؛ الجوهري ، محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م) ، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني ، ط٢ ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، د.ت) ، ج٨ ، ص٤٣٩ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٢ ، ص٢٣٥.

إن هذه الرواية لا تستطيع الثبات لحظة واحدة أمام النقد العلمي البناء والأدلة التاريخية ، لذا سجل الباحث ما يلي :

من الواضح ان غلاة الشيعة حينما جاءتهم الأخبار ان ثويبة مولاة أبي لهب هي أول من أرضعت النبي (صلى الله عليه وآله) لم يسلموا لها بذلك ، لانها مولاة لأعدى أعداء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكن بدلاً من رفض هذه الرواية وتفنيدها بالأدلة العلمية والمنطقية التي تلغي وقوع حالة الرضاعة هذه ، حاولوا ان يسدوا هذا الفراغ الزمني بعد ميلاده (صلى الله عليه وآله) وقبل دفعه إلى حليمة السعدية التي أقروا بها ضمناً ، اخترعوا هذه الرواية التي لا يقبلها العقل والمنطق. ولكن فاتهم ما يلي :

١-إن النص مخالف للواقع التاريخي ، فان النبي (صلى الله عليه وآله) قد كفله جده عبد المطلب حتى بلغ ثماني سنوات ، وان كفالة أبي طالب جاءت بعد وفاة عبد المطلب[١].

٢-انه لم يكن يتيماً حينئذ ، فاستناداً إلى رواية الإمام الصادق (عليه السلام) وهي الأرجح والأكثر دقة من بين الروايات تؤكد ان والده توفي بعد شهرين من ولادته (صلى الله عليه وآله)[٢] ، فلماذا توكل مهمة إرضاعه لهذه الأيام المحدودة لأبي طالب ؟! ووالده مازال حياً يرزق ؟! ألم يكن والده هو أولى بتلك المعجزة؟

٣-يتضح من الرواية ان والدته لم يكن لديها القدرة على إرضاعه (صلى الله عليه وآله) لعدم وجود اللبن في ثدييها ، لان النبي (صلى الله عليه وآله) مكث أياماً ليس له لبن ! مما يعني عدم قدرتها على إرضاعه ، وهنا – وبحسب الرواية – تتدخل القدرة الإلهية وتحصل المعجزة الخارقة بإنزال الحليب في ثدي أبي طالب ! والسؤال هنا: أما كان الأجدر ان تنزل المعجزة والبركة بإلقاء الحليب في صدر أمه آمنة ليكون أكثر قبولاً ! ولا يصعب على أي إنسان حينها استيعاب الأمر وتقبله ، ولكي يتحرر أبو طالب من مشكلة الجلوس في البيت لإرضاع الوليد كما تفعل النساء ! وكيف فات الراوي ان أبا طالب كان من كبار زعماء قريش ، فكيف يجلس ويرضع الوليد كالمرأة في مجتمع كان مقياس الرجولة فيه هو السائد على المقاييس الأخرى. ثم متى حصل في تاريخ

١- الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٥١ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٥ ؛ المطهر الحلي ، العدد القوية ، ص١٢٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٢٩.

٢- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٠ ؛ ويذكر الكليني خبر وفاة والده (صلى الله عليه وآله) بعد شهرين من مولده دون ان ينسب الخبر إلى الإمام الصادق (g).

البشرية كلها ان الرجل يدر لبناً لرضاعة الولدان ، فالأوْلى ان تكون المعجزة هي قدرة الوليد على التغذية الذاتية أو الصبر على الجوع بمساعدة الخالق جل وعلا؟

٤-هل يُعقل ان الإمام الصادق (عليه السلام) يروي أقوالاً كهذه ، ويتصرف بمثل هذا التأويل على الطبيعة البشرية التي لا تتناسب وأسلوب القرآن وإعجازه ، فهذه المرويات والأقاويل مخالفة للنص القرآني ، وهو القائل (عليه السلام) "لا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإنا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة ، إنا عن الله وعن رسوله نُحدِّث ، ولا نقول قال فلان وفلان ، فيتناقض كلامنا ...فان مع كل قول منا حقيقة وعليه نوراً ، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه فذلك من قول الشيطان"[1].

٥-أما إذا أردنا دراسة سند الرواية فان الراوي لها هو علي بن أبي حمزة البطائني الذي وردت فيه أخبار كثيرة تتهمه بالكذب وتلعنه ، وقد ذمه أئمة الحديث ونقده الرجال فقالوا عنه : إنه أصل الوقف ، أي انه محدث واقفي المذهب ، وأشد الخلق عداوة للولي بعد أبي إبراهيم (عليه السلام) ، وقالوا عنه : كان كذاباً ملعوناً ، ولسوء حظه كان من أشد خصوم الإمام الرضا (عليه السلام) فلعنه الإمام (عليه السلام) ، وقال له أبو الحسن (عليه السلام) : أنت وأصحابك أشباه الحمير[2].

وخلاصة القول: إنه لا وجود لثويبة هذه ، ويبدو ان القصد من وراء هذه الرواية هو إبعاد قضية ان ثوبية مولاة أبي لهب قد أرضعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فكان الأجدر بالرواة الذين يلفقون الأحاديث نفي الحادثة تاريخياً بدل من نفيها بوضع رواية مخالفة للواقع. وبهذا الخصوص فان موافقة أبي لهب – لو حصلت فعلاً – على إرضاع ثويبة للنبي (صلى الله عليه وآله) فأنها لا تضيف أي منقبة لأبي لهب ، لان أبا لهب كان عم النبي (صلى الله عليه وآله) حينذاك وثويبة جارية مملوكة له ، ولم يكن في وقتذاك حالة عداء مع النبي (صلى الله عليه وآله) وهي حالة يستطيع أن يفعلها أي إنسان مهما كان وضيعاً ، فلماذا يعدونها منقبة له ويتهربون باختلاق روايات غير دقيقة على حساب الدين.

أما الرواية الثانية المنسوبة للإمام الصادق (عليه السلام) بشأن قصة إرضاع النبي من ثوبية فهي

١- الشيخ الطوسي ، اختبار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٤٩٠.
٢- الغضائري ، رجال ابن الغضائري ، ص٨٣ ؛ ابن داود ، رجال ابن داود ، ص٢٥٩ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٣٠ ، ص٤٢٢ ؛ الشبستري ، الفائق ، ج٢ ، ص٤٠٢.

: عن علي بن رئاب[1] قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : "إن علياً ذكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بنت حمزة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أما علمت أنها بنت أخي من الرضاعة ؟!"[2].

وعند المناقشة نجد ان رواية الإمام الصادق (عليه السلام) لم تُشر صراحة إلى اسم المرأة التي أرضعت محمداً (صلى الله عليه وآله) وحمزة (رضي الله عنه) ، فربما هي أم حمزة نفسها ، كما ان رواية ابنة حمزة – واسمها عمارة – عليها إشكالات عديدة ، فتارة إنها أنثى ، وتارة إنها ذكر ، وإنها ظلت في مكة على الرغم من إسلام أبيها حمزة وهجرته للمدينة واستشهاده السنة الثالثة للهجرة[3]. وقد عثر الباحث على عدد من النصوص التي تؤكد ان عمارة بن حمزة ذكرٌ وليس أنثى.

١–قال ابن عبد البر[4] : «عمارة بن حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ...وبه كان يكنى حمزة بن عبد المطلب ، وقيل له كنيتان أبو يعلى وأبو عمارة ... ولعمارة ولد حمزة ولاخيه يعلى أعوام».

٢–وقال ابن الأثير[5] : «وذكر غير واحد من العلماء ان حمزة كان له ابن اسمه عمارة وهو الصواب».

٣–وقال الصفدي[6] : «عمارة بن حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ... وبه يكنى حمزة ... ولعمارة ولد حمزة ولأخيه أعوام».

أما ابن حجر العسقلاني[7] فقد أورد نص ابن عبد البر والصفدي نفسه وأضاف : «...هو اكبر ولده فان كان عاش بعده فله صحبة لا محالة...».

فتأكيد عدة علماء ان عمارة ذكر وليس أنثى أمر يثير الشك والتساؤل حول صحة هذه الرواية.

١– أبو الحسن علي بن رئاب الطحان السعدي ، وقيل الجرمي ، الكوفي ، من ثقات الامامية الأجلاء ، وأحد مشايخ الفقهاء الفضلاء ، وله كتاب (الوصية والامامة) و(الديات) ، ومن أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، له أصل كبير وهو ثقة جليل القدر ، روى عن الإمام الكاظم (g) ، كان على قيد الحياة قبل سنة ١٨٣هـ. ينظر : الطوسي ، الفهرست ، ص١٥١ ؛ ابن داوود الحلي ، رجال ابن داوود ، ص١٣٨ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٣ ، ص٢٦١ ؛ الطهراني ، الذريعة ، ج٢ ، ص١٦٣ ؛ الجواهري ، محمد ، المفيد من معجم رجال الحديث ، ط٢ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص٣٩٥ ؛ الشبستري ، الفائق ، ج٢ ، ص٤٠٠ ؛ الشاكري ، موسوعة المصطفى والعترة الطاهرة ، ص٤٨٥.

٢– الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٧ ، ص٢٩٣ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٤٤٥ ؛ المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج٢٣ ، ص٣١٨.

٣– ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٠٨.

٤– الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٤٠.

٥– اسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٠٨.

٦– الوافي بالوفيات ، ج٢٢ ، ص٢٤٩.

٧– الاصابة ، ج٤ ، ص٤٧٧.

أما الرواية القائلة بإرضاع حليمة السعدية للنبي (ﷺ) ، فان أغلب المعاصرين لم يثيروا الشكوك حول صحة إرضاع (ﷺ)حليمة السعدية له، ولم يرفضوا حصولها ، وقد انفرد الباحثان النصر الله[1] والساعدي[2] بإثارتهما تساؤلات عديدة حول هذه المسألة وخلصا إلى القول : «إن مسألة إرضاع النبي (ﷺ) من حليمة السعدية هي رواية موضوعة لأهداف شتى. منها :

١-الطعن بوالدي النبي (ﷺ) ، وان أمه لم يكن لها فضل عليه فهي لم ترضعه.

٢-لتجعل أفضلية للنبي موسى (عليه السلام) على النبي محمد (ﷺ) لان النبي رفضته المراضع لا هو الذي رفض المراضع.

٣-أو انها وضعتها قبيلة حليمة السعدية من باب التقرب إلى النبي (ﷺ) إذ أصبح فيما بعد القرب من النبي من أقوى أسباب الشرف.

وقد خلص الباحثان إلى هذه النتيجة بعد ان أوردا العديد من الأدلة العلمية التي تثبت صحة استنتاجهما حول قصة الرضاعة من حلمية السعدية ، وللباحث ان يسجل النقاط الآتية :

١-لم يشر الباحثان أو بالأحرى لم يطلعا على رواية مهمة جداً لها تأثير كبير في دعم ما ذهبا إليه وتقويته ونسف قضية الرضاعة من حليمة ، فهذه الرواية سوف تشير كما سنرى وعلى لسان النبي الأكرم (ﷺ) إلى انه لم يرتضع في بني ساعدة – قبيلة حليمة – وإنما ارتضع في قريش عند قبيلة بني زهرة – قبيلة أمه آمنة – وفي هذا دلالة واضحة على ان أمه هي من أرضعته. وفي الرواية دليل آخر أيضاً على ذلك ، فهو يفتخر بالرضاعة في قبيلة بني زهرة ، كافتخاره بنسبه ، تقول الرواية ، قال (ﷺ): "أنا أفصح العرب ، بيد اني من قريش ، نشأت في بني سعد ، واسترضعت في بني زهرة"[3]. وهذا نص صريح لا لبس فيه على رضاعته من أمه. فحليمة كما هو معروف ليست من بني زهرة ، مما يقوي احتمال ان أمه هي من أرضعته ، وهناك روايتان

١ - نشأة النبي (ﷺ) ، ص١-٢٣.

٢ - والدا النبي ، ص١٣٤.

٣- ابن حجر العسقلاني ، تلخيص التحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ج٤ ، ص١٤ ؛ وينظر : الشهيد الثاني ، شرح اللمعة ، ج٥ ، ص١٦٥.

أخريان تدعمان هذا النص وتقويانه :

الرواية الأولى : روى الطبراني[1] بسنده عن أبي سعيد الخدري : «انا النبي لا كذب ، انا بن عبد المطلب ، انا اعرب العرب ، ولدتني قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر ، فأنى يأتيني اللحن». ولم يرد في الحديث ذكر الرضاعة. وحين يذكر النشأة يذكرها دون الرضاعة ، فالأمر هنا يختلف تماماً ، فالنشأة ربما تكون بعد الرضاعة. أي أنه نشأ في بني سعد بعد ان اجتاز مرحلة الرضاعة التي كانت في قبيلة بني زهرة.

أما الرواية الثانية فتقول : «ان إعرابياً سأله : يا رسول الله من ادبك ؟ قال : الله أدبني وانا أفصح العرب ، بيد اني من قريش وربيت في حجر هوازن بني سعد بن بكر»[2]. ولم تشر الرواية كذلك إلى الرضاعة في بني سعد ، وإنما تشير إلى التربية فقط ، وهو تأكيد لما ذكره في الرواية السابقة .

٢-يبدو من الروايات القائلة بإرضاع حليمة السعدية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ان هناك عادة اجتماعية متعارف عليها ، وهي إرضاع أبناء الأشراف في البادية ليكونوا أكثر فصاحة ، وأقوى أبداناً ، فإذا كانت إرسال الأطفال إلى البادية عادة جارية ، فلماذا يقتصر الأمر على محمد (صلى الله عليه وآله) ؟ بدليل ان المصادر المختلفة لم تنقل ولم تذكر اسماء الذين صار لهم شأن فيما بعد ولم تذكر مرضعاتهم ، فحينما نقلِّب وندقق في سير تراجم الصحابة ومن الذين ولدوا مع الرسول (صلى الله عليه وآله) بوقت قصير أو بعده لا نجد أي إشارة لموضوع المرضعات ، فلا توجد إشارات أخرى مثلاً عن مرضعة أبي بكر ، أو عمر أو عثمان أو غيرهم. بل ان المؤلفات الإسلامية لم تتناول هذه العادة الجارية بالدراسة أو التحليل أو على الأقل بالإشارة إليها ، سوى حادثة إرضاع النبي (صلى الله عليه وآله) على الرغم من ان هذه المؤلفات تحدثت عن الظواهر السلبية أو الايجابية كلها في مجتمع مكة بكثرة واضحة إلى درجة الإفراط.

٣-إذا كان القصد من هذه العادة هو ان تجعل الأطفال أكثر فصاحة ، فان هذا إدعاء

١ - المعجم الكبير ، ج٦ ، ص٣٥-٣٦.
٢ - المفيد ، الاختصاص ، ص١٨٧.

غير صحيح بدليل ان القرآن الكريم نزل بلغة قريش[1] وهذا يعني ان لغة قريش كانت أفصح من باقي اللهجات ، ومحمد (صلى الله عليه وآله) من قريش فالأولى ان يتعلم الفصاحة في بيئته وليس في بيئة أخرى.

٤-تذكر الروايات ان حليمة قالت : "...إني لأكره أن أرجع وأنا بين صواحبي ولم أجد رضيعاً..."[2] فهل ينبغي لكل من حضر من المرضعات ان تحصل على طفل ؟ وهل أعداد الأطفال يجب ان يتلاءم وعدد المرضعات ؟ وهل بالضرورة ان تحصل كل واحدة منهن على طفل وتأخذه معها ؟ فإذا كانت الرضاعة مهنة ، فان الرزق مكفول ومقدر من الله وليس بالضرورة هذه المرة تحصل على رزقها ؟ ثم هل توجد مواسم خاصة للمرضعات ليخرجن بشكل جماعي ؟ وهل الولادات والأطفال بعمر الرضاعة يتحدد بوقت معين وكأنه موسم صيد أو موسم حصاد؟ فالولادات مستمرة لا وقت لها ويمكن ان تخرج المرضعات في أي وقت.

٥-أشارت معظم الروايات إلى ان محمداً (صلى الله عليه وآله) كان يتيماً لحظة البحث له عن مرضعة ، بينما أشارت رواية الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ان محمداً (صلى الله عليه وآله) حينما ولد كان أبوه على قيد الحياة ولمدة شهرين من ولادته (صلى الله عليه وآله)[3] وهذا ينفي الوصف المأساوي لمحمد (صلى الله عليه وآله) بانه يتيم ! ولسنا ببعيدين عن روايات النور التي رافقت ولادته التي أضاءت قصور كسرى والشام ، فهو إذن طفل مبارك ، وحسن المنظر ، وأحيطت ظروف ولادته منذ يومها الأول بهالة من الأخبار والشهرة من قريش وأهل الكتاب ، فهو لم يكن طفلاً مغموراً منذ يومه الأول ، وجده عبد المطلب سيد قريش على الإطلاق[4] ، أي انه من عائلة يشار لها بالبنان ، بل ان عائلته من العوائل الارستقراطية في المجتمع المكي ، ويبدو ان كل هذه البشارات بنبوته والامتيازات العائلية التي يمتلكها (صلى الله عليه وآله) لم تعرف بها المرضعات اللائي قدمن من بلاد بني سعد بن بكر

١- ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، تحقيق: عبد الله الجبوري ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٢٨٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص٤٨٠ ؛ التمهيد ، ج٨ ، ص٢٧٩ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١ ، ص٤٤ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٤ ، ص٢٦٥ ؛ الكردي ، محمد طاهر ، تاريخ القرآن الكريم ، ط١ ، (مطبعة الفتح ، جدة ، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) ، ص٨٥.

٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٠٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٨ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص١٤٦ ؛ بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، مع المصطفى ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ، ص٤٣.

٣- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٠ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٧١.

٤- ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٥٥٩.

إلى مكة بحثاً عمّن يرضعنه من أطفال قريش مقابل أجر مادي ، وإلا لتقاتلن فيما بينهن لنيل شرف إرضاع رسول المستقبل ، فكيف ترفضه المرضعات ولا يأخذنه ؟ ألا يوجد إعجاز إلهي في الإقبال إليه وأخذه ؟ أي انه طفل مطلوب بإرادة الله تعالى وليس مرفوضاً. فكيف صورته الروايات وكأنه منبوذٌ ويتيمٌ مرفوضٌ ، وذلك بتأكيد حليمة أنها : "...فوالله ما أخذته إلا لأني لم أجد غيره..."[1]. وعن المرضعات الأخريات قالت حليمة : «...لم تبق امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها ، ويقلن انه يتيم ماذا عسى ان نصنع به...إنا لنرجو المعروف من والده...»[2]. فهذا الرفض لا يصح إلا ليتيم ضائع وليس لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

٦-الروايات لا تشير إلى ان هناك طفلاً رضيعاً مرفوضاً غير النبي (صلى الله عليه وآله)! فهل كل الأطفال الآخرين كانوا أغنياء ، والنبي (صلى الله عليه وآله) هو الطفل الفقير اليتيم الوحيد من بينهم ؟

٧-الذي يثير التساؤل أيضاً هو: هل كان الناس يسلمون أولادهم لمن يشاء في أخذه للرضاعة؟ الجواب : لا ، لان الأمر يجب ان يعتمد على المعرفة السابقة للتعامل والمرضعات في إرضاع أولادهم ، فعبد المطلب إذا كان فعلاً يبحث عن مرضعة لمحمد (صلى الله عليه وآله) كان الأجدر به ان يلجأ إلى مرضعة اعتاد التعامل وإياها أو معرفتها في إرضاع أبنائه أو أبناء أبنائه (أحفاده) ، أم ان محمداً (صلى الله عليه وآله) وحده هو من بُعِثَ به إلى المرضعة ؟ فكيف تؤمن الأسر أبناءها هكذا في رضاعة النساء ورعايتهن الأطفال كيفما يكونوا ؟ لاسيما ان إرساله للرضاعة كان بقصد التنشئة والتربية "البدنية والصحية واللغوية وحياة الخشونة" وهذه أمور مهمة جداً لابد ان يكون التوافق والتفاهم عليها قبل إرسال الأطفال.

٨-ثم إن هناك تساؤلاً مهماً يدفع كل إنسان إلى طرحه لأنه يناقض الفطرة الإنسانية المتعلقة بالأمومة ، وهو : كيف تصبر الأم عن وليدها الأول وترسله إلى البادية بعيداً عنها ولعدة سنين ؟

٩-لم يرد عن الإمام الصادق (عليه السلام) - وفي حدود عمل الباحث القاصر - أي روايات جازمة تثبت ان حليمة السعدية هي من أرضعت محمد (صلى الله عليه وآله) ، إذ لم يشر (عليه السلام) في رواياته إلى

١- ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ج١ ، ص٢٦ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص٥٧٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٦.
٢- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٩٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٢٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٣٤.

اسم حليمة السعدية ، والمعروف عن الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) اهتمامهم الكبير بذكر أحداث سيرة جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) في أدق الأمور ، فلم يدعوا صغيرة ولا كبيرة مما له صلة بحياة الرسول (صلى الله عليه وآله) وتاريخه إلا ذكروها فكيف بهذه القضية ؟ فهل قصة إرضاع حليمة السعدية إياه أمر لا يستحق التركيز عليه ؟ والرواية الوحيدة التي تحمل إشارات عن قصة إرضاعه هي : عن عبد الله بن مسكان[1] ، عن عمار بن حبان[2] عن الصادق (عليه السلام) قال : "عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتته أخت له من الرضاعة فلما نظر إليها سُرِّ بها ، وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل له : يا رسول الله ، صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟! فقال : إنها كانت أبر بوالديها منه"[3].

وهذه الرواية لا تعد دليلاً كافياً نطمئن به ، على ان الإمام الصادق (عليه السلام) يؤيد قصة إرضاع حليمة السعدية إياه ، فلم تسم الرواية من هي هذه الأخت ومن هو هذا الأخ! وكذلك لم تشر الرواية إلى حليمة السعدية لا من قريب ولا من بعيد حتى نبني عليها موقفاً لقصة الرضاعة.

ومن المناسب هنا ذكر ما جاء به رأي الشيخ الكوراني[4] في قصة الرضاعة من حليمة ، إذ يقول: «والصحيح ان أمه أرضعته مدة أزيد على السنة ، ثم أعطاه جده لزوج حليمة لينشأ في باديتهم قرب الطائف ... فرضاعه الأول من أمه آمنة بنت وهب الزهرية هو المؤثر في شخصيته ، ورضاعه الثاني من حليمة مكمل له ! وقوله (صلى الله عليه وآله) ارتضعت من بني زهرة لا يتحقق إلا بان يكون رضع من حليب أمه شهوراً أو سنة حتى صار يأكل".

ويبدو ان الشيخ الكوراني اعتمد في بناء رأيه هذا على ما ورد في رواية ابن حجر العسقلاني[5] التي أشرنا إليها عند تسجيل الملاحظات على الروايات ، فهو رأي قريب جداً

١- عبد الله بن مسكان ، أبو محمد مولى (عنزة) ، ثقة ، عين ، روى عن أبي الحسن موسى (g) ، وقيل انه روى عن أبي عبد الله (g) وليس بثبت. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢١٤ ؛ الشبستري ، الفائق ، ج٢ ، ص٢٣٢.
٢- عمار بن حبان : روى عنه عبد الله بن مسكان. ينظر : الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٣ ، ص٢٦٧ ؛ الاردبيلي ، جامع الرواة ، ج١ ، ص٦١١.
٣- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص١٦١.
٤- السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٠٤.
٥- تلخيص التحبير ، ج٤ ، ص١٤.

مما ورد في هذه الرواية ، وكأنه رأي يحمل الوسطية في الموقف من قصة الرضاعة من حليمة السعدية.

ولكن على الرغم من هذه الأدلة ، فان الجزم في القضايا التاريخية أمر غير وارد ، وان البحث عن الحقيقة هو عمل ليس بالأمر الهين ، حيث يتطلب من الباحثين جهداً ووقتاً كافيين لإثباتها ، ويبقى الحكم فيها معلقاً لحين توفر المزيد من الأدلة ، حتى تقف في وجه النصوص الكثيرة التي تؤيد قصة الرضاعة.

المبحث الثالث :
كفالته وعمله :

تشير الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ان والد النبي (صلى الله عليه وآله) عبد الله بن عبد المطلب توفي بعد مرور شهرين من ولادته (صلى الله عليه وآله).

فقد ذكر اليعقوبي[1] : «وتوفي عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله على ما روى جعفر بن محمد بعد شهرين من مولده...».

لكن الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) لم تقدم لنا شيئاً يمكِّننا من تحديد تاريخ وفاة أم النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). والمشهور عند عامة المسلمين ان أمه توفيت وهو في السادسة من عمره الشريف ، وذلك حين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار في يثرب (المدينة المنورة) تزورهم به ، فلما صارت بالابواء[2] منصرفة إلى مكة ماتت فيها[3].

وعلى الرغم من ان معظم المصادر[4] أشارت إلى هذا التحديد ، إلا ان الطبرسي[5] قال إن أمه توفيت وهو ابن سنتين ، في حين أكد الكليني[6] ان أمه ماتت وهو ابن أربع سنين.

أولاً : كفالة جده :

أما جده عبد المطلب فقد ازداد لمحمد (صلى الله عليه وآله) بعد وفاة والديه حباً ، وعطفاً ، وحفظاً ، ومعاملة ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا قوله : "كان عبد المطلب يفرش له بفناء

١- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٩ ؛ وينظر : الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٧١.
٢- الابواء : قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاث وعشرون ميلاً . وقيل : الابواء جبل على يمين آره ، وبين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٦ ؛ ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١١٧ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٥.
٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٦ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١١٧ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص٥٧٨ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٧٩ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٥.
٥- مجمع البيان ، ج١٠ ، ص٣٨٣.
٦- الكافي ، ج١ ، ص٤٣٩.

الكعبة ، لا يفرش لأحد غيره ، وكان له وُلد يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه ، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيه ، فأهوى بعضهم إليه لينحيه عنه ، فقال له عبد المطلب : دع ابني فان الملك قد أتاه"[1].

وفي رواية عن ابن عباس قال : «كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، لا يجلس عليه أحد إجلالاً له ... فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج وهو غلام يمشي حتى يجلس على الفراش ، فيعظم ذلك على أعمامه ويأخذونه ليؤخروه فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني فوالله ان له لشأناً عظيماً ، اني أرى سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم ، اني أرى غرته غرة تسود الناس ..."[2] وقد علق الشيخ الصدوق[3] على هذا الخبر : «كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف العلماء وأعلمهم بشأن النبي (صلى الله عليه وآله) وكانا يكتمان ذلك عن الجهال وأهل الكفر والضلال" أي بعبارة أخرى انهما كانا يؤمنان بنبوته ويعلمان بها ، ويخبران بها.

ويبدو ان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان في زمن جده عبد المطلب ناضجاً ويعتمد عليه في إدارة بعض الأمور ، كما حصل في إدارته للرعاة كالرجل الكبير ، حين بعثه جده إلى متابعة رعاته. فعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "كان عبد المطلب أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى رعاته في إبل قد ندَّت له ليجمعها فأبطأ عليه ، فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول : يا رب اتهلك آلك ان تفعل فأمر ما بدا لك ! فجاء رسول الله بالإبل وقد وجه عبد المطلب في كل طريق وفي كل شعب في طلبه ... ولما رأى رسول الله أخذه فقبله وقال : يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء ، فإني أخاف ان تقاتل فتقتل"[4].

وفي رواية : «ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها ، وقد احتبس عليه فما برحت حتى جاء محمد وجاء بالإبل فقال : لقد حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً»[5].

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٨.
٢- الصدوق ، كمال الدين ، ص١٧١.
٣- المصدر نفسه والصفحة.
٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٧.
٥- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٥١.

وكان عبد المطلب يحمله (ﷺ) ويجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول : "ما رأيت قبله أطيب منه ولا أطهر قط ، ولا جسداً ألين منه ولا أطيب منه ثم يلتفت إلى أبي طالب فيقول يا أبا طالب ان لهذا الغلام شأناً عظيماً فأحفظه واستمسك به... "[1].

وكانت هذه حاله حتى أدركت عبد المطلب الوفاة فبعث إلى أبي طالب ومحمد على صدره وهو في غمرات الموت ، وهو يبكي ويلتفت إلى أبي طالب يقول : «يا أبا طالب أنظر ان تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ، ولا ذاق شفقة أمه ، انظر يا أبا طالب ان يكون من جسدك بمنزلة كبدك ، فأني تركت بنيَّ كلهم وأوصيك به لانك من أم أبيه ، يا أبا طالب ان أدركت أيامه فاعلم اني كنت من أبصر الناس واعلم الناس به ، فان استطعت ان تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك ، فانه سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي. يا أبا طالب ما اعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه ، ولا أمه على حال أمه ، فأحفظه لوحدته ، هل قبلت وصيتي فيه ؟ فقال: نعم قد قبلت ، والله عليَّ بذلك شهيد ، فقال عبد المطلب : فمد يدك اليَّ فمد يده إليه فضرب يده على يده ثم قال عبد المطلب : الآن خفف عليَّ الموت»[2]. وتوفي عبد المطلب ولرسول الله (ﷺ) ثماني سنين[3].

ثانياً : كفالة عمه وقصة بحيرا الراهب (السفرة الأولى):

بعد وفاة جده تكفله عمه أبو طالب ، فكان خير كفيل ، وكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً وخرج به إلى بصرى[4] من أرض الشام وهو ابن تسع سنين[5] وقيل انه خرج معه في تجارة إلى الشام وله اثنتا عشرة سنة[6].

وقد أشار كتاب السيرة النبوية[7] إلى هذه الرحلة مع عمه أبي طالب بطرق شتى

١- الصدوق ، كمال الدين ، ص١٧١.
٢- الصدوق ، كمال الدين ، ص١٧٢.
٣- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٣؛ الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٣٩.
٤- بصرى : في موضعين ، بالضم ، والقصر ، احداهما بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً ، والثانية من قرى بغداد. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٤٤١.
٥- ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص١٤٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٦١.
٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢١ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٤٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٥ ، ص٣٣٦.
٧- ابن هشام ، ج١ ، ص١١٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٦١ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٢٣٥.

وأوصاف مختلفة ، وقلما نجد كتاباً أو مؤلفاً يهتم بدراسة سيرة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلا تناولها أو أشار إليها بالوصف أو التحليل ، تحت عنوان سفرته إلى الشام مع عمه أبي طالب.

أما الرواية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن هذه السفرة فقد وردت بالشكل الاتي : عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "ثم ان أبا طالب خرج به معه إلى الشام في تجارة قريش ، فلما انتهى به إلى بصرى وفيها راهب لم يكن يكلم أهل مكة إذا مروا به ، ورأى علامة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الركب ، رأى غمامة تظله في مسيره ونزل تحت شجرة قريبة من صومعته فتثنت أغصان الشجرة عليه والغمامة على رأسه بحالها ، فصنع لهم طعاماً فاجتمعوا عليه وتخلف محمد (صلى الله عليه وآله) ، فلما نظر بحيرا اليهم ولم يرَ الصفة التي يعرف قال : فهل تخلف منكم أحد ؟ قالوا : لا واللات والعزى إلا صبي ، فاستحضره فلما لحظ إليه نظر إلى أشياء من جسده قد كان يعرفها من صفته ، فلما تفرقوا قال : يا غلام أتخبرني عن أشياء أسألك عنها ؟ قال : سل. قال : أنشدك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ؟ وإنما أراد ان يعرف لأنه سمعهم يحلفون بها ، فذكروا ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال له : لا تسألني باللات والعزى ، فاني والله لم أبغض بغضهما شيئاً قط ! قال: فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه ؟ قال: فجعل يسأله عن حاله في نومه وهيأته وأموره فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخبره ، فكان يجدها موافقة لما عنده. فقال له : اكشف عن ظهرك فكشف عن ظهره ، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الموضع الذي يجده عنده ، فأخذه الافكل وهو الرعدة ، واهتز الديراني فقال : من أبو هذا الغلام ؟ قال أبو طالب : هو ابني. قال : لا والله لا يكون أبوه حياً. قال أبو طالب : انه ابن أخي. قال: فما فعل أبوه ؟ قال : مات وهو ابن شهرين. قال : صدقت. قال: فارجع بابن أخيك إلى بلادك وأحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفته ليبغينه شراً! فخرج أبو طالب فرده إلى مكة"[1].

وعند مناقشة ما ورد في الرواية نسجل الملاحظات الاتية :

١ -إن هذه الرواية وطريقة سردها وردت من دون سند ، فالراوندي نقلها بسنده عن الإمام الصادق مباشرة من دون أي وساطة ، علماً بانه من أعلام القرن السادس الهجري إذ انه

١ - الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٧١.

توفي عام ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م إلا أن الإمام الصادق وكما هو معروف توفي سنة ١٤٨هـ/ ٧٢٥م ، وهذا فرق كبير بين المدتين. فكيف أصبح الراوندي هو الناقل المباشر لها من الإمام الصادق (عليه السلام).

٢-إن المعاجز والكرامات الواردة في هذه القصة أو الرواية (الغمامة التي تظله ، والشجرة التي تتدلى وتنثني أغصانها عليه) هي من نوع الكرامات التي تتسع قدرة الله عليها ، بل أكثر منها ايضا ، ولكن هذا يحصل عندما تدعو الحاجة إلى ذلك ، فالموقف كان لا يستدعي شيئاً من تلك الكرامات ، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في عمر التاسعة لم تكن الحاجة تدعو إلى هذا النوع من الإعجاز الذي لم يحصل له في أدق المراحل التي مرت بها دعوته خطورة وضيقاً.

٣-يُفهم من الرواية ان الغمامة كانت تقوم بمهمة تضليل محمد (صلى الله عليه وآله) وحده دون غيره ، بدليل نزوله (صلى الله عليه وآله) تحت شجرة قريبة من صومعة الراهب "فتثنت أغصان هذه الشجرة عليه (صلى الله عليه وآله) والغمامة على رأسه بحالها". وهنا يستلزم ان تكون قطعة السحابة صغيرة بحيث تكفي ان تظل شخصاً واحداً فقط ، والسؤال هنا : حين نزل محمد (صلى الله عليه وآله) تحت ظل هذه الشجرة ، وتثنت أغصانها عليه ، وهذا يعني انه حين جلس تحت هذه الشجرة فان الظل الحاصل من تثني الأغصان يكفي له (صلى الله عليه وآله) ، فما سبب استمرار ظل الغمامة على الرغم من وجوده تحت الشجرة ، اذ ان الرواية تقول : "والغمامة على رأسه بحالها" أي بعد نزوله تحت ظل الشجرة ، فهل هو بحاجة إلى ظلين اثنين ؟ أو ان ظل احدهما (الشجرة أو الغمامة) كان يكفي له (صلى الله عليه وآله)؟ وهل شارك القوم محمداً (صلى الله عليه وآله) في ظل الغمامة في هذه الحالة كما شاركهم في ظل الشجرة. ولا ريب ان احد الظلين كان عبثاً ، لأن احدهما يغني عن الآخر. ولا ندري ان الرواة الذين جاؤوا بالغمامة فجعلوها تظل الشجرة، هل تدخل هذه الغمامة احد البيوت المسقوفة لو ان النبي (صلى الله عليه وآله) دخل بيتاً من البيوت ، فتأتي الغمامة وتظل البيت؟! ثم لماذا جلس محمد (صلى الله عليه وآله) مع القوم تحت ظل الشجرة وهو في غنى عنها ، أما كان يستطيع ان يتنحى عنها في ناحية ويجلس وحده في ظل الغمامة؟! ولكن الرواة عندما يلفقون الأحاديث لم يفكروا فيما ينتهي إليه تلفيقهم من

صحة أو بطلان[1].

٤-ورد في الرواية ان بحيرا يسأله عن حاله في نومه وهيأته وأموره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على الموضع الذي يجده عنده ، وهذا يعني انهم أرادوا ان يشيروا إلى ان محمداً (صلى الله عليه وآله) مذكورٌ في الكتب القديمة كالتوراة والانجيل ذكراً مفصلاً ، أي انه مذكور باسمه وصفته وزمانه ومكانه وبجميع أحواله من يوم ولادته إلى يوم وفاته ، وانه لم يكن في ذلك الزمان راهب ولا حبر من أحبار اليهود إلا وهو يعرف ذلك ويقرأه في الكتب القديمة.

وهنا لابد من إيراد حقيقة تخفى على بعض عامة المسلمين وبعض أهل الاختصاص منهم ، تتمثل في ان كتب اليهود والنصارى المقدسة في العصر الذي بُعث فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت بصفتها التي هي عليه الآن ، ولم يطرأ عليها أي تغيير يذكر منذ ذلك الوقت ، وان هذه الكتب تخلو من أي وصف للرسول (صلى الله عليه وآله) أو ذكر للإسلام ، والسبب يعود إلى ان هذه الكتب ليست هي التوراة التي نزلت على موسى (عليه السلام) ، ولكنها كتب لا تمت إلى التوراة بصلة فهي مجرد سجل إخباري كان تدوينه على يد أحد كهنة اليهود وذلك في محاولة منه لتدوين تاريخ اليهود[2].

وهنا يجب الانتباه إلى ان كتاب الله لا ينفي ان يكون هناك توافق بينه وبين ما كان في التوراة التي زالت من الوجود بُعيد زمن موسى (عليه السلام) ولم يبق في كتب اليهود منها اليوم إلا خيال مشوش لبعض نصوصها.

٥-يقول أحد الباحثين[3] بخصوص رؤية خاتم النبوة – العلامة – ان ذلك الأمر يدفعنا ان نتساءل عن الكيفية التي تعرف بها ذلك الخاتم ، فهل بين الأنبياء السابقون للنبي (صلى الله عليه وآله) ذلك الختم برسم توضيحي وثائقي لا يحتمل الشك والخطأ لكي تكون هيأته واضحة

١- للمزيد ينظر : الرصافي ، معروف ، الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس ، ط١ ، (منشورات الجمل ، كولونيا ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م) ، ص١٧٤ وما بعدها.

٢- موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ترجمة: حسن خالد ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٩٦م) ، ص٥٨٢.

٣- الجبر ، مخلد ذياب فيصل ، روايات أهل الكتاب للسيرة النبوية حتى عهد البعثة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ، ص٢٢٧.

إلى درجة يتعرفها بحيرا ويعلن عن صحته من أول نظرة ؟ أو وصلت معلومة الختم تلك مشافهة فجاءت على اثرها صفته متباينة في منقولات المؤرخين المسلمين؟ ، فهو تارة مثل اثر المحجم عند ابن هشام[1] ، وتارة مثل التفاحة في احدى الروايات عند الطبري[2] ، ومثل بيضة الحمام عند الحاكم النيسابوري[3].

٦-من جملة الحوار الذي دار بين بحيرا الراهب وأبي طالب هو قول الراهب إليه : «ارجع بابن أخيك وأحذر عليه اليهود فوالله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفت ليبغينه شراً ! فخرج أبو طالب ورده إلى مكة». وهنا ينبغي الالتفات إلى مسألتين مهمتين جداً ، الأولى : إذا كانت التوراة تبشر بمحمد (صلى الله عليه وآله) هذا التبشير المفصل بانه نبي آخر الزمان فلماذا يريد اليهود قتله وهم يؤمنون بالتوراة ؟ ولماذا يريدون قتله وهو لازال غلاماً صغيراً ولم يكن قد ظهر منه ما يدل على إعلان النبوة في هذا العمر وهذا الوقت المبكر. الثانية: يظهر الشق الأخير من هذه الرواية ان أبا طالب كان يستجيب لتعليمات الراهب بحيرا من دون اعتراض وسط استغرابه من أمر النبوة الذي يتحدث عنه هذا الراهب بكل ثقة ، وأبو طالب منصت له بكل دقة. وهنا تتضح لنا مقاصد واضعي هذه الرواية وهذا المقطع خاصةً وهو : نفي صحة ما يذكر بأن عبد المطلب وأبا طالب كانا يعلمان بأمر نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) منذ ولادته وقضية نبوته ، وسيظهر هنا ان أبا طالب لا يعرف شيئاً ، واليهود أو النصارى هم الذين يعرفون بنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) ، وينفي أن أسرة محمد (صلى الله عليه وآله) كانت من الأسر الموحدة والمؤمنة بالله وحده لا شريك له. فلماذا نجد المعلومات حول نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) متوفرة بكل دقة وتفاصيل عند اليهود فقط أو أهل الكتاب ، لكن القرشيين يُفاجؤون بمن فيهم عائلة محمد (صلى الله عليه وآله) ويسرون عند سماعهم الأخبار وكأنها لأول مرة ، ألم يكن هناك اختلاط بينهم ؟ ثم إذا كانت العلامات هي الشامة ، فمن السهولة ان يظهر الكثير من المدعين للنبوة ، بدليل ظهور أنبياء كذابين على الرغم من ان إدعاءهم يحتاج إلى ما هو أصعب من الشامة.

١- السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٩ ؛ وينظر : حسين الشاكري ، هاشم وعبد شمس ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت) ، ص٩٨ .
٢- تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٧٨ ؛ وينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٤٣ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٢٥٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٤.
٣- المستدرك ، ج٢ ، ص٦٠٧.

٧-مما يؤكد ان قصة بحيرا مختلقة ولا أساس لها ، هو اننا لم نرَ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يشير إلى هذه الحادثة في أحاديثه لا تصريحاً ولا تلميحاً في ادوار حياته كلها ، مما يثبت ان الحادثة اختلقها أعداء الإسلام. وإلا لعرضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) دليلاً على صدق نبوته ، ولكان من الصعب على الكفار رفض دليل واضح عليها كعلامة ختم النبوة ، بل ان الحادثة لو كانت حقيقية لما تردد كبار قريش في اعتناق الإسلام فور إعلان النبي رسالته.

٨-بعد كل الذي تقدم ذكره نستطيع القول ، إن الرواية من موضوعات أهل الكتاب وقد نسبت إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ، فهي من صنع المندسين في الإسلام من النصارى واليهود ، وذلك لخلق جو من التشكيك في رسالة محمد (صلى الله عليه وآله) في انه استمدها من اليهود والنصرانية. وإبراز الأثر اليهودي على الرسالة المحمدية. وللأسف الشديد اعتمد بعضهم على هذه المرويات التي دونها المحدثون في مجاميعهم من دون تدبر في مضامينها ولا تقدير لما ينتج عنها.

٩-ويبدو للباحث ان هذه الحادثة على الرغم من انها مختلقة ، إلا انه أضيف لها فيما بعد ما هو ليس منها ، وهذا هو ديدن الوضاعين الذي يضعون أفكاراً من نسج خيالاتهم في عصور لاحقة لصدر الإسلام ضمت العديد من القصص والحكايات والمعجزات الحسية التي تغرق بها كتب السير والأخبار الإسلامية التي تدعي انها حدثت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أو انه يتمتع بها لإضفاء نوع من القداسة على شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ظناً ممن كتبها انها تزيد تصديق الناس دعوته فحاولوا إظهاره في تلك الحكايات وكانه ولد في جو محاط بظواهر غير اعتيادية. وكشاهد على ذلك ما رواه الصدوق[1] حول هذه الحادثة وما حدث فيها من معجزات وكرامات وفضائل ما لا يتصوره العقل وهو مع تلك المرويات على كثرتها وشهرتها بين المؤرخين والمؤلفين في سيرته لا يكاد يثبت منها شيء عند عرضها على أصول علم الدراية[2]

١- كمال الدين ، ص١٨٣. وقد عرضها الصدوق في حديث مطول ذكر فيه المعاجز والخوارق ما لا يخطر على بال أحد. للمزيد ينظر : ص١٨٣ وما بعدها.

٢- علم الدراية : الدراية في اللغة هو العلم ، كما صرح به جمع كثير من أهل اللغة ، يقال : دريته ، علمته ، وعُرِّف علم الدراية بانه : هو علم يبحث على سند الحديث ومتنه ، وكيفية تحمله ، وآداب نقله ، وموضوعه الحديث من حيث يعرف المقبول منه والمردود. وعُرِّف أيضاً بانه : علم علوم الحديث يختص بنص الحديث أو الرواية ، ويبحث فيه عن متن الحديث وطرقه صحيحها وسقيمها وما يحتاج إليه من شرائط القبول والرد. ينظر : الصدر ، نهاية الدراية ، ص٧٧ ؛ فتح الله ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ص٢٩٧ ؛ قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٢٠٧ ؛ غفاري ، دراسات في علم الدراية ، ص٩.

، فضلاً عن ان مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) أصرت على رفض النص إذا كان مخالفاً لحكم العقل ولا يجوز الاعتماد عليه ، والركون إليه ، وان كان رواته من الثقات.

١٠-يقول الدكتور عبد الجبار ناجي[١] ، اختلق اليهود والنصارى والمستشرقون قصصاً تاريخية نظير قصة بحيرا الراهب وقصة ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة الكبرى زوج الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لان مثل هذه القصص كان يراد منها إظهار الأثر الديني المسيحي في الإسلام.

ولو أخذنا مثالاً آخر لرواية هذه الحادثة عند كتاب السيرة ، وهو ما أورده ابن إسحاق بشأنها ، حتى نتمكن من الوقوف على ما ورد فيها من ثغرات فاننا سنجد :

١-أن ابن إسحاق روى هذه الحادثة في القرن الثاني للهجرة ، أي بعد أكثر من مئة عام على وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ، مما يولد تساؤلاً كبيراً عن مدى صحة صدور هذه الرواية المنقولة شفاهاً طيلة هذه المدة.

٢-أن ابن إسحاق كرر عبارة : "زعموا" وعبارة "يزعمون" فمثلاً يقول : "...وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته..." ، وقال : "لا يزعمون أنه رأى رسول الله..." ثم قال : "...فزعموا ان رسول الله قال : لا تسألني باللات والعزى" ثم قال : "فزعموا فيما روى الناس..."[٢].

ولا يغرب عنا ان «زعم» أكثر ما تقال فيما يشك فيه أو يعتقد كذبه ، ومن عادة العرب انهم إذا رووا لأحد كلام وكان كذباً أو غير موثوق به قالوا : «زعم فلان» لذلك يقولون «زعموا» مطية الكذب[٣] ، وعن شريح «لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا»[٤]. وجاء في

١- التشيع والاستشراق عرض نقدي مقابل لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية ، ط١ ، (منشورات الجمل ، بغداد – بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م) ، ص١٣٧.

٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٧.

٣- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الحسيني (ت٥٣١هـ/ ١١٣٦م) ، الحاشية على كتاب الكشاف ، (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) ، ص١٨٢ ؛ ابن هشام الأنصاري ، أبو محمد عبد الله جمال بن يوسف المصري (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) ، مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ، ج٢ ، ص٤٠٢ ؛ الزيلعي ، تخريج الأحاديث ، ج١ ، ص٤٧.

٤- القنوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٩١م) ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، ط١ ، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١٤ ، ص١٦٧.

كتب اللغة والمعاجم تعريفات عدة لمعنى الزعم ، فعند ابن منظور[١] ان الزعم : الظن وقيل : الكذب ، كما عُرف الزعم بانه : القول بلا دليل[٢] ، وهو الخبر الذي يغلب عليه الكذب[٣] ، وعرفه الزمخشري[٤] بأنه : «ما لا يوثق به من الأحاديث»

ولم تأتِ عبارة (زعم) في القرآن الكريم إلا في محل الذم ، لهذا وردت في ذم القائلين وتكذيبهم ، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[٥] وقوله عز وجل : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[٦] وآيات أخرى[٧].

وهذا كله يعني ان ابن إسحاق أورد هذه القصة بطريقة غير الواثق بصحتها ، ولا مصدق لها ، لترديده عبارات الزعم باستمرار.

٣-ذكر ابن عبد البر[٨] ، ان الراهب بحيرا كان نسطورياً ، والنسطورية[٩] مذهب مسيحي ، والتاريخ يشهد ان النساطرة لم يكونوا في تلك المنطقة قط ، فجنوب الشام كان بأكمله على مذهب اليعاقبة[١٠]، وكانوا ألد أعداء النساطرة[١١].

والظاهر ان هدف اختلاق أعداء الإسلام من اليهود والنصارى أو الرواة الكذابين هذه القصة هو محاولتهم ترسيخ مسألة ان تعاليم الإسلام منقولة أصلاً من المصادر اليهودية أو النصرانية وهي ليست أصيلة وخاصة بالإسلام وان مصدرها المسيح. وفي هذا نقول إن الشبهة التي تثار حول تعاليمه (صلى الله عليه وآله) من ان مصدرها الديانة اليهودية أو النصرانية ، فان الرد

١- لسان العرب ، ج١٢ ، ص٢٦٤.
٢- ابن حزم ، الأحكام ، ج٣ ، ص٢٨٠ ؛ فتح الله ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ص١٠٠.
٣- قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٢٣٢.
٤- الفائق ، ج٢ ، ص٨٣.
٥- التغابن : ٢.
٦- الأنعام : ٢٢.
٧- الأنعام : ٩٤ ، الجمعة : ٦.
٨- الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٤.
٩- النسطورية : أصحاب نسطور الحكيم ، وتعرف في الاناجيل برأيه ، وهم مذهب مسيحي من المغالين في عيسى من الذين قالوا : «ان المسيح هو ابن الله». ينظر : الطوسي ، التبيان ، ج٧ ، ص١٢٧ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٢٢٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص٢٣٢ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٦ ، ص٢٧ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢١٨.
١٠- اليعاقبة : وينسبون إلى يعقوب وهم الذين يقولون ان الله هو المسيح بن مريم وعنهم أخبرنا القرآن الكريم بقوله تعالى : {لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} المائدة : ١٧. ينظر : الطوسي ، التبيان ، ج٣ ، ص٦٠١ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٣ ، ص٣٩١.
١١- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٣٣٥ وما بعدها ؛ السبيتي ، السيد عبد الله ، المباهلة ، تحقيق: صدر الدين شرف الدين الموسوي ، ط١ ، (مطبعة النجاح ، طهران ، د.ت) ، ص٢٣.

على ذلك هو القول : إن مصادر تلك الأديان السماوية واحد وهو الوحي الإلهي ، وان هناك وحدة هدف في تلك الأديان وهو إرشاد البشرية ، ولم يدع نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) أبداً ان ما جاء به هو دين فريد من نوعه ، وقد وضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ. . . ﴾[1] ، وفي قوله عز وجل : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] فما جاء به القرآن وما جاءت به سنة محمد (صلى الله عليه وآله) تثبت ان جميع الأنبياء هم مسلمون. وان الدين الإسلامي هو اسم لجميع الأديان بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[3]. أي ان الإسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الإيمان بها بعد ظهوره ، وفي هذا يقول الإمام الصادق (عليه السلام): "اعلموا انه لو أنكر رجل عيسى بن مريم وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن"[4] فهل يوجد دليل أكثر من هذا على ان جميع الأنبياء قد جاءوا بتعاليم مصدرها واحد ، هو الله جل وعلا. وان التشابه في الأمور الدينية بين الأديان السماوية الثلاث ناتج عن وحدة المصدر. فلماذا إذن يدعي بعضهم بما يدعي من ان أصل تعاليم الإسلام مقتبسة من الديانتين اليهودية والمسيحية ، وما الضير في ذلك إذا كان مصدرها هو الله عز وجل. ومن اجل هذه الأغراض اختلقوا هذه القصص ومنها قصة بحيرا الراهب.

ثالثاً : السفرة الثانية وعمله التجاري :

يبدو من سير الأحداث ان هناك حالة ربط بين سفرته الثانية (صلى الله عليه وآله) وبين عملية زواجه من خديجة الكبرى (رضي الله عنها) ، بدليل ان معظم الروايات التي تنقلها المصادر تعد نهاية سفرته الثانية بداية لزواجه (صلى الله عليه وآله) من السيدة خديجة (عليها السلام).

قال ابن إسحاق عن هذه السفرة : "وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم ... فلما بلغها عن رسول

١- الشورى : ١٣.
٢- الأحقاف : ٩.
٣- آل عمران : ١٩.
٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٨٢.

الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغها من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه فعرضت عليه ان يخرج في مالها إلى الشام تاجراً..."[1].

أما رواية الإمام الصادق (عليه السلام) الواردة بشأن سفرته للشام للمرة الثانية فقد وردت بالشكل الآتي"...لما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أربع عشرة سنة ، وكان يومئذ أقل أهل المدينة مالاً ، فأكرى نفسه لخديجة ابنة خويلد (عليها السلام) على بكر[2] وحقه[3] ، وخرج غلام خديجة إلى الشام ، وكان لها غلام صدوق اسمه ميسرة فأمرته خديجة – لما أراد الخروج – ان لا يخالف النبي (صلى الله عليه وآله) فيما يأمره به إذ رأيه سديد معروف بذلك ... وكان لخديجة منظرة في مستشرف الطريق تقعد فيها ونساء قومها ، وكانت قاعدة في المنظرة تنظر إليه ومن معها من النساء فقالت لهن يا هؤلاء أما ترين ان لهذا الرجل قدراً عظيماً ؟ أما ترينه منفرداً وعلى رأسه غمامة تسير بمسيره ، وتقف لوقوفه وتظله من الحر والبرد ، والطير ترفرف عليه بأجنحتها، ولها زجل وتسبيح وتمجيد وتقديس لله رب العالمين ، يا ليت شعري من هو؟ وانه مقبل نحوها ، فقالت : اظن هذا الرجل يقصد حيّنا فلما دنا منها تبينته ، فقالت لهن : هذا محمد بن عبد الله! ..."[4].

ولمناقشة الثغرات الحاصلة في هذه الرواية المنسوبة للإمام الصادق (عليه السلام) نسجل الملاحظات الآتية :

١-تنفرد هذه الرواية بخبر شاذ وهو ان عمر النبي (صلى الله عليه وآله) كان أربعة عشر عاماً ، وهو خبر انفرد به صاحب هذه الرواية دون غيره ، وهو خبر غير صحيح لان عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) تجاوز العشرين ، مما يدل على حصول ارتباك في نقل المعلومات الواردة في هذه الرواية.

٢-إن الرواية تؤكد ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعمل أجيراً لخديجة ، وهذا غير صحيح لان النبي (صلى الله عليه وآله) ، بحسب الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد انه لم يشتغل أجيراً لأحد

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢١.
٢- بكر : بفتح الباء وسكون الكاف ، الفتي من الابل ، فإذا بزل فهو جمل ، الجمع : أبكر وبكار ، والأنثى بكرة ، فإذا بزلت فهي ناقة. ينظر : قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص١٠٩.
٣- حقة : من أنواع الإبل ، إذا دخلت في السنة الرابعة يسمى الذكر حقاً والأنثى حقة لانه استحق ان يحمل عليه ، واستحقت الانثى ان يطرقها الفحل. ينظر : الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٣٥٣ ؛ العلامة الحلي ، نهاية الأحكام في معرفة الأحكام ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، ط٢ ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٢ ، ص٣٢٣ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٩ ، ص١٠٩.
٤- الخصيبي ، الحسن بن حمدان (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٤م) ، الهداية الكبرى ، ط٤ ، (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٥١.

قط. فقد روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)[1] : «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد ..." ، ويؤكد هذا قول ابن إسحاق : "...كانت خديجة ... تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم – إلى قولها – بعثت إليه فعرضت عليه ان يخرج في مالها إلى الشام تاجراً..."[2] ولم يقل : يخرج في مالها أجيراً. وقوله أيضاً : «تضاربهم إياه...»[3] أي للمضاربة ، والمضاربة كما هو معروف غير الاستئجار ، لان المضاربة هي : عقد بين شخصين ، يقدم أحدهما بموجبه مالاً إلى الآخر ليتجر فيه بنصيب من الربح. ويسمى الطرف الذي يقدم المال : صاحب المال ، أما الطرف الذي يتولى التجارة فيسمى المضارب... ويأتي الضرب بمعنى الكسب كما في قوله تعالى : ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ . . .﴾[4][5] .

وهناك من الشواهد التاريخية التي تثبت عدم اشتغال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عند خديجة بصفة أجير ، فعن عمار بن ياسر قال : "إنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته بشيء ، ولا كان أجيراً لأحد قط"[6].

٣-أما قول الراوي : «وكان أقل أهل المدينة مالاً...»[7] فهو أيضاً كلام غير دقيق ، لان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقبل ان يعمل مع خديجة اكتسب خبرة تجارية اهلته للعمل معها ، لانه نشأ في أسرة أبي طالب ، فقد روي عن الإمام الصادق (صلى الله عليه وآله) قوله : "...فنشأ رسول الله في حجر أبي طالب..."[8] وكان في هذه الأسرة كأحد أفرادها ، وتعلم في هذه الأسرة على طبيعة العمل في مكة ، إذ كان أبو طالب يعمل في التجارة في بيع العطور[9] ، لكنه لم يكن غنياً مثل

١- أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) ، التفسير المنسوب للإمام العسكري (g) ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ص١٥٥.
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢١.
٣- المصدر نفسه والصفحة.
٤- المزمل : ٢٠.
٥- الطوسي ، المبسوط ، تحقيق: محمد الباقر البهبودي ، ط١ ، (المكتبة المرتضوية الجعفرية ، قم ، د.ت) ، ج٣ ، ص١٦٧ ؛ المحقق الحلي ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: صادق الشيرازي ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ، ج٣ ، ص٦٨٣ ؛ الأمين ، حسين ، المضاربة الشرعية وتطبيقاتها الحديثة ، ط٣ ، (مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص١٩.
٦- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢١ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص١٠٢.
٧- الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص٥١.
٨- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٧١.
٩- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٥٧٥.

بقية أثرياء قريش ، وهو في الوقت نفسه لم يكن مملقاً كما حاول بعضهم تصوير ذلك ، وكان له قطعة من الإبل يستطيع ان يعيش منها[١] ، على الرغم من ان الروايات لا تفصل كثيراً في كيفية دخول الرسول (صلى الله عليه وآله) للعمل التجاري ، إلا انها ذكرت انه ورث عن أبيه بعض الأموال ، منها خمسة جمال وقطعة من غنم[٢]. وعلى الرغم من ان هذا المال كان قليلاً إلا انه كان كافياً للبدء بعمل بسيط.

يقول احد الباحثين[٣] : «إنه عمل بهذه الأموال منذ فترة مبكرة بالتجارة ، لذلك أطلق عليه لقب الصادق الأمين قبل ان يعمل في التجارة مع السيدة خديجة (عليها السلام) ، وهذا اللقب يقترن بالعمل التجاري". مما يدل على انه لم يكن يعمل أجيراً لأحد.

٤-الغريب في الأمر ان حادثة بحيرا الراهب تكررت مرتين على الرغم من انها حادثة واحدة مما اضطر الباحث إلى تكرار دراستها وحسب الحيثية التي تطرحها كل رواية ، لان العجائب والغرائب والمعجزات والكرامات التي حدثت في قصة بحيرا تختلف من رواية إلى أخرى ، والملاحظات القادمة تخص الرواية الثانية المشابهة للأولى في أحداثها. فحين يشير الصدوق[٤] إلى هذه المعاجز نجده يقول : «...إن المياه كانت تتفجر من بطون في الصحراء التي كانت تتعرض فيها حياة العشرات من المسافرين للموت عطشاً...» أما الخصيبي[٥] فيصور المعاجز بصورة أخرى فيقول : «...إن الطير ترفرف عليه بأجنحتها ولها زجل وتسبيح وتمجيد وتقديس لله رب العالمين...» أما الحلبي[٦] فينقل لنا كيف ان الأشجار اليابسة عادت إليها الحياة وأثمرت من ساعتها أنواع الفواكه والثمار فيقول : «...على ان في بعض الروايات نزول رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت شجرة يابسة نَخَرَ عودها فلما اطمأن تحتها أخضرت ونوّرت واعشوشب ما حولها ، واينع ثمرها وتدلت أغصانها ترفرف على رسول الله (صلى الله عليه وآله) " وفي التفسير المنسوب

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١١٩ ؛ البلاذري ، انساب الأشراف ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ السيوطي ، الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، تحقيق: محمد خليل هراس ، (دار الكتب الحديثة ، بيروت ، د.ت) ، ج١ ، ص٨٢ ؛ الشرهاني ، حسين علي ، أضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع السيدة خديجة (عليها السلام) ، ط١ ، (دمشق ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) ، ص٨٤.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢١.

٣- الشرهاني ، اضواء على السيرة ، ص٨٤.

٤- كمال الدين ، ص١٨٣.

٥- الهداية الكبرى ، ص٥١.

٦- السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢١٨.

للإمام العسكري (عليه السلام)[1] تقول الرواية : «...إن الرياح المثيرة للرمال تواجه وجوه قريش حتى إذا دنت من محمد (صلى الله عليه وآله) هدأت وسكنت ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب ، وتهب عليه ريح باردة من دونهم لينة" إلى غير ذلك مما اشتملت عليه كتب التراث الإسلامي من الأساطير التي استغلها أعداء الإسلام للدس والتشويش على النبي (صلى الله عليه وآله) ورسالته.

ولعل كعب الأحبار[2] ووهب بن منبه[3] وتميم الداري وأمثالهم كانوا من أبرز أبطال تلك الأساطير ، وتؤيد ذلك مواقفهم من الإسرائيليات التي أدخلوها بين أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي التفسير وغيره من المواضيع[4].

٥-إن المعجزة الوحيدة التي تتكرر وتشترك فيها الروايات كلها وفي السفرتين معاً الأولى والثانية هو «ظل الغمامة» ومن الغريب ان الغمامة لم تظل محمداً (صلى الله عليه وآله) إلا مرتين في سفرتيه الأولى والثانية إلى الشام ، علماً بان سفرته الأولى كان (صلى الله عليه وآله) في عمر التاسعة ، وفي سفرته الثانية كان في عمر الخامسة والعشرين. أي ان المدة مابين السفرتين هو ستة عشر عاماً ، فلماذا لم تظله الغمامة خلال هذه المدة الطويلة ! وإذا كانت الغمامة قد اظلته في هذه المدة المذكورة ، فلماذا تصمت كتب التاريخ والسيرة وكتب الحديث عن ذكرها؟.

وهناك أمر آخر ، وهو ان كلتا السفرتين كانتا قبل النبوة ، فلماذا أظلته الغمامة في هاتين السفرتين ، ولم تظله في غيرهما لا قبل النبوة ولا بعدها ، فان من كرامته على الله ان جعل الغمامة تظله قبل النبوة فلأن يجعلها تظله بعد النبوة أوْلى. ولكن الذي ذكره الرواة هو ان محمداً (صلى الله عليه وآله) لم تظله غمامة ولا ملك في غير هاتين السفرتين ، وكمثال على ذلك ان أبا بكر ظلله مرة بردائه في المدينة يوم وصوله إليها لما هاجر من مكة ، ففي السيرة الحلبية[5] ، انه لما جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) قام أبو بكر للناس فطفق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسول الله يجيء أبا بكر ، فيعرفه

١- ص١٥٥.

٢- كعب الأحبار بن مانع الحميري ، من ذي رعين من حمير ، وقيل من ذي هجر من حمير ، يكنى أبا إسحاق ، أسلم في زمن عمر وتوفي في آخر خلافة عثمان. ينظر : ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٢ ، ص٤١.

٣- وهب بن منبه ، ويكنى أبا عبد الله ، مات وهب بصنعاء سنة عشر ومائة في أول خلافة هشام بن عبد الملك. ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٥٤٢.

٤- أبو شهبة ، محمد بن محمد ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط٤ ، (مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٩١ ؛ الحسني ، سيرة المصطفى ، (نظرة جديدة) ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص٥٥ ؛ محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص١٧.

٥- الحلبي ، ج٢ ، ص٢٣٥ ؛ وينظر : الرصافي ، الشخصية المحمدية ، ص١٨٠.

بالنبي حتى أصابت الشمس رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرفه الناس أي صار بعد تظليل أبي بكر إياه يعرفون ان الذي يظلله أبو بكر هو النبي فلا يسألون عنه أبا بكر ، كما كانوا يسألونه قبل تظليله. فالغمامة إذن لم تظلله وهو نبي مرسل ، فقام أبو بكر وظلله بردائه لما أصابته الشمس.

6-ولو تغاضينا عن كل الذي تقدم ذكره من الخوارق ، فالراوي الأول لها هو الحسين بن حمدان الخصيبي كان فاسد المذهب كذاباً ملعوناً لا يلتفت إلى شيء من مروياته ،مع ان الشيخ الطوسي في (الفهرست) لم يضعفه وله كتاب اسماء النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمه (عليهم السلام) وكتاب الهداية الكبرى هو من الكتب التي روى فيها الخصيبي عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكن رواياته تلك تعد ضعيفة فيما إذا انفرد بنقلها عنهم (عليهم السلام) والذي وصفه بفساد المذهب النجاشي[1] ، وابن داوود الحلي[2] وقد تناول حادثة الراهب بحيرا بالدراسة والنقد والتحليل عدد من الباحثين المعاصرين[3] ، وقد تباينت آراؤهم بين رافض ومؤيد لحدوثها. وكمثال على ذلك ننقل ما أورده السيد الحسني[4] في دراسته لهذه الحادثة حين قال : «إني لا أقف موقف المتصلب من حديث بحيرا الراهب ، فمن الجائز ان يكون قد رأى النبي (صلى الله عليه وآله) ولكن دوره معه لا يعدو ان يكون دور من يرقب له النبوة عندما وجد فيه بعض العلامات التي وصفته بها الكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرها...اما بقية الأحداث والخوارق التي روتها كتب التاريخ والحديث وادعت وقوعها في تلك المرحلة ، فلو صحت لتركت أثراً في مكة وما جاورها بل في شبه الجزيرة العربية بكاملها ، ولم يحدث شيء من ذلك" وفصل في هذا المعنى وقال : "إن تلك الكرامات والأحداث التي يدعيها الرواة ، وبخاصة ما كان منها في طريقه إلى الشام مع تلك الحشود لم تترك أثراً على المكيين الذين رافقوه في تلك المرحلة ، فلا محمد قد احتج بها عليهم يوم كانوا يطاردونه من بيت إلى بيت وفي شعاب مكة وبطاحها ، ولا

١- رجال النجاشي ، ص٦٧.
٢- رجال ابن داود ، ص٢٤٠ ؛ وينظر : محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٥ ، ص٤٩٠.
٣- الرصافي ، الشخصية المحمدية ، ص١٨٦ ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج١ ، ص٢٦٥ وما بعدها ؛ الجبر ، روايات أهل الكتاب ، ص٢٢٣ وما بعدها ، شحرور ، محمد ، القصص القرآني قراءة معاصرة ، ط١ ، (مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م) ، ص٥٠.
٤- سيرة المصطفى ، ص٥٥-٥٦.

حدّث أحد من المؤرخين بان رفاقه في تلك الرحلة كانوا يتحدثون لمن رجعوا اليهم في مكة وما جاورها ، كل ذلك مما يرجح استبعادها".

ومن الباحثين المعاصرين الذين تناولوا حادثة بحيرا الراهب الباحث مخلد الجبر[١] الذي أشار إلى تناقضات عديدة في هذه الحادثة وطريقة روايتها ، وتساءل في عدة نقاط عن الثغرات الحاصلة فيها وأشكل عليها ، ولكنه على الرغم من ملاحظاته وإشاراته كلها الى تلك الثغرات فانه لم ينفها ، أو يثبتها ، بل انه احتج بها في نهاية مبحثه وعدها حجة دامغة على ما ورد من نصوص في بعض المؤلفات الإسلامية ، أي انه اتخذ من قصة بحيرا دليلاً قوياً على دحض الروايات الواردة في مؤلفات إسلامية لابن سعد[٢] ، والذهبي[٣] ، وابن كثير[٤] فيقول : «إن رد النبي في تلك الرواية وما سبقه من حديث مع بحيرا الراهب أنتج معلومة مفيدة تتعلق بعقيدة النبي (صلى الله عليه وآله). إذ نجد رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله) يَقسِمُ لبحيرا انه يبغض الأصنام (اللات والعزى) بغضاً شديداً كما يؤكد لشخص آخر من أهل الكتاب انه لم يقسم بهما قط وانه يعرض عنهما عند مروره بهما ، وان دل ذلك على شيء إنما يدل على المعتقد النقي الذي كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) والخالي من البدع الجاهلية وطقوسها الدينية المقيتة ، وليس كما صورت بعض مصادر السيرة النبوية من ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعتقد بالأوثان ويذبح عندها ويأكل من لحومها"[٥].

ومن النص المتقدم الذي أورده هذا الباحث ، فان هذه الرواية بحسب رأيه هي حقيقة واقعة لا جدال في صحتها على الرغم من أنها رواية إسرائيلية ، وهذا يتناقض وما أورده من انتقادات لاذعة وفجوات كبيرة أشار إليها وحددها في بداية كلامه عن أحداث هذه الرواية بدا من خلالها كأنه يرفض الحادثة وروايتها رفضاً تاماً ! فكيف يعود ويحتج بها على أحاديث ونصوص وردت في كتب أخرى؟! وكيف له أن يؤمن بالشيء ونقيضه في آن واحد ؟ إلا

١- روايات أهل الكتاب ، ص٢٢٦ وما بعدها.
٢- الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٥.
٣- تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٨١-٨٢.
٤- البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٢٧٥-٢٧٦.
٥- مخلد الجبر ، روايات أهل الكتاب ، ص٢٣١.

إذا كان الباحث يقصد ان الروايات الإسرائيلية ليست كلها مرفوضة ، ومن ثم فانه يريد ان يقول ان مسألة حسم صحة الرواية من عدمها هو أمر متروك للباحثين الآخرين لكي يعطوا رأيهم الحاسم فيها ، وهذا هو السر في اننا وجدنا ازدواجية واضحة لهذا الباحث في نظرته لهذه الرواية.

والذي يبدو ان قصة أحداث بحيرا الراهب هي من صنع اليهود والنصارى لإثبات علمهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) دون قريش ، لكي يتمكنوا فيما بعد من دس الأخبار التي لا يجاريهم فيها المكيون والقرشيون – أي ان افتعال هذه القصة سيكون وسيلة لتمرير أكاذيب سيضعونها في المستقبل وهو ما حصل فعلاً فيما سمي بالإسرائيليات ليكون تأثيرهم في التوغل داخل الفكر الإسلامي أقوى – ثم أضيف إلى هذه القصة فيما بعد ما ليس منها ، فعلى الرغم من انها موضوعة في الأصل ، جاء الآخرون وأضافوا إليها ما ليس منها من الكرامات والمعاجز والغرائب. ودليل ذلك انهم حمَّلوا هذه القصة صوراً متعددة تختلف من مصدر لآخر ، ومن راوٍ إلى آخر.

وتشير الدلائل كلها إلى ان سفرة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الشام هي حدث واقع فعلاً ، وان الرسول (صلى الله عليه وآله) سافر إلى الشام ولكنها سفرة واحدة فقط ، وهي السفرة الثانية حين بلغ من العمر أكثر من عشرين عاماً في تجارة لخديجة ، ومما لاشك فيه ان هذه الرحلة تكللت بالنجاح الذي لم تتوقعه خديجة ولا غيرها من التجار ، ومن المحتمل ان يكون بحيرا الراهب من ضمن ما وقع من لقاءات وأحداث في هذه السفرة ، وان ملاحظاته كانت لا تتعدى حدود فراسته ، اذ لاحظ ملامح النبي (صلى الله عليه وآله) وشخصيته المهيبة ، وذكاءه الخارق ، فكانت لديه صفات النبوة التي بشر بها الانجيل. لهذا نجد ان الاخبار تتحدث عن قيام هذا الراهب بحوار مهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) ، وعلى أساس هذا اللقاء وما دار فيه من حوار ، أضيف للقصة ما ليس منها.

ولابد للباحث من إبراز أسباب مقنعة تؤيد ان السفرة الأولى لم يكن لها أصل ، وان الذي حدث فعلاً هو السفرة الثانية فقط ، (التي لم تكن ثانية أصلا بل هي الأولى) والتي على أساسها وضعت أحداث السفرة الاولى المزعومة للشام ، وهذه الأسباب هي :

١ –ان المدة المحصورة مابين عمره الشريف حين بلغ تسع سنوات ، وما بين عمره وهو في الحادية والعشرين أو أكبر – أي بين السفرتين الأولى والثانية – تبلغ أكثر من اثنى عشر عاماً على الأقل ، وهذه المدة لو ركزنا عليها ، نجد انها مدة مليئة بالغموض وقلة المعلومات ، أي ان المدة البالغة اثني عشر عاماً من عمره الشريف لا نجد لها أثراً في المصادر والمؤلفات ، وهذه المدة كان النبي (صلى الله عليه وآله) فيها في قمة العطاء وقمة الشباب وازدهار الشخصية معنوياً ونفسياً ، مما يؤدي إلى انه كان يعمل كثيراً سواء على صعيد العمل اليومي أو التجاري أو فيما يخص النبوة ، فلماذا لا توجد معلومات وأخبار توازي عطاءه في هذه المدة ، لاسيما انه لقب بالصادق الأمين وهو في هذا العمر بدليل اتفاقه مع خديجة وهو في عمر الحادية والعشرين كان حائزاً على هذا اللقب ، لان خديجة رغبت في العمل معه لصدقه وأمانته كما تقول رواية ابن إسحاق[١]. وهذا الصدق وهذه الأمانة دليل على ان للنبي (صلى الله عليه وآله) الكثير من الأعمال والأحداث التي لم تذكرها المصادر.

إذن هناك فراغ زمني واسع يمتد من بداية سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة إلى بداية سن الحادي أو الثاني أو الثالث والعشرين للنبي (صلى الله عليه وآله) فحاول اليهود والمندسون سد هذا الفراغ الزمني من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) فاختلقوا السفرة الأولى ، واستمدوا فكرتها من السفرة الثانية ، والغاية هي التغطية على أخبار مهمة من شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) ، ربما تتعلق باخبار النبوة ، واختاروا عمر التسع سنوات لصنع أحداث هذه السفرة ليكون بداية لإلغاء ما يرومون إلغاءه ، لأنه في هذه السن كانت بداية كفالة أبي طالب له. ودليل ذلك انه عندما كان قبل هذا السن ، أي عندما كان في كفالة جده عبد المطلب ، فان هذه المدة كانت مليئة بأخبار النبوة ومعجزاتها وعلاماتها[٢] ، وكانت فعلاً مدة مليئة بالمعلومات الوافية عنه (صلى الله عليه وآله). ولأنهم لم يتمكنوا من اختراق مدة جده عبد المطلب استطاعوا الدخول والاختراق من صناعة اخبارهم المفبركة من سن التاسعة إلى سن الحادية والعشرين أو أكثر.

١ – ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢١.
٢ – ابن حبيب ، المحبر ، (مطبعة الدائرة ، بيروت ، ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م) ، ص٩ وما بعدها ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١١٠ وما بعدها ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٣ ، ص٣٦ وما بعدها.

ورب سائل يسأل إذا كانت غايتهم التغطية على أخبار النبوة ، فلماذا جاؤوا باخبار السفرة ومعاجزها فهي الأخرى تتحدث عن النبوة ؟ والجواب هو انه باختلاقهم لأحداث السفرة الأولى فانهم فصلوا الأخبار – أخبار النبوة – على مزاجهم وما يخدم أغراضهم ، ساعدهم على ذلك ان العقل العربي مغرم بالاساطير والمعاجز ، فركز عليها من دون الالتفات إلى الأخبار الحقيقية التي تخدم النبوة وأهدافها. وهذه هي الغاية الحقيقية لليهود.

٢-إن ما يؤكد صناعة أحداث السفرة الأولى أن أبا طالب – أحد شخصيات هذه السفرة – وبحسب ما تذكر المصادر لم يكن تاجراً كبيراً ، بل كان تاجراً للعطور[١] ، وهي تجارة تكاد تكون متوسطة الحال ولا تسمح لمن يمارسها بالذهاب والمتاجرة إلى الشام ، لان السفر إلى الشام كان محصوراً بالأشخاص الأثرياء ، ولم يتمكن أبو طالب ان يكون منهم لانه لم يكن ثرياً أبداً ، بل كانت ثروته ضئيلة لدرجة عدم تمكنه من الإنفاق على أولاده. يقول اليعقوبي[٢] : «كان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً مع إملاقه» مما جعل بعض أقاربه يتعاطفون معه ويأخذون على عاتقهم مسؤولية تربية بعض أبنائه للتخفيف من الوضع الاقتصادي الصعب الذي يعيش فيه[٣]. ويؤيد ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): "أبي ساد فقيراً وما ساد فقير قبله"[٤] مما يؤكد عدم قدرته على ممارسة التجارة لأنه لا يمتلك ثروة كبيرة ، إذن السفرة الأولى مختلقة ولا أساس لها.

٣-وقد يقول قائل إن أبناء قريش كلهم كانوا يشتركون في رأسمال القافلة الذاهبة إلى الشام وتجارتها ، وان أبا طالب كان أحدهم. فلماذا لا يكون من ضمن المسافرين إلى الشام ؟ نقول : إن هذا لا يعني انه كان يذهب معهم إلى الشام ، لان الذين كانوا يذهبون إلى الشام هم التجار الكبار وأصحاب رؤوس الأموال الكبيرة ، والحالة كانت لا تستدعي ان يذهب كل قرشي له مبلغ معين من المال مع القافلة ، لان هذا خلاف قواعد العمل التجاري ، فكلما ازداد عدد الذاهبين مع القافلة ازداد ثمن التكلفة للبضائع المستوردة ، وازدياد ثمن التكلفة يرفع من

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٦٨ ؛ البلاذري ، أنساب الاشراف ، ج٢ ، ص٢٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٣ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص١٥ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص١٥ ؛ السيوطي ، الخصائص الكبرى ، ج٢ ، ص٨٢.
٢- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٤.
٣- الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٦٩ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص٧٨.
٤- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٤.

قيمة البضاعة المستوردة ، فكانوا لا يذهبون مع القافلة بأعداد كبيرة ، كما ان التعامل التجاري يحتاج إلى تاجر من نوع كبير يتمكن من قياس نوع السلع وأسعارها ، وأبو طالب لم يكن تاجراً كبيراً. ومن البحث في المصادر[1] تبين انه كان يبيع العطور وهي تجارة لا تستحق الذهاب إلى الشام والسفر الطويل ، فهي تجارة متوسطة ، لاسيما انه كان معوقاً ، فعوقه كان لا يسمح له بالذهاب إلى الشام ، فقد أشار الجاحظ[2] إلى ان أبا طالب كان أعرجاً ، وذكر عن أبي طالب نفسه افتخاره بعرجه عندما عيره بعض نسائه إذ قال مفتخراً :

قالت عرجت فقد عرجت فما الذي ... أنكرت من جلدي وحسن فعالي
وأنا ابن بجدتها(*) وفي صيّابها(**) ... وسليل كل مسوّد مفضال
أدعو الرقاحة(***) لا أريد نماءها ... كيما أفيد رغائب الأموال
وأكف سهمي عن وجوه جمّة ... حتى يصيب مقاتل البخّال

وأشار ابن قتيبة[3] أيضاً إلى ان أبا طالب كان أعرجاً. وهذا الوصف لا يتلاءم وحصول السفرات الطويلة ، مما يؤكد عدم قدرته على الذهاب إلى الشام ، وهو الأمر الذي ينفي حصول السفرة الأولى برفقة أبي طالب.

٤ -ظهرت في الآونة الأخيرة دراسات تنفي فقر أبي طالب[4] ، وتثبت انه كان يمتلك ثروات لا بأس بها ولا يمكن عده من الفقراء ، وهذا بحد ذاته صحيح ، ولكن من الجانب الآخر لا يعني انه كان غنياً غنىً فاحشاً ، وإنما كان ذا مستوى معاشي لا بأس به ، ولا يمكن

١- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٥٧٥.
٢- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٤٦.
٣- المعارف ، ص٥٨٢.
٤- الكوراني ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٢-١٥٤ ، المحمداوي ، علي صالح رسن ، أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية ، ط١ ، (دار ومكتبة البصائر ، بيروت ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م) ، ص٧٧-٨٧.
*- البجدة : التراب ، فكأن قوله : أنا ابن بجدتها : أنا مخلوق من ترابها. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ، ص٢٣٤١.
**- صيابها : خيارها ، وصيابهم : أي أصلهم. ينظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٦٠.
***- الرقاحة : الكسب والتجارة وفي تلبية بعض أهل الجاهلية : جئناك للنصاحة لم نأت للرقاحة ، وفلان يترقح لعياله ، أي يتكسب. ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص٣٦٦ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص٢٥٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٤٥١ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٢٢٣.

عده من كبار تجار قريش ، بدليل ما رواه جابر في سبب تزويج خديجة بمحمد (صلى الله عليه وآله) ان أبا طالب قال : "يا محمد اني أريد ان أزوجك ولا مال لي أساعدك..."[1].

والدراسات التي أكدت ان أبا طالب كان غنياً ، أوردت العديد من النصوص التي تحدثت عن فقر أبي طالب ، ولم تأتِ بالأدلة على نفيها من حسن حالة أبي طالب المعاشية ، وإنما نفت الفقر استناداً إلى ان عبد المطلب كان غنياً فأين ذهبت أمواله بعد موته ؟ ومن هذا التساؤل حاول احد الباحثين[2] ان يثبت غنى أبي طالب ، وهذا لا يعد دليلاً قوياً وكافياً على إثبات ما ذهب إليه.

٥-إن ما يرجح الرأي الذي ذهب إليه الباحث ، هو ان هناك بعض الدراسات المعاصرة ذهبت إلى الرأي نفسه. فقد أشار أحد الباحثين المعاصرين[3] إلى هذه الحالة بقوله : «...كان أبو طالب ذلك الزعيم المهيب ، والسيد الأول والرئيس المطاع وهو الخالي الوفاض من المال... فلم يكن ذلك الثري ولا ذلك الوارم الكيس». وهذا الرأي يبدو هو الأدق والأصوب ، فهو لم يكن غنياً كثيرا ولم يكن فقيراً حتى الإملاق.

٦-عندما أصبح النبي (صلى الله عليه وآله) شاباً في الخامسة والعشرين من عمره الشريف شارك مرة أخرى - بحسب الروايات - في رحلة مع قافلة تجارية إلى بلاد الشام لصالح خديجة (عليها السلام) ، فلو كان (صلى الله عليه وآله) يعرف مسبقاً ان أهل تلك البلاد ينوون له العداوة - بحسب ما ورد في الرواية - بحيث ان هذه العداوة من الخطورة التي دعت أبا طالب وبحسب توجيهات بحيرا الراهب إلى الإسراع في العودة من دون إكمال الرحلة ، وانهم بمجرد رؤيته سيعرفونه من علامات نبوته الواضحة ، لما قام أبداً بتلك الرحلة ، لكنه (صلى الله عليه وآله) لم يبدِ أي تردد في قبول عرض خديجة له في الاتجار معها ، ولم يقم احد بإيذائه وعاد سالماً معافى بعد قيامه بعمليات تجارية رابحة ، وان نجاح سفرته الثانية تجارياً دليلٌ على عدم وجود تهديد سابق بقتله حاصل من السفرة الأولى ، لعدم حصولها أصلاً ، لذلك لم يبد أي تردد في قبول عرض خديجة.

١- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص١٣٩.
٢- المحمداوي ، أبو طالب ، ص٧٧-٧٨.
٣- الخنيزي ، أبو طالب مؤمن قريش ، ص٩٨.

هذه الأدلة كلها تثبت على الأرجح عدم حصول السفرة الأولى ، وان الروايات التي تحدثت عن هذه السفرة ، ما هي إلا روايات مكذوبة نسجت على أساس السفرة الثانية الفعلية ، وان القصد من وراء هذا الوضع والاختلاق هو ملء الفراغ الحاصل عن سيرته (ﷺ) في هذه السنوات. لان هذه السنوات خاصةً كانت سنوات العنفوان والإبداع له (ﷺ).

رابعاً : عمله في رعي الغنم (ﷺ) :

لم تكن مسألة رعيه (ﷺ) بمستحدثة حتى نسهب في تفاصيلها وإبراز تناقضاتها ، فقد تناولها العديد من الباحثين المعاصرين[1] الذين رفضوا فكرة ان النبي (ﷺ) كان يرعى الغنم. فلا داعي هنا لتكرارها وإبرازها ، وإعادة ما دونوه من ملاحظات بشأنها.

إلا ان مسألة رعيه (ﷺ) للغنم تحتاج إلى مقارنة أخرى بين فكرتين طرحها الرواة ، فقد وردت أحاديث الرعي لتبرز حالتين :

الحالة الأولى : إن النبي (ﷺ) كان يرعى الغنم بصفة أجير بمبالغ زهيدة جداً لا يرضى بها – على حد تعبير العلامة العاملي[2] – حتى العجائز.

الحالة الثانية : لم تشر فيها الروايات إلى انه كان يعمل بصفة أجير ، بل على العكس انه كان يرعى الغنم لأهله وليس أجيراً.

ومن مثل الحالة الأولى الرواية الآتية : «عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال : ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط[3] لأهل مكة»[4].

أما الحالة الثانية فقد مثلتها الروايات الآتية :

١–عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) : "قال النبي (ﷺ) ليس من نبي إلا وقد رعى الغنم..."[5].

١– العاملي ، الصحيح ، ج٢ ، ص٩٩ وما بعدها ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٢٨٨ وما بعدها ؛ النصر الله ، نشأة النبي (ﷺ) ، ص ؛ الساعدي ، والدا النبي ، ص١٤٩ وما بعدها.

٢– الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص٩٩.

٣– القراريط : أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة. ينظر : الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص٣٧٦ ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٢٨٩.

٤– البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٤٨ ؛ النووي ، رياض الصالحين ، ط٢ ، (دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٣١٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٥٤ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج٣ ، ص٢٥٧ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٤ ، ص١٠٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٩ ، ص١٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٠ ، ص٣٧٦.

٥– الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٢٣٣.

٢-عن الإمام الصادق (عليه السلام) : "ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم ، يعلمه بذلك رعي الناس"[١] وعنه (عليه السلام) قال : "إن الله عز وجل أحب لأنبيائه من الأعمال : الحرث والرعي ، لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء"[٢]..

إن الروايات الثلاث المشار إليها والواردة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) ، يفهم منها ان الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما كان يعمل في رعي الغنم فانه كان يرعى غنم أهله وليس غنم الآخرين أجيراً عندهم ورعاية غنم الأهل هي طبيعة ولدتها ظروف المجتمع الصحراوي بحيث انها تمارس في معظم الأحيان كنوع من الهواية أو النزهة ولا يوجد عليها أي شائبة ، لان الأغنام هي جزء مهم في بيئة الصحراء. ويؤكد ذلك ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) "بعث الله موسى (عليه السلام) وهو راعي غنم وداوود (عليه السلام) وهو راعي غنم وبعثت وانا أرعى غنم أهلي بأجياد[٣])[٤] ولا يوجد كلام يؤكد ان الغنم التي كان يرعاها غنم أهله وليس أجيراً عند الآخرين أكثر من هذا الحديث.

وهناك حديث آخر له (صلى الله عليه وآله) بخصوص هذه المسألة ، فقد ورد عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: "كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) نجني الكباث[٥] فقال : عليكم بالأسود منه فأنه أطيبه قال قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال : وهل من نبي إلا قد رعاها»[٦].

ويبدو من تحليل هذا النص وتدقيقه ان عملية الرعي هذه حصلت قبل النبوة والرسالة

١- الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص٣٢.
٢- المصدر نفسه والصفحة.
٣- موضع بمكة يلي الصفا. قال الأصمعي هو الموضع الذي كانت به الخيل التي سخرها لإسماعيل (عليه السلام) وعامة أهل مكة يقولون جياد الصغير وجياد الكبير. ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، (مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م) ، ج١ ، ص٦١ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠٥.
٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٢٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٧ ، ص٨٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٤ ، ص١٨٣.
٥- الكباث : هو النضيج من ثمر الأراك ، وما لم يونع فهو برير ، وقيل : الكباث : حمل الأراك المتفرق ، ويقال : بل هو ما لم ينضج ، ، ونفيجه : المرد ، واسم ذلك كله برير ، ويقال كذلك : الأراك : عناقيد كعناقيد العنب ، وحمله يؤكل وهو الكباث ، واسوده أشد نضجاً وهو أطيبه. وقيل لعناقيد البرير غربان البرير لسوادها.ينظر : الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م) ، العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط٢ ، (مطبعة الصدر ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٥ ، ص٣٥٢ ؛ ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (مكتبة الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ج٥ ، ص١٥٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج١ ، ص٤٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص١٧٨ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٣ ، ص٢٥٠.
٦- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٣ ، ص٣٢٦ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص١٣٠ ، ج٦ ، ص٢١٣ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٦ ، ص١٢٥ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٤ ، ص١٦٨ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١١ ، ص٥٤٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٦ ، ص٢٢٤ ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج٤ ، ص٣٠٢٢.

بدليل ان جابر والصحابة الذين معه يسألونه (صلى الله عليه وآله) هل كان يرعى الغنم ، وهو دليل على عدم معرفتهم بذلك في مدة النبوة لان مدة النبوة كانوا فيها على علم تام بتحركات الرسول ومنهاجه كله (صلى الله عليه وآله) وهو ما يؤكده قول الإمام الباقر (عليه السلام) المار الذكر.

إن معرفتنا بأنه (صلى الله عليه وآله) كان يرعى الغنم قبل النبوة تثبت لنا عدم اشتغاله أجيراً في هذه المهنة لان حياته (صلى الله عليه وآله) في مدة ما قبل النبوة مقسمة على حقبتين زمنيتين ، ولم يمارس في هاتين الحقبتين رعي الغنم ، الأولى: ما قبل التاسعة من عمره ، وفي هذه المدة كان بكفالة جده عبد المطلب وهو سيد قريش على الإطلاق ، فكيف يكون راعياً بمبلغ زهيد (قراريط) على وصف البخاري؟[1].

ومما يؤيد ذلك ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "كان عبد المطلب أرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى رعاته في ابل قد ندّت له ليجمعها فأبطأ عليه ... ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذه فقبله..."[2]. ويفهم من هذا النص أن لدى عبد المطلب عدداً من الرعاة ، وقد بعث محمد (صلى الله عليه وآله) في حينها لمتابعة هؤلاء الرعاة مما يشير إلى انه لما كان (صلى الله عليه وآله) بكفالة جده عبد المطلب الغني الذي يملك أعداداً من الإبل إلى درجة انه كان بحاجة إلى من يتابع رعاة هذه الإبل ، فأنه يصبح من المستحيل أن يرعى رسول الله (صلى الله عليه وآله) غنماً للآخرين مقابل مبالغ زهيدة.

الثانية : ما بعد التاسعة وهي المدة التي عمل فيها رسول الله بالتجارة إلى ان جاءته النبوة ، وما بعد النبوة لم يزاول فيها هذه المهنة باتفاق جميع الأحاديث المارة الذكر.

إن مما يؤكد ان عملية رعي الغنم التي مارسها رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي مجرد رغبة أو هواية فرضتها طبيعة المجتمع الصحراوي ، وكثيراً من الناس كان يمارسها عندما تكون الأغنام ملكه الخاص. هو ما ورد عن علي بن إبراهيم القمي[3] : «ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما أتى له سبع وثلاثون سنة كان يرى في نومه كأنه آتياً أتاه فيقول : يا رسول الله وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب..."[4] إذن فالأغنام كانت لأبي طالب ، وعمره كان في السابعة والثلاثين وليس في

١- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٤٨.
٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٧.
٣- صاحب التفسير المعروف بتفسير القمي (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م) ، وقد أكثر الكليني الرواية عنه في الكافي ، وكان القمي معاصراً للإمام العسكري (عليه السلام). ينظر : الطهراني ، الذريعة ، ج٤ ، ص٣٠٢.
٤- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٠٢ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣١٥ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص٨٦ ؛ ابن الصباغ ، الفصول

عمر صغير ، وهو العمر الذي كان يمارس فيه أعمال التجارة ، فالرعي إذن مجرد عمل يخص حلاله الخاص وليس أجيراً بدليل ممارسته وهو يعمل تاجراً في الوقت نفسه. وقد ورد عن عمار بن ياسر : «ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان يعمل أجيراً لأحد قط"[1].

المهمة ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص١٨٤ . ويبدو ان هؤلاء نقلوا عن علي بن إبراهيم القمي المذكور سابقاً لأنه ينقل معظم معلوماته من كتاب إبان بن عثمان الأحمر البجلي المعاصر للإمام الصادق (عليه السلام).

١ - اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠ .

المبحث الرابع :

النشأة العائلية والشخصية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله):

أولاً : روايات الزواج من السيدة خديجة (عليها السلام) :

١-أسباب اختيار النبي (صلى الله عليه وآله) خديجة (عليها السلام) زوجة له :

خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي[١]، فهي تجتمع مع الرسول (صلى الله عليه وآله) في قصي. وقد جمعت السيدة خديجة المناقب العديدة، يقول الإمام الصادق (عليه السلام) بشأنها : "... خديجة بنت خويلد...سيدة نساء قريش..."[٢].

وقد جمعت إلى جانب ثروتها المادية الشرف والعفة والعقل والحكمة. فقد أشارت المصادر الإسلامية[٣] انها كانت امرأة حازمة شريفة مع ما أراد الله من كرامتها، فأرسلت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش نسباً وأكثرهن مالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكل قومها كان حريصاً على الاقتران بها لو يقدر.

وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : "...وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد أبتهم، فزوجته نفسها ..."[٤].

وقد تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) خديجة وهو ابن احدى وعشرين سنة[٥] وقيل ابن خمس وعشرين سنة[٦] وقيل ابن ثلاثين سنة[٧]. وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة[٨].

١- الدولابي، الذرية الطاهرة، ص٤٤.
٢- الحميري، قرب الإسناد، ص٣٢٦.
٣- ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص١٢٢؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣١؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٥؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص٣٥٨؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج١، ص٢٢٤.
٤- الحميري، قرب الإسناد، ص٣٢٦.
٥- ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج١، ص٦٨.
٦- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٣١؛ ابن حبيب، كتاب المحبر، ص٩؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، ص١١١.
٧- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٢٠.
٨- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٣٤؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج٢، ص١١١.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : "ان خديجة كانت أول امرأة تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"[1] .

وفي زواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خديجة (عليها السلام) جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "... وقالت – أي خديجة – يا محمد اعرض عليك أمراً ... قال وما هو ؟ قالت أريد ان تتزوجني ، فقد تباركت بك ، ورأيت منك ما أحب ، وأنا من عرفت شرفي وحسبي ونسبي وموضعي من قومي وسيادتي في الناس ، وكثير لا ينالون تزويجي ، وقد عرضت نفسي عليك ، فقال لها رسول الله أو تفعلين ذلك ؟ فقالت: ما قلت إلا ما أريد أن أفعله فقال لها: حتى استأمر عمي وأخبرك ما يكون إن شاء الله تعالى ، وانطلق إلى عمه فأخبره ما قالت خديجة ، فقال له عمه: يا بني إنها من قوم كرام فتزوجها ، ولا تخالفها فانها فائقة الحسب والنسب والشرف والمال..."[2].

أما رواية ابن إسحاق فيقول : «فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت له: يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها"[3].

ولم يرد في سيرة ابن هشام ما رواه الحلبي[4] عن ابن إسحاق : «ان خديجة قالت له: يا محمد ألا تتزوج؟ قال : من ؟ قالت: أنا ، قال: ومن لي بك؟ أنت أيم قريش وانا يتيم قريش»

وورد عند أبي هلال العسكري[5] : «ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لقى عمه أبا طالب فقال : أخطب على خديجة ، قال – أي أبي طالب – أخاف ألا يفعلوا أيم قريش وأنت يتيم قريش...".

ولمناقشة هذين النصين نجد ان التناقض فيهما واضح للعيان :

١ –في رواية ابن إسحاق ، ان القائل "أنت أيم قريش وانا يتيم قريش" هو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، بينما في الرواية الثانية نجد ان القائل لهذه العبارة هو أبو طالب!

١ – الصدوق ، الخصال ، ص٤١٩ ؛ وينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٢.
٢ – الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص٥١.
٣– ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٢.
٤ – السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٦.
٥ – الحسين بن عبد بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) ، الأوائل ، تحقيق : محمد السيد الوكيل ، ط٢ ، (مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ، ص١١٣.

٢-عند اللجوء إلى روايات الإمام الصادق (عليه السلام) ، نجد انه لا صحة لهذا الكلام الذي يصور لنا شخص النبي (صلى الله عليه وآله) وكأنه - حاشاه - لا يعرف ماذا يقصد حين يتكلم ، فمن غير المعقول ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وهو في عمر الثالثة والعشرين أو أكثر حين فكر بالزواج من خديجة وهو عمر متقدم بالنسبة لتلك المرحلة من غير الممكن ان يقول "أنا يتيم قريش" ورواية الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام) تنصُّ في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه لعلي (عليه السلام) : "يا علي لا يُتْمَ بعد احتلام"[١] ، وهو من الأحاديث المشهورة والمعروفة بالقبول ، فكيف له (صلى الله عليه وآله) ان يقول : "انا يتيم قريش" ، هذا إذا تجاوزنا انه تربى في بيت هو من اعرق البيوت ، فكيف له (صلى الله عليه وآله) لا يعرف ان اليتيم لا يطلق في لغة العرب إلا على غير البالغ ! ، فاليتيم عند العرب إذا بلغ زال عنه اسم اليتم لانه بلغ الحلم[٢].

٣-أما إذا كان القائل هو أبو طالب فهذا لا يصح أبداً ، لأنّ رواية الإمام الصادق (عليه السلام) بهذا الخصوص تنفي كل ما ورد من كلام أبي طالب في قوله : "أنت يتيم قريش" ، لأنّ أبا طالب هو الذي كان يصف النبي (صلى الله عليه وآله) بالصفات التي تدل على عظم شخصيته (صلى الله عليه وآله) التي كان يتمتع بها. فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "...فابتدأ أبو طالب الكلام فقال: ...ثم ان ابن أخي هذا يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق. وان كان مقلاً في المال فان المال رفِد جارٍ وظل زائل..."[٣] فإذا كانت هذه صفات النبي (صلى الله عليه وآله) على لسان أبي طالب ، فكيف له ان يقول : "أنت يتيم قريش"!

وجاء في رواية اليعقوبي[٤] عن عمار بن ياسر انه قال : «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله) خديجة بنت خويلد ، كنت صديقاً له ، فإنا لنمشي يوماً بين الصفا والمروة إذا بخديجة بنت خويلد واختها هالة ، فلما رأت رسول الله (صلى الله عليه وآله) جاءتني هالة اختها فقالت: يا عمار !

١- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١ ، ص٤٥ ؛ الجواهري ، جواهر الكلام ، ج٢٦ ، ص١٠ ؛ وينظر: الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٤ ، ص١٤ ؛ الشريف المرتضى ، الانتصار ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٢٨٨ ؛ ابن قدامة ، المغني ، ج٧ ، ص٣٠٦ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ج٥ ، ص٣٧٠ ؛ السيد سابق ، فقه السنة ، ج٣ ، ص٥٧٥.
٢- ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢ ، ص٦٤٥.
٣- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٤ ؛ وينظر : الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص٣٩٧ دون إسناد الحديث إلى الإمام الصادق (عليه السلام).
٤- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠.

ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت والله ما أدري. فرجعت فذكرت ذلك له ، فقال: ارجع فواضعها وعِدْها يوماً نأتيها فيه ، ففعلت".

ولا تكاد تتجاوز المرويات الأخرى التي تنقلها كتب السير والتاريخ العام ما ذُكِر من تفاصيل بأي شيء مثير أو غريب عن كيفية خطبته (صلى الله عليه وآله) لخديجة (عليها السلام) ، لأنّ الأصل والمحتوى واحد ، ولكنه جاء بطرق وصيغ مختلفة.

ولكن عند قراءة اغلب الروايات نجد انها أكدت ان السبب الرئيس في زواج الرسول (صلى الله عليه وآله) منها هو ما حصل في سفرته الثانية من كرامات وغرائب مثل قصة بحيرا الراهب ، وظل الغمامة ، والكرامات الأخرى[1]. إلا ان هذا ليس صحيحاً ، وان زواج الرسول (صلى الله عليه وآله) منها جاء لأسباب تتعلق بشخصيته الفذة وما فيها من السجايا الأخلاقية الرفيعة والصفات العظيمة.

والذي يبدو لنا من قراءة النصوص ان خديجة (عليها السلام) قررت بعد سفرة النبي (صلى الله عليه وآله) التجارية للشام ، الإقدام على اختيار محمد (صلى الله عليه وآله) زوجاً وشريكاً لحياتها.

واعتماداً على ما ورد من روايات للإمام الصادق (عليه السلام) يذهب الباحث إلى ان كل ما يروى من إن التجارة والعمل التجاري مع الرسول (صلى الله عليه وآله) هو السبب الرئيس في زواج خديجة (عليها السلام) هو كلام غير دقيق ، لأنّ الحديث عن الأسباب التجارية يعطي انطباعاً مادياً وكأن الأمر كان بصفة (صفقة تجارية).

والذي يثبت ذلك انه عند التدقيق في الروايات نجد ان قرار خديجة بعرض نفسها على الرسول (صلى الله عليه وآله) وطلب الزواج منه ، كان يسبق هذه الروايات التي تحدثت عن هذه الكرامات والربح التجاري الذي حصل في السفرة إلى الشام. ففي رواية الإمام الصادق (عليه السلام) : "... وكانت لخديجة منظرة في مستشرف الطريق تقعد فيها ونساء قومها ، وكانت قاعدة في المنظرة تنظر إليه ومن معها من النساء ، فقالت لهن : يا هؤلاء ما ترين ان لهذا قدراً عظيماً؟"[2].

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٥٨.
٢- الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص٥١.

وفي رواية للإمام الصادق (عليه السلام) انه قد طلب زواجها رجال قريش وبذلوا لها الأموال فلم تقبل ، فقد ورد عنه (عليه السلام) : "وقد خطبها كل صنديد ورئيس قد ابتهم ، فزوجته نفسها..."[1] وهذا يؤكد ان إصرارها على عدم الاقتران بأي شخص هو قرار متخذ قبل وقت السفرة للشام التي تحدث عنها الرواة وعدوها السبب الرئيس لهذا الزواج. وهذا ينفي ان يكون أمر الزواج مرتبطاً بأسباب التجارة والعمل التجاري.

لا يخفى ان خديجة (عليها السلام) كانت تعيش مع محمد (صلى الله عليه وآله) في بلد واحد ، وهي مع ذلك ليست ببعيدة عنه في النسب بل كلاهما من قريش وتجتمع معه في قصي[2]. فلاشك انها تعرف محمداً (صلى الله عليه وآله) وتعرف ما اشتهر به بين أهل مكة من الصدق والأمانة وغير ذلك. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "إن خديجة قالت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد ان تتزوجني ، فقد تباركت بك ، ورأيت منك ما أحب ... وقد عرضت نفسي عليك"[3]. كما ان وصف أبي طالب إياه (صلى الله عليه وآله) في مراسيم الخطبة ليس ببعيد ، وأفاضت المؤلفات الإسلامية[4] أيضاً بذكر هذه الصفات وعدتها من أسباب هذا الزواج ، ففي رواية ابن إسحاق : «فلما بلغ عن رسول الله من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ...»[5] وفي رواية أخرى : «يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها»[6].

وهكذا وجدت ما تبحث عنه في شخص اجتمع فيه شرف النسب وكمال الأخلاق وجمال الطلعة ، وكان محمد (صلى الله عليه وآله) الشخص الذي جمع كل هذه الصفات ، وقد بلغ من خضوعها لرسول (صلى الله عليه وآله) وحبها اياه ، انها بعد ان تم الزواج بينهما قالت له : "إلى بيتك ، فبيتي بيتك وانا جاريتك"[7].

١- الحميري ، قرب الإسناد ، ص٣٢٦.
٢- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٣.
٣- الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ص٥١.
٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧٠.
٥- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٥٨.
٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧٠.
٧- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٦ ، ص٤.

٢-مكانتها عند الرسول (صلى الله عليه وآله) :

وبعد أن اتضح لنا أن السبب الأرجح لإقدامها على تزويج نفسها من محمد (صلى الله عليه وآله) هو إعجابها الشديد وانبهارها الكبير بهذه الشخصية العظيمة لما تحمله من ثقة عالية بالنفس ومن الصدق في التعامل والكمال الإنساني البارز للعيان ، فأن محمداً (صلى الله عليه وآله) هو الآخر كان يبادلها المشاعر نفسها فكانت تحظى عنده بمكانة عالية من التقدير والحب والمودة.

وبلغ من مكانة السيدة خديجة عند النبي (صلى الله عليه وآله) انه لم يتزوج عليها مدة حياتها معه حتى توفيت ، وهذا يدل على ما كانت تحظى به من قيمة عليا عند سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله). فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتزوج على خديجة"[١] وقد جاء على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) المزيد من الثناء على خديجة ، فذكر (صلى الله عليه وآله) فضائلها ومكانتها ، وقال (صلى الله عليه وآله) : "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون"[٢].

ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "...نزل جبرائيل (عليه السلام) فقال للنبي (صلى الله عليه وآله) : إن ربك يأمرك ان تقريء فاطمة السلام وتقول لها : إن أمك في بيت من قصب[٣] لعابه من ذهب ، وعمده ياقوت أحمر بين آسية ومريم بنت عمران ، فقالت فاطمة (عليها السلام) : إن الله هو السلام ، ومنه السلام ، واليه السلام"[٤].

وتوافقت الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) بشأن فضائل خديجة ومناقبها مع ما ذكرته المؤلفات الإسلامية[٥]. فقد أكدت هذه المؤلفات على مناقب أم المؤمنين خديجة وذكرت ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يودها ويحترمها ويشاورها في أموره كلها ، وكانت له وزير صدق ، وهي أول امرأة آمنت به ، ولم يتزوج في حياتها واحدة غيرها. وفي حديث عن أزواج

١- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٩١.
٢- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٣١٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٤٩٧ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٤٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٤٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٧٢ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٦ ، ص٣١٢.
٣- القصب : أنابيب من جوهر ، وقيل القصب في هذا الحديث لؤلؤ مجوف كالقصر المنيف والقصب من الجوهر ما استطال منه تجويف. الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص٢٠٢ باب الباء فصل القاف ؛ ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص٦٦.
٤- الطوسي ، الأمالي ، ص١٧٥ ح٤٦.
٥- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ سبط بن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص٣٨٢.

النبي الأخريات قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "أفضلهن خديجة بنت خويلد"[1].

وكان (صلى الله عليه وآله) يكثر من ذكرها ، وينشر بين الجميع طيب خبرها ، وحسن برها ، ويثني عليها أحسن الثناء ، ويستغفر لها ويكثر لها من الدعاء ، ويتحدث عن مالها من الشرف والفضل والكمال ، ويسترسل في ذلك الحديث من دون ملال ولو طال ، فإذا سمعته السيدة عائشة يتحدث عنها ، غارت أشد الغيرة منها ، وقالت : "ما هي إلا حمراء الشدقين عجوزاً كبيرة ، عوضك الله خيراً منها شابة صغيرة"[2] فكان يغضب من قولها ويخاصمها ويقول: «ما أبدلني الله خيراً منها ، لقد آمنت بي إذ كفر الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس وآوتني إذ رفضني الناس وواستني إذ حرمني الناس ورزقني الله أولادها إذ حرمني من النساء»[3].

وقد جاء في بعض الآثار المروية عن السيدة عائشة انها قالت: «ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوماً خديجة باهتمام ، فاحتملتني الغيرة وقلت فيها ما لا ينبغي من الكلام فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي عليه ، وسقطت في جلدي وندمت على إساءتي بذلك إليه وقلت: اللهم ان ذهبت غيظ رسولك الآن ، لم أعد أذكرها بسوء ما بقيت مدى الأزمان ، فلما رأى ذلك مني عذرني وسامحني وعفا عني ، وذكر لي طرفاً من فضائلها الغراء"[4]. يقول احد الباحثين[5] وبهذا نعلم ان غيرتها لا عن بغض أو عداء ، وإنما هي طبيعة معروفة في النساء ، وعائشة هي التي نقلت لنا في فضل خديجة ذلك الخبر ، ولولاها ما كنا وقفنا له على عين ولا أثر.

ويبدو للوهلة الأولى أن هذا الرأي هو رأي صائب ، ولكن النص المتقدم الذي نُقل عن السيدة عائشة لم يكن مقتصراً على السيدة عائشة فقط كما أشار الباحث ، بل ان الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أكدته وأشارت إليه كذلك ، فقد نقله الصدوق[6] بسنده

١ - الصدوق ، الخصال ، ص٤١٩.
٢- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٦ ، ص١٥٠ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص١٣٤ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج٣ ، ص٢١.
٣- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٣٠ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٣٠٧ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٢٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٥٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تغليق التعليق ، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القذافي ، ط١ ، (مطبعة بيروت ، عمان ، د.ت) ، ج٤ ، ص٨١ ؛ المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ج٣ ، ص٦٥٦.
٤ - الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص٤١ ؛ سبط بن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص٣٨٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١١ ، ص١٥٨.
٥ - المالكي ، محمد بن علوي ، مناقب خديجة الكبرى ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت) ، ص٣٨.
٦ - الخصال ، ص٤٠٥.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وهو يحمل المعنى نفسه ولكن بطريقة مغايرة. قال (عليه السلام): "دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) منزله ، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا ان لأمك علينا فضلاً ، وأي فضل كان لها علينا ؟! ما هي إلا كبعضنا ، فسمع مقالتها لفاطمة ، فلما رأت فاطمة رسول الله بكت ، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟! قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت ، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله)..." وذكر (صلى الله عليه وآله) فضائل خديجة (عليها السلام) وأشار إلى قسم منها.

ونُقل هذا الخبر أيضاً عن الإمام علي (عليه السلام) بالشكل الآتي : قال (عليه السلام) : "ذَكَر النبي (صلى الله عليه وآله) خديجة يوماً وهو عند نسائه فبكى فقالت عائشة : ما يبكيك على عجوز حمراء من عجائز بني أسد؟ فقال (صلى الله عليه وآله): صدقتني إذ كذبتم ، وآمنت بي إذ كفرتم ، وولدت لي إذ عقمتم ، قالت عائشة: فما زلت أتقرب إلى رسول الله بذكرها"[1].

وذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضائل خديجة (عليها السلام)أمر تستحقه السيدة خديجة لأنها حرية بهذا القدر والمقام عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهي صاحبة المناقب الكبيرة (عليها السلام).

٣-مراسيم الخطبة :

تناولت الروايات خطبة الرسول (صلى الله عليه وآله) للسيدة خديجة (عليها السلام) بطريقة أقل ما يقال فيها انها محاولة للنيل من سمعة النبي (صلى الله عليه وآله) وتشويه صورته ، ومما يؤسف عليه أن هذه المراسيم نُقِلت بطريقة لا تتناسب والصفات التي يتمتع بها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والسيدة خديجة (عليها السلام) من العفة والشرف والطهارة والكمال الإنساني الرفيع. ومثال ذلك ما نقله الحلبي[2] انه (صلى الله عليه وآله) دخل على خديجة (عليها السلام) قبل التزوج بها فأخذت يده فضمتها إلى صدرها! كما نُقِل أيضاً : أن عمها كان يأنف من ان يزوجها من محمد يتيم أبي طالب فاحتالت عليه حتى سقته الخمر ، فزوجها في حال سكره ، فلما أفاق ووجد نفسه أمام الأمر الواقع لم يجد بداً من القبول!

وهذا القول فيه إساءة كبيرة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، بل يتناقض وأخلاقه وأخلاق خديجة

١- الاربلي ، كشف الغمة ، ج٢ ، ص١٣٠.

٢- السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٤ وما بعدها ، وينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١ ، ص٢٦٦.

(عليها السلام) ، والقصد منه لا يحتاج إلى كبير عقل ليعرف المقصود منه ، فالقصد هو الحط والتقليل من كرامة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). ففعل كهذا لا يمكن ان يصدر من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وهو يتهيأ لنشر الرسالة الإسلامية ، بل ان أخلاقه لا تتناسب وترهات كهذه !!

لقد سجل أهل البيت (عليهم السلام) تاريخ جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) وسيرته العطرة ، فالروايات الواردة عنهم (عليهم السلام) تنفي كل ما ورد من إساءة بخصوص ما حصل في مراسيم خطبة السيدة خديجة (عليها السلام) ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "لما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يتزوج خديجة بنت خويلد ، أقبل في أهل بيته ومعه نفر من قريش ، حتى دخل على ورقة بن نوفل (ابن)[1] عم خديجة ، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال : الحمد لرب هذا البيت ، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل ، وأنزلنا حرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ، ثم ان ابن أخي هذا – يعني رسول الله (صلى الله عليه وآله) – ممن لا يوزن برجل من قريش إلا رجح به ، ولا يقاس به رجل إلا عظم عنه ، ولا عدل له في الخلق ، وان كان مقلاً فان المال رَفِدٌ جارٍ وظل زائل ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه رغبة ، وقد جئناك لنخطبها اليك برضاها وأمرها ، والمهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله. وله وربِّ هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل..."[2].

وما نقله الإمام الصادق (عليه السلام) هنا عن أبي طالب من صفات وخصائص يتمتع بها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) تنفي تماماً ما ورد ذكره من أساليب لا ترتقي إلى مستوى أبسط الناس عند حضور أي خطبة ، فكيف إذا كانت الخطبة بمستوى محمد (صلى الله عليه وآله) وخديجة (عليها السلام) ، وهل يُعقل ان يلجأ محمد (صلى الله عليه وآله) أو عمه أبو طالب ومن اجل الحصول على الموافقة ان يتفقوا أو يوافقوا خديجة (عليها السلام) – حاشاهم جميعاً – على القيام بإسكار عمها وسقيه الخمر ، وهم أبناء عبد المطلب الذي سن في الجاهلية وقبل الإسلام وقبل النبوة عدة سنن وافقه فيها القرآن الكريم ، ومنها سنة تحريم الخمر ، فهل يعقل هذا! والنبي وأبو طالب هم وارثا الصفات

١ – ورد في الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٤ ان ورقة بن نوفل كان عم خديجة ، وهو غير صحيح لان ورقة بن نوفل بن اسد وخديجة هي بنت خويلد بن اسد فهما ابنا عم.

٢ – الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٥ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص٣٩٧ ؛ وينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٢٧٤.

الحميدة لعبد المطلب سيد قريش؟!.

وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذه الصفات التي تجتمع في شخص النبي (صلى الله عليه وآله) بأحاديث عديدة منها قوله (عليه السلام) : "إن الله خص رسوله بمكارم الأخلاق ... فذكرها عشرة : اليقين ، والقناعة ، والصبر ، والشكر ، والحلم ، وحسن الخلق ، والسخاء ، والغيرة ، والشجاعة ، والمروءة"[1]. وفي حديث له (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال : "سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسنها"[2]. وعن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أشد حياءً من العذراء في خدرها"[3]. فهل يجوز لمن تجتمع فيه هذه الأخلاق السامية ان يغفل عما أشارت إليه الروايات من سقي الخمر وضم يد خديجة إلى صدره قبل الزواج بها؟!.

وبعد كل هذا يصبح لدينا في حكم اليقين ان اللجوء إلى مرويات أهل البيت (عليهم السلام) والأخذ منها هو الطريق الأصح والأجدر ، لأن هذه المرويات تمثل الصورة الحقيقية للتاريخ ، وهذه الصورة هي التي تسد الفجوة التي صنعها رواة السلطة والمنافع الضيقة ، وهذا يعني ان التاريخ لا يكتمل إلا من خلال اللجوء إلى مروياتهم (عليهم السلام) فهي تمثل الحقيقة ومن هنا تبرز أهمية الاعتماد عليها من اجل تنقية السيرة النبوية من الشوائب التي علقت بها.

أما رواية ابن هشام في مراسيم خطبة النبي (صلى الله عليه وآله) لخديجة ، فقد حذف منها اسم أبي طالب واقتصر في ذكره على حمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله) فقط ، وأزاح اسم أبي طالب من هذه المهمة الشريفة ، وهذا لا ينسجم والمكانة التي كان يتمتع بها أبو طالب وموقفه من النبي (صلى الله عليه وآله) ، أو مكانته في قريش ، وهي المكانة التي لا يتمتع بها غيره ، واقتصار ابن هشام على حمزة

١- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ الصدوق ، معاني الاخبار ، ج٣ ، ص٥٥٤ ؛ الخصال ، ص٤٣١ ؛ الامالي ، ص١٨٤ ؛ ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٣٦٢.

٢- الطوسي ، الامالي ، ج٢ ، ص٢٠٩.

٣- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٣ ، ص٧١ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٦٧ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص٧٨ ؛ ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ/ ٨٩٢م) ، مكارم الأخلاق ، ط١ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، (مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت) ، ص٣٧ ؛ القاضي عياض ، أبو الفضل اليحصبي (ت٥٤٤هـ/ ١١٢٠م) ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص١١٨ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج١ ، ص١٩٢ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص٢٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٣ ، ص٣٦٣ ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج٤ ، ص٣٢٢٥ ؛ النجفي ، موسوعة أحاديث أهل البيت ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ السيد الطباطبائي ، سنن النبي (صلى الله عليه وآله) ، تحقيق: الشيخ محمد هادي الفقهي ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ص١٠٧.

فقط وإزاحة اسم أبي طالب هو تطبيق لعملية تهذيب السيرة النبوية الواردة عن ابن إسحاق التي قال فيها : "إنه حذف بعض الأمور التي يسوء ذكرها بعض الناس"[1] ، وهذا واضح من خلال حذف اسم أبي طالب من الخطبة ، لان القصد هو سلب أبي طالب هذه الكرامة وإعطاؤها حمزة مادام قد استشهد في وقت مبكر»[2]. ثم إن هذا لا ينسجم والناحية التاريخية ، لان رواية الإمام الصادق (عليه السلام) تذكر ان الذي تصدى بقوة لأداء مراسيم الخطبة هو أبو طالب ، وكان أبو طالب أسَّن من حمزة ، وهو الذي كفل محمداً (صلى الله عليه وآله)[3] ، فلم يكن حمزة ليتزعم الأمر دون أبي طالب ، وأبو طالب هو أخو عبد الله لأمه دون سائر إخوانه أبناء عبد المطلب. وحمزة لا يكبر النبي (صلى الله عليه وآله) إلا بسنتين أو أربع[4].

٤- المهر :

أما بخصوص المهر ومقداره ، فقد ورد في الشق الثاني من خطبة أبي طالب المنقولة عن الإمام الصادق (عليه السلام) النص الآتي : "...قالت خديجة مبتدئة : يا (ابن)[5] عماه إنك وإن كنت أوْلى بنفسي مني في الشهود ، فلست أولى بي من نفسي ، فقد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليَّ في مالي ، فأمر عمك فلينحر ناقة وليولم بها وادخل على أهلك ، قال أبو طالب: اشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانتها المهر في مالها! فقال بعض قريش : يا عجباه ، المهر على النساء للرجال ! فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام على قدميه ، وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه ، فقال : إذا كانوا مثل ابن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر ، وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلا بالمهر الغالي! ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأهله... "[6].

وعند التدقيق في النص المتقدم ، نلحظ ان أموراً وردت فيه لا يمكن تجاوزها ، ولابد من الوقوف لمناقشتها وتحليلها وفق الأدلة العلمية البعيدة عن الميول والعواطف. ومن اجل دراسة هذا النص وما ورد فيه من ثغرات علينا الانتباه إلى ورود أمرين مهمين فيه :

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢.
٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٨ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص١٨٠.
٣- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٤.
٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠.
٥- سبق تخريجه في ان ما ورد عند الكليني غير صحيح لان ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وليس عمها.
٦- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٥.

الأمر الأول : ان خديجة تحدثت في مجلس الخطبة وقالت مخاطبة ابن عمها ورقة بن نوفل : «يا عماه إنك وان كنت أولى بنفسي مني في الشهود ، فلست أولى بي من نفسي ، قد زوجتك يا محمد نفسي والمهر عليَّ في مالي...».

الأمر الثاني : هو ردة فعل من أبي طالب حول هذا الكلام الصادر من خديجة ، إذ بادرها مباشرة وقال : «اشهدوا عليها بقبولها محمداً وضمانها المهر في مالها! »[1].

ولنا الآن ان نسجل الملاحظات الآتية على ما ورد :

١-فيما يخص الأمر الأول ان العادات القبلية العربية السائدة في ذلك الوقت لا تسمح للمرأة التي يتقدمون لخطبتها بالجلوس مع القادمين لخطبتها والكلام معهم مباشرة في المجلس ، وإصدار عروض كهذه لتسهيل الخطبة من جانب المرأة بسرعة مذهلة ، بل ان عزة النفس للمرأة بحكم طبيعتها وكرامتها لا تسمح لها بذلك علناً ، وإذا كان بالإمكان عرض هذه الأمور فيجب ان تتم بالسر ما بعد إجراء المراسيم. أما ان يحدث هذا العرض بان يكون المهر علناً وتتحدث به هي شخصياً فهو مما زاده الرواة في المراسيم المذكورة لإضفاء نوع من حالات الإعجاب الشديد بشخصية النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة (عليها السلام). وإلا فان تصرفها هو خارج المألوف من عاداتهم بدليل استغراب القوم حين قالوا : "يا عجباه المهر على النساء للرجال!"[2] واستغرابهم يأتي لأن العادات غير المألوفة والمنافية لطبيعة المجتمع تلقى استغراباً ورفضاً من عامة الناس لعدم موافقتها طباعهم وعدم استقرار نفوسهم على التعاطي معها.

٢-ان هذا يتناقض وما ورد في الخطبة نفسها وفي شقها الأول حينما تحدث أبو طالب وقال : «...المهر عليَّ في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله...».

٣-أما بخصوص المهر ومقداره ، فان روايات الإمام الصادق (عليه السلام) تنفي نفياً قاطعاً ان تكون مسألة المهر قد تمت بهذه الطريقة ، فأحاديث الإمام الصادق (عليه السلام) ورواياته بهذا الشأن توضح مقدار ما أمهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع جميع زوجاته بمن فيهن السيدة خديجة (عليها السلام) ، مما يثبت ان مسألة الحديث عن المهر في هذا النص غير واردة إطلاقاً.

١- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٥.
٢- المصدر نفسه والصفحة.

وان خديجة لم تحدد المهر وتتعهد به بدليل ما روي عن الصادق (عليه السلام) من أحاديث توضح مقدار المهر وطريقة التعاطي معه ، وشمل التوضيح جميع زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) .

أ-عن معاوية بن وهب[1] قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : "ساق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً ، والأوقية : أربعون درهماً ، والنش : نصف الأوقية : عشرون درهماً ، فكان ذلك خمسمئة درهم. قلت : بوزننا ؟ قال: نعم"[2].

ب-وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصداق هل له وقت (يعني الحد للمهر) قال:"لا ، ثم قال : كان صداق النبي (صلى الله عليه وآله) اثنتي عشرة أوقية ونشاً ، والنش نصف الأوقية ، والأوقية: أربعون درهماً. فذاك خمسمائة درهم"[3].

ج-وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "قال أبي : ما زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساير بناته ولا تزوج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشر أوقية ونش"[4].

٣-وفيما يخص الأمر الثاني : فالمكانة الاجتماعية المرموقة لكبير قريش أبي طالب لا تدعوه ان يتحدث بهذه الطريقة ، فهو الذي ينتقي الكلمات انتقاءً ، ويسطر الأحاديث التي تدل على فكره الثاقب وبلاغته اللغوية ، وسرعة بديهته كالتي حصلت عنده حين عرض عليه المشركون في أثناء مواجهتهم له في بداية الدعوة أردوا استبدال محمد (صلى الله عليه وآله) بعمارة بن الوليد[5] ورده السريع الذكي : «والله لبئس ما تسومونني ان تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبداً»[6] ، فهو اذن يمتلك ملكة النقد والرد السريع والبديهة في

١- هو معاوية بن وهب البجلي ، من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) كان ثقة وحسن الطريقة ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن(c) ، له كتب منها (كتاب فضائل الحج). ينظر : السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٩ ، ص٢٤٤.

٢- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٦ ؛ وينظر : الشافعي ، كتاب الأم ، ج٥ ، ص٦٣ ؛ ابن قدامة ، عبد الله (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م) ، المغني ، ط١ ، (دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) ، ج٨ ، ص٦.

٣- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٦ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٧ ، ص٣٥٦ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢١ ، ص٢٤٧ ؛ وينظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص١٨١.

٤- الحميري ، قرب الإسناد ، ص١٦ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٢ ، ص٢٠٥ ؛ وينظر : أبو داود ، سنن أبو داود ، ج١ ، ص٤٧٦ .

٥- عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي اخو خالد بن الوليد ، كان عمارة رجلاً جميلاً وسيماً تهواه النساء ، وصاحب محادثة لهن ، بعثه المشركون مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة لمفاوضة النجاشي بشأن المهاجرين. ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ، ص٣٠٤ ؛ ابن حجر العسقلاني ، العجاب في تفسير الأسباب ، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس ، ط١ ، (دار ابن الجوزي ، الرياض ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ج٢ ، ص٦٩١.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٦٧ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٣٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٦٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٦٣ ؛ العلامة الاميني ، الغدير ، ج٧ ، ص٣٦٠.

الجواب سلباً وإيجاباً وبحسب الموقف وما يتطلبه متوارثاً هذه الملكة من سلالة بني هاشم الذين يتصفون بهذه الصفة. فلا تدعوه صفاته تلك بالإسراع في تثبيت الحجة على خديجة ، ويُشهد عليها القوم لإثبات صحة كلامها وادعائها – بدل ان يشكرها إذا كان صحيحاً – وكأن هناك صفقة تجارية ومساجلات مالية حدثت في أثناء الخطبة دعته لكي يقيم الحجة عليها ويشهد عليها الشهود بضمان المهر في مالها ، فلا حكمة أبي طالب ولا منطقه يدعوانه لإصدار هذا الكلام.

٤–ولو عدنا إلى مُجمل النص وعملنا مقارنة بين الفصاحة والبلاغة والحكمة في الكلام في شطره الأول من الخطبة ، وبين ما ورد في الشطر الثاني منه من ثغرات وهفوات نجد ان الفارق واضح ولا يحتاج إلى دليل ، ففي الوقت الذي ينعت أبو طالب خصائص بني هاشم وصولاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله) بأحسن الصفات والتباهي بها في كل شيء يعود في شطره الثاني ويأخذ التعهدات وكأنه في صفقة تجارية بقوله : "...اشهدوا عليها..."[1] وهو القائل في الشطر الأول : «...فأن المال رفدٌ جارٍ ، وظل زائل...»[2] فما هذا التناقض؟! ثم انه تعهد أولاً وقال: «والمهر عليَّ في مالي ، الذي سألتموه عاجله وآجله...» فكيف يكون هذا مع هذا ؟! ولكن يبدو ان هذا من صُنع الرواة وتلفيقهم ، وهم يضعون النصوص من دون الانتباه إلى ما يرد فيها من ثغرات.

لذا يبدو للباحث ، ان هذا الكلام الزائد من النص المذكور – أي الشق الثاني من الخطبة – هو كلام صنعه الرواة وحشروه حشراً ليناغم عقلية الناس والراوي نفسه في تلك المرحلة التي وضع فيها ، ولا يعني هذا ان الحديث كله موضوع ومصنوع ، بل ان كثيراً من الأحاديث أُلحق بها كلام زائد من صنع الرواة. وان الصحيح في أخبار مهرها (عليها السلام) هو ما ذُكِر عن الإمام الصادق (عليه السلام) من ان الرسول (صلى الله عليه وآله) أصدق جميع زوجاته بما يعادل خمسمئة درهم. وجاء في السيرة النبوية[3] وتذكرة الخواص[4] ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصدقها عشرين

١– الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٣٧٦ .
٢– المصدر نفسه والصفحة.
٣– ابن هشام ، ج١ ، ص١٢٣.
٤– سبط بن الجوزي ، ص٣٨٢.

بكرة ، وهذا لا يتعارض وما جاء في أحداث الخطبة التي أوردها الإمام الصادق (عليه السلام) ، من ان الصداق خمسمئة درهم ، إذ يمكن الجمع بينهما بتقويم الثمن بذلك. ، وبما يعادل عملة النقد المتداولة آنئذ.

أما دراسة سند الرواية،فان الراوي لهذه الرواية بكاملها هو عبد الرحمن بن كثير،ونقلها عن علي بن الحسين ، علي بن حسان. وعند دراسة كتب الرجال ومراجعتها ، نجد ان هناك شبه اتفاق على ان عبد الرحمن بن كثير يعد من ضعفاء المحدثين[1] ، وقيل كان وضاعاً[2]. أما عن الذين نقل عنهم فقد أورد الشيخ الطوسي[3] النص الآتي: سألت علي بن الحسين بن علي بن فضال عن علي بن حسان؟ قال عن أيهما سألت؟ أما الواسطي : فهو ثقة ، وأما الذي عندنا يروي عن عمه عبد الرحمن بن كثير فهو كذاب.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قبل إشارتنا للسند حول الرواية والفجوات الواردة فيها ، ان هذه الرواية حين جزأناها شقين ، وأكدنا سلامة الشق الأول ، ووجود ثغرات في الثاني وأشرنا إلى انه من صنع الرواة ، وجدنا بعد ذلك ان العديد من المصادر المعتبرة نقلت نص خطبة أبي طالب لخديجة في شقها الأول فقط ونقلته كاملاً ، وامتنعت عن نقل الشق الثاني. ويبدو ان ذلك ناجم عن وجود شكوك حوله مسبقاً ، لذا ارتأت هذه المصادر عدم نقله[4].

إذن أصبحنا الآن أمام معضلة جديدة ، وهو ان الواجب يدعونا ليس فقط لتنقية السيرة من التشويه الناجم من الوضع والدس والإضافات والتحوير الذي أوجده رواة السلطة والمنحرفون فقط ، وإنما علينا تنقية السيرة النبوية من الأحاديث الضعيفة المنسوبة للائمة الأطهار (عليهم السلام) زوراً وبهتاناً ، التي تؤدي إلى تحقيق الغرض والهدف نفسه لحالات الوضع والدس والتزوير ، لان روايات كهذه تعد من أسلحة الهدم والتخريب الموجه لهذه المدرسة من الداخل فيكون أثرها أكبر.

١- النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٣٤ ؛ السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٠ ، ص٣٧٢.
٢- ابن داود الحلي ، رجال ابن داود ، ص٢٥٦ ؛ الشبستري ، الفائق ، ج٢ ، ص٢٢٠.
٣- اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٧٤٨.
٤- ينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٠ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص٣٩٧ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٢٧٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص١٦٥ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٦.

ثانياً : هل كانت خديجة بكراً أو ثيباً ؟

المشهور أن خديجة (عليها السلام) تزوجت قبله (صلى الله عليه وآله) برجلين أولهما : عتيق بن عابد[1] ، وثانيهما : أبو هالة ، واختلف في اسم أبي هالة ، فقيل: النباش بن زرارة[2] ، وقيل مالك بن زرارة بن النباش[3] ، وقيل اسمه هند فولدت له ولداً اسمه هالة وولداً اسمه هنداً أيضاً فهذا الأخير هو هند بن هند الذي كان يقول: «أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لانه زوج أمه وأمي خديجة وأخي القاسم وأختي فاطمة" قتل هند هذا مع علي يوم الجمل رضي الله عنه[4].

وفي مقابل هذا الرأي ، يوجد رأي آخر يقول : ان السيدة خديجة كانت عذراء ولم تتزوج بأحد قبل الرسول (صلى الله عليه وآله).

وقد استند أصحاب هذا الرأي إلى ما نقله ابن شهرآشوب[5] الذي ذكر فيه : «وروى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي ، والمرتضى في (الشافي) وأبو جعفر في (تلخيص الشافي): ان النبي (صلى الله عليه وآله) تزوج بها وكانت عذراء" وقد تبنى هذا الرأي عدد من الباحثين المعاصرين[6].

وفي الرد على من يتبنى كون السيدة خديجة (عليها السلام) لم تتزوج قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وانها كانت عذراء ، نسجل الملاحظات الآتية:

١ -زيادة على ما هو مشهور في كتب السير والتاريخ العام في تأكيد انها تزوجت برجلين قبل النبي (صلى الله عليه وآله) ، وصعوبة إنكار هذه الأخبار ، فالإمام الصادق (عليه السلام) يروي عن أبيه ، عن جده السجاد زين العابدين ، عن أبيه الحسين ، عن الإمام الحسن (عليه السلام) وهو حديث السلسلة

١- عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، تزوج خديجة بنت خويلد في الجاهلية ومات عنها. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢١٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٦٨ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص١١١.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٤ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٣٠ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٢ ، ص١٥٩ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج٣ ، ص١٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٤٤ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٧١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٧٩ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٦ ، ص١٠.

٣- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٣٣ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤١١ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٤٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٠٧ ؛ أسد الغابة ، ج٥ ، ص٧١ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج٢ ، ص١٣٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٧٣ ؛ المزي ، تهيب الكمال ، ج٣٠ ، ص٣١٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٣٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٣١٤ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٦ ، ص٢٧ ؛ ابن حجر ، الاصابة ، ج٦ ، ص٣٢٨.

٤- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٩.

٥- مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص١٣٧.

٦- العاملي ، الصحيح من السيرة ، ص٢٢٦ ؛ الطائي ، نجاح ، أزواج النبي وبناته ، ط١ ، (دار الهدى لإحياء التراث ، بيروت ، د.ت) ، ص٢٨ ؛ الشاكري ، أم المؤمنين خديجة الطاهرة ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠م) ، ص١١٣.

الذهبية الذي يستند إلى أصح الأسانيد وأقواها قال : "قال الحسن بن علي (عليه السلام) : سألت خالي هند بن أبي هالة – وكان وصافاً – عن حلية رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وانا اشتهي ان تصف لي منه شيئاً لعلي أتعلق به ، فقال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخماً مضخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر..."[1] ويفهم من هذا النص ان هند ابن أبي هالة هو خال الإمام الحسن (عليه السلام) لانه أخ لأمه فاطمة (عليها السلام) من أمها خديجة (عليها السلام) مما يعني ان خديجة كانت متزوجة قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولها ولد اسمه هند وهو خال الإمام الحسن (عليه السلام) وهو أمر يعني ان هنداً كان ربيباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) كما أشارت بذلك العديد من المصادر[2].

٢-أوردت المصادر[3] : ان خديجة كانت تكنى أم هند ، وهذا الخبر يقوي الرأي الذاهب إلى انها (عليها السلام) كانت متزوجة ، بدليل تكنيتها بأم هند ولدها من زوجها أبي هالة.

٣-الخبر الذي أورده الحلبي[4] عن هند الذي يقول فيه : «أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً واختاً أبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) – لانه زوج أمه – وأمي خديجة وأخي القاسم وأختي فاطمة".

٤-أورد ابن أبي الحديد[5]: «ولبني عمرو بن تميم خصال تعرفها لهم العرب ولا ينازعهم فيها أحد ، فمنها : أكرم الناس عماً وعمة وجداً وجدة وهو هند بن هالة ، واسم أبي هالة النباش بن زرارة أحد بني عمرو بن تميم ، كانت خديجة بنت خويلد قبل النبي (صلى الله عليه وآله) تحت أبي هالة فولدت له هنداً ، ثم تزوجها رسول الله ، وهند بن أبي هالة غلام صغير فتبناه النبي (صلى الله عليه وآله) ".

وتناولت أخباره كذلك المراجع الحديثة والمعاصرة[6] مؤكدة صحة ما ذكرته هذه المصادر. وقالت هذه المراجع ، كان هند بن أبي هالة ربيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمه خديجة بنت خويلد خلف عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أبي هالة وهو أخو فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأمها وخال

١- الصدوق ، معاني الاخبار ، ص٧٩ ، ص٨٤ ؛ الطبرسي ، مكارم الأخلاق ، ص١١ ؛ وينظر : أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٣٠.
٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٤٢٢ ؛ الشيخ الطوسي ، الامالي ، ص٤٦٣ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٤٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٩٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٣٠٧ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٤ ، ص٤٣٦ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج١ ، ص١٨ ؛ الخزرجي الأنصاري ، خلاصة تهذيب تهذيب الكمال ، ص٤١٤.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٥ ؛ أبو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبيين ، ص٢٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٩٣ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج٢ ، ص١٣٥.
٤- السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٩.
٥- شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، ص١٣١.
٦- السيد البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ص٤٧٥ ؛ السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج٩ ، ص٨١ ؛ سنن النبي ، ص١٠٢.

الحسنين (عليهما السلام) ، وكان فصيحاً بليغاً وصافاً وصف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأحسن وأتقن ، وروى عنه ابنا أخته الحسن والحسين حديث الصفة ، قتل مع علي (عليه السلام) يوم الجمل.

فهل هذا لا يكفي لإثبات ان هند بن أبي هالة هو خال الإمام الحسن (عليه السلام) واخو فاطمة الزهراء (عليها السلام) لأمها خديجة (عليها السلام) ، وعند ذاك يصبح من الصعوبة إنكار هذه الروايات ومصادرها الكثيرة ، لان إنكارها يحتاج إلى المزيد من الأدلة العلمية حتى تثبت ويبرهن انها ليست روايات صحيحة.

فالذين يميلون إلى ان خديجة (عليها السلام) لم تتزوج قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) وكانت عذراء ، وساقوا الأدلة العديدة لإثبات ذلك ، نقول: هل زواجها قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) يعد مثلبة أو منقبة ؟ أو هو حالة اعتيادية تتعرض لها العامة من الناس بما فيهم الأشراف والملوك والسلاطين ، وهي سنة من سنن الحياة والشرع ، ثم ما الذي يمنع انها تزوجت قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) برجلين من العوام ، كما يصفونهم بالأوصاف التي ذكروها وهي سيدة ذات شأن كبير ، فهل التمايز الاجتماعي والطبقي – على الرغم من وجوده بشكل لافت للنظر في تلك المدة – يمنع من امتزاج الناس بعضها ببعض اجتماعياً. فالكل كان يعيش في بيئة واحدة. فلماذا وصل التمايز الطبقي إلى هذه الحدود!

وصف السيد العاملي[1] هذا الإعرابي الذي ينكره كزوج لخديجة بأنّه «إعرابي بوال على عقبيه فكيف تقبل به خديجة زوجاً لها ، وهي التي رفضت الاقتران بأشراف قريش...» وهذا الوصف سبقه إليه صاحب كتاب الاستغاثة أبو القاسم الكوفي ، ويبدو انه نقله من هذا الكتاب ، وشاركه في الرأي الباحثان نجاح الطائي[2] وحسين الشرهاني[3]وقد أورد الباحثان هذا الخبر وساقاه دليلاً على عدم زواج خديجة من عتيق وأبو هالة ، وعلمياً لا يعد كون أبي هالة وعتيق من العوام أو الأعراب دليلاً على عدم زواجهما من خديجة.

وذكر الباحثان نجاح الطائي[4] وحسين الشرهاني[5] نقلاً عن المجلسي خبراً يقول

١ – الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص١٢٤.
٢ – أزواج النبي وبناته ، ص٢٨.
٣ – أضواء على السيرة ، ص٧٧.
٤ – أزواج النبي ، ص٢٨ .
٥ – أضواء على السيرة ، ٧٧.

: إن خديجة ردت الخاطبين القرشيين وغيرهم لها ، وعلى رأسهم أبو سفيان وأبو جهل وعقبة بن معيط ، ولم يوثقاه بمصدر آخر غير المجلسي ، والمجلسي هو الآخر ذكره من دون إسناد ، ولم ينقل هذا الخبر الذي يحدد اسماء الأشخاص الذين تقدموا لخطبتها غير المجلسي ولا يوجد للخبر ذكر في المصادر الأخرى التي اكتفت بعدم ذكر الاسماء ، ومن هنا لا يصح الاعتماد عليه ، لان المجلسي هو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري ، وقد نقل المجلسي هذا الخبر عن أبي الحسن البكري وهو مخطوط سرد عنه المجلسي قصة زواج النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة في أكثر من خمسين صفحة في جزئه السادس عشر من كتاب بحار الأنوار ، ثم قال : "إنما أوردت تلك الحكاية لاشتمالها على بعض المعجزات والغرائب ، وان لم نثق بجميع ما اشتملت عليه لعدم الاعتماد على سندها..."[1]. وفي هامش المجلسي : جل رواياته الواردة فيها مرسلات لم يعلم مأخذها وهي بقصص العامة أشبه.

فإذا كان المجلسي نفسه لا يعتمد على ما ورد في هذه الرواية فكيف يحتج بها المعاصرون الذين يبحثون عن الحقيقة. فهل البحث عن الحقيقية يأتي من الروايات الضعيفة ؟ أم الاعتماد على روايات أقوى سنداً ومتناً ؟ .

ومن ناحية أخرى ، انها – أي السيدة خديجة (عليها السلام) – لم تكن حين تزوجها الرجلان المشار إليهما ، بالدرجة والمكانة الاجتماعية التي تصورها المصادر ، لأن الإنسان بطبيعته يتصاعد اجتماعياً وبقدر ما يقدمه للناس من صفات وخصائص يمتاز بها من الآخرين ، فزواجها السابق من الرجلين كانت السيدة خديجة (عليها السلام) ما تزال في بداية حياتها ، فلم تكن تملك الثروة التي كانت أحد أسباب مكانتها في المجتمع ، فلماذا نستبعد ان تقبل بهذين الزوجين لها ، لاسيما ان العادات العربية كانت لا تقبل بان تتأخر الفتاة عن الزواج ، فالزواج كان يحصل في سن مبكرة خصوصاً النساء. فالمصادر جميعها تحدثت عن ان خديجة حينما ازدهرت سمعتها التجارية والمالية كانت قد تجاوزت مرحلة الثلاثينيات من العمر على الأقل ، وفي هذا العمر كان زوجاها الأعرابيان قد توفيا. وهذا يعني انها كانت متزوجة وهي في سن صغيرة ، ومعنى

١ – المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٦ ، ص٧٧.

صغرها انها مازالت لا تمتلك المؤهلات المادية والمالية مع عدم إنكار إمكانيات النسب وطهارة النفس والعفة ، وهذا يعني انه ربما قد لا يكون هناك ما منع من زواجها من الأعرابيين اللذين أشار لهما صاحب كتاب الاستغاثة ، هذا مع العلم ان كتب الرجال تشير إلى انهما ليسا من الطبقات الدنيا في مجتمع مكة كما ورد.

وتبدو قناعتنا بهذا الطرح أكثر ، إذا ما علمنا ان إقدام السيدة خديجة على الزواج من الرسول (صلى الله عليه وآله) ، لا لأنه يحتل مكانة اجتماعية مرموقة بين زعماء مكة – على الرغم من وجود هذه الصفة عند النبي (صلى الله عليه وآله) – وإنما لأنه صاحب خلق عظيم وشخصية جذابة ومهيبة وصفات الكمال الإنساني الذي كان يتمتع به (صلى الله عليه وآله) من الصدق والأمانة ، كما صرحت هي (عليها السلام) بذلك.

وأخيراً فان إعطاء الرأي الصحيح والجازم بان السيدة خديجة (عليها السلام) كانت عذراء حين تزوجها النبي ولم تتزوج قبله يحتاج إلى وقت طويل وأدلة علمية جديدة ، ربما سيحصل عليها الباحثون في المستقبل ، لان الجزم بذلك صعب في ضوء هذه الأدلة التي حاجج بها المناصرون لهذا الرأي ، إذ انها تحتاج إلى مؤيدات علمية أخرى وقوية لتقف في مواجهة النصوص التي تحمل الرأي المعاكس. لاسيما انه لم يرد عن الإمام الصادق (عليه السلام) وأئمة أهل البيت الأطهار الآخرين (عليهم السلام) ما يؤيد أنها عذراء ولم تتزوج قبل النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولو كانت كذلك لما فاتتهم (عليهم السلام) الإشارة إلى هذه المسألة ، وهم الذين يتحدثون عن كل صغيرة وكبيرة بشأن سيرة جدهم (صلى الله عليه وآله).

ثالثاً : أبناؤه (صلى الله عليه وآله) :

بعد أن اشتد الجدال في مسألة زواج السيدة خديجة (عليها السلام) قبل النبي (صلى الله عليه وآله) ، برز جدال من نوع آخر وهو أن زينب ورقية وأم كلثوم هن لسن بنات النبي (صلى الله عليه وآله) بل ربائبه ، وأنهن بنات أخت خديجة (عليها السلام) ، توفيت أمهن فربتهن وعرفن فيما بعد ببنات محمد (صلى الله عليه وآله).

ويستند أصحاب هذا الرأي إلى ما ذكره ابن شهرآشوب[١] الذي نقل ما ورد في كتابي (الأنوار)[٢] و(البدع)[٣] ان رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة !

وتُعد نسبة زينب ورقية وأم كلثوم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)من المسائل التي أخذت جانباً من الأخذ والرد ، وبين القبول والرفض ، فعلى الرغم من ذهاب بعضهم إلى أنهن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) أسوة بفاطمة (عليها السلام) ، فان هناك آراء جدية تجزم بأنهن ربائبه (صلى الله عليه وآله) ولسن بناته ، وليس هذا الجدال بمستحدث ، بل ان جذوره قديمة تعود إلى زمن الشيخ المفيد الذي كان يقول : "الناس مختلفون في رقية وزينب هل كانتا ابنتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم ربيبتيه"؟ وكان رأيه : "ان زينب ورقية كانتا ابنتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمخالف لذلك شاذ بخلافه"[٤].

وعموماً فان هذا الموضوع قد خضع لدراسات علمية متينة لعل اوسعها ما كتبه السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابيه (القول الصائب في إثبات الربائب) و(بنات النبي أم ربائبه) الذي عارض فيه رأي الشيخ المفيد ، وتناول السيد العاملي في كتابه الأخير هذا تناقض الروايات في تاريخ زواج النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة وفي ولادة أولاده ، زواج بناته ، وساق الأدلة والنصوص التي تؤيد وجهة نظره[٥].

وقد تبنى هذا الرأي عدد من كتاب السيرة المحدثين[٦] ، وتبنى السيد الكوراني[٧]

١- مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص١٣٧.
٢- كتاب الأنوار ومفتاح السرور والأفكار في مولد محمد (صلى الله عليه وآله) ، أبو الحسن البكري ، وهو أبو الحسن أحمد بن عبد الله البكري ، لا يوثق بروايته وكان يخلق الكلام كثير الكذب واضع القصص ، توفي في أواسط القرن الثالث للهجرة. ينظر : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص١١٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ج١ ، ص٢٠٢ ؛ اليان سركيس ، معجم المطبوعات العربية ، ج١ ، هامش ص٥٧٨.
٣- كتاب البدع : هو كتاب أبي القاسم الكوفي المتوفي سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٢م وهو كتاب «الاستغاثة في بدع الثلاثة». ينظر: عباس القمي ، الكنى والألقاب ، ج١ ، ص١٤٥ ؛ البغدادي ، إيضاح المكنون ، ج٢ ، ص٢٧٨.
٤- الشيخ المفيد ، المسائل الحاجبية ، تحقيق: ماكدرمت اليسوعي ، ص٧١-٧٢. نقلاً عن : العاملي ، بنات النبي أم ربائبه ، ط١ ، (مركز الجواد للصف والطباعة والنشر ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١١.
٥- العاملي ، بنات النبي أم ربائبه ، ص١٣ وما بعدها.
٦- نجاح الطائي ، أزواج النبي وبناته ، ص٢٨ ؛ الشاكري ، أم المؤمنين خديجة الطاهرة ، ص١١٣.
٧- السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٣.

رأياً يكاد يكون وسطاً في هذه المسألة حين قال : «القول بان زينب وأم كلثوم ربائب النبي (صلى الله عليه وآله) قولاً علمياً ، لكنه يحتاج إلى مؤيدات أخرى لينهض في مقابل نصوص القول المشهور الذي يذكر انهن بنات النبي (صلى الله عليه وآله) من خديجة لذلك اخترنا التوقف ، والله أعلم".

وبعد استعراض الآراء الواردة في أن زينب ورقية وأم كلثوم لم يكن بنات النبي (صلى الله عليه وآله) بل ربائبه ، آن للباحث أن يسجل الملاحظات الآتية:

أولاً : إن الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الشأن تنفي نفياً واضحاً الأقوال التي تقول إن رقية وزينب وأم كلثوم هن ربائب النبي (صلى الله عليه وآله) بل هن بناته ، لاسيما بعد تصريح نصوص الروايات المعتبرة الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) وهو أدرى من غيره بسيرة جده المصطفى ومعرفة أخباره وشؤونه الخاصة والعامة لأنه احد أفراد هذا البيت الطاهر. وهذه النصوص هي :

١-روى الحميري[١] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "وُلِد لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة : القاسم والطاهر ، وأم كلثوم ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة".

٢-وروى القاضي النعمان[٢] عن الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع ، بنت زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد تزوجها علي (عليه السلام) ..." ويؤكد الإمام الصادق (عليه السلام) في هذه الرواية ان زينب هي بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وليست ربيبته.

٣-روى الصدوق[٣] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "وُلِدَ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة : القاسم والطاهر – وهو عبد الله – وأم كلثوم ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة".

٤-وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... إن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً – وهو عبد الله – المطهر ، وولدت مني القاسم ، وفاطمة ، ورقية ، وأم كلثوم ، وزينب"[٤].

١- قرب الإسناد ، ص٩.
٢- دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٣٦٢.
٣- الخصال ، ص٤٠٤ ، ح١١٥.
٤- المصدر نفسه ، ص٤٠٥ ، ح١١٦.

٥-وفي شرح نهج البلاغة[١] : «ولدت خديجة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) القاسم والطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة".

ثانياً : تكاد تجمع المصادر على كثرتها: ان أبا العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف هو زوج زينب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٢] ، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي أخت خديجة[٣] ، فكيف تكون زينب هي الأخرى بنت هالة أخت خديجة ؟! فلو أسلمنا لهذا الأمر فأن هذا يعني ان زينب وأبا العاص شقيقان !! وهذا لا يصح لانه زوجها بإجماع المصادر الإسلامية مما يؤيد الرأي القائل بأن زينب هي ليست ربيبة النبي (صلى الله عليه وآله) بل ابنته .

ثالثاً: إن العلامة العاملي لم يشر في كتابه (ربائب النبي أم بناته) إلى أقوال الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ورواياتهم المذكورة ، ولم يبين موقفه منها بل انه ركز على التناقض في الروايات ورأيه منها ، والتناقض في الروايات التاريخية لا يمكن عده عاملاً كافياً لبطلان فكرة أو إثباتها إلا إذا دعم بمؤيدات علمية أخرى تؤكده.

رابعاً : يجب ان لا ننسى ما سبقت الإشارة إليه في رأي الشيخ المفيد القائل : "ان زينب ورقية كانتا ابنتي النبي (صلى الله عليه وآله) والمخالف لذلك شاذ في خلافه"[٤].

خامساً : ويبدو ان العلامة العاملي والمؤيدين لوجهة نظره في ان زينب ورقية وأم كلثوم كنّ ربائب النبي ولسن بناته اعتمدوا في بناء رأيهم بشكل رئيس على ما ورد في كتابي (الأنوار) و(البدع) ، نقلاً عن ابن شهراشوب[٥] وهما من الكتب التي في أغلب رواياتها ما تكون قريبة إلى القصص العامة أكثر منها إلى التاريخ في المسند والخبر المعتبر ، لاشتمالها على بعض المعجزات والغرائب ولا توجد ثقة بما اشتملت عليه هذه الروايات جميعها. وان البحث عن الحقيقة يتطلب منا التجرد من الميول ، فلا يجوز لنا تقوية الرواية الضعيفة وتضعيف الرواية القوية من أجل الإيمان بفكرة معينة قد تكون غير صحيحة.

١- ابن أبي الحديد ، ج١٥ ، ص١٣١-١٣٢.
٢- الكليني ، الكافي ، ج٦ ، ص٣٦٩ ؛ الكوفي ، مناقب أمير المؤمنين ، ج٢ ، ص٤٩ ؛ القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص٣٦٢.
٣- الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص٦٩ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٩ ، ص٢٠١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٧٠١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٣٤ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص١٥٦ ؛ وينظر : الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٧ ، ص١٤٢.
٤- الشيخ المفيد ، المسائل الحاجبية ، ص٧١-٧٢.
٥- مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص١٣٧.

سادساً : تكاد تجمع المصادر على اختلاف مذاهبها[1] انه وُلِدَ للنبي القاسم والطيب – الطاهر – وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة وكلهم من خديجة إلا إبراهيم. وأما إبراهيم فأمه مارية القبطية.

سابعاً : وأخيراً يأتينا النص القرآني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليؤكد لنا ان للرسول (صلى الله عليه وآله) عدد من البنات وليس ابنة واحدة لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ . . .﴾[2] وفي هذه الآية دليل على ان النبي (صلى الله عليه وآله) كانت له عدة بنات وليس أبنة واحدة ، والجميع يعلم دقة النص القرآني ، فحين تذكر الآية الكريمة البنات بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد فان هذا يعني ان هناك عدداً من البنات وليس ابنة واحدة.

وبعد كل هذا فهل يبقى شك في ان زينب ورقية وأم كلثوم هن بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خديجة ، على ان جزمنا لهذا الأمر يعتمد بالشكل الأساس على ما ورد من روايات الإمام الصادق (عليه السلام) مسندة بالأدلة القرآنية في الآية (٥٩) من سورة الأحزاب .

أما بخصوص أولاده الذكور فقد ورد عن ابن عباس : انه كان قد توفي عبد الله بن محمد من خديجة ، وكانت العرب تسمي من كان له بنون وبنات – ثم مات البنون وبقيت البنات – أبتر. واتفق ان التقى العاص بن وائل السهمي[3] عند باب بني سهم برسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يخرج من المسجد فتحادثا ، وكان أناس من صناديد قريش جلوساً في المسجد ، فلما دخل العاص سألوه : من كنت تتحدث معه ؟ قال: ذلك الأبتر ، فسمته قريش بالأبتر[4]. فانزل الله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[5] وشانئك أي مبغضك ، وهو العاص بن وائل[6].

واخرج ابن عساكر[7] ، والسيوطي[8] : عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) قوله :

١- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤١١ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٤٠٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٨١٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١ ، ص١٣٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٤٣٩ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٥ ، ص١٣١-١٣٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٦٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٣١٥ ؛ الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٦ ، ص٣١١.

٢- الأحزاب : ٥٩.

٣- العاص بن وائل السهمي : والد عمرو بن العاص وكان من المستهزئين الخمسة ، مات بعد هجرة النبي (صلى الله عليه وآله) ثاني شهر دخوله المدينة ، وهو ابن خمس وثمانين سنة. ينظر : ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٧٢.

٤- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج١٠ ، ص٤٥٩ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٥ ، ص٤٤٥.

٥- الكوثر : ٣.

٦- الطوسي ، التبيان ، ج١٠ ، ص٤١٨ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢٠ ، ص٢٢٢.

٧- تاريخ دمشق ، ج٤٦ ، ص١١٨.

٨- الدر المنثور ، ج٦ ، ص٤٠٤.

"توفي القاسم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة فمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو آت من جنازته على العاص بن وائل السهمي وابنه عمرو فقال (عمرو) حين رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني لأشنؤه ! فقال العاص بن وائل : لا جرم لقد أصبح ابتر ، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾"[1].

وحين التدقيق في رواية الإمام الصادق (عليه السلام) ورواية ابن عباس نجد ان نقاط الاختلاف واضحة بين الروايتين وهي على النحو الآتي :

١-إن رواية الصادق (عليه السلام) تؤكد ان الذي توفي من أبناء الرسول وسمي بسببه (الابتر) هو القاسم ، بينما رواية ابن عباس تقول : انه عبد الله.

٢-ان الشانئ – المبغض – الأكبر للرسول (صلى الله عليه وآله) عند الإمام الصادق (عليه السلام) هو عمرو بن العاص ، وليس العاص بن وائل كما تصوره رواية ابن عباس.

ويذهب الباحث إلى ان رواية الصادق (عليه السلام) هي الأرجح والأجدر بالقبول للأسباب الآتية:

أولاً : إن القاسم هو الابن الأكبر ، ويبدو انه توفي بعد وفاة عبد الله الابن الأصغر ، فعبد الله الذي ولد بعد القاسم توفي قبله ، بدليل وفاته وهو مازال رضيعاً ، ويؤكد ذلك رواية الإمام الباقر (عليه السلام) التي تبين : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخل على خديجة بعد وفاة عبد الله – الطاهر – وهي تبكي فقالت : "يا رسول الله لقد درت عليه الدريرة فبكيت"[2] – أي درت لبن الطاهر لأنه توفي ومازال رضيعاً – فقال لها: «أما ترضين ان تجديه قائماً على باب الجنة»[3] ، وهذا يدل على انه توفي في الإسلام. اذن كانت وفاة عبدالله في عمر الرضاعة.

ثانياً: الذي يؤكد ان القاسم توفي بعد عبد الله ، هو الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في انه بلغ مرحلة من العمل تصل عمر الشباب ، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : "كان القاسم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيب – الإبل – ..."[4].

١- الكوثر : ٣.
٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٦٠.
٣- المصدر نفسه والصفحة.
٤- ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ج٥ ، ص٢٢٩ ؛ الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص٦٧ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص١٥٢ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص١٨٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٥ ، ص٣٨٩ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١١ ، ص١٩.

ونستفيد من هذا الاستنتاج ان قريش وغير قريش من مبغضي رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يمكنهم منابزة رسول الله وإطلاق (الابتر) عليه والقاسم مازال حياً ، أي ان قريش لم تتجرأ على إطلاق هذا اللقب ولم تتوفر لها الأسباب إلا بعد وفاة القاسم ، لأنّه بوفاة القاسم يكون أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذكور توفوا جميعاً ، فسمي الابتر. ولأنّ وفاة القاسم حصلت وهو في عمر الشباب فهذا يعني انه توفي بعد عبد الله ، مما يؤكد صحة رواية الإمام الصادق (عليه السلام) على الروايات الأخرى.

وهنا قد يسأل سائل : ان الإمام الباقر (عليه السلام) أورد رواية أخرى تقول : "دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : درت دريرة فبكيت..."[1] وهذا يعني ان الذي كان يقصده الإمام الباقر في روايته ان الذي توفي وهو رضيع كان القاسم وليس عبد الله ! وفي هذا نقول :

١-إن القاسم – كما أشارت رواية الإمام الباقر (عليه السلام) نفسه –مات يافعاً وليس رضيعاً وعندما تكون وفاته وهو يافع فكيف درت الدريرة ؟ فهذا ينفي ما ورد في هذه الرواية.

٢-الذي يؤكد ذلك ان الكليني[2] أورد بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الرواية نفسها مرتين ، مرة تقول : إنه القاسم ، والأخرى تقول : إنه عبد الله. فقد وردت هذه الرواية بالسند والمضمون والمحتوى نفسه ولكن اختلاف الروايتين فقط مرة تقول القاسم ومرة تقول عبد الله. مما يدل على وقوع سهو لدى الراوي فأخطأ اسم الطاهر والتبس عليه القاسم.

ثالثاً : استفاضت الروايات ان سورة الكوثر إنما نزلت فيمن عابه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالبتر بعدما مات ابناه عبد الله والقاسم على مختلف الروايات. وأكدت معظم هذه الروايات أن الشانئ الأكبر هو العاص بن وائل السهمي[3]. إلا ان رواية الإمام الصادق (عليه السلام) تؤكد ان الشانئ الأكبر للرسول (صلى الله عليه وآله) هو عمرو بن العاص وليس العاص بن وائل[4] والذي يؤيد رواية الصادق (عليه السلام) الأخبار الآتية :

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٩.
٢- الكيني ، الكافي ، ج١ ، ص٥٩-٦٠.
٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٦٥ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٦٠٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١١ ، ص٢٠.
٤- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٦ ، ص١١٨ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٤٠٤.

١-قول الإمام الحسن (عليه السلام) وهو يخاطب عمرو بن العاص بقوله : "إنك يا عمرو ... ثم قمت خطيباً وقلت : انا شانئ محمداً ، وقال : العاص بن وائل : إن محمداً رجل ابتر ولا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره ، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1]"[2].

٢-قال الطبرسي[3] : «ولا اختلاف بين أهل العلم في إنها نزلت - يعني سورة الكوثر - في عمرو بن العاص» وكشاهد على ذلك نقل قول المقداد بن الأسود[4] حين قال: «...علم النفاق والشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه (صلى الله عليه وآله) : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[5]"[6].

٣-قول القمي[7] في تفسير سورة الكوثر : «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المسجد وفيه عمرو بن العاص ... ثم قال عمرو بن العاص : إني لأشنأ محمداً أي أبغضه فأنزل الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) : إنا أعطيانك الكوثر فصل لربك وانح ران شانئك هو الأبتر أي مبغضك عمرو بن العاص (هو الأبتر) يعني لا دين ولا نسب".

٤-قول ابن عباس لعمرو بن العاص في مجلس معاوية : "...أما والله يا عمرو وأني لأبغضك في الله وما اعتذر منه ، إنك قمت خطيباً فقلت : انا شانيء محمداً ، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[8].

وهنا نلحظ تعارضاً واختلافاً مابين رواية ابن عباس هذه ورواية ابن عباس الأولى التي تذكر العاص بن وائل دون ابنه عمرو. وفي هذا نقول : ان ابن عباس في الرواية الأولى إنما ذكر نابز النبي بلقب الابتر وانه كان العاص بن وائل أبا عمرو بن العاص ولم يذكر الشانئ له (صلى الله عليه وآله) المجاهر له الشنآن ، وربما يكون سبب هذا ان ابن عباس سالم عمرو بن العاص أو اتقاه فاكتفى بذكر أبيه.

١- الكوثر : ٣.
٢- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٤١١.
٣- المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٠١.
٤- المقداد بن الأسود بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهرائي ، حالف الأسود بن يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه فكان يقال له المقداد بن الأسود فلما أسلم ونزل قوله تعالى : «أدعوهم لآبائهم» قيل المقداد بن عمرو. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وهو أول من أعلن إسلامه بمكة ، شهد المواقع كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، مدحه رسول الله بقوله : "إن الله أمرني بحب أربعة ... قيل يا رسول الله سمهم ، قال : علي وأبو ذر والمقداد وسلمان" ، توفي سنة ٣٣هـ. ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج٣ ، ص١٦١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٤٧٩.
٥- الكوثر : ٣.
٦- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص١٠١.
٧- تفسير القمي ، ج٢ ، ص٤٤٥ ؛ وينظر : الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٥ ، ص٦٨٤.
٨- الصدوق ، الخصال ، ص٢١٤.

٥-ورود رواية الإمام الصادق (عليه السلام) في كتب معتبرة لا تنقل عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إلا ما هو ثبت وصحيح ، فقد وردت هذه الرواية عند ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق[١] ، وعند السيوطي في الدر المنثور[٢].

ومما تقدم يتضح مدى الحاجة إلى اعتماد مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) في كتابة أحداث السيرة لأنها المدرسة التي لا تساوم ولا تداري ولا تماري وتأبى إلا قول الحقيقة.

١-ج٤٦ ، ص١١٨.
٢-ج٦ ، ص٤٠٤.

المبحث الخامس :

تجديد بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود :

أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ان قبائل قريش عزمت على إعادة بناء الكعبة وتجديدها ، وقد دعت القبائل إلى هذا التجديد بالمشاركة في دفع المبالغ من حلال الأموال ، واقتصرت النفقة على إتمام بنائها بالمال الحلال الخالص إذ قال (عليه السلام) : "إن قريشاً في الجاهلية هدموا البيت فلما أرادوا بناءه حيل بينهم وبينه وألقي في روعهم الرعب ، حتى قال قائل منهم: ليأتي كل رجل منكم بأطيب ماله ، ولا تأتوا بمال اكتسبتموه من قطيعة رحم أو حرام ، ففعلوا فخلى بينهم وبين بنائه... "[1].

وقد أثرت السيول التي كانت تجتاح مكة بين الحين والآخر في متانة الكعبة المشرفة ، فأوهت بناءها ، وصدعت جدرانها ، حتى كادت تنهار ، فقررت قريش إعادة بناء الكعبة بناءً متيناً ليصمد أمام هذه السيول ، وكان ذلك في العام الخامس قبل بعثة النبي (صلى الله عليه وآله)[2].

وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الأسباب التي أدت إلى قيام قريش بعملية الهدم وإعادة البناء ، فقال (عليه السلام) : "إنما هدمت قريش الكعبة لأن السيل كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها فانصدعت ، وسرق من الكعبة غزال من ذهب رجلاه من جوهر ، وكان حائطاً قصيراً ، وكان ذلك قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثين سنة"[3].

وقد علق السيد علي أكبر غفاري محقق كتاب الكافي[4] في هامشه على الشطر الأخير من هذا

١- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢١٧ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٢٤٧.
٢- الازرقي ، محمد بن عبد الله (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ، (منشورات الشريف الرضي ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ج١ ، ص٣٨ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٢ ، ص٣٦٧ ؛ جواد علي ، المفصل ، ج٤ ، ص٥.
٣- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢١٧ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٢٤٧.
٤- ج٤ ، هامش ص٢١٧ تعليق المحقق.

النص «حدث ذلك قبل مبعث النبي (صلى الله عليه وآله) بثلاثين سنة" بقوله : "وهذا مخالف لما هو مشهور بين أرباب السير ان هذا البناء للكعبة كان في خمس وثلاثين من مولده (صلى الله عليه وآله) فيكون قبل البعثة بخمس سنين وحمله على ان عمره في ذلك الوقت كان ثلاثين سنة".

أما صاحب موسوعة التاريخ الإسلامي[1] فعلق هو الآخر على هذا الأمر قائلاً: «... وبالنسبة إلى عمر النبي حين بناء البيت ان يكون قبل مبعثه بثلاثين عاماً يقتضي ان يكون عمره يومئذ عشر سنين تقريباً ! وهذا غريب ويتنافى مع ما يأتي من الأخبار ، إلا ان يكون في الأصل قبل مهجره ، لذا يكون عمره يومئذ أكثر من عشرين عاماً فيكون قريباً مما في اليعقوبي[2]، وهو ابن خمس وعشرين سنة وليس كما في السيرة[3] خمساً وثلاثين سنة».

ولبيان هذا الأمر نقول :

إن اعتراض محقق الكافي وصاحب الموسوعة على هذه المسألة اعتراض وجيه وصحيح من الناحية التاريخية ، بدليل ان العديد من المصادر[4] ذكروا ان عمره الشريف حين حصلت عملية بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود بيده الشريفة كان مابين الثلاثين إلى الخامس والثلاثين من العمر.

ولكن يبدو للباحث أن الأمر ليس كما تصوّره صاحب الموسوعة أو محقق كتاب الكافي ، لان الشق الأول من النص الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) لا يتحدث عن بناء الكعبة ، وإنما يتحدث عن أسباب الهدم وحددها بتصدع جدران الكعبة وسرقة ممتلكاتها وقصر حائطها ، فالنص يريد ان يقول إن الأسباب التي دعت إلى اتخاذ قرار الهدم والتجديد حصلت قبل ثلاثين سنة من مبعثه (صلى الله عليه وآله) ، وليس حصول البناء والتجديد ، بدليل ان الذي يدقق في النص يراه يتكون من شقين ، الأول : يتحدث عن النية في إعادة البناء وأسباب إعادة البناء ، وحدد الأسباب بالانهيار في الجدران والسرقة التي حصلت في الكعبة وأسبابها وأشار إلى قصر حائطها وأورد بعد سرد هذه الأمور عبارة : "وكان ذلك قبل مبعث النبي بثلاثين سنة..."

١- الغروي ، ج١ ، ص٣١٤.
٢- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص١٩.
٣- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٢٢٩.
٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم ، ج٢ ، ص٣٧ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٥.

وهذه العبارة جاءت مكملة لما ورد من معلومات قبلها. أي ان النص يريد ان يوضح ان هذه الأمور والأسباب حدثت قبل ثلاثين سنة من المبعث.

ثم انتقل النص إلى بيان أحداث البناء وما حصل فيها من حوارات ونقاشات بخصوص إجراءات الهدم، ونيتهم في زيادة عرصته، وكيفية تعاملهم مع القواعد التي وضعها إبراهيم (عليه السلام). فلو استللنا ما ورد في النص بعد ذكر عبارة "وكان ذلك قبل ثلاثين سنة من مبعثه..." نجد ما يؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه، فالجزء الثاني من النص يقول: "...فأرادت قريش ان يهدموا الكعبة ويبنوها ويزيدوا في عرصتها ثم أشفقوا من ذلك وخافوا ان وضعوا فيها المعاول ان تنزل عليهم عقوبة، فقال الوليد بن المغيرة دعوني أبدأ فان كان الله رضى لم يصبني شيء وان كان غير ذلك كففنا...فهدموه ونحوا حجارته حوله حتى بلغوا القواعد التي وضعها إبراهيم (عليه السلام) فلما أراد ان يزيدوا في عرصته وحركوا القواعد التي وضعها إبراهيم (عليه السلام) أصابتهم زلزلة شديدة وظلمة فكفوا عنه وكان بنيان إبراهيم الطول ثلاثين ذراعاً والعرض اثنان وعشرون ذراعاً والسمك تسعة أذرع، فقالت قريش نزيد في سمكها – وهنا بدأت عملية البناء والحديث عنه – فبنوها فلما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود وتشاجرت قريش في موضعه فقال كل قبيلة نحن أولى به نحن نضعه فلما كثر بينهم تراضوا بقضاء من يدخل من باب شيبة، فطلع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: هذا الأمين قد جاء! فحكموه فبسط رداءه وقال بعضهم كساء طاروني كان له، ووضع الحجر فيه ثم قال: يأتي من كل ربع من قريش رجل، فكانوا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، والأسود بن المطلب من بني أسد بن عبد العزى، وأبو حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، وقيس بن عدي من بني سهم، فرفعوه ووضعه النبي (صلى الله عليه وآله) في موضعه"[1].

إذن لا يوجد إشكال في ان عمر الرسول (صلى الله عليه وآله) كان مابين الخامس والعشرين والخامس والثلاثين، وان وصفه بالأمين والصادق دليل على ان ذلك كان في عمر تجاوز العشرينات من عمره الشريف، وهذا يتوافق مع ما ذكره أرباب السير ولا يتعارض معهم في ان بناء الكعبة

١ – الكليني، الكافي، ج٤، ص٢١٧؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢٤٧.

كان قبل المبعث بخمس سنين.

وقد ورد في النص المتقدم الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام)أن قريشاً تشاجروا فيما بينهم حين وصلوا إلى موضع الحجر الأسود. وهنا برزت حكمة ورجاحة عقل النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) حين حكّمته القبائل واختارته لحل المشكلة التي حدثت وقالوا بصوت واحد : هذا الأمين! وكان (صلى الله عليه وآله) يلقب "بالصادق الأمين" ، والصدق هو مطابقة القول للواقع ، وهو أشرف الفضائل النفسية ، والمزايا الأخلاقية والخلقية ، فهو زينة الحديث ، ورمز الاستقامة والصلاح ، وسبب النجاح ، لذلك لقب النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا اللقب لوجود هذه الصفات في شخصيته ، وأنقذ القبائل من حدة الشجار الذي وقع بينهم الذي كاد يؤدي إلى القتال . فقد أشارت المؤلفات الإسلامية[1] إلى انهم كادوا يتقاتلون فيما بينهم من اجل شرف وضع الحجر الأسود ، ومكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً وتشاوروا وتناصفوا ، فزعم بعض أهل الرواية ان أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها فقال : «يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ، ففعلوا فكان أول من دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا هذا محمد".

وما ذكرته المصادر يتوافق مع ما أشارت إليه رواية الإمام الصادق (عليه السلام) في حكمته ورجاحة عقله (صلى الله عليه وآله) ، لان أهل مكة كانوا يتعاملون بالمنطق القبلي حتى في تعاونهم على بناء البيت ، وحمل الحجارة له ، وهو أقدس مقدساتهم ، ورمز عزهم ومجدهم وكرامتهم ، بل عليه تقوم حياتهم.

إن ترحيب القبائل المتنازعة بالرسول (صلى الله عليه وآله) ليكون حكماً بينهم ، ووصفه بالأمين يدل على المكانة المتميزة التي كان يتمتع بها الرسول (صلى الله عليه وآله) في أوساط قومه ، كما ان مبادرته إلى تقديم الحل المناسب للنزاع من غير تردد أو تلكؤ تدل على مدى ما كان يتمتع به من حكمة

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٧ ؛ ابن أبي عاصم ، كتاب الأوائل ، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٤٤ ؛ المسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) ، التنبيه والاشراف ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) ، ص١٩٧ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٨ ، ص٢٢٩ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٤ ، ص١٠٧.

وسرعة بديهة في مواجهة المواقف الصعبة ، فارتفعت مكانته في نظر عشيرته وقومه ، وذلك لدقة حكمه وحسن تصرفه في معالجة هذه المسألة الصعبة.

وقد أولى أهل البيت (عليهم السلام) أهمية خاصة لسيرة الرسول وتنقيحها من التزوير ، ينقل ابن إسحاق[1] بينما كنت جالساً مع الإمام الباقر (عليه السلام) إذ مر علينا رجل يدعي ان عبد المطلب جد الرسول هو الذي وضع حجر الركن في مكانه ... فيقول ابن إسحاق : "ثم أقبل عليَّ أبو جعفر فقال : إن هذا لشيء ما سمعنا به قط ، وما وضعه إلا رسول الله بيده ، اختلفت قريش به فقالوا أول من يدخل عليكم من باب المسجد فهو بينكم ، فدخل رسول الله. فقالوا الأمين فحكموه...".

١- السير والمغازي ، ج٢ ، ص٨٨.

الفصل الثالث

مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) في البعثة النبوية المباركة حتى الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول : بدايات البعثة ونزول الوحي

المبحث الثاني : بدء الدعوة الإسلامية

المبحث الثالث : الإسراء والمعراج

المبحث الرابع : سيرته (صلى الله عليه وآله وسلم) من الهجرة إلى الحبشة حتى الهجرة إلى المدينة

المبحث الأول :

بدايات البعثة ونزول الوحي :

أولاً : بدايات البعثة :

تؤكد الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، أن البعثة النبوية المباركة كانت في السابع والعشرين من شهر رجب ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "لا تدع صيام سبعة وعشرين من رجب ، فانه اليوم الذي أنزلت فيه النبوة على محمد (صلى الله عليه وآله)..."[1] .

وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال : "بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) رحمة للعالمين في سبع وعشرين من رجب ..."[2] .

وقال الإمام الهادي (عليه السلام) : "يوم السابع والعشرين من رجب يوم بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) إلى خلقه رحمة للعالمين"[3].

ولم يقتصر ذكر هذا التاريخ كتحديد للبعثة النبوية على روايات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فقط ، بل ان الحلبي[4] أشار إلى هذا التاريخ حين أورد في سيرته عن أبي هريرة قوله: «...هو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) بالرسالة وأول يوم هبط فيه جبرئيل...".

وأورد السيوطي[5] والمتقي الهندي[6] عن سلمان الفارسي قال: «...هو لثلاث بقين من رجب وفيه بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله)".

١- الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٩٠ ؛ ثواب الأعمال ، ص٧٤ ؛ الطبري الإمامي ، بشارة المصطفى ، ص٣٦٣ ؛ ابن طاووس ، أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م) ، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة ، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني ، ط١ ، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٣ ، ص٢٧١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١ ، ص٤٤٧ ؛ الجواهري ، جواهر الكلام ، ج٧ ، ص٩٩ ؛ الشبستري ، الغدير في حديث العترة الطاهرة ، مقال منشور في مجلة تراثنا ، العدد الرابع ، السنة الخامسة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ج٢١ ، ص٨٤.

٢- الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٤ ، ص٣٠٤ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٣٥١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٠ ، ص٤٤٨.

٣- الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٤ ، ص٣٠٥ ؛ المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج١٣ ، ص٣٦٨.

٤- السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٣٨٤.

٥- الدر المنثور ، ج٣ ، ص٢٣٥.

٦- كنز العمال ، ج١٢ ، ص٣١٢ ؛ وينظر : الميلاني ، السيد علي ، نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٨ ، ص٢٧٩.

إذن يتضح من الروايات السابقة ان يوم السابع والعشرين من شهر رجب هو اليوم الذي بعث فيه الله محمداً (صلى الله عليه وآله) نبياً للبشرية جمعاء ، وهو ما أجمعت عليه الشيعة الإمامية ، كون الروايات الصادرة عن الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) الآخرين تحدد هذا التاريخ يوماً لبعثته (صلى الله عليه وآله).

ولكن هناك من يقول ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بُعث في شهر رمضان المبارك ، واختلفوا في أي يوم منه[1] . واستند القائلون بهذا الرأي إلى ان النبي (صلى الله عليه وآله) إنما بُعث بالقرآن ، والقرآن قد انزل في شهر رمضان لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ . . . ﴾[3] .

يقول الشيخ محمد هادي معرفة[4] : إن أكثرية القائلين ببعثته (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان لعله قد اشتبه عليهم مبدأ النبوة بحادث مبدأ نزول القرآن كتاباً فيه تبيان كل شيء ، وهذا الاشتباه يبدو من استدلالهم على تعيين يوم البعثة بما دل على ان القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان – والصحيح – هو انه لا صلة بين الحادثتين ، فقد بعث (صلى الله عليه وآله) في رجب – في السابع والعشرين منه – ولكن القرآن بسمته كتاباً مفصلاً بدأ نزوله على النبي (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان ليلة القدر بعد ثلاث سنين من نبوته (صلى الله عليه وآله) ، فكانت مدة نبوته (صلى الله عليه وآله) ثلاثاً وعشرين سنة ، ولكن مدة نزول القرآن مفرقاً استغرقت عشرين عاماً ، بدأت بدخول السنة الرابعة من البعثة ، وختمت في عاشر الهجرة بوفاته (صلى الله عليه وآله).

أما السيد العاملي[5] فيقول : «ثم ان هناك إشكالاً آخر لابد من الإشارة إليه ، وحاصله: ان الآيتين المتقدمتين ، وان كانتا تدلان على نزول القرآن دفعة واحدة على احد الاحتمالين في معنى الآيتين ، إلا ان قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾[6] يدل على نزول القرآن متفرقاً ، لأنه عبر فيها بـ(نزل) ، الدال على النزول

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٢ ؛ الطبري ، تأريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤٤.
٢- القدر : ١.
٣- البقرة : ١٨٥.
٤- التمهيد في علوم القرآن ، ط٣ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) ، ج١ ، ص١٤١.
٥- الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص٢٤٥.
٦- الإسراء : ١٠٦.

التدريجي ، وفيما تقدم بإنزال ، الدال على النزول الدفعي بالإضافة إلى انه تقول فيها : (فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وبالإضافة إلى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[1] حيث دلت الآية على نزول القرآن تدريجياً».

ويبدو ان رأي الشيخ عرفة والسيد العاملي المتقدمين هما الأرجح في حل إشكال تحديد الشهر الذي بُعث فيه (صلى الله عليه وآله) أ هو شهر رجب أم شهر رمضان؟ ويؤيد ذلك الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، فقد روى القمي[2] عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "سُئل الصادق عن قوله تعالى : "شهر رمضان الذي انزل فيه" كيف كان ؟ وإنما أنزل في طول عشرين سنة ؟ فقال : إنه نزل جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل من البيت المعمور إلى النبي في طول عشرين سنة". وفي هذه الرواية أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) عن إشكال التنافي بين ما دل على النزول الدفعي والنزول التدريجي ، بان النزول الدفعي كان إلى البيت المعمور ، ثم صار ينزل تدريجياً على الرسول (صلى الله عليه وآله) في مدة دعوته ، وبعبارة أخرى ان النزول الدفعي هو ليلة القدر ، والنزول التدريجي هو الذي بدأ في السابع والعشرين من شهر رجب.

وفي سؤال المفضل للإمام الصادق (عليه السلام) : "يا مولاي فهذا تنزيله الذي ذكره الله في كتابه ، وكيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة ؟ قال: نعم يا مفضل أعطاه الله القرآن في شهر رمضان وكان لا يبلغه إلا في وقت استحقاق الخطاب ، ولا يؤديه إلا في وقت أمر ونهي فهبط جبرئيل (عليه السلام) بالوحي فبلغ ما يؤمر به وقوله : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[3] قال المفضل : أشهد أنكم من علم الله علمتم ، وبقدرته قدرتكم وبحكمه نطقتم ، وبأمره تعملون»[4].

هذا كله عدا ان التاريخ المتواتر يشهد بأن نزول القرآن كان تدريجياً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، هي مدة الدعوة. والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها :

١ –قال اليعقوبي[5] : وأقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة ثلاث سنين يكتم أمره.

١ – الفرقان : ٣٢.
٢ – علي بن إبراهيم ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٦٦.
٣ – القيامة : ١٦.
٤ – المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٨٩ ، ص٣٨.
٥ – تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٤.

٢-روى الحاكم النيسابوري[١] عن سعيد بن المسيب قال : «أنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) وهو ابن ثلاث وأربعين ..." أي أنزل عليه القرآن عند ذلك ، إذ لاشك ان النبوة نزلت عليه (صلى الله عليه وآله) عند اكتمال الأربعين ، وهذا إجماع الأمة ، وعليه اتفقت كلمتهم ، إلا ما ندر.

٣-قال ابن كثير[٢] ، قال الإمام أحمد ... عن عامر الشعبي[٣] : «أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرئيل ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشراً بمكة ، وعشراً بالمدينة... وهذا يقتضي أن اسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ، ثم جاءه جبرئيل".

وهذه الروايات تعطينا صورة واضحة عن ان مبدأ نزول القرآن كان متأخراً عن البعثة بثلاث سنين ، إذ لاشك ان القرآن كان ينزل عليه حتى عام وفاته (صلى الله عليه وآله) ، وبذلك يلتئم القول بان بدء نزول القرآن كان في شهر رمضان ليلة القدر كما نص عليه القرآن الكريم[٤].

ثانياً : الوحي، وكيفية نزوله :

وأصل الوحي هو الكلام الخفي[٥] ، ثم يطلق على كل شيء قصد به إفهام المخاطب على السر له عن غيره والتخصيص له به من دون من سواه ، وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل (صلوات الله عليهم) خاصة دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي (صلى الله عليه وآله)[٦].

فالوحي لغة هو الإعلام الخفي السريع ، واصطلاحاً الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله وأنبيائه لإعلامهم ألوان الهداية والعلم ، وإنما جاء تعبير الوحي عن هذه

١- المستدرك ، ج٢ ، ص٦١٠.

٢- البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٧ ؛ وينظر : الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٣٠.

٣- عامر بن شراحبيل بن عبد أبو عمرو الشعبي الكوفي ، قدم دمشق وحدث عن علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس وآخرين ، توفي سنة أربع ومئة ، وقيل سنة خمس ومئة وقيل سنة ست ومئة وهو ابن سبعين سنة. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٥ ، ص٣٣٥ وما بعدها.

٤- محمد هادي عرفة ، التمهيد في علوم القرآن ، ج١ ، ص١٤٤.

٥- ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٥ ، ص٣٧٩.

٦- الشيخ المفيد ، تصحيح اعتقادات الامامية ، تحقيق: حسين درگاهي ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٢٠.

الطريقة لأنها خفية عن الآخرين ولذا عبر الله تعالى عن اتصاله برسوله الكريم بالوحي[1].

ونقل العلامة المجلسي[2] عن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) سُئِل عن لفظ الوحي في كتاب الله تعالى فقال: "منه وحي النبوة، ومنه وحي الإلهام، ومنه وحي الإشارة، ومنه وحي أمر، ومنه وحي كذب، ومنه وحي تقدير، ومنه وحي خير، ومنه وحي الرسالة. فأما تفسير وحي النبوة والرسالة فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ . . .﴾[3].

وأما وحي الإلهام فقوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[4] ومثله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[5].

وأما وحي الإشارة فقوله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[6] أي أشار اليهم لقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾[7].

وأما وحي التقدير فقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[8].

وأما وحي الأمر فقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي﴾[9].

وأما وحي الكذب فقوله عز وجل: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ . . .﴾[10].

وأما وحي الخير فقوله له سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[11].

١- المسعودي، الشيخ محمد فاضل، الأسرار الفاطمية، تحقيق: السيد عادل العلوي، ط٢، (مطبعة أمير، قم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص٤١٥.
٢- بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٥.
٣- النساء: ١٦٣.
٤- النحل: ٦٨.
٥- القصص: ٧.
٦- مريم: ١١.
٧- آل عمران: ٤١.
٨- فصلت: ١٢.
٩- المائدة: ١١١.
١٠- الأنعام: ١١٢.
١١- الأنبياء: ٧٣.

هذه أقسام الوحي التي أشار إليها القرآن الكريم ، والفرق واضح بين وحي وآخر ، فوحي الرسالة والنبوة المتضمن نقل الشرائع والأحكام من الله سبحانه وتعالى إلى الناس بوساطة الأنبياء هو غيره في وحي الإلهام الذي يرشد إلى فعل وتوجيه ، كإرشاد أم موسى (عليها السلام) إلى إلقاء ابنها في البحر ، أو الوحي إلى النحل ببناء البيوت.

وبدأ نزول الوحي على نبينا (صلى الله عليه وآله) في غار حراء[١] ، وهو جبل على بعد ثلاثة أميال من مكة على يسار الذاهب من مكة إلى منى[٢] ، ومن خصائص هذا الغار ان المصلي فيه يرى الكعبة وهي في وادٍ بين جبال ، لان الغار أعلى من الجبال التي حولها ، فكأنه مفصل للعبادة مع استقبال الكعبة ومشاهدتها[٣].

وكان نبينا (صلى الله عليه وآله) يتعبد في هذا الغار ، وقد سبقه إلى التعبد في هذا المكان جده عبد المطلب. إذ كان أول من تحنث فيه فيتعبد في الليالي ذوات العدد ، فإذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين[٤]

وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : "وكل الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ملكاً عظيماً منذ فصل الرضاع ، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق. وهو الذي كان يناديه : السلام عليك يا محمد يا رسول الله ، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد ، فيظن ان ذلك من الحجر والأرض ، فيتأمل فلا يرى شيئاً"[٥].

ويضاف إلى ما تقدم ان الأخبار المتواترة الدالة على نبوته (صلى الله عليه وآله) قبل الوحي حتى أتاه جبرئيل بالرسالة كثيرة منها : الخبر المشهور عنه (صلى الله عليه وآله) : "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين"[٦] ، أو «بين الروح والجسد»[٧] ، وروي عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) "أن الله تعالى اتخذ

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ القاضي عياض ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج٢ ، ص١٠٢ ؛ النووي ، شرح صحيح مسلم، ج٢ ، ص١٩٨.
٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٣.
٣- الكوراني ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٩.
٤- النويري ، نهاية الأرب ، ج٨ ، ص٨٩.
٥- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٠٧ ؛ السيد المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ج٣٣ ، ص٨٠٢.
٦- الواقدي ، فتوح الشام ، ص٨١ ؛ ابن العربي ، الفتوحات المكية ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت)، ج١ ، ص١٠٩ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٣ ، ص١١٨ ؛ الإحسائي ، عوالي اللئالي، ج٤ ، ص١٢١ ؛ الاسترابادي، الرواشح السماوية، ص٢٨٧ ؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج٥، ص٣٧ ؛ الحر العاملي، الجواهر السنية، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص٣٠٧.
٧- ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٥ ، ص٥٩ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص٢٤٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٦٠٨ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ج٢ ، ص٢٤٨.

إبراهيم (عليه السلام) عبداً قبل ان يتخذه نبياً ، وان الله اتخذه نبياً قبل ان يتخذه رسولا..."[1].

وقد ورد في أخبار كثيرة ان الله تعالى لم يعطِ نبياً فضيلة ولا كرامة ولا معجزة إلا وقد أعطاها نبينا (صلى الله عليه وآله) ، فكيف جاز ان يكون عيسى في المهد نبياً ، ولم يكن نبينا (صلى الله عليه وآله) في الأربعين سنة نبياً ؟ ويؤيده ما مر في أخبار ولادته (صلى الله عليه وآله) وما ظهر منه في تلك الحال من علامات النبوة[2].

ولكن يثار دائماً سؤال مهم حول نبوة محمد (صلى الله عليه وآله) قبل الرسالة. وهذا السؤال هو : بشريعة من كان يتعبّد (صلى الله عليه وآله) ؟ وقد ناقش هذا الموضوع السيد العاملي[3]. وخلص إلى القول : «...إن ما نستطيع الجزم به ، هو انه (صلى الله عليه وآله) كان مؤمناً موحداً ، يعبد الله ويلتزم بما ثبت له انه شرع الله تعالى مما هو من دين الحنيفية شريعة إبراهيم (عليه السلام) ، وبما يؤدي إليه عقله الفطري السليم ، وانه كان مؤيداً ومسدداً ، وانه كان أفضل الخلق وأكملهم خلقاً ، وخلقاً وعقلاً. وكان الملك يعلمه ، ويدله على محاسن الأخلاق...وانه كان يلتزم بأمور لا تعرف إلا من قبل الشرع وكان لا يأكل الميتة ، ويلتزم بالتسمية والتحميد إلى غير ذلك مما يجده المتتبع لسيرته (صلى الله عليه وآله)".

إذن كان نبينا (صلى الله عليه وآله) مهيأً ومتأهباً لاستقبال الوحي والرسالة العظيمة الموكل بها (صلى الله عليه وآله) ، ولا مكان لعنصر المفاجأة والخوف والرعب الذي صورته الروايات السلطوية ، لان روايات أهل البيت (عليهم السلام) في كيفية نزول الوحي تؤكد ان الوحي حصل في هدوء وسكينة ووقار وفي جو مليء باليقين والاطمئنان والخشوع ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن زرارة[4]. قال : «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) كيف لم يخف رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما يأتيه من قبل الله ان يكون ذلك مما ينزع به الشيطان ؟ قال : إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً انزل عليه السكينة والوقار ، فكان

١ - الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص١٧٥ ؛ الشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص٢٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٢ ، ص١٢ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج١ ، ص٥٥٦ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١ ، ص٢٧٦.

٢- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٢٧٩ ؛ الاصفهاني ، شيخ الشريعة ، البيان في عقائد أهل الإيمان ، (مطبعة مهر ، قم ، د.ت) ، ص٦٣.

٣- الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص١٩٧.

٤- زرارة بن أعين بن سنن مولى لبني عبد الله بن عمرو السمين بن اسعد بن همام بن مرة ، كان قارئاً وفقيهاً ومتكلماً وشاعراً وأديباً ، اجتمعت فيه خلال الفضل والدين ، صادقاً فيما يرويه ، مات سنة خمسين ومئة. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص١٧٥ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص١٣٣.

يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه"[1].

وفي رواية أخرى ، سُئِل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الغشية التي كانت تأخذ النبي (صلى الله عليه وآله) أكانت تكون عند هبوط جبرئيل ؟ فقال: "لا ، إن جبرئيل (عليه السلام) إذا أتى النبي لم يدخل عليه حتى يستأذنه ، فإذا دخل عليه قعد بين يديه قعدة العبد ، وإنما ذلك عند مخاطبة الله عز وجل إياه بغير ترجمان وواسطة"[2].

إن الرواية المتقدمة تبين لنا ان نزول الوحي بحسب روايات الإمام الصادق (عليه السلام) يكون على نحوين ، أحدهما بوساطة جبرئيل ، والآخر بدونه ، وحينئذ نستنتج ان الوحي القرآني هو مما أتى به جبرئيل أو توسط فيه ، وأما ما لم يتوسط فيه هو الوحي الذي جاءه (صلى الله عليه وآله) في الموضوعات أو في غير القرآن المجيد ، فيما يعبر عنه بـ"الأحاديث القدسية". ويؤكد هذا الرأي الرواية الآتية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أتاه الوحي من الله وبينهما جبرئيل يقول: هو ذا جبرئيل ، وقال لي جبرئيل ، وإذا أتاه الوحي وليس بينهما جبرئيل تصيبه تلك السبتة ويغشاه ما يغشاه لثقل الوحي عليه من الله عز اسمه"[3].

وليس بمقدور أحد ان ينكر ثقل الوحي ، فالنص القرآني في هذا الأمر ورد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾[4] ، فثقل الوحي يعبر عن حالة العظمة الإلهية التي كانت تتراءى للنبي (صلى الله عليه وآله) ، وهي علامة من علامات تقديس الخالق سبحانه وتعالى. وعلى الرغم من ثقل الوحي الذي أشار إليه القرآن الكريم ، ورواية الإمام الصادق (عليه السلام) المتقدمة ، إلا ان المواجهة العنيفة بين جبرئيل (عليه السلام) والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) والتي صورتها الروايات السلطوية ، لا أساس لها من الصحة ، استناداً إلى النص القرآني في سورة التكوير لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ۞ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾[5] أي رأى محمد (صلى الله عليه وآله) جبرئيل على صورته التي خلقه الله عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق[6] ، فضلاً عما ورد من

١ - العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٠١ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٣ ، ص٥٥.
٢ - الصدوق ، كمال الدين ، ص٨٥.
٣ - البرقي ، المحاسن ، ج٢ ، ص٣٣٨.
٤ - المزمل : ٥.
٥ - التكوير : ٢٣-٢٤.
٦ - مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص١١٠ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج٣٠ ، ص١٠١ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج١٠ ، ص٢٨٦ ؛ الطريحي ، تفسير غريب القرآن ، تحقيق: محمد كاظم الطريحي ، ط١ ، (انتشارات زاهدي ، قم ، د.ت) ، ص٤٠٧.

روايات الإمام الصادق (عليه السلام) المتقدمة.

ومن هنا فأن العقل لا يستطيع ولا يستسيغ الروايات المضطربة التي اشتهر تداولها في كتب السيرة وكتب الصحاح أو كتب التاريخ ، التي تتهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالاضطراب والشك أو الجهل بما ألقي إليه وعدم تمييزه بين الوحي والإلهام والإلقاء الشيطاني ، إلا بعد ان طمأنته زوجته خديجة (عليها السلام) التي صورتها لنا هذه المصادر وكأنها أكثر ثقة من الرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه ، وأكثر إدراكاً لما يدور ويحصل وأكثر علماً بأخبار النبوة وعلاماتها ، ومعها ورقة بن نوفل النصراني الذي مات على نصرانيته ، وهو يحمل ما يدور في تفكير خديجة (عليها السلام) نفسه ، بل يزيد عليها في انه كان يمتلك رجاحة العقل وحسن الرأي على عكس ما كان يدور في فكر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) من الاضطراب والهلع لحظة نزول الوحي.

إن الصورة الواضحة التي يرسمها القرآن الكريم عن شخصية أنبياء الله وتؤيدها محكمات العقل هي التي تصبح موئلاً ومرجعاً محكماً وثابتاً لمحاكمة كل صورة جاءت من الصحاح الستة أو كتب التاريخ عن أنبياء الله سواء كان ذلك النبي إبراهيم أو موسى أو عيسى (عليهم السلام) أو محمد (صلى الله عليه وآله) وسواء كان الناقل لنا هذه الصورة خديجة أو عائشة أو الزهري أو عروة. فلو استعرضنا ما رواه البخاري[1] ومسلم[2] وغيرهما[3] عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة في بدء الوحي : «...أن الملك جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في غار حراء فقال: اقرأ . قال: ما انا بقارئ ، قال: فأخذني فغطني[4] حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال: أقرأ ، فقلت : ما انا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾[5] فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني ، زملوني ، حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة

١- صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٨٧ ؛ وينظر : العيني ، عمدة القاري ، ج٢٤ ، ص١٢٦.
٢- صحيح مسلم ، ج١ ، ص٩٧ ؛ وينظر : الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص١٨٣.
٣- الصنعاني ، المصنف ، ج٥ ، ص٣٢١ ؛ ابن عبد البر ، الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط١ ، (د.م ، د.ت) ، ص٣٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٢٠ ، ص١١٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٦ ، ص٣٦٨.
٤- الغط : العصر الشديد والكبس. ينظر : ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ، ص٣٧٢ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٧ ، ص٣٦٢ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٩ ، ص٣٠٥.
٥- العلق : ١-٣.

– وقد أخبرها الخبر – : لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلأ ، وتكسي المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب العبراني ، فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أومخرجي هم ؟ قال: نعم ، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة ان توفي ، وفتر الوحي".

هكذا إذن صور لنا البخاري وغيره عملية نزول الوحي ، فروى عن عائشة ان النبي (صلى الله عليه وآله) لم يبعث نبياً في جو واضح ، ولا رأى جبرئيل بالأفق المبين الذي ورد في النص القرآني ، انه أفق كان غائماً وكانت نبوة مشكوكة ، وزعم ان الذي جاء النبي (صلى الله عليه وآله) أشبه بكابوس منه بملك ، وكان تعامله معه مرعباً مخيفاً ، فقد أمره ان يقرأ ، وغطه – أي عصره وكبسه وخنقه – ثلاث مرات خنقاً عنيفاً.

والسؤال هنا : كيف لنا ان نقبل هذه الروايات التي تناقض نص القرآن الذي يؤكد ان نبينا كان على بصيرة من أمره كقوله تعالى : ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] والنص القرآني الآخر الذي ينفي صفة الخوف من الرسل في قوله تعالى: ﴿إِنِي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾[2].

وحين التدقيق في نص الرواية المتقدمة نلحظ ان ورقة الذي لم يُسلم بعد ، هو عالم بما سيجري على النبي فضلاً عن علمه بنبوته ، بينما صاحب الدعوة والرسالة نفسه لم يتضح له الأمر بعد ، ولم يعرف جبرئيل ، ولا فهم كلامه ، ولا عرف ما يريده منه وكأن ورقة هو الذي يفيض عليه بالطمأنينة ويستشهد له بما يقنعه هذا القول والقرآن يقول : ﴿قُلْ إِنِي عَلَى

١- يوسف : ١٠٨.
٢- النمل : ١٠.

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي . . . ﴾[1] ، إلى غيرها من الآيات القرآنية الحافلة بهذه الحقيقة ، وهي ان الرسل هم مصدر الهداية للناس وهم أصحاب البينات وليس العكس هو الصحيح ، بينما يشير هذا الحديث إلى ان ورقة هو الذي وقع على رسالة النبي (صلى الله عليه وآله) فبعث فيه الطمأنينة بانه مرسل من الله سبحانه وتعالى ، وهذا هو الذي فتح الطريق للتشويه برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من أهل الكتاب ، إذ قالوا بأن رسولكم بموجب نصوصكم قد اطمأن إلى انه رسول من الله بوساطة تطمين ورقة النصراني له ، وقد تجرأ بعضهم حتى أدعى ان محمداً قسيس من القساوسة الذين رباهم ورقة بموجب هذا النص الذي حفظته كتب الحديث وتداوله المؤرخون ، وهل هذا سوى ثغرة من ثغرات الابتعاد عن محكمات العقل والكتاب والسنة ؟![2]

وهناك رواية ينقلها اليعقوبي[3] : «إن ورقة بن نوفل قال لخديجة بنت خويلد اسأليه من هذا الذي يأتيه ؟ فان كان ميكائيل فقد أتاه بالخفض واللين ، وان كان جبرئيل فقد أتاه بالقتل والسبي ، فسألته فقال: جبريل ، فضربت خديجة جبهتها...».

وهذه الرواية تفوح منها رائحة الأثر اليهودي بقوة ، لاسيما ان في الرواية ما يشير إلى ان السيدة خديجة قد ضربت جبهتها وكأنها تعترض على العلاقة مع جبرئيل الذي سيقود الرسول إلى القتل والى سبي الناس – حاشاه الله تعالى من ذلك – كما تهدف إليه الرواية.

يقول عبد الجبار ناجي[4] بشأن هذه الرواية : «تهدف هذه الرواية إلى توجيه الأنظار إلى حالة العنف والقسوة التي توجهت به رسالة الوحي عن طريق الملك جبرئيل ، فجبرئيل ملك القتل والسبي وهما ملاحظتان ربما تشيران إلى علاقة الرسول بيهود المدينة».

١- الأنعام : ٥٧.

٢- هناك العديد من الدراسات المعاصرة والرسائل والاطاريح الجامعية التي تناولت بالتحليل مسألة الوحي من حيث السند والمتن وتناقض المعلومات ، فلا داعي لإعادة دراستها تجنباً للإطالة. للمزيد ينظر : جعفر مرتضى العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص٢٨٥-٣١٢ ؛ الشيخ علي الكوراني ، السيرة النبوية برواية أهل البيت (عليهم السلام) ، ج١ ، ١٦٩-١٧٧ ؛ الشابندر ، غالب حسن ، ليس من سيرة الرسول ، ط١ ، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص٤٨-٨٥ ؛ الحسيناوي ، عدنان مالح ساجت ، صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تاريخية تحليلية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م ، ص١٠٨-١٣٥ ؛ العواد ، انتصار عدنان عبد الواحد ، النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في رؤية أمير المؤمنين (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م ، ص٣٤٠-٣٥١ ؛ صادق ، سهاد محمد باقر ، الموضوعات من أخبار السيرة النبوية، ص١٠٣-١٠٤ ؛ عبد الجبار ناجي ، نقد الرواية التاريخية ، ص١١-١٩ ، ص٢٩٠-٣٠١ ؛ زكار ، سهيل ، الإمام الزهري المستشار التاريخي للبلاط الأموي ، مجلة المنهاج ، العدد السابع ، السنة الثانية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ؛ صالح الورداني ، دفاع عن الرسول ضد الفقهاء ، ص٢٦٧-٢٧١.

٣- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٣.

٤- نقد الرواية التاريخية ، ص٢٩٣.

وهنا يبرز سؤال هو : لماذا لا توجد رواية من طريق أهل البيت (عليهم السلام) توضح الكيفية أو الآلية التي نزل بها الوحي ، كالتي رواها البخاري ومسلم من طريق السيدة عائشة ، هذا إذا استثنينا روايات الإمام الصادق (عليه السلام) المارة الذكر بخصوص نزول الوحي لانها – أي روايات الإمام الصادق (عليه السلام) – لم تذكر الآلية لحظة نزول الوحي كالتي روتها عائشة. وفي هذا الأمر خاصة يقول عبد الجبار ناجي[1] : «فمن المؤكد ان الإمام – يقصد الإمام علي (عليه السلام) – قد نقل رواية الوحي كما حدثه بها رسول الله شخصياً ، غير انها لم تصلنا ، ولعل ما اتخذه حكام الدولة الأموية وأولئك الذين لم يشجعوا تدوين الحديث من تغييب رواية الإمام علي عن الوحي شأنها في ذلك شأن الروايات والأحاديث الأخرى التي عمل معاوية وولاته في الآفاق على حجبها بل الأصح على قبرها في مهدها خوفاً من حقيقة الأحداث وخشية على نفوذهم وتسلطهم ، لذلك لم يعد بالإمكان معرفة رواية الإمام بغية وضعها موضع الموازنة والتدقيق مع الروايات المذكورة آنفاً".

إن الدليل على أن الرأي المتقدم الذي أبداه الدكتور ناجي صحيح ، هو خطبة الإمام علي (عليه السلام) وهو يصف قربه وملازمته للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بقوله: "...ولقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة"[2].

ويفهم من هذه الخطبة ان الإمام علي (عليه السلام) كان حاضراً عند بدء الوحي اذ انه كان يسمع رنة الشيطان ، وكان يتعبد معه ، وهو يرى ما يراه النبي (صلى الله عليه وآله).

ولكي نتعمق في دراسات حالات الوحي ، نجد ان الأسوأ من حالات الرعب والغط والخنق التي حدثت للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو ان صور الوحي التي تعددت بتعدد حالات نزول السور والآيات القرآنية ، حملت طابع الإساءة للنبي (صلى الله عليه وآله) بشكل واضح ، مثال ما رواه ابن

١- المصدر نفسه ، ص٢٩١.

٢- الشيخ محمد عبده ، نهج البلاغة (خطب الإمام علي (عليه السلام)" ، ط١ ، (مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج٢ ، ص١٥٧ ؛ الهمداني ، أحمد الرحماني ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ط١ ، (المنير للطباعة والنشر ، طهران ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٥٣١ ؛ محمد ، أويس كريم ، المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية ، مشهد ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص١٠٠ ؛ محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج١ ، ص١٤٣.

سعد[1] من انه إذا أوحي إليه يصبح كهيئة السكران وهو تعبير بعيد عن القدسية والاحترام لشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) !!

أما البخاري[2] ومسلم[3] ، فقد رويا عن يعلى بن أمية[4] قال : «وددت اني قد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد أنزل عليه الوحي فقال عمر: تعال أيسرك ان تنظر إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وقد أنزل عليه الوحي؟ قلت : نعم ، فرفع طرف الثوب ، فنظرت إليه غطيط وأحسبه قال: كغطيط البكر"[5].

وفي هذا التعبير الأخير لا يخفى لأحد على ما فيه من الإساءة إلى قدسية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) وتشبيهه بالإبل في أصواتها وهيآتها وغير ذلك ، وأمثال هذه الروايات كثيرة ، ولا مجال لسردها جميعها تجنباً للإطالة والإسهاب.

ومن هنا يتبين لنا أهمية اللجوء إلى مرويات أهل البيت (عليهم السلام) لمعرفة أحداث السيرة النبوية الصحيحة ، ولم يعثر الباحث على رواية واحدة من مروياتهم (عليهم السلام) على كثرتها ، تشير أو تلمح إلى حالات مشابهة لهذه الحالات التي تسيء إلى شخص النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله). بل ان الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) التي سبقت الإشارة إليها توضح ان الوحي نزل في هدوء وسكينة ووقار واطمئنان ، وان ثقل الوحي حصل نتيجة القدسية والعظمة التي يستحقها الخالق عز وجل. وان جبرئيل إذا أتى النبي (صلى الله عليه وآله) لم يدخل عليه حتى يستأذنه وإذا دخل قعد قعدة العبد بين يديه.

لهذا أكدت روايات أهل البيت (عليهم السلام) استبعاد كل الروايات الشائنة والمقللة من شأن النبي (صلى الله عليه وآله).

١- الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩٧ ؛ وينظر : الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤١٥.

٢- صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٢٠٢ ؛ وينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٥٦ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٠ ، ص١٢٦ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٠٧.

٣- صحيح مسلم ، ج٤ ، ص٣ ؛ وينظر : ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني ، ج٢ ، ص٣٨٣ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٢٢ ، ص٢٥٢ ؛ ابن عبد البر ، الاستذكار ، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ج٤ ، ص٢٨ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص٢٠٨.

٤- يعلى بن أمية التميمي أبو صفوان ، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، قتل سنة ثمان وثلاثين بصفين مع علي بعد ان شهد الجمل مع عائشة. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٥٨٤.

٥- الغطيط : صوت يخرجه النائم مع نفسه ، ويغط من الغطيط ، كالبكر إذا خنق وشدت الانشوطة في عنقه. ينظر : الحربي ، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٧م) ، غريب الحديث ، تحقيق: سليمان بن إبراهيم العابر ، ط١ ، (دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج٢ ، ص٦٣٨.

ثالثاً : فتور الوحي :

المقصود بفتور الوحي هو المدة الكلية التي غاب نزول آيات القرآن الكريم فيها ، وتناولت المؤلفات الإسلامية هذه الظاهر بالدراسة والتحليل لكنها اختلفت في مدة الفتور واحتباس الوحي عن النبي (صلى الله عليه وآله).

ويبدو للعيان ان هذه المدة غير طويلة بحيث تكون ثلاث سنين كما قال بعضهم[1] ، ولا بقصيرة بحيث تكون ثلاثة أيام كما قال بعضهم الآخر[2] ، فأما إنها لا تكون ثلاث سنين فلأنهم رووا ان محمداً (صلى الله عليه وآله) بعد بدء الوحي بنزول أقرأ باسم ربك مكث ثلاث سنين يدعو إلى الله خفية ثم أمره الله بإظهار الدعوة بنزول : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] فلو أن مدة فتور الوحي كانت ثلاث سنين للزم ان يكون إظهار الدعوة بعد ست سنين من زمن بدء الوحي ، لأنه في مدة الفترة لم تكن دعوة ، وقد قام بالدعوة ثلاث سنين خفية بعد الفترة ، فيكون حينئذ إظهار الدعوة بعد ست سنين من زمن بدء الوحي. والواقع ليس كذلك بل الذي لم يختلف فيه ، هو ان إظهار الدعوة والقيام بها جهرة كان بعد ثلاث سنين من بدء الوحي. ويؤيد ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام) : "مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله – تبارك وتعالى – ثلاثة عشر سنة ، منها ثلاث سنين مختفياً لا يظهر ، حتى أمره الله ان يصدع بما أمر به ، فأظهر الدعوة حينئذ"[4].

وفي رواية أخرى له (عليه السلام) قال : "كان رسول الله مختفياً بمكة خائفاً ثلاث سنين ليس يظهر أمره ، وعلي معه وخديجة ، ثم أمره الله ان يصدع بما أمر به ، فظهر رسول الله وأظهر أمره"[5].

فروايات الإمام الصادق (عليه السلام) المارة الذكر لا تشير إلى مدة فتور واحتباس الوحي ، بل أشارت فقط إلى إجهار الدعوة بعد ثلاث سنين من بدء الوحي ، وإجهار الدعوة وإعلانها لا يعني فتور الوحي وانحباسه ، فالفتور والانحباس خاص بالوحي وهو أمر آخر غير إخفاء الدعوة وسريتها.

١ – ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١ ، ص٣٣ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١ ، ص٦٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٧٢.
٢ – البخاري ، صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٨٦ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٨٢ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٣ ، ص١٤.
٣ – الحجر : ٩٤.
٤ – الصدوق ، كمال الدين ، ص٣٤٤ ؛ الطوسي ، الغيبة ، ص٣٣٣ ؛ هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، ص١٢١.
٥ – الصدوق ، كمال الدين ، ص٣٤٤.

وأما إنها لا تكون ثلاثة أيام فلأنهم رووا : "أنه حزن لانقطاع جبرئيل عنه حزناً شديداً حتى انه غدا مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، وفي رواية انه كان يغدو إلى ثبير[1] مرة ، والى حراء مرة ، يريد ان يلقي نفسه عنه ، فكلما وافى ذروة جبل منهما لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد أنت رسول الله حقاً ، فيسكن جأشه وتقر عينه ويرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك»[2].

فهل يعقل ان الثلاثة أيام كافية للجزع ، الجزع مِمَن ؟ من نبي أرسله الله رحمة للعالمين ، النبي الذي يرجى منه ان يعلم الناس الصبر عند الشدائد ، إذ ان هذا الحزن لثلاثة أيام هو خلاف العقل والمنطق. فبالتأكيد ان الحزن حصل لاشك في ذلك ، ولكن الفتور استهلك أياماً كثيرة ربما تفوق الشهر على الأقل.

من هنا تبرز أهمية اللجوء إلى مصدر السيرة النبوية الأساس وهم أهل البيت (عليهم السلام) ، فهم وحدهم يحصل فيهم الاطمئنان لمعرفة مدة فتور الوحي وانحباسه ، والذي يمكن ان نطمئن إليه ونرجح صحته هو ما رواه الإمام الصادق (عليه السلام) فقال : "للعبد ان يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي. ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه ناس من اليهود فسألوه أشياء فقال لهم : تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثنِ ، فاحتبس جبرئيل عنه أربعين يوماً ، ثم أتاه فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (الكهف: 23-24)[3]»[4].

ولم يروِ عن أهل البيت (عليهم السلام) إلا ما تقدم من احتباس الوحي على إثر سؤال اليهود ، وان ذلك كان بعد البعثة بسنوات ، وكانت مدته أربعين يوماً وهي فترة معقولة ومقبولة لحالة كهذه.

وظاهرة فتور الوحي – كحال أي ظاهرة أخرى حصلت في السيرة النبوية – تعرضت

١- ثبير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة ، سمي ثبير برجل من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف الجبل به. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٧٢.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩٦ ؛ الطبري ، تأريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٤٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٧٦.

٣- الكهف : ٢٣-٢٤.

٤- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣٤ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٣ ، ص٣٦٢.

إلى الدس والتزوير والتشويه والتضليل ، والغاية من ذلك هو النيل من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) والإقلال من قدره ، ونفي عصمته ، واستخدمت طرقاً شتى وأساليب مختلفة.

ومن صور هذا التشويه – كما مر آنفاً – اتهامه بمحاولة الانتحار في العهد المكي ، في مدة انقطاع الوحي وفتوره بعد اللقاء الأول بينه وبين جبرئيل (عليه السلام).

وقبل الدخول في مناقشة هذه الشبهة ، يجدر بنا ان نذكر نصين على الأقل من النصوص الواردة في المصادر الإسلامية بخصوص إقدامه على الانتحار :

١–روى ابن اسحاق[١] عن بعض أهل العلم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : "...لم يكن في خلق الله عز وجل احد أبغض إليَّ من شاعر أو مجنون كنت لا أطيق انظر إليهما فقلت ان الأبعد – يعني نفسه (صلى الله عليه وآله) – لشاعر أو مجنون ثم قلت لا تحدث قريش عني بهذا أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن فخرجت لا أريد غير ذلك فبينما انا عامد لذلك سمعت منادياً ينادي من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وانا جبرئيل...".

٢–وروى ابن سعد[٢] عن ابن عباس : «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزل الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبرئيل فحزن حزناً شديداً حتى كان يغدو إلى ثبير مرة وإلى حراء مرة يريد ان يلقي نفسه منه فبينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذلك عامداً لبعض تلك الجبال إلى ان سمع صوتاً من السماء فوقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) صعقاً للصوت ثم رفع رأسه فإذا جبرئيل على كرسي بين السماء والأرض متربعاً عليه يقول يا محمد أنت رسول الله حقاً وانا جبرئيل...وقد أقر الله عينه وربط جأشه ثم تتابع الوحي بعد وحمي".

وخلاصة هذه الروايات : إن النبي (صلى الله عليه وآله) حاول مراراً ان يلقي بنفسه من رؤوس الجبال ، فهي إذاً محاولة للانتحار ، وهذا لا يليق بشخص من هو في مقام النبوة ، لان مسألة الإقدام على الانتحار هي انتقاص كبير من مقام النبوة ، ومخالف لما عرف به الأنبياء جميعهم من شدة الصبر والامتثال لأوامر الله سبحانه.

وهناك مؤشرات على ضعف هذه الروايات ، ومن تلك المؤشرات :

١– السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٠٠.
٢– الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص١٩٦.

١-ما رواه البخاري[١] عن عروة عن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) حدثته انها قالت للنبي (صلى الله عليه وآله) : "هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت منهم يوم العقبة[٢] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[٣] فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وانا بقرن الثعالب[٤]...» فهنا ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) ان أشد ما وقع عليه هو ذلك الأذى النفسي الحاصل من تكذيب أهل الطائف له ، حتى انه بقي مهموماً حزيناً لم يستفق إلا وهو بعيد عن الطائف ، غير ان حزنه ما كان ليبلغ حد الرغبة في إلقاء نفسه من علو.

٢-ويستعرض ابن حجر العسقلاني[٥] ما كان يتعرض له الرسول (صلى الله عليه وآله) من الأذى ، وينقل حديثه (صلى الله عليه وآله) : "ما أوذي أحد مثل ما أوذيت ..." ، ولم يذكر من ضمن ما ذكره أذاه (صلى الله عليه وآله) من فتور الوحي حتى يصل به الأمر إلى حد الانتحار.

٣-إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقرر الانتحار وهو في بداية دعوته فأين رسوخ الإيمان في الرسالة التي شرفه الله بها قبل فترة الوحي ، وانزل عليه في أول مراتب وحيها في غار حراء قرآناً يتلى ، حتى يعود عن عزيمته لإلقاء نفسه من شواهق الجبال إذا طالت عليه فترة الوحي؟

٤-لم يعثر الباحث في روايات أهل البيت (عليهم السلام) ما يشير - ولو من بعيد - إلى إقدام النبي (صلى الله عليه وآله) على مثل تلك الخطوة ، بل على العكس تماماً نجد ان الإمام علي (عليه السلام) يقول بحق المصطفى (صلى الله عليه وآله) : "ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله) من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل إثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به ، ... أرى نور الوحي والرسالة ،

١- صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٨٣ ؛ وينظر : مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٨١ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٤ ، ص٥١٦ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٨ ، ص٣٧٠ ؛ الاصبهاني ، دلائل النبوة ، ج٣ ، ص٨٩٤ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٥ ، ص١٤١.

٢- العقبة : الموقع الذي بايع رسول الله الأنصار بها قبل الهجرة ويقع بين منى ومكة ؛ بينه وبين مكة نحو ميلين. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٣٤.

٣- عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي كان وجهاً من وجوه ثقيف ، وهو الذي أرسلته ثقيف إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في إسلامهم وبيعتهم وبعثت معه لذلك خمسة رجال إذ أبى ان يمضي وحده خوفاً مما صنعوا بعروة بن مسعود. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٠٠٧.

٤- قرن الثعالب : هو قرن المنازل - وهو ميقات أهل نجد ، وهو على مرحلتين من مكة ، والقرن أصله كل جبل صغير ينقطع من جبل كبير. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٣٢.

٥- فتح الباري ، ج٧ ، ص١٢٥.

وأشم ريح النبوة"[1].

أما روايات الأئمة الآخرين (عليهم السلام) ، فهي ترسم صورة حقيقية للأنبياء والرسل جميعاً صلوات الله عليهم ، ولا يوجد إشارات إلى ان رواياتهم (عليهم السلام) تشوه صورتهم الحقيقية وتقلل من شانهم ، كإقدامهم على الانتحار أو غير ذلك من الأخبار الشائنة. فكيف الحال إذا كانت الأخبار تخص سيد الكائنات والمرسلين (صلى الله عليه وآله)؟

وقد صدر عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت حالة الضعف في هذه الروايات ، سنداً ومتناً ، ومضموناً ، وأشارت إلى الثغرات الحاصلة فيها[2].

وقد وردت في سبب فتور الوحي أسباب عديدة ذُكرت في مناسبة نزول سورة الضحى : ﴿ وَالضُّحَى ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۞ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[3] جواباً لمن قال ان محمداً (صلى الله عليه وآله) ودعه ربه وقلاه أي تركه[4].

وروى القمي[5] عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: "...ثم أبطأ جبرئيل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت خديجة : لعل ربك قد تركك فلا يرسل اليك؟ فانزل الله تبارك وتعالى: ما ودعك ربك وما قلى".

ويبدو ان هذه الرواية التي نقلها القمي في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) بغض النظر عن سلامة سندها ، لا يمكن اعتمادها أمام السجل المشرف الكبير للسيدة خديجة الكبرى ، فكيف تخاطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه اللهجة الشديدة التأثير وهي التي كانت تقف معه قبل النبوة وبعدها وهي – كما سيمر بنا – من أوائل من أسلموا ، وهي رفيقة دربه وشريكة حياته ، فكيف يكون خطابها بهذه الطريقة الاستفزازية ؟ وهو ما يؤيد عدم نقلها من العديد من علماء السيرة أو التفسير.

وتطبيقاً لقول الإمام الصادق (عليه السلام) الذي ورد في الفصول السابقة الذي يثبت عدم

١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص١٩٧ ؛ محمد عبده ، خطب نهج البلاغة ، ج٢ ، ص١٥٧.
٢- الشربيني ، عماد السيد ، رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء الكتاب والسنة ، تحقيق: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ، ط١ ، (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ص٢٧٠-٣٠٣ ؛ الشابندر ، ليس من سيرة الرسول ، ص٨٧ ؛ الحسيناوي ، صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري ، ص١٢٨-١٣٢.
٣- الضحى : ١-٣.
٤- الطبري ، جامع البيان ، ج٣ ، ص٢٩١.
٥- تفسير القمي ، ج٢ ، ص٤٢٨.

اعتماد كل حديث وكل رواية بعيدة عن العقل والمنطق ، فلا يمكن اعتماد ما ورد في هذه الرواية.

ووردت هذه الرواية عند البخاري[1] بالشكل الآتي: «...اشتكى النبي (صلى الله عليه وآله) فلم يقم ليلة ، أو ليلتين ، فأتته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ! فأنزل الله عز وجل : والضحى وكان ذلك بالمدينة" ، ولم يحدد البخاري من هي هذه المرأة التي جاءت للنبي (صلى الله عليه وآله) ، فالرواية مبهمة ! فإذا كانت امرأة عادية ليست زوجته أو ابنته فكيف علمت ان الوحي لم يأتهِ؟

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: "احتبس الوحي عن النبي (صلى الله عليه وآله) فقيل له: احتبس الوحي عنك؟ فقال (صلى الله عليه وآله) : وكيف لا يحتبس وانتم لا تقلمون أظافركم ولا تنقون رواجبكم[2]»[3].

وقد وردت هذه الرواية في مسند احمد[4] بالشكل الآتي : «عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله) قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبرئيل (عليه السلام) فقال ولم لا يبطئ عني وأنتم حولي لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقبون رواجبكم".

وعلى الرغم من ان هذه الرواية معتبرة الإسناد ، سواء رواية الإمام الصادق (عليه السلام) أو رواية ابن عباس في مسند أحمد ، إلا انها من ناحية المتن والمحتوى والمضمون ضعيفة الحجة والمنطق ، فالسبب المذكور الذي من اجله احتبس الوحي لا يعد مبرراً قوياً لذلك ، لأن هذا السبب ضعيف لا يرقى إلى مستوى الظاهرة – ظاهرة احتباس وفتور الوحي – فتقليم الأظافر والروائح الكريهة في الأجسام هي ظاهرة سيئة عند بعض الناس وليس كلهم ، فليس كل الناس لا يقلمون أظافرهم أو لا يقصون شواربهم ، ولا يمكن ربط حدث يومي عادي جداً يحدث في كل زمان ومكان بمسألة كبيرة جداً تعد من مسائل النبوة والعقيدة الإسلامية ، فإذا

١- صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٨٦.

٢- الرواجب : مفاصل الأصابع التي تلي الأنامل ، أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها أو ظهور السلاميات ، أو مابين البراجم من السلاميات. ينظر : ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الاهوازي (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م) ، الكنز اللغوي في اللسان العربي ، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٣م) ، ص٢٠٨ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٤٩٦.

٣- الحميري ، قرب الإسناد ، ص٢٣ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٦ ، ص٤٩٢ ؛ الطبرسي ، الاحتجاج ، ص٦٦ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢ ، ص١٣٢.

٤- ابن حنبل ، ج١ ، ص٢٤٣ ؛ وينظر : الزمخشري ، الفائق ، ج٣ ، ص٣٨١ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج١ ، ص١١٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٢ ، ص٢٤.

كان عدم تقليم الأظافر يعد حجة لاحتباس الوحي ، فما بالك بالجرائم الكبيرة التي تحدث يومياً – سواء في عصر الرسالة أو عصرنا الحالي – فهذا هو حال البشرية ، الجريمة لا يمكن ان تنتهي مادام الإنسان على هذه البسيطة. فلا يوجد ارتباط أبداً بين تقليم الأظافر وفتور الوحي ، ولكن هذا من نسيج خيال الرواة والوضاع ونسبوها إلى الإمام الصادق (عليه السلام) والى ابن عباس ، فالغاية منها – كما يبدو – هو حث الناس على النظافة فربطوها بالوحي لتكون إلزامية التنفيذ وبصورة أدق من اجل العناية بأجسامهم.

يقول أحد الباحثين[1] : «ان ميزة الأخبار الشفهية قبل التدوين وبعده انها تحمل أفكاراً مكتسبة من واقع الحياة العربية السائدة وقتذاك ، مع ميلها لان تحمل ألواناً ثقافية معبرة عن عقلية الراوي والوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ، ومن ثمَّ أسسوا لأفكار أصبحت جزءاً من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) من دون ان يمحصوها أو يدققوا فيها وهي التي تناقلوها عن الأجيال التي سبقتهم ، إذ وجدوا ما يسد حاجتهم من القصص غير المبررة فاعتقدوا بها واكسبوها شهرتها بدافع النبوة وقداستها دون المساس بها أو التشكيك بفكرتها".

وزعم بعضهم ان سبب انقطاع الوحي انه كان في غرفة النبي (صلى الله عليه وآله) جرو كلب فمات تحت السرير ولم ينتبه له النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقد روى ابن كثير[2] : «انقطع الوحي بسبب جرو كلب مات تحت سريره (صلى الله عليه وآله) ولم يشعر به ، فلما أخرجه جاء الوحي ، فنزل قوله تعالى : والضحى والليل إذا سجى".

والظاهر ان الضعف الكبير في هذه الرواية يتضح من متنها ومحتواها ، فهي لا تحتاج إلى تعليق كبير وإبراز عيوب ما ورد فيها من الإشارات التي فيها نوع من الإقلال من مكانة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وحجم المهمة التي شرفه الله بها. فهل يعقل ان الرسول (صلى الله عليه وآله) كان في غرفة نومه وتحت سريره جرو كلب لأكثر من شهر أو أربعين يوماً ولا يعلم به ، فالعيوب والخلل في هذه الرواية كثيرة ولا تحتاج إلى توضيح أكثر ، فالفرد المسلم حين يقرأ هذا السبب لفتور

١ – اللامي ، علاء حسن مردان ، السيرة النبوية دراسة في الرواية البصرية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م ، ص٣٦٢.
٢ – البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٣٤٨.

الوحي ، لابد ان تكون له ملكته الخاصة في إظهار تناقضات هذا الكلام وعيوبه. فلا داعي للإطالة فيه.

وخلاصة القول ، ان فتور الوحي ومدته التي لا تتجاوز الأربعين يوماً ، التي استدللنا عليها من رواية الإمام الصادق (عليه السلام) على إثر سؤال اليهود لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد سبقت الإشارة إليها ، نقول ، إن فتور الوحي ، سببه ليس ما ذكر في روايات الأظافر وقص الشوارب وجرو الكلب تحت السرير. وإنما هو سبب إلهي تتحكم فيه قدرة الخالق لأسباب مازال البحث فيها مستمراً ، ولا يمكننا الركون إلا إلى ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام) بهذا الخصوص حين قال (عليه السلام) : "ما علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان جبرئيل (عليه السلام) من قبل الله إلا بالتوفيق"[1].

إذن فالتوفيق الإلهي بالوقار والسكينة المنزلة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا بتركه ليفزع ويضطرب ويشكك في أسباب الفتور ، بل ان اليقين والاطمئنان كانا من أقوى أدوات نشره (صلى الله عليه وآله) للدعوة.

رابعاً : ما أول سورة نزلت من القرآن الكريم ؟

اختلف في تعيين أول سورة نزلت من القرآن الكريم وذلك لورود عدة أقوال.

القول الأول : إن أول سورة كانت سورة العلق ، ويعد هذا القول هو الأشهر بين هذه الأقوال. وتؤكد الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : "أول ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (بسم الله الرحمن الرحيم أقرأ باسم ربك الذي خلق) وآخر ما نزل : (إذا جاء نصر الله والفتح) "[2].

وأكدت روايات الإمام الباقر (عليه السلام) بهذا الشأن المعنى نفسه في أن أول سورة نزلت كانت "أقرأ باسم ربك الذي خلق"[3] وهو ما أكدته المصادر الإسلامية في معظمها ومنها كتب الصحاح[4].

١- الصدوق ، التوحيد ، ص٢٤٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٢٥٦ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٨ ، ص٨٠ ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٣٦٥.

٢- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٦٢٨ ؛ الصدوق ، عيون اخبار الرضا ، ج١ ، ص٩.

٣- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٤٢٨.

٤- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٣ ، ص٣٩٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٨٧ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١ ، ص٢٢٠ ؛ الطبراني ، الأوائل ، ص٤٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٢٤٠.

القول الثاني: هو ما رواه الطبرسي[1] عن سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في ان أول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب.

ويبدو أن هذه الرواية المنقولة عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بها حاجة إلى وقفة ودراسة فالرواية من حيث سندها معتبرة ولا يمكن الطعن فيها، أما المعنى الوارد فيها فتؤيده الأقوال الآتية:

١-روي عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: "والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الانجيل، ولا في القرآن مثلها، وهي أم الكتاب"[2].

٢-قال الإمام الصادق (عليه السلام): "رن إبليس أربع رنات، أولهن يوم لُعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بعث محمد (صلى الله عليه وآله) على حين فترة من الرسل، وحين نزلت أم الكتاب"[3].

٣-إن الحجة التي يحتج بها المؤيدون لهذه الرواية تقول: «كيف يصلي وصلاته غير مشتملة على فاتحة الكتاب»، لأن سورة الفاتحة تعد شرطاً من شروط الصلاة، فكيف تكون الصلاة من دونها، وهذا الشرط دليله عدة أحاديث منها:

-قوله (صلى الله عليه وآله): "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب"[4]، وهذا يعد دليل على ان الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن الكريم.

-قوله (صلى الله عليه وآله): "كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج[5]»[6].

-قول الإمام علي (عليه السلام): "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[7].

-قول الإمام الباقر (عليه السلام): "أول كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم"[8].

-قول الإمام الصادق (عليه السلام): "ما أنزل كتاب من السماء إلا أوله بسم الله الرحمن الرحيم"[9].

١- مجمع البيان، ج١٠، ص٢١٢.
٢- الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٤٨؛ ناصر الشيرازي، تفسير الأمثل، ج١، ص١٨.
٣- الصدوق، الخصال، ص٢٦٣؛ الحويزي، نور الثقلين، ج١، ص٤.
٤- الاحسائي، عوالي اللئالئ، ج١، ص١٩٦.
٥- الخداج: النقصان. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص١٢؛ ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٢٤٨.
٦- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ج١، ص٢٧٤؛ البيهقي، سنن البيهقي، ج٢، ص٣٨؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٢، ص١١١؛ المباركفوري، تحفة الاحوذي، ج٢، ص٥٤.
٧- الاحسائي، عوالي اللئالئ، ج١، ص١٩٦.
٨- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص١١٦.
٩- البرقي، المحاسن، ج١، ص٤٠؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٦٠.

-قول ابن عباس : «إن لكل شيء أساساً ... وأساس القرآن الفاتحة»[1].

-عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال : «كان جبرئيل (عليه السلام) إذا جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرآن ، أول ما يلقي عليه : بسم الله الرحمن الرحيم. فإذا قال جبرئيل (عليه السلام) بسم الله الرحمن الرحيم ، الثانية علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه قد ختم السورة وافتتح الأخرى"[2].

-وقال السمعاني[3] في توضيح اسماء سورة الفاتحة : «أما فاتحة الكتاب فلان بها افتتح الكتاب وهو القرآن ، وأما أم القرآن فلانها أصل القرآن ، منها بُدئ القرآن ، وأم الشيء أصله ومنه يقال لمكة : أم القرى لانها أصل البلاد».

-وقال صاحب تفسير الأمثل[4] : «إنها تتضمن في الواقع توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال ، وتوحيد العبادة ، وبعبارة أخرى تتضمن هذه السورة مراحل الإيمان الثلاثة : الاعتقاد بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان ، ومن المعلوم ان لفظ (الأم) يعني هنا الأساس والجذر».

وللباحث قول : هو انه لا يمكن تصور ان يبدأ الوحي بنص غير بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن الله جل وعلا قد فرض على المسلم ان يبدأ كل نشاط ينوي القيام به باسم الله ، فحين نبدأ الأكل والشرب فباسم الله لقوله تعالى : ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[5] ، والسفر نبدأه باسم الله لقوله تعالى : ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا . . .﴾[6] وليس في القرآن سورة تبدأ آياتها بهذه العبارة سوى سورة الفاتحة ، فهي السورة الوحيدة في القرآن التي تعد البسملة من آياتها.

وقد سميت السورة بالفاتحة لانها فاتحة الكتاب وبداية لنزول الوحي على محمد (صلى الله عليه وآله) ، وليست فاتحة لأي شيء آخر. أما الروايات المضطربة التي صورت الوحي بالطريقة البشعة المعروفة ، فهي التي صورت لنا ان اقرأ هي أول سورة ، لان فعل الأمر اقرأ مع الرغبة لأن

١- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج١ ، ص٤٧ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١ ، ص١١٣.
٢- الطبراني ، الأوائل ، ص٧٠.
٣- تفسير السمعاني ، ج١ ، ص٣١.
٤- ناصر الشيرازي ، ج١ ، ص٢٢.
٥- الأنعام : ١١٨.
٦- هود : ٤١.

يكون محمداً أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، هنا تكتمل الصورة لكي يكون الوحي بالطريقة التي نقلت ، ولا تنسجم وهذا الفكر إلا ان تكون اقرأ هي أول سورة.

ولابد من التذكير ، ان الوحيد الذي قال ان سورة الفاتحة هي أول سورة نزلت هو علي بن أبي طالب (عليه السلام)[1]، وهو أول من أسلم[2] وانه أول من صلى قبل سبع سنوات من البعثة[3].

وخلاصة القول: على الرغم من كل ما أشرنا إليه من تساؤلات ونقاط تدعم القول الثاني ، إلا انه لا يمكن الجزم والإقرار به واعتماده لعدم وجود الأدلة القوية التي تفند وتلغي الرأي المشهور الذي يقول : إن اقرأ هي أول سورة نزلت ، لاسيما ان هذا القول المشهور معزز ومدعوم برواية الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) كما مر بنا ، ولا يمكن اعتماد القول الثاني إلا إذا توفرت في المستقبل الأدلة القوية التي ترجحه.

أما القول الثالث فيشير إلى : إن أول ما نزل هو قوله تعالى : "يا أيها المدثر" ويستند هذا القول إلى حديث أورده البخاري[4] عن أبي سلمة[5] قال: «سألت جابر بن عبد الله أي القرآن انزل أول فقال : يا أيها المدثر ، فقلت: أنبئت أنه اقرأ باسم ربك الذي خلق ، فقال لا أخبرك إلا بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستيطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فإذا هو جالس – يعني جبرئيل – على عرش بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا عليَّ ماءاً بارداً وانزل عليَّ : يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر"[6].

والمعروف ان هذه السورة نزلت بعد فتور الوحي ، فكانت أول ما نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله) بعدها. فلعل جابراً سمع من الرسول (صلى الله عليه وآله) حديثه عن أول ما نزل عليه من القرآن بعد

١- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج١٠ ، ص٢١٢.
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٩ ، ص٣٥٣.
٣- الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٨٥.
٤- صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٧٥.
٥- عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله القرشي المخزومي ، زوج أم سلمة قبل النبي (صلى الله عليه وآله) ، أمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم ، أسلم بعد عشرة أنفس ، هاجر مع زوجته ام سلمة إلى أرض الحبشة ثم شهد بدراً ، توفي أبو سلمة في جمادي الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص٩٣٩.
٦- للمزيد ينظر : ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١ ، ص٢٢٠.

فترة الوحي ، فاعتبر ذلك أول ما نزل على الإطلاق. وانه (رضي الله عنه) استخرج ذلك باجتهاده.

خامساً : هل كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب ؟

المشهور في المؤلفات الإسلامية ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، واعتادت هذه المؤلفات على ترديد هذه الخصلة عند النبي (صلى الله عليه وآله) وعدَّتها من المسلّمات بل من الثوابت ، ثم اعتبروها من المناقب والمعجزات على أساس انه (صلى الله عليه وآله) على الرغم من أميته ، فهو صاحب الكنوز الضخمة من العلوم والشرائع وصاحب الرسالة الإسلامية ومعجزتها القرآن الكريم.

فالأمية هنا تضيف له (صلى الله عليه وآله) – بحسب هذه المؤلفات – معجزة كبيرة لأنه على الرغم من أميته قد جاء بهذه العلوم التي لم يستطع أحد الأتيان بها.

وعلى الرغم من ان القرآن الكريم أشار إلى أمية النبي (صلى الله عليه وآله) ، إلا ان هذه المؤلفات اعتمدت على تأكيد أمية النبي (صلى الله عليه وآله) ليس من القرآن الكريم بالدرجة الأساس ، بل من حوار النبي (صلى الله عليه وآله) مع جبرئيل حين نزل عليه الوحي وخاطبه جبرئيل بعبارة "...اقرأ ، فقال له : ما أنا بقارئ..."[1].

ومن هذه العبارة (ما أنا بقارئ) نُسِجَت الروايات التي تؤكد أمية النبي (صلى الله عليه وآله) وانه لا يقرأ ولا يكتب.

وعند دراسة مسألة أمية النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهل معنى الأمية يعني عدم القراءة والكتابة ، نسجل الملاحظات الآتية :

١–وردت أمية النبي (صلى الله عليه وآله) بصيغتين :

الأولى : رواية ابن اسحاق[2] : «...قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فجاءني جبرئيل ... قال: اقرأ ، قال : قلت ما اقرأ ؟ قال: فغتني به حتى ظننت انه الموت ، ثم أرسلني فقال: اقرأ ، قال

١ – الصنعاني ، المصنف ، ج٥ ، ص٣٢٢ ؛ ابن راهوية ، اسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) ، مسند ابن راهوية ، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، ط١ ، (مطبعة مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٢ ، ص٣١٥ ؛ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٦ ، ص٢٣٢ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣ باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص٩٧ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص١٨٣ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٥١.

٢– السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٠٠ ؛ وينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٥ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٠٨.

: قلت ما اقرأ؟...".

الثانية : رواية البخاري[1] : «...فجاءه الحق فقال اقرأ ، فقال رسول الله (ﷺ) ما انا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد فأرسلني فقال : اقرأ. فقلت : ما أنا بقارئ...".

وعلى أساس هاتين الروايتين صرحت المصادر الإسلامية ان النبي (ﷺ) لا يقرأ ولا يكتب !! بدليل قوله : ما انا بقارئ ! أي لا أعرف القراءة ، وبديهياً الذي لا يعرف القراءة لا يعرف الكتابة ، وهذا ليس صحيحاً ، بدليل ما سيرد من ملاحظات.

٢-عند ابن إسحاق ، رسول الله (ﷺ) قال : ما اقرأ ؟ أي ماذا أقرأ ؟ وعند البخاري ، قال (ﷺ) : ما أنا بقارئ ! أي لا علم لي بالقراءة. ولابد لنا من اعتماد رواية ابن إسحاق لأنه متوفى عام (١٥١هـ/ ٧٦٨م) والبخاري متوفى عام (٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) تطبيقاً لقاعدة التسلسل الزمني التاريخي الذي يلزمنا بإتباع المصدر الأقرب إلى زمن الحدث. والفرق مابين المصدرين كما هو مثبت يصل إلى أكثر من مئة عام ، ويبدو ان العبارة حُرِّفت وأصبحت : "ما أنا بقارئ" بدلاً عن : "ما اقرأ" لتتوافق والفرضية المطروحة (أمية النبي (ﷺ).

٣-إذا كان محمد (ﷺ) أمياً ، فكيف يقول له جبرئيل : اقرأ ؟ فهل جبرئيل الملك القادم من السماء ، والحامل لرسالة الإسلام السماوية ، والعالم بمكان محمد (ﷺ) ومقره ، والعارف بصفاته جميعها كونه مرسلاً من السماء ، ومع ذلك لا يعلم انه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، بحيث يصدر له أمراً بالقراءة والنبي (ﷺ) يجهل هذه القراءة.

٤-إن عبارة : ما اقرأ ؟ أي ماذا أقرأ ؟ لا تعني ان النبي محمد (ﷺ) لا يعرف القراءة ، لانك لو قلت لأحدهم : اكتب ؟ فبالتأكيد سيرد عليك : ماذا أكتب ؟ وحين يقول لك ماذا اكتب لا يعني انه لا يجيد الكتابة ، وإنما يريد منك تحديد ماذا عليه أن يكتب. وهذا معنى قوله (ﷺ) ما اقرأ ، أي ماذا أقرأ ؟ ولا يعني عدم معرفته القراءة ، ومن الشواهد التاريخية الدالة

١- صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣ ؛ ج٦ ، ص٨٨ ؛ وينظر : مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص٩٧ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص١٨٣ ؛ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م) ، أسباب النزول ، (مؤسسة الحلبي وسركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ص٥ ؛ السمعاني ، تفسير السمعاني ، ج٦ ، ص٢٥٦ ؛ ابن العربي ، أحكام القرآن ، ج٤ ، ص٤١٧.

على هذا الأمر هو انه (صلى الله عليه وآله) قرأ صحيفة لعيينة بن حصن[1] وأخبر بمعناها[2] وفي رواية البخاري[3] عن البراء في صلح الحديبية (٦هـ/ ٦٢٧م) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام) : "... امح رسول الله قال لا والله لا أمحوك أبداً فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكتاب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله...". أي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتب بيده هذه العبارة وليس الإمام علي (عليه السلام).

وفي رواية الإمام الصادق (عليه السلام) في صلح الحديبية قال : "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... امح يا علي ! واكتب محمد بن عبد الله ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ما أمحو اسمك من النبوة أبداً ، فمحاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده ، ثم كتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله والملأ من قريش..."[4].

٤-إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقرأ ولا يكتب فكيف قال لهم : "ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً"[5]. وإذا قال قائل انه تعلم القراءة والكتابة في مدة الرسالة ، فلماذا لم تتحدث كتب التاريخ والسيرة عن المدة التي تعلم فيها القراءة والكتابة ، أو عن كيفية تعلمه وعلى يد من ؟ في حين تحدثت هذه المصادر والكتب عن أبسط الأمور ولم تترك لا صغيرة ولا كبيرة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا وتحدثت عنها. ثم ان انشغاله بالدعوة ليلاً ونهاراً لا يدع له مجالاً للتفكير بتعلم القراءة والكتابة ، وهذا دليل على انه (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ ويكتب قبل البعثة المباركة.

٥-تتفق المصادر[6] على ان الإمام علي (عليه السلام) كان يجيد القراءة والكتابة بدليل انه

١- عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عدي بن فزارة الفزاري ، اسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف ، وكان ممن ارتد في عهد أبي بكر ، وكان فيه جفاء سكان البوادي ، قتل في عهد عمر. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٣٠٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص٣٤٧ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٢٥٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٤ ، ص٦٤٠ ؛ تهذيب التهذيب ، ج٥ ، ص١١٤.

٢- ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب الغرناطي (ت٥٤٢هـ/ ١١٠٤٧م) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ج٤ ، ص٣٢٢ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٣ ، ص٣٥١ ؛ ابن حيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م) ، تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي بن محمد معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ج٧ ، ص١٥١ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج١٣ ، ص١٠٣.

٣- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٦٨ ؛ للمزيد ينظر : القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٣ ، ص٣٥٢ ؛ النووي ، شرح مسلم ، ج١٢ ، ص١٣٧ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٣ ، ص٢٧٥.

٤- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣١١.

٥- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٣١ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص٧٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص٤٧٧ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٧ ، ص٢٤٣.

٦- البلاذري ، فتوح البلدان ، ج٣ ، ص٥٨٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٦٧ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج١٣ ، ص٥.

كان يكتب في صلح الحديبية بنود الصلح. فهل يعقل ان الإمام علي (عليه السلام) كان يعرف القراءة والكتابة ، والرسول (صلى الله عليه وآله) لا يعرف وهو ربيبه.

٦-كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) معروفاً في رحلاته التجارية إلى بلاد الشام خاصة قبل البعثة ، فكيف كان يتعامل مع التجار والعمليات التجارية في الأسواق الكبيرة ، إذا كان لا يحسن القراءة والكتابة ، والمعروف ان العمل التجاري يحتاج إلى ان يكون الممارس له على معرفة بالكتابة والتدوين والحساب.

٧-عن انس بن مالك قال : قال (صلى الله عليه وآله) : "رأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة : الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر"[١] أي انه (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ جيداً.

٨-وفي حديث حذيفة[٢] ، ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال : "رأيت ليلة أسري بي الجنة والنار في السماء ، فقرأت هذه الآية : وفي السماء رزقكم وما توعدون"[٣].

٩-روى ابن سعد[٤] : «...كان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم ، فإذا حذقوا فهو فداؤه...»

١٠-أما كلمة (أمي) و(الأميين) الواردة في القرآن الكريم ، فالمسألة لا تحتاج إلى جدال طويل (فالنبي الأمي) يعني النبي المبعوث من غير بني إسرائيل[٥] ، والأميون : هم من لا كتاب لهم مثل الوثنيين والمجوس في مقابل أهل الكتاب ، وهم اليهود والنصارى[٦]. وهذا الكلام تؤيده الآيات القرآنية الآتية :

-قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾[٧] وأراد القرآن الكريم بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى ، وبالأميين العرب لأنهم لا كتاب لهم لا لأنهم لا

١- ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج٢ ، ص٨١٢ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٣ ، ص١١ ؛ عبد الله بن قدامة ، المغني ، ج٤ ، ص٣٥٢ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٦ ، ص٢١٠ ؛ السيد سابق ، فقه السنة ، ج٣ ، ص١٤٥.

٢- أحمد بن حسين بن جابر بن اليمان ، واليمان لقب ، ويكنى أبا عبد الله ، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو الذي بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الخندق ينظر إلى قريش فجاءه بخبر رحيلهم ، مات سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان وفي أول خلافة علي (عليه السلام). ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج١ ، ص٣٣٤.

٣- ابن رجب الحنبلي ، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن احمد البغدادي الدمشقي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م) ، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ، ط٢ ، (دار الرشيد ، دمشق ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص٧٢.

٤- الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٢٢.

٥- شحرور ، القصص القرآني ، ص٣٢.

٦- جواد علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٧٤.

٧- آل عمران : ٢٠.

يحسنون القراءة والكتابة.

وقال الطبري[1] في تفسيره لهذه الآية : «يعني بذلك جل ثناؤه ، قل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم ، أي الذين ليسوا يهوداً ولا نصارى».

-وفي قوله تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[2] وهذا يعني ان معنى الأميين ليس الذين لا يقرأون ولا يكتبون بل هم الذين من غير بني إسرائيل أو من غير أصحاب الكتاب.

-وفي قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[3] أيضاً فيها دلالة واضحة على ارتباط معنى الأميين بعدم معرفتهم الكتاب ، أي عدم ارتباطهم بديانة كتابية ، لا عدم معرفتهم القراءة والكتابة

وعند اللجوء إلى روايات الإمام الصادق (عليه السلام) نجد ان الأمور أكثر وضوحاً في هذه المسألة ، فجميع رواياتهم (عليهم السلام) تؤكد ان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ ويكتب ، وبينت رواياتهم كذلك معنى كلمة (أمي) و(الأميين) وذلك مما ورد عنهم (عليهم السلام):

١-عن خلف بن حماد[4] ، عن عبد الرحمن بن الحجاج[5] قال : قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): "ان النبي كان يقرأ ويكتب..."[6].

٢-عن ابن أبي عمير[7] عن معاوية بن عمار[8] عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله

١- جامع البيان ، ج٣ ، ص٢٩٠.
٢- آل عمران : ٧٥.
٣- البقرة : ٧٨.
٤- خلف بن حماد بن ناشر بن المسيب الكوفي ، ثقة سمع من موسى بن جعفر (عليه السلام). ينظر : العلامة الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص١٣٩ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٢ ، ص١٩٩.
٥- عبد الرحمن بن الحجاج البجلي ، كوفي ، سكن بغداد ورمي بالكيسانية ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن (c) ، وكان ثقة ثبتاً ، وجيهاً له كتب تروى عنه. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٣٧ ؛ ابن داود ، رجال ابن داود ، ص١٢٨.
٦- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٢٤٧ ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ج١ ، ص٩٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٦ ، ص١٣٤.
٧- ابن أبي عمير ، محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى ، بغدادي الأصل والمقام ، لقي أبا الحسن موسى (عليه السلام) وسمع منه أحاديث ، كان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وانسكهم نسكاً واورعهم وأعبدهم ، مات سنة سبعة عشر ومئتين للهجرة. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٣٢٦ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص٢١٨ ؛ رجال الطوسي ، ص٢٩٩ ؛ التفرشي ، نقد الرجال ، ج٤ ، ص١٠٧ ؛ السبحاني ، كليات في علم الرجال ، ص٢٠٧ ؛ عبد الحميد ، صائب ، معجم مؤرخي الشيعة ، بحث منشور في مجلة تراثنا ، العدد الثالث ، السنة الخامسة عشرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م ، ج٥٩ ، ص١٨٣.
٨- معاوية بن عمار بن أبي معاوية خباب بن عبد الله الدهني ، وكان عظيم المحل ، كبير الشأن ، ثقة ، وكان أبوه عمار ثقة في العامة ، مات سنة خمس

تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ . . . ﴾[1] هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم» قال : كانوا يكتبون ، ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله ، ولا بعث إليهم رسولاً فنسبهم إلى الأميين»[2].

ولم يقتصر الأمر على الإمام الصادق (عليه السلام) فقط ، بل ان الأئمة الآخرين أفاضوا في هذه المسألة ، فقد روي :

١-عن علي بن حسان[3] ، وعلي بن اسباط[4] عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: "قلت ان الناس يزعمون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكتب ولا يقرأ ، فقال: كذبوا لعنهم الله ، أنى يكون ذلك؟ وقد قال الله عز وجل : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) ، وليس يحسن ان يقرأ أو يكتب؟ قال : قلت فلم سمي النبي الأمي ؟ قال: نُسبَ إلى مكة وذلك قول الله عز وجل : (لتنذر أم القرى ومن حولها) ، فأم القرى مكة ، فقيل : أمي لذلك"[5].

٢-عن جعفر بن محمد الصوفي[6] قال : «سألت أبا جعفر محمد بن علي الرضا (عليه السلام) : يا ابن رسول الله لم سمي النبي (صلى الله عليه وآله) الأمي ؟ فقال: ما تقول الناس ؟ قلت : يزعمون انه إنما سمي الأمي لانه لم يحسن ان يكتب ، فقال (عليه السلام) : كذبوا عليهم لعنة الله ، أنى ذلك والله يقول في محكم كتابه : (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) ، فكيف له ان يعلمهم ما لا يحسن ؟ والله لقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب... وإنما سمي الأمي لانه كان من أهل مكة ، ومكة من أمهات القرى ، وذلك قول الله

وسبعين ومئة. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٤١١ ؛ الطوسي ، الفهرست ، ص٢٤٧ ؛ رجال الطوسي ، ص٣٠٣ ؛ العلامة الحلي ، إيضاح الاشتباه ، تحقيق: الشيخ محمد الحسون ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٢٩٧ ؛ خلاصة الأقوال ، ص٢٧٣.

١- الجمعة : ٢.

٢- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣٦٦ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفى ، ج٢ ، ص١٣٠١ ؛ التفسير الصافي ، ج٥ ، ص١٧٢ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٩ ، ص٢٦٨.

٣- علي بن حسان الواسطي ، روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أكثر من مئة عام ثقة . ينظر : ابن الغضائري ، رجال ابن الغضائري ، ص٧٧ ؛ العلامة الحلي ، إيضاح الاشتباه ، ص٢٠ ؛ خلاصة الأقوال ، ص١٨٢.

٤- علي بن اسباط بن سالم بياع الزطي أبو الحسن المقرئ ، كوفي ، ثقة ، روى عن الرضا (عليه السلام) ، وكان أوثق الناس وأصدق لهجة. ينظر : النجاشي ، رجال النجاشي ، ص٢٥٢ ؛ الطوسي ، اختيار معرفة الرجال ، ج٢ ، ص٨٣٥ ؛ الفهرست ، ص١٥٣ ؛ رجال الطوسي ، ص٣٦٠.

٥- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٢٤٦ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٢٥ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٥ ، ص٣٢٢.

٦- جعفر بن محمد الصوفي ، يعني بائع الصوف ، وهو من أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام) ، وورد في المصادر ما يفيد حسن عقيدته. ينظر : الشاهرودي ، مستدركات علم رجال الحديث ، ج٢ ، ص٢٠٢.

عز وجل : لتنذر أم القرى ومن حولها"[1].

وهناك روايتان للإمام الصادق (عليه السلام) نقلهما الشيخ الصدوق[2] ، أشارتا إلى «أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ الكتاب ولا يكتب" وهذا يحتمل حالتين :

الأولى : إن حالة ان يكون الإنسان قارئاً وليس بمقدوره الكتابة ، هي ظاهرة اعتيادية وليس غريبة وتحصل عند الكثير من الناس ، والمتابعون لحالات كهذه لا يصعب عليهم عدم قبول هذا الأمر ، لانه أمر معتاد ليس شاذاً.

الثانية : إن النبي (صلى الله عليه وآله) ربما كان مشغولاً بأمور القيادة والزعامة وإدارة البلاد وشؤون الدولة ، لذا أشارت الروايتان إلى انه كان يقرأ الكتاب ولا يكتب ، أي انه (صلى الله عليه وآله) كان يكلف غيره بالكتابة لانشغاله بأمور الدعوة والدولة.

وخلاصة القول : ان النصوص السابقة الواردة عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) وغيرهم من أبناء الأئمة (عليهم السلام) ، أكدت بشكل لا لبس فيه ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ ويكتب ، ولم يكن أمياً. لان شخصية مثل محمد (صلى الله عليه وآله) في الزمن والوسط الذي عاش فيه كان يحسن القراءة والكتابة ، وانه كان يتمتع بأوصاف النبوغ والعبقرية والحافظة والذكاء الوقاد.

وقد ناقش موضوع (أمية النبي (صلى الله عليه وآله)) عدد من الكتاب والمعاصرين وأشاروا في نقاشاتهم إلى ملاحظات كثيرة تدعم رأيهم القائل بان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) يقرأ ويكتب ولم يكن أمياً[3].

١- الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٢٤٥ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٢٤ ؛ معاني الأخبار ، ص٥٣ ؛ الشيخ المفيد ، الاختصاص ، ص٢٦٣ ؛ الفاضل الهندي ، بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (ت١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م) ، كشف اللثام عن قواعد الأحكام ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ج١ ، ص٢٠ ؛ السيد علي الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج١٣ ، ص٤١.

٢- علل الشرائع ، ص١٢٦ ؛ وينظر : الحويزي ، نور الثقلين ، ج٢ ، ص٧٩.

٣- جواد علي ، المفصل ، ج٨ ، ص٧٤ وما بعدها ؛ الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج١ ، ص٨٣ وما بعدها ؛ جعيط ، هشام ، في السيرة النبوية الوحي والقرآن والنبوة ، ط١ ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ج١ ، ص٤٥ ؛ الرصافي ، الشخصية المحمدية ، ص١٦٦.

المبحث الثاني :

بدء الدعوة الإسلامية :

أولاً : البدايات الأولى للدعوة :

اعتادت كتابات المؤرخين والباحثين القدامى والمتأخرين بل حتى المعاصرين منهم حين الكلام على السيرة النبوية الدخول مباشرة بعد الإشارة إلى الوحي ونزول الآيات الأولى من القرآن الكريم ان تتحدث عن أول من أسلم ، وهكذا أشبع هذا الموضوع بحثاً وتحليلاً ، فلا يوجد مبرر لإعادة ما دوّنه هؤلاء.

وخير من ناقش هذا الموضوع وأشار إليه بتفاصيله كلها العلامة الأميني[١] ، الذي أورد أقوالاً لعشرات من كبار الصحابة والتابعين وغيرهم من الأعلام ، تؤكد ان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من أسلم في هذه الأمة.

وورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) : "أن علياً (عليه السلام) أول من أسلم"[٢].

وهناك رواية واردة عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) تختصر الطريق لمعرفة أول من أسلم ، فهذه الرواية التي أوردها الكليني[٣] بسنده عن سعيد بن المسيب قال : «سألت علي بن الحسين (عليه السلام) : ابن كم كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يوم أسلم ؟ فقال: أوكان كافراً قط؟ إنما كان لعلي (عليه السلام) حين بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشر سنين ولم يكن يومئذ كافراً ، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (صلى الله عليه وآله) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله (صلى الله عليه وآله) إلى الصلاة بثلاث سنين وكانت أول صلاة صلاها مع الرسول (صلى الله عليه وآله) الظهر وكانت ركعتين".

١- الغدير ، ج٣ ، ص٢١٩-٢٤١.
٢- الطوسي ، الامالي ، ص٣٤٣.
٣- الكافي ، ج٨ ، ص٣٣٩ ؛ وينظر : الحلي ، الحسن بن سليمان (ت ق٩هـ/ ق١٥م) ، مختصر بصائر الدرجات ، ط١ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) ، ص٢٩ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج١٢ ، ص٤٨١ ؛ البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، ص١٥٧.

قال المسعودي[1] : «وقد تنوزع في علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وإسلامه ، فذهب كثير من الناس إلى انه لم يشرك بالله شيئاً فيستأنف الإسلام ، بل كان تابعاً للنبي (صلى الله عليه وآله) في جميع أفعاله مقتدياً به ، وبلغ وهو على ذلك ، وان الله عصمه وسدده ووفقه لتبعيته لنبيه (صلى الله عليه وآله) ، لانهما كانا غير مضطرين ولا مجبورين على فعل الطاعات ، بل مختارون قادرون ، فاختاروا طاعة الرب ، وموافقة أمره ، واجتناب منهياته ، ومنهم من رأى انه أول من آمن ، وان الرسول (صلى الله عليه وآله) دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز وجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[2] وكان بدؤه بعلي إذ كان أقرب الناس إليه واتبعهم له».

وأورد الحلبي[3] : «وأما علي بن أبي طالب فلم يكن مشركاً بالله أبداً لانه كان مع رسول الله في كفالته كأحد أولاده ، يتبعه في جميع أموره. فلم يحتج ان يدعى للإسلام فيقال أسلم» .

فالمتتبع للروايات كلها يرى ان أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يكن كافراً ولم يكن مشركاً في يوم من الأيام ، وهو المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، وسُئل الإمام الكاظم (عليه السلام) عن بدء الإسلام فقال : "سألت أبي جعفر بن محمد (عليه السلام) عن بدء الإسلام كيف أسلم علي وكيف أسلمت خديجة (عليها السلام) ؟ فقال لي أبي : إنهما أسلما لما دعاهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا علي ويا خديجة اسلمتما لله وسلمتما له؟ وقال : إن جبرئيل عندي يدعوكما إلى بيعة الإسلام فأسلما تسلما وأطيعا تهديا ، فقال: فعلنا وأطعنا يا رسول الله..."[4].

ووردت بعض النصوص عن الإمام علي (عليه السلام) تؤكد انه كان يصلي مع النبي (صلى الله عليه وآله) قبل الناس بثلاث سنين أو سبع سنين ، وقبل توضيح هذا الأمر لابد من إيراد بعض هذه النصوص ومنها :

١-قال علي (عليه السلام) : "أنا عبد الله ، وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، ولقد صليت مع رسول الله قبل الناس سبع سنين وانا أول من صلى"[5].

١- مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢١٧-٢١٨.
٢- الشعراء : ٢١٤.
٣- السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٣٤.
٤- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٢٣٢ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١ ، ص٤٨٢ ؛ الكوراني ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٤٦.
٥- الجاحظ ، العثمانية ، ص٢٩٠ ؛ النسائي ، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: محمد هادي الأميني ، (مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، د.ت) ، ص٤٦ ؛ القاضي النعمان ، شرح الاخبار ، ج١ ، ص١٦٢ ؛ الكوفي ، محمد بن سليمان (كان حياً ق٤هـ/ ١٠م) ، مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص٣٦٠

٢-وقال (عليه السلام) : "عبدت الله مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) سبع سنين قبل ان يعبده أحد من هذه الأمة"[١].

٣-وقال (عليه السلام) : "صليت قبل الناس سبع سنين ، وكنا نسجد ولا نركع ، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر"[٢].

يقول العلامة الأميني[٣] في هذا الأمر : «لعل الباحث يرى خلافاً بين كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في سني عبادته وصلاته مع رسول الله بين ثلاث سنين وسبع سنين ، فنقول : أما ثلاث سنين فلعل المراد منه مابين أول البعثة إلى إظهار الدعوة من المدة وهي ثلاث سنين ، فقد أقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة ، وأما سبع سنين فإنها مضافاً إلى كثرة طرقها وصحة أسانيدها ، سني الدعوة النبوية من أول بعثته (صلى الله عليه وآله) إلى فرض الصلاة المكتوبة. وذلك ان الصلاة فرضت بلا خلاف ليلة الإسراء والمعراج".

ويؤيد الباحث صحة هذا الاستنتاج لأنه الأقرب إلى الصواب ، لان النصوص السابقة الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) في إسلام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هي التي يمكن ان تطمئن إليها النفوس ، لأنها صادرة من بيت النبوة ، وليس كما ينقل بعض الرواة في سبب إسلام علي (عليه السلام) من انه دخل على النبي ومعه خديجة وهما يصليان سراً ، فقال: "ما هذا ؟ فقال رسول الله : دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله ، فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وإلى الكفر باللات والعزى ، فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب. وكره رسول الله ان يفشي عليه سره قبل ان يستعلن أمره ، فقال له : يا علي إذا لم تسلم فاكتم هذا ، فمكث ليلة ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للإسلام فأصبح غادياً إلى رسول الله فأسلم"[٤].

؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص٢٢١ ؛ خصائص الوحي المبين ، تحقيق: مالك المحمودي ، ط١ ، (مطبعة نكين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص١٩٧.

١- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٢٨ ؛ الشرواني ، حيدر بن علي بن محمد (ت ق١٢هـ/ ١٨م) ، مناقب أهل البيت (b) ، تحقيق: الشيخ محمد الحسون ، (مطبعة المنشورات الإسلامية ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٣٧.

٢- الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٨٥ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج١ ، ص٢٩٣ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٨ ، ص٤٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٠ ، ص٣٤٨ ؛ المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ج٢٢ ، ص٦٣٧.

٣- كتاب الغدير ، ج٣ ، ص٢٤٠-٢٤١.

٤- الخوارزمي ، المناقب ، ص٥٣ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٤ ، ص١٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٣٤ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٩ ، ص٩٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٠٠ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٣٣.

وهذه الرواية في سبب إسلام علي (عليه السلام) غير صحيحة ، وملفقة وتلغيها روايات الإمام زين العابدين (عليه السلام) والإمام الصادق (عليه السلام) السابقة ، فضلاً عن روايات الإمام علي (عليه السلام) نفسه في كيفية إسلامه .

ولو تأملنا العبارة الأخيرة الواردة في هذه الرواية : "فأصبح غادياً إلى رسول الله فأسلم" نرى الضعف فيها شاخصاً ، لان علياً (عليه السلام) كان إذ ذاك في بيت النبي نفسه ، فكيف يصبح غادياً إلى رسول الله وهو معه في بيت واحد !! وهذا هو حال الرواة عندما يضعون الروايات لا يرون أو لا ينتبهون إلى ما فيها من تناقض. أما بخصوص ما ورد في الرواية من ان الرسول (صلى الله عليه وآله) يطلب من الإمام علي (عليه السلام) ان يكتم الأمر إذا لم يسلم ، فهذا كلام لا يختلف فيه اثنان في انه لا يستحق المناقشة ، ولا يتناسب وموقف الإمام علي (عليه السلام) من الإسلام.

المرحلة السرية :

يبدو ان تسمية السنوات الثلاث الأولى بـ(المرحلة السرية) هي تسمية غير دقيقة ، فقد اتفق المفسرون والمحدثون على ان آيات : « ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [1] نزلت بمكة بعد أن نبئ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بثلاث سنين ..."[2] فبدأ النبي (صلى الله عليه وآله) مرحلة جديدة هي مرحلة الإعلان والصدع بالدعوة لكل الناس ، بعد ان كفاه الله تعالى شر المستهزئين[3] وأزالهم عن طريقه. فإذا كانت هذه المرحلة – أي المرحلة التي سبقت الإعلان والصدع – هي مرحلة سرية كما تذكر المصادر ، فالسؤال هنا: بماذا كانوا يستهزئون ؟ وهي مرحلة سرية ، فهذا دليل على ان الدعوة لم تكن سرية في السنوات الثلاث الأولى ، لأن المستهزئين كانوا يتعرضون للنبي (صلى الله عليه وآله) ، والاستهزاء كان حاصلاً نتيجة لعمل معلن أمام الناس قام به محمد (صلى الله عليه وآله) أدى إلى ان يستهزئ هؤلاء بهذا العمل ، ولابد لهذا العمل ان يكون

١- الحجر : ٩٤-٩٥.
٢- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٣٧٧.
٣- المستهزئون برسول الله (صلى الله عليه وآله) خمسة : الوليد بن المغيرة ، والد خالد بن الوليد والعاص بن وائل السمهي والد عمرو بن العاص ، والأسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى بن قصي القرشي ، والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة القرشي، والحارث بن أبي الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عبد بن نمر بن ملكان. ينظر : خليفة بن خياط ، طبقات خليفة ، ص٤٤ ؛ ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ج٣ ، ص٣٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٧٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٨٠ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٤٦٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٨ ، ص١٢٢.

خاصاً بالدعوة وليس غيرها ، وإلا لما كانوا يستهزئون إذا كان عملاً عادياً.

إذن : أوضح النص القرآني ، ان هذه المدة لم تكن سرية ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، ولكن يبدو ان اقتصار الدعوة من نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) على المقربين والموثوق بهم ، واعتماده حالة الاختفاء والحذر الشديد تحسباً للمفاجئات كان هو الأسلوب المتبع من النبي (صلى الله عليه وآله) ، وليس السرية والكتمان.

ويؤيد ذلك ما ورد عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بخصوص هذه المدة ، فقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : "ما أجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة (عليها السلام) ، ولقد مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب ويخاف قومه والناس"[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة بعد ما جاءه الوحي – عن الله تبارك وتعالى – ثلاث عشرة سنة ، منها ثلاث سنين مستخفياً خائفاً لا يظهر حتى أمره الله ان يصدع بما يؤمر به ، فأظهر الدعوة حينئذ»[2].

يقول الغروي[3] : «لا خلاف في نزول آيات عديدة من القرآن الكريم قبل نزول سورة الحجر التي أواخرها قوله سبحانه ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4] وهي السورة الرابعة والخمسون في ترتيب النزول ، وقبلها في النزول سورة الشعراء وهي السابعة والأربعون التي في أواخرها قوله سبحانه : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[5] لا نجد في كل ذلك ما يتناسب ومرحلة الكتمان ، بل من خصائص السور المكية – ومنها هذه السورة – خطابها المشركين وجدالها معهم في شركهم وكفرهم وجحودهم للمبدأ والمعاد ، مما لا يتناسب بظاهره مع الكتمان وإنما الإعلان».

ويقول العلامة الطباطبائي[6] في تفسير قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ «الآية تقبل الانطباق على ما ضبطه التاريخ ان النبي (صلى الله عليه وآله) اكتتم في أول

١- الصدوق ، كمال الدين ، ص٣٢٨.
٢- الطوسي ، الغيبة ، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي احمد ناصح ، ط١ ، (مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ، ص٣٣٣.
٣- موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٣٦٥-٣٦٦.
٤- الحجر : ٩٤.
٥- الشعراء : ٢١٤.
٦- تفسير الميزان ، ج١٢ ، ص٩٥.

البعثة لا يعلن دعوته ، لاشتداد الأمر عليه ، فكان لا يدعو إلا آحاداً ممن يرجو منهم الإيمان ، يدعوهم خفية ويُسِّر لهم الدعوة ، حتى أذن له ربه في ذلك وأمره ان يعلن دعوته".

ومما يؤيد هذا الرأي الرواية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله : "اكتتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة سنين ليس يظهر ، وعلي معه وخديجة ، ثم أمره الله ان يصدع بما يؤمر فظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب..."[1].

فهذه الرواية والروايات السابقة الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بشأن هذه المرحلة لم تُشِر إلى السرية التامة ، ودليل ذلك ان هذه الروايات أشارت إلى الوحي وبداياته ، وما رافقه من مجادلات كلامية ، ومنها موقف ورقة بن نوفل ، وهذه المجادلات بقيت عالقة في أذهان الجميع حينذاك ، فأي سرية تتحدث عنها؟ ثم ان روايات الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) أشارت إلى مواقف علي (عليه السلام) وخديجة (عليها السلام) وصلاتهما بالنبي في بدء الدعوة أمام الناس ، فأين السرية إذن؟

ولا يوافق السيد مرتضى العاملي[2] على استعمال مصطلح (الفترة السرية) فيقول: «ان النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن حينما بعث مأموراً بدعوة عموم الناس...ولكنه كان يعرض هذا الدين بصورة طوعية وعفوية ، ومن دون ان يوجه الأنظار إلى ذلك ، فكان هناك أفراد يسلمون تباعاً. وقد كان هذا الأسلوب في تلك الفترة ضرورياً من اجل الحفاظ على مستقبل الدعوة ، حتى لا تتعرض لعمل مسلح يقضي عليها في مهدها ، إذ لابد من إيجاد ثلة من المؤمنين ، ومن مختلف القبائل يحملون هذه العقيدة ويدافعون عنها ، حتى لا يبقى مجال لتصفيتهم السريعة والحاسمة من أعدائهم الأشرار ، كما انه (صلى الله عليه وآله) أراد ان لا تهدر الطاقات ، وتذهب الجهود سدى ، وينتهي الأمر إلى تمزق...".

وبعد انتهاء هذه السنوات الثلاث بدأت مرحلة جديدة وخطيرة ، وهي مرحلة الدعوة العلنية الفعلية ، أي ان الإعلان في هذه المرة يكون مقترناً بالإجراء ، وبعبارة أخرى فان العمل سيكون وفق النص القرآني الذي أمر بهذا العمل (التحول في الدعوة من النظرية إلى التطبيق)

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٥٢.
٢- الصحيح من السيرة ، ج٢ ، ص٣٤٣.

وهذا بلاشك يحتاج إلى جهود كبيرة في مجتمع كانت المعايير فيه تقوم على أساس الوجاهة والشرف ، وتتمثل هذه الوجاهة بكثرة المال وكثرة الأولاد ، لهذا نرى ان الوليد بن المغيرة الذي كان أحد هؤلاء المستهزئين وقف ضد نجاح هذه الدعوة بكل ما أوتي من مكر ودهاء ، وما يمتلكه من مؤهلات المال والأولاد ، فالوليد بن المغيرة وفق معطيات بيئته كان من الزعماء المكيين الكبار ، لذا نجده يصف محمداً (صلى الله عليه وآله) بالساحر! وتنقل المصادر[1] : انه استمع لمحمد (صلى الله عليه وآله) وهو يتلو عليه بعض سور القرآن ، وتأثر بما سمع ، وعرف انه لا يمكن ان يكون من كلام محمد (صلى الله عليه وآله) ، وكان قاب قوسين أو أدنى لتحكيم عقله بما يسمع وبمعتقداته ، ولو فعل لتوصل للحقيقة وأسلم ، ولكنه تراجع عن السماح لعقله بان يدله على الحق ، واختار التمسك بالموروث ، ولكي يبرر لنفسه رفض الحق ، قام بمهاجمته ، واتهم محمداً (صلى الله عليه وآله) بالقدرة على قول كلمات تسحر العقل وتفقد المرء السيطرة عليه ، وإتباع الساحر في كل ما يقول. وبما ان قريش تؤمن بوجود الله ، فلا يمكن ان يعترف هذا القرشي بان ما سمعه منزل من الله ، لانه لو فعل لألزم نفسه بالإيمان به.

قال ابن الأثير[2] : «...كان الوليد بن المغيرة...هو الذي جمع قريشاً وقال ان الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد فتختلف أقوالكم فيه فيقول هذا ساحر ويقول هذا كاهن ويقول هذا شاعر ويقول هذا مجنون وليس يشبه واحداً مما يقولون ولكن أصلح ما قيل فيه ساحر ، لانه يفرق بين المرء واخيه وزوجته».

إن الصراع مع قريش بدأ بهؤلاء المستهزئين ، والصراع مع قريش كان في بدايته صراعاً فكرياً ، لان التصديق بمحمد (صلى الله عليه وآله) يعني ان موروث قريش الذي سار عليه الآباء والأجداد غير صحيح ، والفكر العربي القبلي الذي كان سائداً في مكة ، كان يميل إلى تقديس ما كان يعمله الآباء والأجداد ، لا لشيء سوى مجرد انهم آباء ، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

١- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٧١ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٨٠ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٤٦٠.
٢- الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٧١.

شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾[1] فكان الإنسان العربي في الجاهلية يتحرك من عاطفة ساذجة وعصبية ذاتية تدفع الإنسان إلى تقديس الماضي الذي ينتسب إليه في عاداته وتقاليده وأفكاره ومقدساته ، ما يجعل من ذلك أساساً للقناعة الفكرية والسلوك العملي في ما يتفق معه ، وللرفض الفكري والعملي في ما يختلف عنه ، بالمستوى الذي لا يقبل أي حوار أو نقاش حول تلك القضايا ، وكأنها من المسلمات والبديهيات الفكرية. وهذا يعني ان اعتراف قريش بما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) ، يعني الاعتراف بضلالها ، وان آلهتها لا تنفع ولا تضر ، وانهم وآباءهم لا يفقهون ولا يعرفون الحق من الباطل ، وان محمداً (صلى الله عليه وآله) جاء ليعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. وهذا هو جوهر المشكلة في صراع النبي (صلى الله عليه وآله) مع قريش.

إن أساس الصراع بين قريش من جهة ، والنبي محمد (صلى الله عليه وآله) من الجهة الأخرى هو التضاد الفكري القائم على أساس التمايز الطبقي والاجتماعي في مكة ، فالوضع في مكة قبل البعثة كان قد أفرز فئة من المتسلطين المتألهين من أصحاب النفوذ والمال والثروة الكبيرة ، يقابلها فئة أخرى من المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة سوى الانصياع لأوامر الفئة الأولى المتسلطة والمتحكمة في حياتهم اليومية اقتصادياً واجتماعياً. وقد سخر المجتمع المكي هذه الفئة المستضعفة لخدمة الفئة الأولى.

وعندما جاء الإسلام اختلت المعادلة ، فقد توعد الله عز وجل هؤلاء المستكبرين بالعذاب يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ۞ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى ۞ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[3].

وأصبح للمستضعفين قائد موجه يدعوهم للانتفاضة ضد السلاطين المتألهين ، وقد رأى هؤلاء المستضعفون في القائد الجديد الإنقاذ والخلاص من قيود العبودية والأغلال ، لان القرآن الكريم أوضح ان هؤلاء السلاطين استغلوا الضعفاء من الناس وأضلوهم عن سبيل

١- البقرة : ١٧٠.
٢- سبأ : ٣٤-٣٥.
٣- النازعات : ٣٧-٣٩.

الهداية ، وبذلك حكموا على أنفسهم باستحقاق عذاب جهنم ، فانضم المستضعفون بسرعة متزايدة للدين الإسلامي من أجل الخلاص والتحرر من العبودية[1].

ولكن الأمر ليس بهذه السهولة ، فالزعماء المكيون الكبار وقفوا بوجه هذا المد الإسلامي القادم ، وهو ما أوضحه القرآن الكريم وأكدته العديد من آياته ، لأنّ من سمات فئة الزعماء المترفين الحرص على بقاء الأوضاع القائمة في مجتمعهم ورفضهم لدعوات التغيير ؛ لارتباط مصالحهم الخاصة بتلك الأوضاع ، وبذلك تحكم على المجتمع بالجمود والتحجر. قال تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ۞ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾[2].

وهكذا بدأت المواجهة وبدأ الصراع ، وكسر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) جدار الصمت ليعلن دعوته العامة الناس جميعاً ، ولا يهمه منطق المستكبرين ، ولما شكا علقمة بن الحضرمي إلى الإمام الصادق (عليه السلام) ألسنة الناس ، وفي إطار دفاعه عن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) عامة ، ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رضا الناس لا يملك ، وألسنتهم لا تضبط ، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام ؟! ألم ينسبوا إلى نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) انه شاعر ومجنون ؟!..."[3]. وفي هذه الرواية إشارة واضحة إلى رفض الإمام الصادق (عليه السلام) ما دار من حوار بين قريش والوليد بن المغيرة حول نسبة نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) إلى الجنون أو الشعر.

وأشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى تفاصيل أحداث العناية الإلهية التي تكفلت بالقضاء على المستهزئين الخمسة وهلاكهم ، وإزاحتهم عن الوقوف بوجه الدعوة الإسلامية المباركة ، فقد أورد الطبرسي[4] عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قد قرأ التوارة والانجيل والزبور وصحف الأنبياء عليهم السلام وعرف دلائلهم ،

١- الملاح ، هاشم يحيى ، الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م) ، ص١٢٣.
٢- الزخرف : ٢٢-٢٤.
٣- الصدوق ، الامالي ، ص١٦٤ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، ج١٦ ، ص٣٣١ ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج٢ ، ص١٠٠.
٤- الاحتجاج ، ج١ ، ص٣١٤ و٣٢٢ و٣٣٥ ؛ وينظر : السيوطي ، الدر المنثور ، ج٤ ، ص١٠٧.

جاء إلى مجلس في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وفيهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) ... فقال: يا أمة محمد ! ما تركتم لنبي درجة ، ولا لمرسل فضيلة ، إلا وقد انحلتموها نبيكم ، فهل تجيبوني عما أسألكم عنه ، فكاع القوم عنه[1]. فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام): نعم ما أعطى الله نبياً درجة ، ولا مرسلاً فضيلة ، إلا وقد جمعها لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وزاد محمداً على الأنبياء أضعافاً مضاعفة. فقال له اليهودي: هل أنت مجيبي ؟ قال له : نعم ، سأذكر لك اليوم من فضائل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يقر الله به عين المؤمنين ، ويكون فيه إزالة لشك الشاكين في فضائله (صلى الله عليه وآله)...فقال له اليهودي: إني أسألك فأعد له جواباً...قال له علي (عليه السلام) : هات ، قال اليهودي : لقد انتقم الله عز وجل لموسى بن عمران من فرعون ؟ قال له (عليه السلام) : لقد كان كذلك ، ولقد انتقم الله جل اسمه لمحمد (صلى الله عليه وآله) من الفراعنة ، فأما المستهزئون فقال الله : (إنا كفيناك المستهزئين) فقتل الله خمستهم ، كل واحد منهم بغير قتلة صاحبه في يوم واحد.

فأمّا الوليد بن المغيرة فمر بنبل لرجل من خزاعة قد راشه[2] ووضعه في الطريق فأصابه شظية منه ، فانقطع أكحله حتى ادماه ، فمات وهو يقول : قتلني رب محمد[3].

وأما العاص بن وائل السهمي ،فإنه خرج في حاجة له إلى موضع فتدهده[4] تحته حجر ، فسقط فتقطع قطعة قطعة ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد[5].

وأما الأسود بن يغوث فأنه خرج يستقبل ابنه زمعة ، فاستظل بشجرة ، فأتاه جبرئيل فأخذ رأسه فنطح به الشجرة ، فقال لغلامه : امنع هذا عني ! فقال : ما أرى أحداً يصنع شيئاً

١- كاع القوم عنه : هابوه وجبنوا. ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص١٢٩ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٤ ، ص١٨٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص٣١٢ ؛ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ/ ١٣٢٠م) ، مختار الصحاح ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٣٠٠.

٢- راش السهم : ألزق عليه الريش ، ويقال راشه يريشه إذا أحسن إليه. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٦ ، ص٢٥٣ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص٢٨٨ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٣١٠ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩ ، ص١٢٥.

٣- الصنعاني ، تفسير القرآن ، تحقيق: مصطفى مسلم محمد ، ط١ ، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ج٢ ، ص٣٥١ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص٤٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٢٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥١.

٤- تدهده : تدحرج ، فيقال : تدهده الحجر ، أي تدحرج وهو على وزن تفعلل. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج٨ ، ص٢١٦ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١ ، ص١٤٩.

٥- ابن حبيب البغدادي ، كتاب المحبر ، ص١٥٨ ؛ السمرقندي ، تفسير السمرقندي ، ج٢ ، ٢٦٣ ؛ السمعاني ، تفسير السمعاني ، ج٣ ، ص٣٧٥ ؛ محمديان ، محمد ، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) عن لسانه ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ج٣ ، ص٢٧٥.

إلا نفسك ، فقتله وهويقول : قتلني رب محمد[1].

وأما الأسود بن الحارث فان النبي (صلى الله عليه وآله) دعا عليه ان يعمي الله بصره ، وان يثكله ولده ، فلما كان في ذلك اليوم خرج حتى صار إلى موضع أتاه جبرئيل بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي ، فبقي حتى أثكله الله ولده[2].

وأما الحارث بن أبي الطلاطلة فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً ، فرجع إلى أهله فقال : أنا الحارث ، فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد[3].

وروي ان الأسود بن الحارث أكل حوتاً مالحاً فأصابته غلبة العطش ، فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه ، فمات وهو يقول: قتلني رب محمد[4].

كل ذلك في ساعة واحدة ، وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا له: "يا محمد ننتظر بك إلى الظهر ، فان رجعت عن قولك وإلا قتلناك ، فدخل النبي (صلى الله عليه وآله) منزله فأغلق عليه بابه مغتماً لقولهم ، فأتاه جبرئيل عن الله من ساعته فقال: يا محمد ! السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول لك : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[5] يعني أظهر أمرك لأهل مكة ، وادعهم إلى الإيمان ، قال: جبرائيل كيف أصنع وما اوعدني ؟ قال له: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[6] قال: يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي ، قال: كفيتهم ، وأظهر أمره عند ذلك...فقال اليهودي : فإني أشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وأشهد أنه ما أعطى الله نبياً درجة ولا مرسلاً فضيلة إلا وقد جمعها لمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وزاد محمداً على الأنبياء أضعاف ذلك درجات"[7].

١- البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٨ ؛ ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ج٣ ، ص٣٧٥ ؛ الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص١١٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٤٧ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٥١٤ ؛ الشوكاني ، فتح القدير ، ج٣ ، ص١٤٤ ؛ مجموعة مؤلفين (لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)" ، موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ، ط١ ، (مطبعة اسوة ، طهران ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٢٠٦ وما بعدها.

٢- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٢٤ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥١.

٣- ابن حبيب ، كتاب المحبر ، ص١٥٨ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص٤٦ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٤٧ ؛ مجموعة مؤلفين ، موسوعة الإمام الحسين (عليه السلام) ، ص٢٠٦ وما بعدها.

٤- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٣٣٤ ؛ الشوكاني ، فتح القدير ، ج٣ ، ص١٤٤ ، محمد محمديان ، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ج٣ ، ص٢٧٥.

٥- الحجر : ٩٤.

٦- الحجر : ٩٥.

٧- الطبرسي ، الاحتجاج ، ج١ ، ص٣٣٥.

ثانياً : الدعوة العامة وبدء الصراع مع قريش :

بعد نزول قوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] بدأت مرحلة جديدة من مراحل نشر الدعوة الإسلامية ، وهي مرحلة التبليغ العلني والمواجهات مع قريش.

وبعد نزول هذه الآية الكريمة أورد ابن اسحاق[2] وغيره[3] ، حديث الإنذار ، أو حديث الدار. ودعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ضوء هذا الحديث رجال عشيرته إلى الإسلام.

ولم يعثر الباحث – في حدود عمله القاصر – على رواية أو حديث يخص حديث الإنذار منقول عن الإمام الصادق (عليه السلام) أو الأئمة الأطهار الآخرين (عليهم السلام) ، سوى ما نُقل في العديد من المصادر الإسلامية[4] عن الإمام علي (عليه السلام) وروايته لهذا الحديث.

ويبدو للباحث ان هذا الحديث بحكم شهرته ولأنه منقول عن الإمام علي (عليه السلام) وهو المعني بالحديث ومضمونه ، اكتفت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بما روي عن الإمام علي (عليه السلام) نفسه ، أو ان المصادر الإمامية لم تنقله برواية الأئمة (عليهم السلام) للسبب نفسه.

وملخص الحديث : ان علياً (عليه السلام) قال : "لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال لي : يا علي ان الله تعالى أمرني ان أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ على ذلك ، فجاءني جبرئيل فقال: يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك! فاصنع لنا يا علي صاعاً[5] من طعام واجعل عليه رجل شاة ، واملأ لنا عُساً[6] من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم أجمع ، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة والعباس وأبو لهب ... فلما اجتمعوا له

١- الشعراء : ٢١٤.
٢- السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٢٦.
٣- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٦٢ ؛ جامع البيان ، ج١٩ ، ص١٤٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٧ ، ص١٦٣ ؛ ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج١ ، ص٣٠٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦١ ؛ الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٥ ، ص٣٣٥.
٤- الطوسي ، الامالي ، ص٥٨٢ ؛ الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص٢٨٠ ؛ الحاكم الحسكاني ، عبيد الله بن احمد الحنفي النيسابوري (ت ق٥هـ/ ١١م) ، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ، طهران ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) ، ج١ ، ص٤٨٦ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٢ ، ص٥٦٢ ؛ ج١٣ ، ص١٣١.
٥- الصاع: مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة امداد. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٨ ، ص٢١٤ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١١ ، ص٢٩٢.
٦- القدح الضخم الذي يوضع فيه اللبن. ينظر : الفراهيدي ، العين ، ج١ ، ص٧٤.

دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، فجئت به...ثم تكلم رسول الله فقال : يا بني عبد المطلب إني – والله – ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله عز وجل ان ادعوكم إليه ، فأيكم يؤمن بي ويؤازرني على أمري فيكون أخي ووصيي ووزيري وخليفتي من بعدي ؟

فأمسك القوم واحجموا عنها جميعاً ، فقمت...فقلت : أنا – يا نبي الله – أكون وزيرك على ما بعثك الله به. فأخذ بيدي ثم قال: ان هذا أخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم فاسمعوا وأطيعوا...فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع»[1].

إن دعوة العشيرة الأقربين هو الأسلوب الأمثل لنشر الدعوة ، وهو المسار الطبيعي لها في محيطها ، مادام ان دعوة الأقربين هي التي تحقق الثبات والقوة والطمأنينة ، والثقة في أكثر من اتجاه ، وهي على الأقل تمنحه الفرصة لاكتشاف مواضع القوة والضعف في الدعائم الداخلية التأسيسية ، ورصد مواضع القوة والصلابة فيها.

ومن جهة أخرى فإن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يعيش في مجتمع يقيم علاقاته على أساس قبلي. فحين يريد ان يقدم على مواقف أساسية ومصيرية ، وحين لا يكون هو نفسه يرضى بالاعتماد على القبيلة كعنصر فعال في حماية مواقفه ، وتحقيق أهدافه ، فأن من اللازم ان يتخذ من ذوي قرباه موقفاً صريحاً ، ويضعهم في الصورة الواضحة ، وان يهيئ لهم الفرصة ليحددوا مسؤوليتهم بحرية وصراحة وصدق ، بعيداً عن أي ضغط وابتزاز ، وهنا تبرز واقعية الإسلام في تعامله مع الأمور ، وفي معالجته للقضايا ، فأنه لا يرضى ان يستغل جهل الناس وبساطتهم ، وحتى أعرافهم الخاطئة التي ارتضوها لأنفسهم في تحقيق أهدافه[2].

ولكن حديث الإنذار المار الذكر – ورد بطريق آخر – عند بعض المصادر الإسلامية[3]

١ – فرات الكوفي ، تفسير فرات الكوفي ، ص٣٠٠ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٧ ، ص٣٥٦ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص١٤٤ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٣٦٣ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٥ ، ص١٧٣.

٢ – العاملي ، الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ، ج١ ، ص٣٠.

٣ – الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٥ ، ص١٩ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٢ ، ص٤١٢ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٨ ، ص٢٣٨ ؛ الكاساني ، بدائع الصنائع ، ج٧ ، ص٣٤٩ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٨ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٥٦ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٩٥ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٢٣.

، فالطريق الأول الذي ذكر ورد على لسان علي بن أبي طالب (عليه السلام) مسنداً إلى عبد الله بن عباس ، في حين ورد في الطريق الثاني عن أبي هريرة بالشكل الآتي : لما نزلت هذه الآية (وانذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قريشاً وعم وخص فقال: "يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فأني لا املك لكم ضراً ولا نفعاً ، يا معشر بني كعب بن لؤي...يا معشر قصي...يا معشر بني عبد مناف...يا بني عبد المطلب... في كلها يقول: أنقذوا أنفسكم من النار فأني لا املك لكم ضراً ولا نفعاً" ، وفي آخر الخبر قال: يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فأني لا املك لك ضراً ولا نفعاً ، إلا ان لكم رحماً وسأبلّها ببلالها!

ويعلق الغروي[1] على هذه الرواية بقوله: «فهذه الرواية أبعد ما تكون من الآية حيث تقول: إنه جعل يدعو قريشاً قبيلة قبيلة ، فكأن أبا هريرة يعمم الإنذار قريشاً عامة ، بينما الآية تصرح بالعشيرة الأقربين ، وهم أما بنو عبد المطلب أو بنو هاشم. وكأن أبا هريرة – أو من أجرى هذا الهراء على لسانه – كان ناظراً إلى هذا الإشكال بالخلاف بين عمل الرسول بالتعميم ومفاد الآية بالتخصيص ، فقال «وعمَّ وخصَّ» وهو لا يرفع الإشكال ، ثم كيف دعاهم فجمعهم فأنذرهم بهذا وكيف جمع معهم ابنته فاطمة وكم كان عمرها يومئذ ؟ وأين كان أبو هريرة يوم نزول الآية وقد أسلم قبل وفاة النبي ببضع سنين والخبر مقطوع عليه فهو مردود».

وقد صدرت دراسات كثيرة وبحوث مهمة ناقشت نقاشاً مستفيضاً حديث الإنذار أو حديث الدار ، وعالجت كل الثغرات والإشكالات الواردة في روايات المصادر المختلفة بشأنه يستطيع الباحث أو الدارس أو القارئ الاعتماد عليها عند الحاجة ، لهذا لم يتوسع في مناقشة الحديث تفصيلياً[2].

١- موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٣٨٥.

٢- للمزيد ينظر : الاميني ، الغدير ، ج٢ ، ص٢٨٣ ؛ مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين ، ج٢ ، ص٣٠١ ؛ معالم المدرستين ، ج١ ، ص٢٠٣ ؛ جعفر السبحاني ، سيد المرسلين دراسة تحليلية للشخصية والسيرة المحمدية في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية ، ط٤ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) ، ج١ ، ص٣٩٤ وما بعدها ؛ البدري ، سامي ، شبهات وردود ، ط٢ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٣ ، ص٢٤ ؛ العراقي ، آقا مجتبى ، أهمية الحديث عند الشيعة ، ط١ ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص١١٨ ؛ السيد علي الميلاني ، محاضرات في الاعتقادات ، ط١ ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ١٩٨١م) ، ج١ ، ص٩٩ وما بعدها ؛ العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج٣ ، ص٥٩ وما بعدها ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٣٧١ وما بعدها.

المواجهات بين قريش وأبو طالب :

انفرد اليعقوبي[1] بذكر معلومات تخص مواقف أبي طالب من الدعوة الإسلامية ، وذلك من خلال حديث الإنذار فذكر : «أنّ أبا طالب قال لأبي لهب : يا عورة ، والله لننصرنه ثم لنعيننه ، يا ابن أخي إذا أردت ان تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح».

ويبدو من الكلام الأخير الصادر عن أبي طالب ، ان قرار المواجهة مع قريش واستعمال الحزم ، أصبح أمراً واقعاً بعد هذه المرحلة.

ولكن هذا التصدي للقرشيين والوقوف بوجههم بكل حزم وشدة من أبي طالب جاء بعد فشل المفاوضات التي أجروها معه ، وكلها انتهت بالفشل الذريع ، لان المطالب القرشية كانت بعيدة عن الحق والمنطق .

فقد أشار ابن إسحاق[2] إلى ان أشراف قريش جاؤوا إلى أبي طالب وقالوا له: «إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما ان تكفه عنا ، وإما ان تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه».

وعندما فشلت هذه المحاولة من النيل من شخص الرسول (صلى الله عليه وآله) والقضاء على دعوته ، لجأوا إلى أسلوب جديد تمثل بأسلوب التهديد والوعيد ، وقالوا له: إن لم يكف ابن أخيك عن شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وشتم آلهتنا ، فلسوف ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين وانصرفوا.

وهنا طلب أبو طالب من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يبقي على نفسه وعليه ، ولا يحمله مالا يطيق ، فظن انه قد بدا لعمه فيه بداء ، وانه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه ، فقال له (صلى الله عليه وآله) : "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ،

١- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٧.

٢- السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٢٩ ؛ وينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧١ ، الطبري ، تاريخ الأمم ، ج٢ ، ص٦٤-٦٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٣ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٣١ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤١٦ ؛ المدني ، السيد علي خان (ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٩م) ، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات مكتب بصيرتي ، قم ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ، ص٤٣.

أو اهلك فيه ما تركته ، ثم استعبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا ابن أخي فأقبل إليه فقال: اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك أبداً ، ثم قال أبو طالب في ذلك شعراً :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فأمعن لأمرك ما عليك غضاضة ... أبشر وقر بذاك منك عيونا
وعرضت ديناً قد عرفت بأنه ... من خير أديان البرية دينا[1]

ويروي ابن إسحاق[2] محاولتهم الثالثة : «ثم ان قريشاً حين عرفت ان أبا طالب أبى خذلان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنا : يا أبا طالب قد جئناك بفتى قريش عمارة بن الوليد جمالاً وشباباً ونهادة ، فهو لك نصره وعقله ، فاتخذه ولداً لا تنازع فيه ، وخل بيننا وبين ابن أخيك ، هذا الذي فارق دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومه وسفه أحلامهم ، فإنما رجل لرجل لنقتله ، فان ذلك أجمع للعشيرة وأفضل في عواقب الأمور مغبة.

فقال لهم أبو طالب : والله ما أنصفتموني ! تعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابن أخي تقتلونه ! هذا والله لا يكون أبداً...فحقب الأمر عند ذلك وجمعت للحرب ، وتنادى القوم ونادى بعضهم بعضاً...".

ولجأ المشركون من قريش إلى عرض آخر عرضوه على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليحدوا من سير الدعوة الإسلامية ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "إن المشركين قالوا له أعبد

١ -الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٦٧ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٢٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٤ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٥٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص١٤٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٦٣ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٤ ، ص٣٨٦ ؛ العسكري ، نجم الدين ، أبو طالب حامي الرسول وناصره ، (مطبعة الآداب ، النجف ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) ، ص٢٦.

٢- السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٣٣ ؛ وينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٦٧ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٢٢٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص١٥٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٢٧ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٦٣.

معنا آلهتنا ونعبد معك إلهك عشرة أو أعبد معنا آلهتنا شهراً نعبد معك إلهك سنة فنزلت آية لا أعبد ما تعبدون يوماً ولا أنتم عابدون ما أعبد شهراً ولا أنا عابد ما عبدتم شهراً ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة"[1] وقال الحلبي[2] : «روى ذلك التقدير جعفراً رداً على بعض الزنادقة حيث قالوا طعناً في القرآن».

وروي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) انه اجتمعت قريش إلى أبي طالب ورسول الله (صلى الله عليه وآله) عنده ، فقالوا : "نسألك من ابن أخيك النصف – أي الإنصاف والعدالة – قال : وما النصف منه ؟ قالوا : يكف عنا ونكف ، فلا يكلمنا ولا نكلمه ، ولا يقاتلنا ولا نقاتله ، إلا ان هذه الدعوة قد باعدت بين القلوب وزرعت الشحناء ، وانبتت البغضاء ، فقال: يا ابن أخي أسمعت ؟ قال: يا عم لو أنصفني بنو عمي لأجابوا دعوتي وقبلوا نصيحتي ، ان الله تعالى أمرني ان أدعو إلى دينه الحنيفية ملة إبراهيم ، فمن أجابني فله عند الله الرضوان والخلود في الجنان ، ومن عصاني قاتلته حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فقالوا : قل له يكف عن شتم آلهتنا فلا يذكرها بسوء ، فنزل : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾[3] ، قالوا: إن كان صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر ، فإن وجدناه صادقاً آمنا به ، فنزل : ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] قالوا : والله لنشتمنك وإلهك ، فنزل : ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾[5] قالوا: قل له فليعبد ما نعبد ونعبد ما يعبد ، فنزلت سورة الكافرين ، فقالوا: قل له أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة؟ قال : بل إلى الناس أرسلت كافة ، إلى الأبيض والأسود ، ومن على رؤوس الجبال ، ومن في لجج البحار ، ولأدعون ألسنة فارس والروم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[6] فتجبرت قريش واستكبرت وقالت: والله لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا من أرضنا ولقلعت الكعبة حجراً حجراً ، فنزل: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾[7] وقوله : ﴿الَمْ

١- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص٤٨٨.
٢- المصدر نفسه والصفحة.
٣- الزمر : ٦٤.
٤- آل عمران : ١٧٩.
٥- ص : ٦.
٦- الأعراف : ١٥٨.
٧- القصص : ٥٧.

تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[1] فقال المطعم بن عدي[2] : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على أن يتخلصوا مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً. فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم علي ، فاصنع ما بدا لك ، فوثبت كل قبيلة على ما فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم والاستهزاء بالنبي (صلى الله عليه وآله) ، ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب منهم ، وقد قام أبو طالب حيث رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله والقيام دونه إلا أبا لهب كما قال الله : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[3]»[4]. وروى الكليني[5] بسنده عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا: ان ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا فادعه ومره فليكف عن آلهتنا ونكف عن إلهه. قال: فبعث أبو طالب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فدعاه فلما دخل النبي (صلى الله عليه وآله) لم ير في البيت إلا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى ثم جلس ، فخبره أبو طالب بما جاؤوا به فقال: أو هل لهم في كلمة خير لهم من هذا يسودون بها العرب ويطأون أعناقهم ؟ فقال أبو جهل: نعم وما هذه الكلمة ؟ قال: تقولون لا إله إلا الله. قال: فوضعوا أصابعهم في آذانهم وخرجوا وهم يقولون : ما سمعنا بهذه في الملة الآخرة ان هذا إلا اختلاق فأنزل الله في قولهم ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . . . إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾»[6].

وعند التدقيق في النصوص المتقدمة للائمة الأطهار (عليهم السلام) نرى ان مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تستعمل النص القرآني وتفسيره للكشف عن أحداث السيرة النبوية ، وهذه ميزة اختصت بها هذه المدرسة الكبيرة ، وكمثال آخر على ما رواه العياشي[7] عن الإمام الصادق

١- الفجر : ٥ ، الفيل : ١.
٢- المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، من قريش ، رئيس بني نوفل في الجاهلية وقائدهم في حرب الفجار ، وهو الذي أجار رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما انصرف عن أهل الطائف وعاد متوجهاً إلى مكة ، فتسلح المطعم وأهل بيته ، وادخلوا الرسول (صلى الله عليه وآله) مكة وطاف بالبيت وصلى عنده ، وكان أحد الذين مزقوا الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ، مات قبل وقعة بدر سنة ٢هـ/ ٦٢٣م. ينظر : ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص١٦٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص٧٩ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج٧ ، ص٢٥٢.
٣- الحج : ٤٠.
٤- الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٤ ؛ ابن شهراشوب ، المناقب ، ج١ ، ص٥٣ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٥ ، ص٨٧.
٥- الكافي ، ج٢ ، ص٦٤٩ ؛ وينظر : المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج١١ ، ص١٢٠ ؛ السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٧ ، ص١٨٦ ؛ ناصر الشيرازي ، الأمثل ، ج١٤ ، ص٤٤٦ ؛ الغروي ، موسوعة التاريخ ، ج١ ، ص٥٠٠.
٦- ص : ١-٧.
٧- تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٧٢.

(عليه السلام) قال : "إن عمار بن ياسر أخذ بمكة فقالوا له إبرأ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فبرأ منه ، فأنزل الله عذره : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[1] فهذه الآية نزلت في عمار وأصحابه».

وكان عمار بن ياسر من جملة المستضعفين الذين عذبتهم قريش حتى أعطاهم بلسانه ما أرادوا ، فقد روى الحميري[2] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "إن عمار بن ياسر اكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) عندها : يا عمار ان عادوا فعُد ، فقد أنزل الله عذرك : ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وأمرك ان تعود ان عادوا».

وكان يعذب مع عمار أبوه وأمه ، فمر بهم النبي (صلى الله عليه وآله) وهم يعذبون في الرمضاء فقال لهم : "صبراً يا آل ياسر فأن موعدكم الجنة". فمات ياسر بالعذاب ، وأغلظت امرأته القول لأبي جهل فطعنها في قبلها بحربة في يديه فماتت ، وهي أول شهيدة في الإسلام[3].

ومن المستضعفين الذين عذبوا بلال بن رباح الحبشي مولى أبي بكر ، وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضاً ، وكنيته أبو عبد الله ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهيرة يلقى في الرمضاء على وجهه وظهره ثم يؤتى بالصخرة العظيمة فتلقى على صدره ، ويقولوا له : «لا تزال حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى»[4].

ومنهم خباب بن الأرت ، وخباب تيمي ، فأخذه الكفار وعذبوه عذاباً شديداً ، فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ، ثم بالرضف وهي الحجارة المحماة بالنار ولووا رأسه فلم يجبهم إلى شيء مما أرادوا منه ، وهاجر وشهد المشاهد كلها ونزل الكوفة ، ومات سنة ست وثلاثين[5].

ومنهم صهيب الرومي ، ولم يكن رومياً وإنما نسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه ، وقيل لإنه كان أحمر اللون ، وكان ممن يعذب في الله فعذب عذاباً شديداً[6].

١- النحل : ١٠٦.

٢- قرب الإسناد ، ص١٢ ؛ ينظر : الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٢١٩ ؛ ابن إدريس الحلي ، مستطرفات السرائر ، ص٦٢٤ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٦ ، ص٢٢٥ ؛ الحسني ، دراسات في الحديث والمحدثين ، ص٣٢٧.

٣- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١ ، ص١٦١ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٣ ، ص٣٦٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٢٠ ، ص٣٦.

٤- بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٦ ؛ الزركلي ، الإعلام ، ج٢ ، ص٧٢.

٥- الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٤ ، ص٥٤ ؛ العسكري ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت٣٨٢هـ/ ٩٩٢م) ، تصحيفات المحدثين ، تحقيق: محمد أحمد منيرة ، ط١ ، (المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ، ج٢ ، ص٤٢٤ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٤٣٧.

٦- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٧.

ومنهم لبينة جارية بني مؤمل – حي من بني عدي – وكانت مسلمة ، كان يعذبها عمر بن الخطاب ، فكان يضربها حتى إذا مل ، قال : «إني اعتذر إليك ، إني لم أتركك إلا ملالة»[1].

وكان أبو جهل يأتي الرجل الشريف ويقول له: «أتترك دينك ودين أبيك وهو خير منك»؟ ويقبح رأيه وفعله ويسفه حلمه ويضع شرفه ، وان كان تاجراً يقول: «ستكسد تجارتك ويهلك مالك» ، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذب»[2].

إن ما قام به القرشيون من أساليب في تعذيب المستضعفين من المسلمين الأوائل ، كان يستهدف التأثير في شخص النبي (صلى الله عليه وآله) عله يتراجع أو ينهزم أمامهم. ولهذا نجدهم يغرون السفهاء والوضيعين في مكة لإيذاء الرسول (صلى الله عليه وآله). فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: "بينا النبي (صلى الله عليه وآله) في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد ، فألقى المشركون عليه سلا ناقة فملأوا ثيابه بها ، فدخله من ذلك ما شاء الله ، فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم ؟ فقال له: وما ذاك يا ابن أخي ؟ فأخبره الخبر ، فدعا أبو طالب حمزة ، وأخذ السيف وقال لحمزة : خذ السلا ثم توجه إلى القوم والنبي (صلى الله عليه وآله) معه ، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ، ثم قال حمزة : أمر السلا على سبالهم ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ، ثم التفت أبو طالب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا ابن أخي هذا حسبك فينا"[3].

وهكذا دافع أبو طالب عن رسالة التوحيد والدين والحق الذي جاء به النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وكان يقوم في سبيل قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء ، ويتحمل لتحقيق هذه الأهداف العليا كل تعب ونصب وعناء ، وقد انعكست هذه الحقيقة في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:

ليعلم خيار قريش أن محمداً نبي كموسى والمسيح ابن مريم[4]

١ – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٦٩ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٧٥ ؛ السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٩٣ ؛ العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج٣ ، ص٨٩ ؛ خلفيات كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام) ، ط٥ ، (دار السيرة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ج٢ ، ص٢٠.

٢ – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٧٠.

٣ – الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٩ ؛ هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، ص١٠٧.

٤ – الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٦٢٣ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٤ ، ص١٢١ ؛ السبحاني ، أضواء على عقائد الامامية ، ط١ ، (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، ص١١٦.

وقيل للإمام الصادق (عليه السلام) : "إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافراً ؟ فقال : كذبوا كيف يكون كافراً وهو يقول :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب»[1]

وخلاصة القول ، إن مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) العلمية الشاملة لكل أنواع العلوم ، ومنها علم السيرة النبوية ، امتازت هذه المدرسة في جانبها التاريخي خاصة بصحة الأخبار ووثاقتها ، ودقة المعلومات الممنهجة وبحسب الضوابط والمقاييس القرآنية والنبوية ، حملت صفة الأمانة العلمية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى . فظهر في هذه المدرسة الكبيرة الوجه الحقيقي للتاريخ العربي الإسلامي ، بعد أن ثبت ان ما خرج منها إلى الناس من أخبار صحيحة سبقت محمد بن إسحاق بأكثر من مئة عام.

لهذا كله كانت الأجدر والأولى بالإتباع واللجوء إليها لتنقية السيرة النبوية من الشوائب التي علقت بها.

١ - الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٨ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٤ ، ص٩٥.

المبحث الثالث :

الإسراء والمعراج :

الإسراء لغة : السير ليلاً ، ويقال : أسريت وسريت ليلاً ، والسراء : الكثير السرى بالليل ، وقوم سراة : جمع سري[1] .

أما اصطلاحاً فتعني السير من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى بلاد الشام حيث المسجد الأقصى.

المعراج لغة : العروج ، يعني الصعود ، عرج يعرج عروجاً ، ومنه المعراج[2].

أما اصطلاحاً : فتعني حركة النبي (صلى الله عليه وآله) من الأرض إلى السماء ، لذلك يقال : "الصلاة معراج المؤمن"[3] أي تصعد بالمؤمن إلى الذات الإلهية .

ويعد موضوع الإسراء والمعراج من الأحداث المهمة في السيرة النبوية لأنه يدخل في إطار العقيدة الإسلامية ، ويعد إحدى معاجز النبي (صلى الله عليه وآله) التي جاء بها لصدق نبوته.

وردت كلمة الإسراء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى . . . ﴾[4].

أما كلمة المعراج ، فلم ترد في القرآن الكريم ، ولكن استدل عليها من آيات سورة النجم : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً

١- ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص٣٨١ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٤١ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٩ ، ص٥١٥.
٢- ابن الأثير ، النهاية ، ج٣ ، ص٢٠٣.
٣- الكوراني ، فلسفة الصلاة ، ط٦ ، (دار الزهراء ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص٢٢.
٤- الإسراء : ١.

أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾[1]

إذن النص القرآني يتحدث عن حادثتين وليست حادثة واحدة ، فقد ذكر الإسراء بصورة منفصلة عن المعراج ، ويوضح النص القرآني بشكل حاسم ان الإسراء انتهى في المسجد الأقصى ، ولم يكن بعده سير ، ولا توجد إشارة في النص القرآني على الاستئناف المباشر لعملية العروج.

أما بالنسبة لسير الأحداث في السيرة النبوية فلم نرَ النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) تحدث في يوم من الأيام للمسلمين أو للمشركين عن حادثتين مشتركتين ووصف لهم عما حدث في الإسراء والمعراج معاً ، بل ان الروايات الإسلامية جميعها تشير إلى انه تحدث لهم (صلى الله عليه وآله) عن الإسراء فقط. لذلك كان دائماً يقول لهم عند الحديث معهم : "إنه لما أسري بي إلى السماء..."[2] ولا يشير إلى المعراج في حديثه بل انه لا توجد روايات تشير إلى انه تحدث للناس عن المعراج ، مما يؤكد أن الحادثتين منفصلتان الواحدة عن الأخرى.

وفي تفسير العياشي[3] ، عن هشام بن الحكم عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "لما أخبرهم انه أسري به قال بعضهم لبعض : قد ظفرتم ، فاسألوه عن أيلة[4] قال: فسألوه عنها ، قال: فأطرق فسكت فأتاه جبرئيل فقال: يا رسول الله ارفع رأسك فأن الله قد رفع لك أيلة وقد أمر الله كل منخفض من الأرض فارتفع ، وكل مرتفع فانخفض فرفع رأسه فإذا أيلة قد رفعت له ، قال فجعلوا يسألونه وهو ينظر إليها ، ثم قال: إن علامة ذلك عير لأبي سفيان يحمل براً ، يقدمها جمل أحمر مجمح تدخل غداً هذا مع الشمس فأرسلوا الرسل وقالوا لهم: حيث ما لقيتم العير فاحبسوه ليكذبوه بذلك قوله: قال فضرب الله وجوه الإبل فاقتربت على

١- النجم : ١-١٨.
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٧٠ ؛ البرقي ، المحاسن ، ج١ ، ص١٨٠ ؛ الطوسي ، الأمالي ، ص٦٤٢ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٣٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٧.
٣- العياشي ، ج٢ ، ص٢٧٨.
٤- أيلة : بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام ، واشتقاقها ذكر في اشتقاق إيلياء بعده. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٩٢.

الساحل وأصبح الناس فتشرفوا فقال أبو عبد الله فما رؤيت مكة قط أكثر متشرفاً ولا متشرفة منها يومئذ لينظروا ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : فأقبلت الإبل من ناحية الساحل فقال: يقول القائل : الإبل ، الشمس ، الإبل ، قال: فطلعتا جميعاً".

وفي رواية أخرى له (عليه السلام) قال : "أسري برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وصلى بها ورده فمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رجوعه بعير قريش وإذا لهم ماء في آنية وقد أضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه فلما أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لقريش إن الله عز وجل قد أسرى بي إلى بيت المقدس وأراني آثار الأنبياء (عليهم السلام) ومنازلهم وإني مررت بعير قريش في موضع كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فشربت ماءهم وأهرقت باقي ذلك الماء. فقال أبو جهل : قد أمكنتكم الفرصة منه فأسألوه كم الأساطين فيها والقناديل ؟ فقالوا يا محمد ان هاهنا من قد دخل بيت المقدس فصف لنا أساطينه وقناديله ومحاريبه ، فجاء جبرئيل (عليه السلام) فعلق صورة بيت المقدس تجاه وجهه ، فجعل يخبرهم ما يسألونه عنه ، فلما أخبرهم قالوا حتى يجيء العير ونسألهم عما قلت فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) تصديق ذلك ان العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فلما كان من الغد أقبلوا ينظرون إلى العقبة ويقولون هذه الشمس تطلع الساعة فبيناهم كذلك إذ طلعت عليهم العير حين طلع القرص يقدمها جمل اورق فسألوهم ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: لقد كان هذا ضل بعير لنا في موضع كذا وكذا ووضعنا ماء فأصبحنا وقد أهريق الماء فلم يزدهم ذلك إلا عتواً"[1].

وعند التدقيق في الروايتين السابقتين للإمام الصادق (عليه السلام) ، نرى ان الإمام (عليه السلام) حين يتحدث في روايته عن الإسراء لا يذكر معه المعراج ، بل يتحدث عن الإسراء كحالة منفصلة عن المعراج ، ومثلما أكد النص القرآني في سورة الإسراء أن الإسراء انتهى إلى المسجد الأقصى ولم يكن بعده سير أو استئناف إلى السماء ، كذلك نلحظ روايات الإمام الصادق (عليه السلام) تنحى المنحى نفسه ولا تشير إلى عروجه (صلى الله عليه وآله) إلى السماء بعد الإسراء مباشرة ، أي إن الإمام الصادق (عليه السلام) لم يتطرق في رواياته إلى أنه عرج به من هناك إلى السماء ، بل انه يتحدث (عليه السلام) عن الإسراء

١ – الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٦.

ووصول النبي (صلى الله عليه وآله) إلى بيت المقدس ثم رجوعه من هناك إلى مكة ومشاهدته قافلة العير التي وصفها للمشركين ، وما صادفه في الطريق. فلو كان المعراج حاصلاً مع الإسراء لكان الأجدر بهم ان يسألوه عن العروج إلى السماء فهو الأكثر غرابة من المسير إلى المسجد الأقصى ، والأكثر إعجازاً ، إلا ان الحوار كان بخصوص الإسراء فقط. مما يدل على ان الإسراء حادثة منفصلة وحدها . وهنا يحصل التوافق بين النص القرآني وروايات الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الأمر.

أما حادثة المعراج فهي الأخرى تعاملت معها روايات الإمام الصادق (عليه السلام) المعاملة نفسها ، وتحدث عنها (عليه السلام) بصورة منفصلة عن الحادثة الأخرى الإسراء ، ويمكننا ملاحظة ذلك عند ذكر الروايتين الآتيتين كمثال صريح على ذلك.

الأولى : روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "كان النبي (صلى الله عليه وآله) يكثر تقبيل فاطمة (عليها السلام) ، فعاتبته على ذلك السيدة عائشة ، فقالت : يا رسول الله إنك لتكثر تقبيل فاطمة ، فقال لها: إنه لما عرج بي إلى السماء مر بي جبرئيل على شجرة طوبى فناولني من ثمرها فأكلته ، فحول الله ذلك ماء إلى ظهري ، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها"[1].

وعند دراسة هذه الرواية وتدقيقها نرى أن الإمام الصادق (عليه السلام) حين تحدث عن تقبيل فاطمة (عليها السلام) ، والثمرة التي تناولها الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : "لما عُرج بي" ولم يقل : "لما أسري بي" وذلك لأن حادثة انعقاد النطفة حصلت في السماء ، أي في العروج ، وليس الإسراء.

الرواية الثانية : سأل أبو بصير الإمام الصادق (عليه السلام) وقال له : "جُعلت فداك ، كم مرة عرج برسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : مرتين..."[2].

إن هذه الرواية الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) التي تصرح بوقوع المعراج مرتين ، تتطابق وما ورد في النص القرآني وبالتحديد في الآية (١٣) من سورة النجم ، إذ قال سبحانه وتعالى: "ولقد رآه نزلة أخرى".

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢١٢ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٢٢ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٦ ، ص٣٧ ؛ ينظر: الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٥ ، ص٢٩٣ بسنده عن هشام عن أبيه عن عائشة.

٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٣ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٣ ، ص١٦٦ ؛ الحر العاملي ، الجواهر السنية ، (مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ، ص٢١٣.

نلحظ أيضاً ان سؤال أبي بصير كان عن المعراج فقط وليس عن الإسراء والمعراج مجتمعين ، مما يؤكد ان الإمام الصادق (عليه السلام) كان يتعامل معهما كحادثتين ، وهناك روايات أخرى للإمام الصادق (عليه السلام) تؤكد تعامله (عليه السلام) مع الإسراء والمعراج على انهما حادثتان منفصلتان.

أما الروايات الأخرى غير المنقولة عن الإمام الصادق (عليه السلام) فهي الأخرى تتحدث عن الإسراء بصورة منفصلة عن المعراج ، فعن السيدة عائشة قالت : "لما أسري برسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المسجد أصبح يتحدث للناس بذلك فارتد ناس ممن آمن وسعوا إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس. قال: أوقال ذلك ؟ قالوا : نعم ، قال : لئن قال ذلك لقد صدق..."[1].

وما ورد في المؤلفات الإسلامية يمكن الاستدلال منه على انفصال الحادثتين ، فالبخاري فرق بين الإسراء والمعراج فبوب لكل واحد منهما باباً خاصاً ، فقال: باب حديث الإسراء[2] ، ثم المعراج[3]. بينما جاء عند البلاذري[4] في موضوع واحد تحت عنوان باب قصة المعراج.

إذن النص القرآني والروايات السابقة والمصادر التي ذكرناها تشير إلى ان الإسراء غير المعراج ، أي انهما حادثتان منفصلتان ، ولكن اليد اليهودية جعلتهما حادثة واحدة لكي تعطي أفضلية للمسجد الأقصى على حساب المسجد الحرام ، وذلك لأن المعراج كحادثة مهمة في التاريخ الإسلامي لها خصوصية في العقيدة الإسلامية ، لأنها تثبت معجزة كبرى للرسول (صلى الله عليه وآله) ، فهي إذن أكثر أهمية من حادثة الإسراء ، لأن العروج يعني الصعود ولقاء الملائكة (عليهم السلام) ، وهو أكثر قدسية من الإسراء ، فالمكان الذي ينطلق منه العروج لابد وأن يكون أكثر قدسية من المكان الذي ينطلق منه الإسراء. والغاية من كل ذلك هو لإبراز الأثر اليهودي في الديانة الإسلامية.

وبالعودة إلى عدد مرات المعراج التي صرحت بها رواية الإمام الصادق (عليه السلام) السابقة

١- الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص٦٢ ؛ البغوي ، تفسير البغوي ، ج٣ ، ص٩٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص٥٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٤ ، ص١٥٥ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٩١.
٢- صحيح البخاري ؛ ج٤ ، ص٢٤٧.
٣- المصدر نفسه والصفحة.
٤- أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٢٥٥.

على أنها مرتان ، فإن هناك رواية أخرى منقولة عن الإمام الصادق ينقلها الصفار[1] على أنه عرج برسول الله (صلى الله عليه وآله) مئة وعشرين مرة. فقد ذكر الصفار عن يونس[2] عن صباح المزني[3] عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : "عرج بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلى السماء مئة وعشرين مرة ، ما من مرة إلا وقد أوصى الله النبي (صلى الله عليه وآله) بولاية علي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض".

وقد فسر المجلسي[4] التناقض بين هذه الرواية والروايات السابقة بقوله : «...يمكن رفع التنافي بين هذا الخبر – مرتين – وبين ... مئة وعشرين مرة بأن تكون المرتان في مكة ، والبواقي في المدينة ، أو المرتان إلى العرش ، والبواقي إلى السماء ، أو المرتان بالجسم والبواقي بالروح أو المرتان ما أخبر بما جرى فبهما والبواقي لم يخبر بهما». ويبدو ان هذا التفسير لا يغني ولا يسمن من جوع ، فان التناقض بين الروايتين يعني عدم حصول احدهما أي ان إحدى الروايتين غير صحيحة .

وعلى الأرجح ان رواية الصفار التي تشير إلى عدد مرات المعراج بمئة وعشرين مرة ، هي رواية ضعيفة الحجة والمنطق ، على الرغم من قوة سندها ، فصباح المزني ، كوفي ، ثقة[5] ، أما يونس فهو محط شكوك لأنه اسم مشترك بين جماعة حسب قول السيد الخوئي[6] ، ولا توجد تفاصيل كثيرة عنه سوى نقله للأحاديث والروايات.

أما سبب ضعف هذه الرواية ، فلأن ظاهرها الحديث عن عدد مرات المعراج ، لكن غايتها الأساسية هو الحديث عن الولاية. لذلك زُج هذا العدد الكبير من مرات العروج لكي يوضح بصورة غير مباشرة عدد وصايا الخالق بشأن الولاية ، بل ان الرواية تبالغ أكثر وتقول : «أوصى الله النبي (صلى الله عليه وآله) بولاية علي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض" ، وهو أمر يخالف المنهج القرآني ، هذا المنهج الذي يؤكد أداء الفرائض التي هي عماد الدين ، ولولاها لا يوجد أثر لهذا الدين ، ويخالف منهج الأئمة الأطهار (عليهم السلام) الذين قضوا حياتهم في تأدية هذه

١- بصائر الدرجات ، ص٩٩ ؛ وينظر : الصدوق ، الخصال ، ص٦٠١ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٣ ، ص٦٩.
٢- يونس : هذا مشترك بين جماعة ، ووقع بهذا العنوان في كثير من الروايات تبلغ ألف واثنين وخمسين مورداً. ينظر : السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج٢١ ، ص١٩٠-١٩٩.
٣- صباح المزني ، كوفي ، ثقة. ينظر : السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٠ ، ص١٠٤.
٤- بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٣٠٥-٣٠٦.
٥- السيد الخوئي ، معجم رجال الحديث ، ج١٠ ، ص١٠٤.
٦- المصدر نفسه ، ج٢١ ، ص١٩٠-١٩٩.

الفرائض. فقد كانت سيرتهم (عليهم السلام) عبارة عن تطبيق عملي وفعلي لهذه الفرائض. وفي هذا قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ان أبي حدثني عن أبيه، عن جده ، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : أعبد الناس من أقام الفرائض ..."[1] ، فهذا الحديث ينفي نفياً واضحاً رواية المائة والعشرين مرة التي أوصى بها بالولاية أكثر مما أوصى بالفرائض ، الأمر الذي ينفي أيضاً عدد مرات العروج المذكورة.

ثم إن هذه الرواية في متنها تصور ان الله جل وعلا تحدث مباشرة مع النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهذا نوع من التجسيم الذي يرفضه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لم يتحدث مباشرة مع الله بل رآه بقلبه ، لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[2] فالرؤية هنا ليست رؤية بصرية ، بل قلبية مفعمة بالإيمان وآيات الله الكبرى ، لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[3] وفي هذا المعنى قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال: ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره ، قال: وكيف رأيته ؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان"[4].

لقد كان من أخطر الدخلاء على التشيع جماعة تظاهروا بالولاء لأهل البيت (عليهم السلام) واندسوا بين الرواة وأصحاب الأئمة (عليهم السلام) مدة طويلة من الزمن استطاعوا فيها أن يتقربوا من الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) واطمأن إليهم جمع من الرواة ، فوضعوا مجموعة كبيرة من الأحاديث ودسوها بين أحاديث الأئمة (عليهم السلام) وانتشرت هذه الأحاديث في بطون الكتب وأصبحت من المسلمات. فهذه المرويات في كتب الشيعة في علي وبنيه الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لا تعبر عن رأي الشيعة ، بل إن بعضها يتنافى وأصول الإسلام والتشيع[5].

١- الصدوق ، الأمالي ، ص٧٢.
٢- النجم : ١١.
٣- النجم : ١٨.
٤- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٩٨.
٥- هاشم الحسني ، الموضوعات ، ص٣١٩.

أولاً : تاريخ الإسراء والمعراج :

لقد انطبع في أذهان الناس ان الإسراء والمعراج حادثة واحدة ، لذا استمر هذا الانطباع حتى في تحديد تاريخيهما.

وقد ظهرت عدة أقوال حول تاريخ الإسراء والمعراج ، وكان القول الذي صرحت به مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) يشير إلى أن الإسراء والمعراج حصلا في السنوات الأولى من المبعث النبوي ، ويستدل من رواية الإمام الصادق (عليه السلام) السابقة ، التي أشارت إلى الثمرة التي تناولها الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى إثرها انعقدت النطفة المباركة ، ان الإسراء والمعراج حصل في السنة الرابعة من المبعث النبوي ، فالمعروف ان السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) قد ولدت في السنة الخامسة من البعثة النبوية ، استناداً لرواية الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "ولدت فاطمة في جمادي الآخرة اليوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي (صلى الله عليه وآله) ، فأقامت بمكة ثماني سنين ، وبالمدينة عشر سنين"[1].

وذكر الكليني[2] قول الإمام الباقر (عليه السلام) : "ولدت فاطمة بنت بنت محمد (صلى الله عليه وآله) بعد مبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) بخمس سنين..."

فبالاستناد إلى أن ولادة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هو السنة الخامسة من المبعث النبوي ، فإن الإسراء والمعراج كانا قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر ، ولعله بسنة أو أكثر ، حتى أذن الله لتلك النطفة الطاهرة بالظهور والاستقرار في موضعها. وهكذا يصبح الرأي الأقوى أن الإسراء والمعراج استناداً إلى روايات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) قد حصل في السنة الرابعة من المبعث وهو أقوى الاحتمالات.

أما الرد على الروايات التي تقول ان الإسراء والمعراج قد حصل في السنة الحادية عشرة أو الثانية عشرة من المبعث أي قبل الهجرة إلى المدينة بقليل فنقول:

١ -إن سورة النجم التي استدل من آياتها على حصول المعراج قد نزلت بعد الهجرة إلى الحبشة بثلاثة أشهر ، وفي الحبشة حصلت فيها قصة الغرانيق المكذوبة والمحرفة[3] ، والهجرة

١ - الطبري ، دلائل النبوة ، ص٧٨.
٢ - الكافي ، ج١ ، ص٤٥٧.
٣- ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٥٦ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦ ؛ ينظر : سامي البدري ، المدخل إلى دراسة السيرة ، ص٥١ ؛=

إلى الحبشة إنما كانت في السنة الخامسة من البعثة[1]. فهذا يؤكد حصول المعراج قبل السنة الخامسة للبعثة ، فكيف يكون الإسراء والمعراج قد حدث في السنة الحادية عشر أو الثانية عشر للبعثة ؟

٢-عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صلى العشاء الآخرة وصلى الفجر في الليلة التي أسري به فيها بمكة"[2]. وروي انه فقده أبو طالب في تلك الليلة فلم يزل يطلبه ووجه بني هاشم وهو يقول: «يا لها من عظيمة ، إن لم أرَ رسول الله إلى الفجر ، فبينا هو كذلك إذ تلقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد نزل من السماء على باب أم هاني[3] فقال له: انطلق معي ، فأدخل بين يديه المسجد فدخل بنو هاشم فسل أبو طالب سيفه عند الحجر ثم قال: أخرجوا ما معكم يا بني هاشم ، ثم التفت إلى قريش فقال: والله لو لم أرهِ ما بقيت منكم عين تطرف ، فقالت قريش : لقد ركبت منا عظيماً»[4].

ويستفاد من هذه الرواية ، أن حادثة الإسراء والمعراج حصلت قبل وفاة أبي طالب ، والمعروف أن أبا طالب توفي في السنة العاشرة للبعثة[5] ، فكيف يكون الإسراء قد حصل في السنة الحادية عشر أو الثانية عشر ، بل الأكثر من ذلك ان الأحداث التي تذكرها الرواية المتقدمة تؤكد انها حدثت حتى قبل حصار قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب ، أي قبل السنة السابعة للبعثة[6] ، لأن حصار الشعب استمر ثلاث سنوات ، وانتهى في العام العاشر للبعثة كما سيأتي لاحقاً.

وقد اختلف المسلمون في كيفية حدوث الإسراء والمعراج ، فالأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على انه أسري بجسد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والأقلون قالوا : "إنه ما أسري إلا بروحه"[7].

=صادق النجمي ، أضواء على الصحيحين ، ص٢٠.

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص٣٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٦٢.

٢- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٧٩.

٣- ام هاني : واسمها فاختة ابنة أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وأمها فاطمة بنت أسد بن هاشم ، تزوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي واطعمها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خيبر أربعين وسقاً. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٤٧.

٤- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٦ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٩.

٥- الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣١٤ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٤٩٨.

٦- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص٢٠٨.

٧- الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٠ ، ص١٤٧ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١ ، ص٦٥ ؛ محمد رضا ، محمد (صلى الله عليه وآله) ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) ، ص١٣٤.

قال ابن اسحاق : «وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولكن الله أسرى بروحه"[1].

وقال أيضاً : «وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس[2]، ان معاوية بن أبي سفيان كان إذا سُئِل عن مسرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : كانت رؤيا من الله تعالى صادقة"[3].

إن الرأي الصحيح هو ما ذهب إليه معظم المسلمين وهو ان الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح[4].

وعند اللجوء إلى روايات الإمام الصادق (عليه السلام) يُزال اللبس الحاصل من جراء عدم وضوح الروايات الأخرى ، فبخصوص قول السيدة عائشة ، أجاب الإمام الصادق (عليه السلام) حين سأله علقمة قال : "يا علقمة إن رضا الناس لا يملك ، وألسنتهم لا تضبط ، فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام ؟! ... ألم ينسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) الكذب في قوله : إنه رسول من الله إليهم ؟ حتى أنزل الله عز وجل عليه ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[5] ولقد قال يوملًا: عرج بي البارحة إلى السماء فقيل : والله ما فارق فراشه طول ليلته»[6].

والذي يدل على انه تعالى أسرى بروح محمد (صلى الله عليه وآله) وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى ، هو قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[7]. فإن لفظ العبد اسم يطلق على مجموع الروح والجسد معاً ، فوجب ان يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الروح والجسد. ولو كانت مناماً لكان قال : بروح عبده ، وإلى روح عبده...والدليل

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٧٠.
٢- يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي ، مات سنة ثمان وعشرين ومئة. ينظر : الخزرجي الأنصاري ، خلاصة تهذيب الكمال ، ص٤٣٦.
٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٧١.
٤- الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٠ ، ص١٥١ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص١٠٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٣ ، ص٦٧ ؛ وينظر : الشلبي ، أحمد ، مقارنة الأديان - الإسلام ، ط٤ ، (مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص٦٩ ؛ العقيلي ، ثائر هادي رسن ، شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم - دراسة قرآنية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م ، ص٣٥٤.
٥- الأنعام : ٣٤.
٦- الصدوق ، الأمالي ، ص١٦٣.
٧- الإسراء : ١.

عليه قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾[1] ولاشك ان المراد هنا مجموع الروح والجسد[2].

ولما قص رسول الله (ﷺ) خبر الإسراء على جمع من قريش أعظم ذلك الإسراء وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه تعجباً ، فلو كان الإسراء رؤيا منامية لما كانت مستغربة ولما أحدثت تلك الضجة وكذبه المسلمون إلا من كان فيهم قوي العقيدة ثابت الإيمان[3].

ولا معنى لقول من أسري بروحه دون جسده (ﷺ) ، لان ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلاً على نبوته (ﷺ) ولا حجة على رسالته ، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك ، كانوا يدفعون به عن صدقه فيه ، إذ لم يكن منكراً عندهم وعند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم ان يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل[4].

أما حديث عائشة فليس بثابت ، لأنها لم تكن حينئذ زوجة له ، ولم تكن في سن يضبط ذلك ، ولعلها لم تكن قد ولدت[5]

ولو كان الإسراء مجرد رؤيا صالحة – كما قال معاوية – فلا يبقى فيه إعجاز ، ولما أنكره المشركون والمعاندون ، ولما ارتد ناس ممن كان قد أسلم[6].

ثانياً : روايات الإسراء والمعراج :

تعرضت حادثتا الإسراء والمعراج إلى التلاعب والتزوير والتضليل ، وذلك بوضع العديد من الروايات المكذوبة التي تهدف إلى تشويه الدين الإسلامي وإظهاره على أنه دين الغرائب والأساطير ، والغاية الأساسية من ذلك هو الحط من شأن هذا الدين العظيم.

ومما يؤسف عليه ان الأثر اليهودي واضح في هذه الروايات مثال ذلك رواية فرض

١- العلق : ٩-١٠.
٢- الرازي ، تفسير الرازي ، ج٢٠ ، ص١٥١ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٢٥ ؛ الشنقيطي ، أضواء البيان ، ج٣ ، ص٣ ؛ وينظر : الحسني ، سيرة المصطفى ، ص٢٣٦.
٣- محمد رضا ، محمد رسول الله (ﷺ) ، ص١٣٦.
٤- الوشنوي، محمد قوام ، حياة النبي (ﷺ) وسيرته، ط٢، (دار الاسوة للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج١، ص١٩٣.
٥- القاضي عياض ، الشفا بتعريف المصطفى ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٥ ، ص١٢٥.
٦- العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج٣ ، ص١٧.

الصلاة التي تصور لنا الفضل الكبير لموسى (عليه السلام) في عملية تغييرها من خمسين صلاة في اليوم الواحد إلى خمس صلوات ، وملخص القصة كما تلاقفتها المصادر الإسلامية[1] : «...إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد وصوله بيت المقدس صلى بجميع الأنبياء والمرسلين – وبالطبع منهم موسى (عليه السلام) – وعندما كان (صلى الله عليه وآله) يعرج إلى السماء كان بصحبة جبرئيل ، الذي كان يطرق باب كل سماء يصل إليها ، وعندما يطرق الباب كان يناديه أهل السماء من هذا ؟ فيقول : أنا جبرئيل ؛ فيقول له : ومن معك ؟ فيقول: محمد ، فيردون عليه: أوقد بعث؟! ، فيقول: نعم ... حتى وصل (صلى الله عليه وآله) إلى السماء السادسة ، ففتح فإذا بموسى (عليه السلام) يرحب به ويدعو له بالخير ، ثم يعرج بعدها إلى السماء السابعة ... فأوحى الله إليه (صلى الله عليه وآله) ما أوحى وفرض عليه كل يوم خمسين صلاة فنزل حتى انتهى إلى موسى (عليه السلام) ، ولم يلتق في طريق عودته بأي نبي آخر إلا موسى ، ولم يعترض أحد إلا موسى ، فقال له (صلى الله عليه وآله) : فرض الله عليَّ خمسين صلاة ، فقال موسى: يا محمد إني سبقتك إلى بني إسرائيل وخبرتهم ، وأمتك أضعف من أمتي ارجع إلى ربك واسأله التخفيف ، فعاد محمد (صلى الله عليه وآله) وكلم ربه ، فصيرها له خمساً وأربعين صلاة ، فقال له موسى الكلام السابق نفسه: ارجع واسأله التخفيف ، ورجع محمد (صلى الله عليه وآله) وفي كل مرة تخفف الصلاة بمقدار خمسة فقط ، وتكررت هذه الحالة تسع مرات ، وهكذا يصعد وينزل إلى ان انتهى الأمر إلى خمس صلوات ، فقال موسى : إنها كثيرة – حتى الخمس صلوات – فارجع واسأله التخفيف ، وهنا قال النبي (صلى الله عليه وآله) : لا ، استحي من ربي..." هذا ملخص ما ذكرته مؤلفاتنا الإسلامية.

يقول أحد الباحثين[2] : «وهذا الخبر فيه تسفيه للمسلمين ، في ما نسب إلى موسى انه قال لمحمد فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً ، وفيه تسفيه لمحمد الذي

١- الصنعاني ، تفسير الصنعاني ، ج٢ ، ص٣٦٩ ؛ ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٨ ، ص٤٤٤ ؛ ابن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، ج٣ ، ص١٤٩ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص٩٢ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ، ص١٠١ ؛ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج١ ، ص٤٤٨ ؛ النسائي ، سنن النسائي ، ج١ ، ص٢٢١ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٢ ؛ الطبراني ، مسند الشاميين ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، (مركز الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ج١ ، ص١٩٥ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١ ، ص٢٤٠ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص٥٤٣ ؛ علل الشرائع ، ج١ ، ص١٣٢ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٥-٥٩ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج٤ ، ص٤١ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج٢ ، ص٢١١ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٣ ، ص١١٢ ؛ السيد الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٣ ، ص١٦.

٢- ابن قرناس ، سنة الأولين : تحليل مواقف الناس من الدين ، ط٢ ، (منشورات الجمل ، العراق – ألمانيا ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م) ، ص٩٢٤-٩٢٥.

ليست لديه القدرة الذهنية لتقرير ماذا يفعل فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم".

وهذا الخبر يصور الله – تعالى عن ذلك علواً كبيراً – كأنه قرر فرض الصلاة بطريقة ارتجالية ، ولم يكن متأكداً من صواب قراره ، لأنه غير رأيه مراراً وتكراراً. بل إنه (سبحانه عما يصفون) لا يعلم إذا كان الناس يستطيعون القيام بالصلاة كما قرر في البداية أو لا ، حتى اهتدى بخبرة موسى نبي اليهود وحنكته في هذا المجال ، وكأن موسى مستشار إلهي يستشيره الله فيما لا يستطيع تقريره (تعالى الله عما يشركون).

ويجزم هذا الباحث أن هذه القصة مختلقة فيقول : "وإن مختلق القصة متأثر بالتراث اليهودي الذي يرى أن من المعتاد أن يتكلم الله جل وعلا مع موسى وجهاً لوجه ، كما ورد في كتابهم المقدس في عدة مواضع".

ولنا ان نسجل ونضيف أن هناك أموراً لا يقرها العقل ولا يقبلها المنطق ، ولا تثبت أمام النقد العلمي الموضوعي ، ولا تحتاج إلى عقل واسع وكبير لكي يفند حدوثها أو يؤكده ، ومن الممكن طرح هذه الأمور على شكل تساؤلات لكي تتضح الإجابة :

١-هل للسماوات أبواب مغلقة أو مقفلة حتى يطرق جبرئيل الباب ويقول له الملائكة : "من الطارق"؟

٢-وهل أهل السماء لا يعلمون بقدوم محمد (صلى الله عليه وآله) حتى يتفاجؤوا ويسألوا : "أوقد بعث" ؟ وكأنهم مندهشون من بعثته في تلك اللحظة.

٣-وحين يصل (صلى الله عليه وآله) إلى السماء السادسة ويلتقي بموسى (عليه السلام) الذي يتفاجأ هو الآخر بقدومه ويدعو له بالخير ، ألم يكن موسى (عليه السلام) معه في أثناء صلاته في بيت المقدس ، وصلى معه الصلاة الجماعية أول وصوله ، فهل نسي موسى (عليه السلام) بهذه السرعة حتى انه يشاركهم السؤال : أوقد بعث ؟

٤-كيف يعترض النبي موسى (عليه السلام) على أمر الله في مسألة الخمسين صلاة التي فرضها الله على عباده؟

٥-هل من المعقول ان الله جل وعلا لا يعلم ان الأمة لا تطيق الخمسين صلاة ، وموسى يعلم بذلك؟

٦-إذا كانت مصلحة الأمة الإسلامية في الخمسين صلاة ، فلماذا التخفيف إذن ، وإذا كانت المصلحة في الخمس صلوات فلماذا تفرض الخمسين صلاة أصلاً؟

٧-هل يعقل أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يلتفت إلى ثقل هذا التشريع ، وانتبه إليه موسى فقط؟

٨-لماذا يستمر الصعود والنزول عشر مرات ، لماذا لا يكون دفعة واحدة ؟

٩- قال السيد المرتضى[1] في معرض تعليقه على رواية الصلاة : «أما هذه الرواية فهي من طريق الآحاد التي لا توجب علماً ، وهي مع ذلك مضعفة».

١٠-وردت هذه القصة بالشكل الذي أشرنا إليه في العديد من المجاميع الحديثية الإمامية ، ومنقولة عن الإمام زين العابدين والإمام الصادق (عليهما السلام)[2] وفي هذا نقول : إن كل نص يخالف العقل والمنطق لا يمكن الاعتماد عليه ، والركون إليه ، وذلك بالاستناد إلى قاعدة الإمام الصادق (عليه السلام) التي تقول دائماً برفض ما يخالف القرآن والسنة والعقل والتي أشير إليها في مواضع عدة من هذا البحث.

ولابد من الإشارة أيضاً إلى ان وجود الكثير من الإسرائيليات في مجاميعنا الحديثية والمنسوبة للأئمة زوراً وبهتاناً ، أمر يسيء إلى المذهب إذا لم يوجد رد على رفضها وتضعيفها ، ومع أن الكثير من الكتابات رفضها الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أنفسهم ، إلا ان بعضهم مازال يرددها وكأنها حقائق ثابتة لا لبس فيها ، ومنها قصة الخمسين صلاة المذكورة. وهنا تكمن المشكلة إذ يرى خصوم المذهب ان هذه الأمور أصل من أصول هذا المذهب لأنها موجودة ، وموجود من يؤكدها ويدعمها.

من هنا يتضح ان الغاية اليهودية من صياغة الرواية بهذا السيناريو هي لإعطاء أفضلية

١- تنزيه الأنبياء ، ص١٢١.

٢- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٢ ؛ الصدوق ، الأمالي ، ص٥٤٣ ؛ علل الشرائع ، ج١ ، ص١٣٢ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٥٥-٥٩ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٣ ، ص١١٢.

لبني إسرائيل على الأمة الإسلامية ، حين إشارات الرواية إلى ان أمتك أضعف من أمتي ، أي ان الأمة الإسلامية أقل شأناً من الأمة اليهودية. أما الغاية الأخرى فهي تفضيل النبي موسى (عليه السلام) على النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

أما الغاية الثالثة ، وهي الأكثر تأثيراً في الفكر الإسلامي فهي إبعاد العقل العربي والفكر الإسلامي عن المضامين الحقيقية والأهداف الأساسية لهذه المعجزة الإلهية الكبيرة التي خص بها نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وإلهاء العقل العربي بالأساطير والغرائب والمعجزات البعيدة عن الواقع ، لاسيما ان العقل العربي مغرم بالحديث عن الأساطير والتصديق بها.

ولا يتسع المجال لدراسة الروايات التي تحدثت عن المعجزات الغريبة التي في الإسراء والمعراج وتحليلها التي امتلأت بها كتب الحديث والتاريخ والفقه والكتب الأخرى عند السنة والشيعة على السواء[1]. لذا اكتفى الباحث بذكر رواية الخمسين صلاة هذه كمثال صارخ على تلك الروايات الإسرائيلية.

ثالثاً : أهداف الإسراء والمعراج في روايات أهل البيت (عليهم السلام) :

القارئ لروايات أهل البيت (عليهم السلام) في الإسراء والمعراج يرى أن السبب في هاتين الحادثتين كما توضحها رواياتهم (عليهم السلام) ، هو مشاهدة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأسرار العظمة الإلهية في أرجاء عالم الدنيا والآخرة ، لاسيما العالم العلوي الذي يشكل مجموعة من براهين عظمته تعالى ، وتتغذى بهذه المشاهدة روحه (صلى الله عليه وآله) الكريمة ، وتحصل على نظرة وإدراك جديدين لهداية البشر وقيادتها. ويتضح هذا الهدف بشكل صريح في أقوال الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بهذا الشأن.

ومنها قول الإمام الصادق (عليه السلام) : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وأما الرد على من أنكر المعراج فقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾[2] ، فسدرة المنتهى في السماء السابعة ثم

١- النسائي ، سنن النسائي ، ج١ ، ص٢١٧ وما بعدها ، القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٤ وما بعدها ؛ الطبراني ، مسند الشاميين ، ج١ ، ص١٩٤ وما بعدها ، ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١ ، ص٢٣٦ وما بعدها ؛ الثعلبي ، تفسير الثعلبي ، ج٦ ، ص٦٢ وما بعدها ؛ البغوي ، تفسير البغوي ، ج٣ ، ص٩٤ وما بعدها ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٦ ، ص٢١٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٥١ وما بعدها ، ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٣ وما بعدها ؛ المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج٨ ، ص٢٧٦ وما بعدها ، العيني ، عمدة القاري ، ج١٧ ، ص٢١ وما بعدها ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٢٨٢ وما بعدها.

٢- النجم : ٧-١٥.

قال سبحانه : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[1]. وإنما أمر الله تعالى رسوله أن يسأل الرسل في السماء ، ومثل قوله : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾[2] يعني الأنبياء (عليهم السلام). هذا كله في ليلة المعراج[3].

ومثلما أشرنا إلى ان الإمام الصادق (عليه السلام) يستعمل تفسير الآيات القرآنية للكشف عن أحداث السيرة النبوية ، فقد أشار (عليه السلام) في تفسيره الآية (٤٥) من سورة الزخرف للكشف عن أسباب حادثتي الإسراء والمعراج وأهدافها. فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "أتى رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو في مسجد الكوفة وقد احتبى[4] بحمائل سيفه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن في القرآن آية قد أفسدت عليّ ديني وشككتني في ديني ، قال: وما ذلك ؟ قال: قول الله عز وجل : «واسأل من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون» فهل كان في ذلك الزمان نبي غير محمد (صلى الله عليه وآله) فيسأله عنه ؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : اجلس أخبرك به إن شاء الله. إن الله عز وجل يقول في كتابه : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾[5] فكان من آيات الله التي أراها محمداً أنه انتهى به جبرئيل إلى البيت المعمور وهو المسجد الأقصى ، فلما دنا منه أتى جبرئيل عيناً فتوضأ منها ، ثم قال : يا محمد توضأ ، ثم قام جبرئيل فأذن ، ثم قال للنبي : تقدم فصل واجهر بالقراءة فإن خلفك أفقاً من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله جل وعز ، وفي الصف الأول آدم ونوح وإبراهيم وهود وموسى وعيسى وكل نبي بعث الله تبارك وتعالى منذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعث محمداً فتقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فصلى بهم غير هائب ولا محتشم.

فلما انصرف أوحي إليه كلمح البصر : سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ، فالتفت اليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بجميعه فقال: بم تشهدون ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإنك رسول الله ... "[6].

١- الزخرف : ٤٥.
٢- يونس : ٩٤.
٣- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٢٩١.
٤- احتبى بالثوب : اشتمل به ، جمع بين ظهره وساقه بعمامة ونحوها. ينظر : محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٤٥.
٥- الإسراء : ١.
٦- الطبري الإمامي ، نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة عليهم السلام ، ط١ ، (مؤسسة الإمام المهدي ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٧٢ ؛ ابن طاووس ، كشف اليقين باختصاص مولانا علي (عليه السلام) أمير المؤمنين ، (مطبعة غونة ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٢٩٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٨ ، ص٣٩٤.

وفي أهداف الإسراء والمعراج سُئِل الإمام زين العابدين (عليه السلام) : "لِمَ أسري بنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) إلى السماء ؟ قال: ليريه ملكوت السماوات وما فيها من عجائب صنعه ، وبدائع خلقه ، قيل : فقول الله عز وجل : "ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى" قال: ذلك رسول الله دنا من حجب النور ، فرأى ملكوت السماوات ثم تدلى (صلى الله عليه وآله) فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه في القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى"[1].

وقد أثبتت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) أن رؤية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لملكوت السماء وعجائب صنع الخالق في أثناء رحلة المعراج ، كانت رؤية قلبية وهذه الرؤية تنفي بشكل قاطع صفة التجسيم لله عز وجل. فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته ؟ قال : فقال : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره. قال: وكيف رأيته ؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان"[2].

وسُئِل الإمام الكاظم (عليه السلام) ، لأي علة عرج بنبيه إلى السماء ، ومنها إلى سدرة المنتهى ، ومنها إلى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك ... وسُئِل (عليه السلام) ، هل الله يوصف بمكان ؟ فقال (عليه السلام) : "إن الله لا يوصف بمكان ، ولا يجري عليه زمان ، ولكنه عز وجل أراد ان يشرف به ملائكته وسكان سماواته ، ويكرمهم بمشاهدته ، ويريه عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه ، وليس ذلك على ما يقوله المشبهون ، سبحان الله تعالى عما يصفون"[3].

وهكذا نفى الإمام الكاظم (عليه السلام) صفة التشبيه والتجسيم عن الله جل وعلا ، وأوضحت رواياتهم (عليهم السلام) الأهداف والأسباب لهاتين الحادثتين ، والتي تنسجم تماماً مع ما ورد في النص القرآني لها ، والتي وردت في الآية الأولى من سورة الإسراء لقوله تعالى : "لنريه من آياتنا" ، وفي سورة النجم في الآية (١٨) لقوله تعالى : "لقد رأى من آيات ربه الكبرى". لهذا قال الإمام

١- أبو حمزة الثمالي ، ثابت بن دينار الثمالي (ت١٤٨هـ/ ٧٦٥م) ، تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي حمزة الثمالي ، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين والشيخ محمد هادي معرفة ، ط١ ، (مطبعة الهادي ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٣١٥ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص٦٠.

٢- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٩٨.

٣- الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٣١-١٣٢.

الصادق (عليه السلام) : "من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا ، وعد المعراج أولها"[1] وعن الإمام الرضا (عليه السلام) قال : "من كذب بالمعراج فقد كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"[2].

١- الصدوق ، الأمالي ، ص٣٧٠ (المجلس التاسع والأربعون).
٢- الصدوق ، صفات الشيعة ، ص٥٠.

المبحث الرابع :

سيرته (صلى الله عليه وآله) من الهجرة إلى الحبشة حتى الهجرة إلى المدينة

أولاً : الهجرة إلى الحبشة ، الدوافع والأسباب والنتائج :

بدأت هجرة المسلمين إلى الحبشة بناءً على أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة[1] .

ولن نضيف شيئاً جديداً في دراسة أسباب الهجرة إلى الحبشة إذا رددنا ما تناقلته ورددته الكتب والمؤلفات الإسلامية[2] ، بل حتى بعض الكتابات المعاصرة[3] ، من ان أسباب الهجرة إلى الحبشة هي ما ذكره ابن اسحاق[4] إذ قال : «فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة وان الله قد أعفاه من ذلك ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم من قومهم ، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه أبو طالب ، أمرهم بالهجرة إلى أرض الحبشة ، وقال لهم: إن بها ملكاً لا يظلم الناس ببلاده ، في أرض صدق ، فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله بفرج منه ، ويجعل لي ولكم مخرجاً. فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفروا إلى الله عز وجل بدينهم ، واستخفى آخرون بإسلامهم".

أي ان السبب الرئيس للهجرة بحسب ما أوضحه ابن إسحاق هو الاضطهاد الشديد الذي تعرض له المسلمون الأوائل ، لاسيما المستضعفين منهم الذين ليس لهم رصيد قبلي أو عشائري يوفر لهم الحماية من اضطهاد قريش ، وكذلك الخوف من الفتنة في دينهم أي أن

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٤.
٢- ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج١ ، ص١٩ ؛ أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج٣ ، ص٣٤٨ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج٧ ، ص٢٦٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٣٦٢.
٣- بنت الشاطئ ، مع المصطفى ، ص١٠٤ ؛ انتصار العواد ، النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في رؤية أمير المؤمنين عليه السلام ، ص٣٥٧ ؛ الوشنوي ، حياة النبي وسيرته ، ج١ ، ص١٣١ ؛ جعفر السبحاني ، سيد المرسلين ، ج١ ، ص٤٤٩.
٤- السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٥٤.

يكرهوا على الردة عن الإسلام.

والدارس المتمعن لأحداث السيرة النبوية ، وشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) والتي برز فيها الفكر السياسي الثاقب له (صلى الله عليه وآله) إلى جانب الفكر الديني ، يرى أن هناك دوافع وأسباباً أخرى لهذه الهجرة غير التي ذكرها ابن إسحاق. ويمكننا الاستدلال على ذلك من تأشير النقاط الآتية:

١-إن الذين هاجروا إلى الحبشة لو عددناهم باسمائهم لوجدناهم ليسوا من المستضعفين ، فجعفربن أبي طالب لم يكن مستضعفاً ، ولم تكن به حاجة إلى الهجرة ، لأنه محمي من أبيه وعشيرته ، فأبو طالب كان حامياً للنبي (صلى الله عليه وآله) الذي هو أشد خطراً على زعماء قريش من جعفر ، فكيف يهاجر جعفر ليحمي نفسه ، وأبوه حامي الرسول وناصره ، ألا يستطيع أبو طالب أن يوفر الحماية لابنه أيضاً ؟

٢-وعبد الرحمن بن عوف لم يكن مستضعفاً ، والزبير بن العوام[1] لم يكن هو الآخر مستضعفاً ، وكذلك عثمان بن عفان ، وعثمان بن مظعون[2] ، والأمر نفسه يجري على الآخرين.

٣-وفي المقابل لم يهاجر المستضعفون الأصليون أمثال بلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر من الذين لا ناصر لهم ولا معين.

٤-إن حاجة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى هؤلاء الذين أمرهم بالهجرة أقوى من ان يدعهم يهاجروا لكي يحافظوا على سلامة حياتهم ، فمن غير المتصور في حق هؤلاء ان يتركوا مكة ويذهبوا إلى الحبشة لسلامة أنفسهم ، والدعوة في بدايتها بها حاجة إلى من يضحي في سبيل نشرها حتى لو أدى الأمر إلى التضحية بحياتهم ، وهذا مبدأ الدين الإسلامي إلى هذا اليوم.

٥-ولو كانت الهجرة فراراً من الأذى والتعذيب كما يدعي المؤرخون والذين كتبوا في السيرة ، لم يبق مسوغ لبقائهم في الحبشة إلى ما بعد السنة الثالثة أو الرابعة بل وحتى إلى

١- الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، قتل في معركة الجمل سنة خمس وثلاثين للهجرة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص١٠٠-١١٠.

٢- عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة القرشي ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً وهاجر الهجرتين وشهد بدراً ، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعدما رجع من بدر ، وكانت وفاته سنة اثنتين للهجرة ، وقيل انه مات على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٠٥٣.

السنة السابعة لهجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة وقد أصبح المسلمون فيها في أمن وأمان واطمئنان على نفوسهم وإسلامهم من قريش وسائر العرب.

٦-تذكر الأخبار التي تحدثت عن عودة المهاجرين في السنة السابعة للهجرة ، أن الرسول (صلى الله عليه وآله) اظهر سروراً عظيماً بعودتهم ، وقد أشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذه الحالة بقوله: "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما جاءه جعفر بن أبي طالب من الحبشة قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة ، وعانقه وقبل ما بين عينيه وبكى ، وقال : لا أدري بأيهما انا أشد سروراً بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر ؟! وبكى فرحاً برؤيته"[١].

إن هذه الحفاوة الكبيرة التي قابل بها الرسول (صلى الله عليه وآله) جعفر بن أبي طالب وبقية العائدين من الحبشة ، لتدل على أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يشعر بالرضا عنهم ، ومن المحتمل أنهم كانوا قد أدوا من الأعمال ما استحقوا عليه مثل هذه الحفاوة على الرغم من أن المصادر لم تزودنا بشيء عن تلك الأعمال مدة إقامتهم في الحبشة التي استمرت خمسة عشر عاماً.

وبناءً على ما تقدم يتضح أن الدافع الأساس للهجرة إلى الحبشة لم يكن بسبب الاضطهاد الذي تعرض له المسلمون الأوائل ، وإنما كانت هناك دوافع أخرى إلى جانب الاضطهاد ، وهذه الدوافع بلاشك تتمثل في الجانب السياسي ، وبدرجة أقل في الجانب الاقتصادي.

فالذي يؤكد ان الدافع السياسي كان الأهم في هذه الهجرة الشواهد التاريخية الآتية :

١-قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد[٢] (الصادق) عن أبيه قال : «اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا وكونوا كما أنتم ، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم ، وان ظفرت فاثبتوا»[٣].

وعند التدقيق في هذه الرواية نجد ان هناك رفضاً سياسياً داخلياً لعملية دخول المهاجرين

١- الصدوق ، الخصال ، ص٤٨٤ ؛ عيون أخبار الرضا ، ج٢ ، ص٢٣١ ؛ وينظر: ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٢٠٥ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٢٨٧. اللذان أوردا الرواية نفسها من دون إسنادها للإمام الصادق (عليه السلام).

٢- وعند البحث في كتاب رجال الطوسي نجد ان الشيخ الطوسي عدَّ ابن إسحاق من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام). ينظر : رجال الطوسي ، ص٢٧٧. كما نجده أيضاً أنه عد أباه إسحاق بن يسار من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام). ينظر : الطوسي ، رجال الطوسي ، ص١٢٥.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص١٣٥ ؛ سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٤٤٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٩٧ ؛ السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٨ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٢٠٢.

، وهذا يقودنا أيضاً إلى الاستنتاج بان المهاجرين لم يكتفوا فقط بتأمين الحماية لأنفسهم ، وإنما قاموا بأعمال نشر الدعوة وتبليغها ، وهو أمر استفز رعايا تلك الدولة فحصلت ثورة على النجاشي بسبب دفاعه عن المسلمين. ودفاع النجاشي واضح من تهيأته السفن للمسلمين رغم انشغاله بمواجهة التمرد الذي حصل في مملكته.

٢-ومما يؤيد ذلك ، أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة ربما استطاعوا إثارة اهتمام بعض الأحباش بالرسالة الإسلامية ، ودفعوهم لمحاولة تعرفها. فقد ذكر ابن إسحاق[١] أنه : «قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه ، فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما أرادوا دعاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به ، وصدقوه وعرفوا به ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره". وهذا دليل صارخ على ان المهاجرين الأوائل إلى الحبشة قاموا بدورهم الدعوي بنجاح كبير ، بحيث انهم استمالوا فكر هؤلاء الأحباش وعقولهم وجذبوهم إلى الإسلام حتى انهم أصروا على مقابلة النبي (صلى الله عليه وآله) والإيمان بدعوته.

٣-إن آلية الهجرة إلى الحبشة كانت بصورة تدريجية على شكل دفعات ، والمصادر الإسلامية سمت هذه الدفعات الهجرة الأولى ، والهجرة الثانية ، وحقيقة الأمر انه ليس هناك هجرة ثانية ، أي لم تكن الهجرة إلى الحبشة عبارة عن هجرتين ، وإنما هي هجرة واحدة كانت على نحو تدريجي. أي على دفعتين ، ويبدو ان الدفعة الأولى كانت واجباتها استطلاعية وجس نبض ، والدفعة الثانية مثلت الجانب التطبيقي لأهداف الهجرة ، والدليل على ذلك هو ترشيح جعفر بن أبي طالب لزعامة هذه الهجرة بدفعتيها الأولى والثانية ، بوصفه الناطق الرسمي باسم الدعوة ، وذلك بدليل الرسالة التي وجهها الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى ملك الحبشة مع عمرو

١- السير والمغازي ، ج٤ ، ص١٩٩ ؛ وينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٦٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٤٢١ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٣٩.

بن أمية الضمري[1] وجاء فيها : «قد بعثت اليكم ابن عمي جعفر بن أبي طالب ومعه نفر من المسلمين ، فإذا جاءوك فأقرهم...»[2] ، وقول النبي (صلى الله عليه وآله) عن جعفر "...إنه في جهاد الله بأرض الحبشة"[3].

٤-إن أكبر دليل على أن الهدف من الهجرة كان سياسياً هو ما أدركه خصوم النبي (صلى الله عليه وآله) من القرشيين حين أرسلوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد[4] وقيل وعبد الله بن أبي ربيعة[5][6] إلى النجاشي للضغط عليه من اجل استعادة المهاجرين وإرجاعهم فلو لم يكن هناك خطر سياسي على قريش واحتمال تأثيره على مسار الصراع بينهم وبين المسلمين في مكة ، وتخوفهم من العواقب السياسية لهذه الهجرة ، لكان ابتعادهم أفضل للقرشيين من عودتهم. ويتضح تخوف القرشيين من دوافع هذه الهجرة السياسية ، من خلال رصد ما دار من حوار بينهم وبين النجاشي ، إذ أخبر الوفد النجاشي : ...أن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاؤوا بدين مبتدع لا نعرفه ، وقد لجأوا إلى بلادك ، فبعثنا اليك فيهم عشائرهم ، آباؤهم وأعمامهم ، وقومهم لتردهم عليهم ، فهم أعلم بهم عيناً... ، غير أن النجاشي لم يقتنع بكلامهم ، وأرسل إلى بعض المهاجرين وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب وسألهم عن حقيقة دينهم فأوضحوا له تعاليم الإسلام وقرؤوا عليه شيئاً من القرآن فتأثر كثيراً مما سمع ، وفشلت مهمة وفد قريش وعادوا إلى مكة وهم أشد تخوفاً من النتائج التي يمكن أن تترتب على هذه العلاقة الناشئة بين المسلمين والنجاشي[7].

١- عمرو بن أمية الضمري بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن ضمرة بن بكر ، حجازي ، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) شهد معه مشاهد وكان في غزوة تبوك ، وتوجه منها مع خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ، وهو من المجاهدين في بئر معونة نجا منهم وأخذوه أسيراً ، فلما أخبرهم انه من مضر أطلقوه وجزوا ناصيته واعتقوه ، مات في عهد معاوية. ينظر : البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٦ ، ص٣٠٧ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ص٢٢٠ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٢٧٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٥ ، ص٤١٨ ؛ الشاهرودي ، مستدركات علم رجال الحديث ، ج٦ ، ص٣٠٧.

٢- الطبرسي ، اعلام الورى ، ج١ ، ص١١٨ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٢١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٠٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ق٢ ، ص٣٦.

٣- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٢٦٤.

٤- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٢٨.

٥- عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وكنيته أبو عبد الرحمن ، مكي ، روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، مات بمكة يوم جاءهم نعي يزيد بن معاوية سنة أربع وستين ، له يوم مات اثنتان وستون سنة. ينظر : ابن خليفة ، طبقات ابن خليفة ، ص٥٣ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٥ ، ص٩ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٥ ، ص٥١ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٢١٧.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٩٢.

٧- ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ج٤ ، ص١٩٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٢١٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٩٢.

يقول الملاح[1] : «ويلاحظ أن السبب الاقتصادي لم يكن هو الآخر غائباً عن دوافع الهجرة إلى الحبشة ، وذلك لأن قريشاً كانت قد مارست ضغطاً اقتصادياً قوياً ضد من أسلم ، وكانت الحبشة أحد الأقطار التي تتجه إليها التجارة المكية ، فلا غرابة أن يسعى الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى إنقاذ أتباعه من الضغط الاقتصادي الذي فرضه عليهم تجار مكة ، والعمل بعد ذلك على التضييق على تجارة مكة مع الأحباش بعد توثيق أواصر العلاقة معهم". وقد كان هذا العامل من عوامل الهجرة إلى الحبشة واضحاً فيما أورده الطبري[2] عن عروة بن الزبير قال: «وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش يتجرون فيها ، يجدون فيها رفاغاً من الرزق ومتجراً حسناً ، فأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة وخاف عليهم الفتن".

وقد أعطى الإمام الصادق (عليه السلام) صورة للعلاقات بين المسلمين المهاجرين وملك الحبشة النجاشي ، فقد روى الكليني[3] بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: "أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب... فقال له جعفر أيها الملك فما لي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان ؟ فقال له: يا جعفر إنما نجد فيما أنزل الله على عيسى (عليه السلام) أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد (صلى الله عليه وآله) أحدثت لله هذا التواضع ، فلما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لأصحابه : إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله ، وان التواضع يزيد صاحبه رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وان العفو يزيد صاحبه عزاً ، فاعفو يعزكم الله".

ويوضح النص المتقدم الإشارات التي يطلقها الإمام الصادق (عليه السلام) لبيان هجرة المسلمين إلى الحبشة وما ترتب على هذه الهجرة من نتائج ، ومنها قوة العلاقة والصلة التي أوضحتها العبارات الواردة في هذا النص ، ومنها كذلك الحالة الإيمانية التي تمتع بها النجاشي في فعله وقوله.

١- الوسيط ، ص١٢٦.
٢- تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ جامع البيان ، ج٩ ، ص٣٢٨ ؛ وينظر : ابن عبد البر ، الدرر ، ص٥٣ ؛ إسماعيل الاصبهاني ، دلائل النبوة ، ج٣ ، ص٨٦٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٦٥.
٣- الكافي ، ج٢ ، ص١٢١ ؛ وينظر : الشيخ المفيد ، الأمالي ، ص٢٣٨ ؛ الشيخ الطوسي ، الأمالي ، ص١٤.

ويبدو ان هذا الكلام الصادر من النجاشي حصل بعد انتصاره على التمرد الذي واجهه في أثناء وجود المسلمين في مملكته ، لذا نجده يحمد الله لما هو فيه من نعمة.

ثانياً : محاصرة قريش لبني هاشم ودور أبي طالب في مقاومة هذا الحصار :

نقل ابن سعد[1] رواية تقول: «لما بلغ قريشاً فعل النجاشي لجعفر وأصحابه وإكرامه إياهم كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم...وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)".

عند التدقيق في هذه الرواية نلحظ أن قريشاً لم تفرض المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية على بني هاشم ، إلا بعد فشل مهمة الوفد المفاوض إلى النجاشي بزعامة عمرو بن العاص. وهو أمر يعني أيضاً أن مقاطعة قريش لبني هاشم لم تبدأ بعد دخول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لشعب أبي طالب مباشرة ، بل استمرت العلاقات بين الطرفين على وضعها السابق إلى ان عاد عمرو بن العاص من الحبشة ، وأخبر قريشاً بأن المسلمين قد وجدوا لهم موطناً آمناً في الحبشة ، وأن مهمته قد فشلت في استعادتهم. لذا قامت قريش بفرض هذا الحصار الشامل ضد الهاشميين وأبي طالب على أمل ان يرضخوا لمطالبها في تسليم محمد (صلى الله عليه وآله) للقتل ، وأما أن يتراجع عن دعوته ، وإلا فمصيرهم الموت جوعاً وذلاً من هذا الحصار المفروض الذي منع عنهم الحصول على الطعام والقوت اليومي[2].

وقد تصدى أبو طالب لهذا الحصار ، وقد سجل هذه المواقف في أشعاره التي كانت سجلاً تأريخياً يشير في مضمونه إلى تفاصيل وأحداث مهمة جداً في مدة المقاطعة.

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال : "كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يعجبه ان يروى شعر أبي طالب وأن يدون ، وقال: تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم

١- الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ وينظر : العيني ، عمدة القاري ، ج٩ ، ص٢٢٩.

٢- ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٣٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ ابن عبد الحكم ، القرشي المصري (ت٢٥٧هـ/ ٨٦٩م) ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق: محمد الحجيري ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٢٠١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ق٢ ، ص٩.

كثير"[1].

ويكشف شعر أبي طالب عن أحداث وأمور مهمة في السيرة النبوية لم يسجلها الرواة والمؤلفون أو عتّموا عليها ، فمنها ان قريشاً قررت إجلاء بني هاشم ونفيهم من مكة ان لم يسلموهم النبي (صلى الله عليه وآله) ليقتلوه! وعملوا على تنفيذ ذلك فأحبطه أبو طالب. وقال فيه شعراً :

ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوماً علينا أظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي واخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبته ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالةٍ ... من الدهر جداً غير قول التهاذل
لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب ... لدينا ولا يعني يقول الأباطل[2]

١- السيد الفخار ، الحجة على الذاهب ، ص١٢٩ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٧ ، ص٣٣١ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج١٥ ، ص١٦٦ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج١٧ ، ص٢٥٥.
٢-ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٦-١٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص١٦٢-١٦٣.

وعندما نقرأ شعر أبي طالب تعجب ببلاغته وكثرته ، فهو يبلغ أكثر من ألف بيت ، وهو ثروة مهمة ولم يعط حقه في تدوين السيرة النبوية وتوثيقها. لأن مشكلة رواة السير ومدونيها انهم أرادوا كسب رضا الحكومات الأموية والعباسية ، فلا يذكرون شعر أبي طالب إلا عند الضرورة[1].

إن من المستحيل ان تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها الصبر على محاصرة بني هاشم جميعاً في الشعب ومقاطعتهم القاسية من دوافع غير الإيمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية ، التي كان يتصف بها أبو طالب ، إذ لا تستطيع مجرد الوشائج العشائرية وروابط القربى أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحوية.

ولكن للأسف الشديد لم تنصف أقلام السلطة التي اختصت بدراسة السيرة النبوية الرجال الذين ضحوا وقدموا كل ما منحهم الله من إمكانيات في سبيل نجاح الدعوة الإسلامية ، في الوقت الذي نجد فيه ان هذه الأقلام تبالغ في وصف بطولات أناس لم يخدموا الإسلام ولم يقدموا لنجاح الدعوة عشر معشار ما قدمه أبو طالب. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "...والله إن إيمان أبي طالب لو وضع في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في كفة ميزان لرجح إيمان أبي طالب على إيمانهم"[2].

وفي الوقت الذي كان فيه بنو هاشم محاصرين في شعب أبي طالب بانت آثار قساوة هذه المقاطعة ، بحيث سمعت أصوات صبيانهم يتضوعون من وراء الشعب جوعاً وبلغ القوم الجهد الشديد ، لذا حاول علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن يجد بعض المنافذ لمقاومة آثار هذا الحصار ، فقد ذكر : "أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان يخرج ليلاً من الشعب ويخفي نفسه ، ويضائل شخصه ، حتى يأتي إليه من يبعثه إليه أبو طالب من كبراء قريش كمطعم بن عدي وغيره ، فيحمل لبني هاشم على ظهره أعدال الدقيق والقمح ، وهو على أشد خوف من أعدائهم كأبي جهل وغيره ، ولو ظفروا به لأراقوا دمه"[3].

١- الكوراني ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٧.
٢- الشيخ المفيد ، إيمان أبي طالب ، تحقيق: مؤسسة البعثة ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٤.
٣- الجاحظ ، العثمانية ، ص٣١٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٥٤.

بينما لم تزودنا المصادر التي بين أيدينا بأي معلومات عن قيام المسلمين الذين شملتهم المقاطعة بتقديم أي مساعدات للمسلمين المحاصرين في الشعب وعلى رأسهم الرسول (صلى الله عليه وآله) على خلاف ما هو متوقع منهم[1].

وبعد مرور سنتين أو ثلاث على الحصار الشامل الاقتصادي والاجتماعي على بني هاشم في شعب أبي طالب أخبر النبي محمد (صلى الله عليه وآله) عمه أبا طالب بان الأرضة قد أكلت كل ما في صحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله ، فقد ذكر ابن اسحاق[2] انه حينما تقرر نقض الصحيفة قام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم.

لقد استمرت المقاطعة كما تؤكد أغلب الروايات ثلاث سنين ، وهناك روايات تقول ان مدة المقاطعة بلغت سنتين فقط.

فقد روى ابن سعد[3] بسنده عن جابر عن محمد بن علي (الباقر) (عليه السلام) قال: "مكث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهله في الشعب سنتين".

وقال الوشنوي[4] : وكان نقض الصحيفة في السنة التاسعة من النبوة بناءً على ان مكثهم كان سنتين ، أو في السنة العاشرة بناءً على انه كان ثلاث سنين.

لقد كان فشل المقاطعة الاقتصادية ، وتفرق خصوم قريش إيذاناً ببداية عهد من الانفراج والتسامح مع الدعوة. إلا ان الواقع يقول غير ذلك ، فقد بدأت حلقة جديدة من حلقات الصراع بين الرسول (صلى الله عليه وآله) وبين زعماء المشركين في مكة .

فقد سجل القرشيون رقماً قياسياً في العناد البدوي ، فلم يقل أحد قبلهم ولا بعدهم : ﴿وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[5] ومعناه : «اللهم انا لا نريد نبوة محمد بن هاشم سواء أكانت حقاً أو باطلاً ، فإن كانت حقاً فأهلكنا بعذاب

١- الملاح ، الوسيط ، ص١٣٧.
٢- السير والمغازي ، ج٢ ، ص١٤٧ ؛ وينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٢٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٠ ، ص٥٩ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٣٥.
٣- الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢١٠.
٤- حياة النبي وسيرته ، ج١ ، ص١٦١.
٥- الأنفال : ٣٢.

من عندك ، فهو خير لنا»!! وورد التفسير بهذا المعنى للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) في مؤلفات إسلامية عديدة[1]. وهذا العناد البدوي ترجم إلى حقيقة واقعية ، وذلك حين توفرت للقرشيين الفرصة مرة أخرى والمعاودة على إيذائه ، وحصل هذا الإيذاء منهم ومن سفهائهم بعد وفاة أبي طالب[2].

فقد توفي أبو طالب بعد خروجه من الشعب ، وحين لفظ أنفاسه الأخيرة من الدنيا وذلك في السنة الثالثة قبل الهجرة[3] ، لم ينس وهو في آخر رمق من حياته ان ينصر النبي (صلى الله عليه وآله) ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع وجوه قريش وأوصاهم فقال : "أوصيكم بمحمد خيراً ، فأنه الأمين في قريش ، والصديق في العرب ، والجامع لكل ما أوصيكم به...والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ، ولا يهتدي به إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير لكفيته الكوافي ، ولدفعت عنه الدواهي ، غير أني أشهد شهادته وأعظم مقالته"[4].

لهذا نرى الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : "ما مات أبو طالب حتى أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من نفسه الرضى"[5].

فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب. فقد اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسول الله بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله يقول لها : «لا تبكي يا بنية ، فإن الله مانع أباك» ، وقال: «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب»[6].

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال : "لما مات أبو طالب وقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) على قبره فقال: جزاك الله من عم خيراً ، فقد ربيتني يتيماً ، ونصرتني كبيراً"[7].

١- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٥٧ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج١ ، ص٢٣٠ ؛ ابن عبد الوهاب ، حسين (ت ق٥هـ/ ١١م) ، عيون المعجزات ، ط١ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م) ، ص١٣ ؛ ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج٢ ، ص١٦٦ ؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص١٠٠ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج٧ ، ص٨١.

٢- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٦ ، ص٣٣٨ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٢ ، ص٤٢٧.

٣- العيني ، عمدة القاري ، ج١ ، ص٦٣.

٤- الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص١٤٠ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٨ ، ص١٢٥ ؛ وينظر : الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٤٩.

٥- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٣٥ ، ص١١٣.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٨٣ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٨٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٦ ، ص٣٣٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص١٧١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٥١.

٧- ابن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، ص٢٢١.

لقد كان الوحي السماوي حاضراً في قضية موت أبي طالب ، وجاء هذا الوحي ليبين كم هو كبير وقيم ذلك الدور البطولي والإيماني لأبي طالب. فقد روى الصدوق[١] عن الإمام الصادق (عليه السلام) : "أن أبا طالب لما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرج منها فليس لك بها ناصر فهاجر إلى المدينة".

وروى العياشي[٢] عن علي بن الحسين (عليه السلام) : "أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فقد عمه أبا طالب أوحى الله إليه : يا محمد اخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر".

فكان هذا الوحي إيذاناً ببدء الهجرة إلى المدينة ، ودخول سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) في العهد المدني الذي يستمر حتى وفاته عام (١١هـ/ ٦٣١م).

ولم يكن العام العاشر من البعثة عاماً سجلت فيه وفاة أبي طالب فقط ، وإنما كان عاماً حزيناً على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ، وسمي بعام الحزن أو عام الحداد ، فقد توفيت فيه السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) وذلك بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام[٣].

وتزوج النبي (صلى الله عليه وآله) بعد خديجة سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤي ، وكانت تحت السكران بن عمرو وهو من مهاجري الحبشة فمات ولم يعقب فتزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعده ، وهي أول من تزوج من نسائه بعد خديجة[٤].

ثالثاً : زواجه (صلى الله عليه وآله) من السيدة عائشة :

تزوج النبي (صلى الله عليه وآله) عائشة بنت أبي بكر ، وكان زواجه إياها بمكة وهي بنت ست سنين ودخل بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين بعد سبعة أشهر من مقدمه المدينة[٥].

ويبدو ان زواج الرسول (صلى الله عليه وآله) من السيدة عائشة ودخوله بها في التاسعة من عمرها رواية تتفق عليها كتب السير والتاريخ العام وكتب السنن والفقه جميعها[٦].

١- كمال الدين ، ص١٧٤.
٢- تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٥٧.
٣- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٣٣.
٤- المصدر نفسه ، ص١٣٣-١٣٤.
٥- المصدر نفسه ، ص١٣٤.
٦- ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ج٥ ، ص٢٣٩ ؛ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج٦ ، ص١١٨ ؛ ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني ، ج٥ ، ص٣٩٠ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٣ ، ص٢٤ ؛ الدارقطني ، علي بن عمر (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٤م) ، علل الدارقطني ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، ط١ ، (دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج٥ ، ص٣٠٥ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٤ ، ص٥٠ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٧١ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١١ ، ص٢٧٤ ؛ الكفاية في علم الرواية ، تحقيق: أحمد عمر هاشم ، ط١

يروي ابن سعد[1] عن عائشة قالت : «تزوجني رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة لثلاث سنين وانا ابنة ست سنين وهاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وأعرس بي في شوال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر ، وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين".

وعلى أساس هذه الرواية وغيرها أجمع المؤرخون على ان عائشة من مواليد السنة الرابعة من البعثة ، وهو تاريخ يتناقض وروايات أخرى أفاضت بها عدة مؤلفات نستدل منها على ان عمر عائشة حين تزوجها الرسول (صلى الله عليه وآله) أكبر بكثير من هذا الذي تنقله هذه المؤلفات وحسب النقاط الآتية :

١ -اتفقت معظم المؤلفات على ان اسماء بنت أبي بكر أخت عائشة كانت أسن من عائشة بعشر سنوات[2].

٢ -ذكرت مؤلفات عديدة أخرى ان اسماء بنت أبي بكر توفيت سنة ثلاث وسبعين للهجرة ، ولها من العمر مئة سنة[3]. أي ان انها كانت قد ولدت سنة سبع وعشرين قبل الهجرة وهو ما يقابل السنة الرابعة عشرة قبل البعثة ، لأن البعثة سبقت الهجرة بثلاث عشرة عاماً كما هو معروف. وبما أن اسماء بنت أبي بكر أسن من عائشة بعشر سنين ، فهذا يعني أن عائشة كانت قد ولدت في السنة الرابعة قبل البعثة ، وليس في السنة الرابعة للبعثة. ويبدو أن الرواة أخطأوا في عبارة : «قبل البعثة – وقبل الهجرة» فظنوا أن عائشة ولدت في السنة الرابعة قبل الهجرة وليس في السنة الرابعة قبل البعثة. ولأن النبي (صلى الله عليه وآله) خطبها في السنة العاشرة للبعثة ، فهذا يعني في حساباتهم ان عمرها ست سنين ، ونسجت الروايات في عمرها على هذا الأساس.

واستناداً لما تقدم يكون عمر عائشة حين خطبها النبي (صلى الله عليه وآله) في أقل تقدير هو أربعة عشر عاماً

، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص٧٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٣ ، ص١٨٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص١١٠ ؛ المناجي الاسيوطي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ق٩هـ/ ١٥م) ، جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود ، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ج٢ ، ص٣٩ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٣ ، ص٦٩٤.

١- الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٥٨.

٢- ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦١٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٦٩ ، ص٩ ؛ ابن الأثير ، اسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٩٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٢٨٨ ؛ ج٣ ، ص٣٧٩.

٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٤٩-٢٥٥ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٧٢-١٧٣ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٣٩٢ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٨ ، ١٢-١٤.

، وحين تزوجها أصبح عمرها سبعة عشر عاماً ، وهذا يتلاءم وما ذكرته النصوص السابقة من عمر اختها.

٣-إن القول بإن عمر عائشة حين خطبها النبي (ﷺ) كان ست سنين لا يتلاءم وسيرة عائشة قبل ان يقترن بها النبي (ﷺ). فقد كانت سيرتها عبارة عن روايات عديدة تناقلها المؤرخون والعلماء الفقهاء ، ففي صحيح البخاري[١] : إن عائشة قالت : لقد أنزل على محمد بمكة : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[٢] وإني لجارية ألعب والمعروف ان هذه الآية من سورة القمر نزلت في السنة الثامنة من البعثة ، حينما كان المسلمون محاصرين في شعب أبي طالب[٣]. والجارية عمرها تسع إلى عشر سنين حسبما توصف لغوياً[٤] ، وهذا كله في السنة الثامنة للبعثة أي قبل الهجرة ، فكيف تكون ولدت قبل الهجرة بأربع سنين ؟!

وهناك العديد من الأدلة التي تثبت ان عمر السيد عائشة حين تزوجها النبي (ﷺ) كان أكبر من ذلك بكثير ، ويكتفي الباحث بذكر مثال آخر ، حتى يتجنب الإطالة والإسهاب. فقد روى ابن سعد[٥] : «أن رسول الله (ﷺ) لما خطب عائشة من أبي بكر قال أبو بكر: يا رسول الله إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير فدعني أستلّها منه فاستلها منهم فطلقها فتزوجها رسول الله (ﷺ) ".

وهذه الرواية تكشف لنا عن معلومات جديدة في مسألة زواجها وتاريخ ولادتها وكم هو عمرها قبل أن يخطبها الرسول (ﷺ). وهي تؤيد ما ذهب إليه الباحث من الأدلة السابقة التي أوضحت بشكل لا لبس فيه أن عمرها مابين الرابعة عشرة و الخامسة عشرة حين خطبها النبي (ﷺ) ، وما بين السابعة عشرة أو الثامنة عشرة حين تزوجها (ﷺ).

١- البخاري ، ج٦ ، ص٥٣.
٢- القمر : ٤٦.
٣- الطباطبائي ، تفسير الميزان ، ج١٩ ، ص٦٢-٦٤.
٤- الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٧ ، ص٣١٢ ، ص٤٦٨ ؛ ابن سلام ، غريب الحديث ، ج٤ ، ص٣٣١ ؛ ابن السكيت ، ترتيب إصلاح المنطق ، ص١٥ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، ج١ ، ص٦١.
٥- الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٥٩.

الفصل الرابع

مرويات الإمام الصادق عليه السلام في العهد المدني

المبحث الأول : الهجرة إلى المدينة وإرساء أسس بناء الدولة

المبحث الثاني : الأبعاد الفكرية للجهاد في سيرته صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثالث : الصراع العقائدي والسياسي في المدينة حتى صلح الحديبية

المبحث الرابع : سياسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في تثبيت دعائم الإسلام وفرض سيادته

المبحث الخامس : نهاية عصر الرسالة

المبحث الأول :

الهجرة إلى المدينة وإرساء أسس بناء الدولة :

لما فقد النبي (صلى الله عليه وآله) أبا طالب وخديجة ، ولاقى ما لاقى من صنوف المعارضة لدعوته ، والتنكيل بأتباعه المستضعفين ، قرر البحث عن موطن جديد لنشر دعوته ، وتشجيع أصحابه المكيين للهجرة إليه قبل أن يهاجر هو بنفسه وذلك من اجل توجيه عملية الهجرة والاطمئنان على وصول أتباعه إلى المدينة بسلام واستقرارهم فيها.

وفي هذا الصدد قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) : "... سئم – النبي (صلى الله عليه وآله) – المقام بمكة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش ، فشكا إلى جبرائيل (عليه السلام) ، فأوحى الله تعالى إليه اخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر... "[1]. فعند ذلك توجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة.

ويبدو ان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يتهيأ للخروج إلى المدينة لنشر الدعوة منذ مدة ليست بالقصيرة ، وهذا واضح من إرساله مصعب بن عمير[2] إلى المدينة ليكون ناطقاً باسم الدعوة وإقناع الناس.

إن التمعن في الأحداث التي أوردها المؤرخون القدامى في كتب السير والتاريخ والحديث ، تقودنا إلى مسألة مهمة جداً ، وهي أن زعماء قريش الذين عارضوا دعوة محمد (صلى الله عليه وآله) لم يؤمنوا بها حتى لو بقي في مكة ألف عام. فقد تعامل هؤلاء الزعماء مع من أسلم بغلظة وعداوة منقطعة النظير ، فالتعذيب وفنونه على أشد ما يكون ، والطلب بالإتيان بالمعجزات

١ – الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٣٤٠ ؛ الحلي ، مختصر بصائر أهل الدرجات ، ص١٣١ ؛ الحر العاملي ، الجواهر السنية ، ص٢١٨ ؛ المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج١٢ ، ص٤٨٢.

٢ – مصعب بن عمير القرشي العبدري ، كان فتى مكة شباباً وجمالاً ، كتم إسلامه خوفاً من قومه فخرج إلى الحبشة ، وبعثه النبي إلى المدينة قبل الهجرة ، كان يدعى القارئ والمقرئ ، قتل يوم احد (٣هـ). ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٦٩ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج١٠ ، ص٨٦.

في حوارهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) كان أيضاً على أشد ما يكون ، ثم تأكيدهم ان المعجزات التي يأتي بها محمد (صلى الله عليه وآله) لن تثنيهم عن موقفهم ، وهو عدم التصديق به إلى الأبد. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "قال عبد الله بن أمية[1] لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : إنا لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله وملائكته قبيلا ، أو يكون لك بيت من ذهب ، أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك ، والله لو فعلت ذلك ما كنت أدري أصدقك أم لا. فانصرف النبي (صلى الله عليه وآله) ثم نظر في أمورهم ، فقال أبو جهل : لئن أصبحت وهو قد دخل المسجد لأطرحن على رأسه أعظم حجراً أقدر عليه..."[2].

وهناك من الشواهد والنصوص التاريخية ما يكفي لتوضيح ما عانى منه الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من هؤلاء مدة وجوده في مكة ، وكتب التاريخ والسير والحديث مليئة بالعشرات من هذه النصوص. فكان طبيعياً أن يفكر (صلى الله عليه وآله) في البحث عن موطن جديد ، فكانت (يثرب) المدينة هي محطته القادمة.

إلا أنّ هذا الموطن الجديد كان يعاني من الانقسام القبلي المتمثل بوجود معسكرين متعاديين هما الأوس والخزرج ، فكانت الحاجة ماسة إلى قائد من طراز خاص يدخل في هذا الوقت ويقضي على الفوضى الحاصلة بين الفريقين ، فكان القائد هو المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله).

وقد كانت عوامل الصراع والانقسام الداخلي في المدينة سبباً في قبول الدين الإسلامي أسرع من مكة ، وذلك يعود لأمرين :

١-إن وجود اليهود في المدينة هيأ أهلها ذهنياً وفكرياً لقبول النبي الجديد ، وذلك لقيامهم بنشر الأخبار عن ظهور هذا النبي الذي كانوا ينتظرونه باستمرار ، فكان الأمر على ساكني المدينة ليس بالأمر المفاجئ ، فحين سمعوا به قال بعضهم "والله إنه للنبي الذي توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه"[3].

١- عبد الله بن أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم اخو أم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) ، كان شديد العداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهو الذي قال : "لن نؤمن حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا". أسلم قبل فتح مكة ، وشهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتح مكة وحنيناً والطائف ، ورمي يوم الطائف بسهم فقتله ومات يومئذ. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص٨٦٨.

٢- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٩٣.

٣- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٣٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص٩٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢٢ ق٢ ، ص١١ ؛ الرجا ، السيد حسين ، دفاع من وحي الشريعة ، ط١ ، (مؤسسة الإمامة للتحقيق والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٢٣.

٢-إن الحروب الطويلة بين الأوس والخزرج التي استمرت مئة وعشرين عاماً قد أنهكتهم ، فكانوا يبحثون عن منقذ ومخلص ، لذا قالوا له (صلى الله عليه وآله) : "عسى أن يجمعهم الله بك ، فإن جمعهم الله بك فلا رجل أعز منك"[1].

وحين علمت قريش بتحركات النبي (صلى الله عليه وآله) وعزمه الهجرة إلى المدينة ، تحركت هي أيضاً من جانبها ، فبعد أن كان قرارها سابقاً الوقوف بوجه الدعوة ، تغيرت الأمور هذه المرة ليكون قرارها القضاء على صاحب الدعوة ، ولكن ذلك لم يحصل ، فصاحب الدعوة تحرسه القدرة الربانية العظيمة. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ... إن قريشاً لم تزل تخيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبي (صلى الله عليه وآله) حتى كان آخر ما اجتمعت في ذلك الدار دار الندوة وإبليس الملعون حاضر في صورة أعور ثقيف ، فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كل فخذ من قريش رجلاً ، ثم يأخذ كل رجل منهم سيفه ، ثم يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) وهو نائم على فراشه فيضربونه جميعاً بأسيافهم ضربة رجل واحد فيقتلوه ، وإذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمها ، فيمضي دمه هدراً ! فهبط جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) فأنبأه بذلك ، وأخبره بالليلة التي يجتمعون فيها والساعة التي يأتون فراشه فيها ، وأمره بالخروج في الوقت الذي خرج فيه إلى الغار ، فأخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخبر وأمرني أن اضطجع في مضجعه وأقيه بنفسي ، فأسرعت إلى ذلك مطيعاً له مسروراً بأن أقتل دونه ، فمضى (صلى الله عليه وآله) لوجهه واضطجعت في مضجعه ، وأقبلت رجالات قريش موقنة في أنفسها أن تقتل النبي (صلى الله عليه وآله) فلما استوى بي وبهم البيت الذي أنا فيه ناهضتهم بسيفي فدفعتهم عن نفسي بما قد علمه الله"[2].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : "أما قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[3] فأنها نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بذل نفسه لله ولرسوله

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٩٢ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٨٦ ؛ جامع البيان ، ج٤ ، ص٤٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٢٠٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج١ ، ص٢٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص١٨٢ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص١٥٩.
٢- الصدوق ، الخصال ، ص٣٦٦-٣٦٧.
٣- البقرة : ٢٠٧.

(صلى الله عليه وآله) ليلة اضطجع على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما طلبته قريش"[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما خرج من الغار متوجهاً إلى المدينة وقد كانت قريش جعلت لمن أخذه مائة من الإبل ، فخرج سراقة بن مالك بن جعشم[2] فيمن يطلب ، فلحق برسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم أكفني شر سراقة بما شئت ، فساخت قوائم فرسه ! فثنى رجله ثم اشتد فقال : يا محمد إني علمت أن الذي أصاب قوائم فرسي إنما هو من قبلك ، فادع الله أن يلطف لي فرسي ، فلعمري إن لم يصبكم مني خير لم يصبكم مني شر ، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأطلق الله عز وجل فرسه ، فعاد في طلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى فعل ذلك ثلاث مرات ! كل ذلك يدعو رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتأخذ الأرض قوائم فرسه ! فلما أطلقه في الثالثة قال : يا محمد هذه إبلي بين يديك فيها غلامي ، فإن احتجت إلى ظهر أو لبن فخذ منه ، وهذا سهم من كنانتي علامة ، وأنا راجع فأرد عنك الطلب ! فقال (صلى الله عليه وآله) : لا حاجة لنا فيما عندك"[3].

وعن سعيد بن المسيب قال ، قال علي بن الحسين (عليه السلام) : "...كان خروج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة في أول يوم من ربيع الأول وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث ، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فنزل بقبا[4] فصلى الظهر ركعتين والعصر ركعتين ، ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً يصلي الخمس صلوات ركعتين ركعتين ، وكان نازلاً على عمرو بن عوف[5] فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له : أتقيم عندنا فنتخذ لك منزلاً ومسجداً ؟ فيقول : لا أنتظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص١٠١.

٢- سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن تيم بن مدلج الكناني يكنى أبا سفيان ، كان ينزل قديداً يعد في أهل المدينة ويقال إنه سكن مكة ، روى عنه من الصحابة ابن عباس وجابر وروى عنه سعيد بن المسيب ، مات سراقة سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان وقد قيل إنه مات بعد عثمان. ينظر : ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٤ ، ص٣٠٨ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٥٩.

٣- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٦٣.

٤- قبا : بالضم ، وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها ، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وبنى فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحد مساجد المدينة قال عنه الصادق (عليه السلام) : "مسجد قبا هو المسجد الذي أسس على التقوى". ينظر : الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٢٩٦ ؛ القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج١ ، ص٢٩٧ ؛ ابن قولويه ، جعفر بن محمد (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٩م) ، كامل الزيارات ، تحقيق: جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٦٤ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج١ ، ص٢٢٩ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص١٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٠١ ؛ الجواهري ، جواهر الكلام ، ج٢ ، ص١٠٧.

٥- عمرو بن عوف الأنصاري حليف لبني عامر بن لؤي شهد بدراً ، سكن المدينة ، لا عقب له ، توفي في خلافة عمر. ينظر : الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٧ ، ص٢٤-٢٧ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٩٥ ؛ هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج١ ، هامش ص٥٨.

يلحقني ، ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي وما أسرعه إن شاء الله ، فقدم عليه علي (عليه السلام) والنبي في بيت عمرو بن عوف فنزل معه ، ثم إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما قدم عليه علي (عليه السلام) من قبل إلى بني سالم بن عوف[1] وعلي (عليه السلام) معه يوم الجمعة من طلوع الشمس فخط مسجداً ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين ركعتين وخطب خطبتين ، ثم راح يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدم عليها وعلي (عليه السلام) معه لا يفارقه ، يمشي بمشيه وليس يمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ببطن من بطون الأنصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم فيقول لهم : خلو سبيل الناقة فانها مأمورة ، فانطلقت به ورسول الله (صلى الله عليه وآله) واضع لها زمامها حتى انتهت إلى الموضع الذي ترى – وأشار بيده إلى باب مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يصلي عنده بالجنائز – فوقفت عنده وبركت ووضعت جرانها[2] على الأرض فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأقبل أبو أيوب[3] مبادراً حتى احتمل رحله فأدخله منزله ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) معه حتى بُني له مسجده وبنيت له مساجده ومنزل علي (عليه السلام) فتحولا إلى منازلهما" وسُئل الإمام الصادق (عليه السلام) : "كم كان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: كان ثلاثة آلاف وستمائة ذارع ..."[4].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "...لما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة ، وابتنى بها مسجداً ، وأنس أهل المدينة به (صلى الله عليه وآله) ... هاجرت فاطمة مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ونساء أهل المهاجرين ، وكانت عائشة فيمن هاجر معها ، فقدمن المدينة، فأنزلها على أم أيوب الأنصارية[5]»[6].

وقد اختارت فاطمة بنت أسد رحمها الله أن تهاجر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ماشية على

١- بني سالم بن عوف : هم رهط مالك بن الدخشم ، صلى عندهم النبي (صلى الله عليه وآله) أول صلاة جمعة بالمدينة ، وصلاها بالمسجد الذين في بطن الوادي ، وخطب في هذه الجمعة أول خطبة له في المدينة. ينظر : الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٦ ، ص٣٠ ؛ الحلي ، مختصر البصائر ، ص١٣٠ ؛ الزيلعي ، تخريج الأحاديث ، ج٢ ، ص١٠١ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص٦٢ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١ ، ص٢٤٤ ؛ الألباني ، إرواء الغليل ، ص٣٧٠.

٢- جرانها : جران البعير هو مقدم عنقه. ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج١ ، ص٤٤٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٨٦ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٠٩ ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج١ ، ص٣٦٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٨ ، ص١٠٦.

٣- أبو أيوب الأنصاري : خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة من بني غنم بن مالك النجاري ، غلبت عليه كنيته ، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد. كان أبو أيوب مع علي بن أبي طالب في حروبه كلها ثم مات بالقسطنطينية من بلاد الروم في زمن معاوية وذلك سنة إحدى وخمسين وقيل اثنتين وخمسين. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٤٢٤.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٣ ، ص٢٩٦.

٥- أم أيوب الأنصارية ، امرأة أبو أيوب وهي بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس من الخزرج. ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٥ ، ص٥٦٧ ؛ المزي ، تهذيب الكمال ، ج٣٥ ، ص٣٣١ ؛ الذهبي ، الكاشف ، ج٢ ، ص٥٢٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٨ ، ص٣٦٢.

٦- الطبري الإمامي ، دلائل الإمامة ، ص٨١.

قدميها ، تحتسب ذلك عند الله تعالى. فقد ذكر الكليني[1] عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "إن فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين كانت أول امرأة هاجرت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى المدينة على قدميها ، وكانت من أبر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله)".

ولعل من الروايات التي وردت على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتي تؤيد مواقف الإمام علي (عليه السلام) ، ذلك التأكيد الصادر من الملائكة ، حين هبط ملكان من الملائكة يحميانه في ليلة مبيته على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهما جبرئيل وكان عند رأسه ، وميكائيل وكان عند رجليه ، وكان ميكائيل يقول : "بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب ، يباهي الله به الملائكة"[2].

ومباهاة الملائكة به يشهد بقوة جنانه وثبات أركانه وتفوقه على نظرائه وأقرانه من أبطال الحرب والشجاعة[3].

وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى الإجراءات الأخرى التي اتخذها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد هجرته إلى المدينة. فبعد أن أسس المسجد ومساكن زوجاته (صلى الله عليه وآله) ، عمل على إزالة أسباب العداء بين الأوس والخزرج ، فدلت سياسته هذه على أنه سعى منذ أن وصل قباء على مشارف المدينة على ممارسة دور الحكم المحايد الذي يعمل على دفن حزازات الماضي وأحقاده وإقامة مجتمع موحد يقوم على المحبة والتعاون. لذا أطلق اسماً جديداً على المسلمين من أبناء الأوس والخزرج مشتقاً من مناصرتهم إياه ؛ فأسماهم بالأنصار ، في الوقت الذي أطلق على المسلمين الذين غادروا مواطنهم السابقة في سبيل الله اسم المهاجرين ، وبذلك أصبح المجتمع الإسلامي الجديد يتألف من المهاجرين والأنصار. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما هاجر إلى المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار وجعل المواريث على الأخوة في الدين لا في ميراث الأرحام ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾[4] فأخرج

١- الكافي ، ج١ ، ص٤٥٣.
٢- الطوسي ، الأمالي ، ص٤٦٩ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج١ ، ص٣٣٩ ؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص٢٤٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٥ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص١٩٢ ؛ الحر العاملي ، الجواهر السنية ، ص٣٠٨.
٣- المياحي ، شكري ناصر عبد الحسن ، الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ، ص١٩.
٤- الأنفال : ٧٢.

الأقارب من الميراث ، وأثبته لأهل الهجرة وأهل الدين خاصة ، ثم عطف بالقول فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[1] فكان من مات من المسلمين يصير ميراثه وتركته لأخيه في الدين دون القرابة والرحم والوشيجة ، فلما قوي الإسلام أنزل الله : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾[2] فهذا معنى نسخ آية الميراث[3].

ويرى بعض الباحثين[4] ان إعلان المؤاخاة يعود بالدرجة الأولى إلى رغبة الرسول (صلى الله عليه وآله) في ألا يعامل الأنصار المهاجرين معاملة الحلفاء لأن الحليف على وفق التقاليد العربية أقل منزلة في القبيلة من الابن الصريح ، وذلك لأن الحليف يعيش تحت حماية القبيلة ، وترثه القبيلة إن توفي. كما أن ديته نصف دية الصرحاء ولا يقتل الصريح بالحليف ، لذا فقد أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) من المؤاخاة أن يضمن إقامة علاقة بين المهاجرين والأنصار تقوم على المساواة التامة في الحقوق والواجبات.

روى ابن عساكر[5] : « أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما آخى بين المسلمين أخذ بيد علي فوضعها على صدره ، ثم قال : يا علي أنت أخي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أما تعلم أن أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقام عن يمين العرش في ظلة فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة ، ثم يدعى بأبيك إبراهيم فيقام عن يمين العرش فيكسى حلة خضراء من حلل الجنة. ثم يدعى بالنبيين والمرسلين بعضهم على إثر بعض فيقومون سماطين فيكسون حللاً خضراء من حلل الجنة. وأنا أخبرك يا علي أنه أول من يدعى بي من أمتي يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي...فتكسى حلة خضراء من حلل الجنة فينادي مناد من العرش : يا محمد ، نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك وهو علي ، يا علي إنك

١- الأنفال : ٧٣.
٢- الأحزاب : ٦.
٣- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص٩١ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٦ ، ص٦٤.
٤- الملاح ، الوسيط ، ص١٧٦ ؛ العسلي ، خالد ، نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات للأجيال ، العدد الرابع ، (بغداد ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٢٧.
٥- تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٢ ، ص٥٣.

تدعى إذا دعيت وتحيا إذا حييت وتكسى إذا كسيت".

وقد استطاعت العقيدة في الله أن توحد بين المسلمين وتشيع أسباب التعاطف والتعاون والمحبة ما يوازي أو يتفوق على رابطة الأخوة في الدم. فقد كان استقبال الأنصار للمهاجرين فريداً من نوعه ، فقد استضافوهم في بيوتهم وفضلوهم على أنفسهم ، ثم وهبوا لهم بيوتاً وأراضي وساعدوهم على بنائها[1].

وقد مدح الله تعالى الأنصار لإيثارهم ونصرتهم في أكثر من آية فقال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : "وهل الدين إلا الحب ؟ إن الله يقول : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[3] . وقال : يحبون من هاجر إليهم»[4].

١- ينظر: ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٣٨ ؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج١٩، ص٣٦١؛ ابن الأثير ، أسد الغابة، ج٢، ص٧٢؛ المزي، تهذيب الكمال، ج١٣ ، ص٤١٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٢٣٩.
٢- الحشر : ٨-١٠.
٣- آل عمران : ٣١.
٤- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص١٦٧.

المبحث الثاني :
الأبعاد الفكرية للجهاد في سيرته :

إن الدين الذي جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) هو دين العقل ، إذ ليس في مبادئه ومفاهيمه ما لا يصدقه العقل ولا ما ينكره ، ولذا سمح بالمجادلة بالتي هي أحسن ، ولم ينه من أتبعه عن البحث والنظر ، قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]. فالدعوة بالحكمة هي إيقاظ العقل المدعو وفكره ، وتوعيته وتعليمه وتثقيفه ، والدعوة بالحكمة هي إرشاد الناس إلى المحاسن وتوجيههم إلى المكارم ، والموعظة هي حث الناس على حسنات الأفعال وزجرهم عن قبائحها.

ولكن الروايات التاريخية التي نقلت أحداث المعارك والغزوات أيام الرسالة صورت الإسلام كأنه دين دموي يهاجم الناس ويرغمهم على القبول بالإسلام وإلا فنساؤهم حل لرجال المسلمين ، ورجالهم عبيد لهم ، وأرضهم ملك لهم ، وقد صبغ تاريخ الإسلام بهذه الصبغة لدرجة يصعب التصديق أن الإسلام دين للتسامح !! ، إن الإسلام في نظر القرآن يقول : ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[2].

وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذا الأمر فأوجز مراحل تطور الدعوة الإسلامية. فقد ورد عنه (عليه السلام) قوله: "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ... إن الله تبارك وتعالى لما بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) أمره في بدء أمره أن يدعو بالدعوة فقط ، وأنزل عليه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ۞ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً ۞ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً

١- النحل : ١٢٥.
٢- الأنعام : ١٥١.

﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾[1] فبعثه الله بالدعوة فقط ، وأمره أن لا يؤذيهم ، فلما أرادوه بما هموا به من تبييت أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال فقال سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[2][3].

أما آلية العمل الجهادي والعسكري ، فقد صورت الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، ان الفكر العسكري في مدرسته (صلى الله عليه وآله) هو جزء من الجهاد الفكري المكمل للجوانب التربوية والأخلاقية والسياسية والاقتصادية التي نادت بها هذه المدرسة على يد مؤسسها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، ومن بعده علي (عليه السلام) عبر التحديات التي فرضت عليه في معارك عسكرية عديدة.

أورد الكليني[4] عن أبي حمزة الثمالي قول الإمام الصادق (عليه السلام) : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ، ثم يقول : سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً ولا امرأة ، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها ، وأيما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتى يسمع كلام الله ، فإن تبعكم فأخوكم في الدين ، وإن أبى فابلغوه مأمنه واستيعنوا بالله عليه".

إن هذا الكلام الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ينقل فيه تعاليم جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، يمثل أعظم دستور إنساني يجمع بين الرحمة والتسامح والتعاطف ، ويعد قمة في الرقي الإنساني من ناحية التعامل في الحروب. ولكن هذا الوصف – للأسف – شوهته الروايات التاريخية التي صورت الدين الإسلامي وكأنه مشروع للقتل والتعذيب ، وعدم احترام حقوق الإنسان وهو ما ترفضه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) جملةً وتفصيلاً.

ولم تكتفِ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بوضع آلية العمل الجهادي والعسكري في نشر

١- الأحزاب : ٤٥-٤٨.
٢- الحج : ٣٩.
٣- المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص١٧٥.
٤- الكافي ، ج١ ، ص٣٣٤.

الدعوة بالطرق والتعليمات المشار إليها ، وإنما حددت شروطاً لمن يحق له أن يكون مجاهداً ويمثل الخط الرسالي المحمدي الصحيح. وفي هذا الإطار قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "... لما نزلت هذه الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1] قام رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا نبي الله أرأيتك الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى يُقتل إلا أنه يقترف من هذه المحارم أشهيد هو ؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] فبشر النبي (صلى الله عليه وآله) المجاهدين من المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم بالشهادة والجنة وقال: التائبون من الذنوب ، العابدون الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً ، الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء ، السائحون وهم الصائمون ، الراكعون الساجدون الذين يواظبون على الصلوات الخمس والحافظون لها والمحافظون عليها بركوعها وسجودها وفي الخشوع فيها وفي أوقاتها الآمرون بالمعروف بعد ذلك والعاملون به والناهون عن المنكر والمنتهون عنه قال: فبشر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنة ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا أصحاب هذه الشروط فقال عز وجل : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[3]"[4].

أولاً : غزوة بدر (٢هـ/٦٢٤م) :

بدر اسم بئر ماء مشهور بين مكة والمدينة ، ويقال : إنه ينسب إلى بدر بن خالد بن النضر بن كنانة ، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ثم غلب اسمه عليه. وبه سميت بدر التي كانت الوقعة المباركة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحق والباطل[5]. وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سافر إلى بدر في شهر

١- التوبة : ١١١.
٢- التوبة : ١١٢.
٣- الحج : ٣٩.
٤- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص١٥.
٥- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٣٥٧.

رمضان...“[1] وكانت أحداث هذه المعركة سنة اثنتين للهجرة[2] ، وبالتحديد يوم الجمعة السابع عشر من رمضان استناداً لقول الإمام الباقر (عليه السلام)[3].

ونُقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) أن عدد مسلمي أهل بدر كانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر[4] ، وقالت بعض المصادر[5] ثلاثمئة وأربعة عشر.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : ”كان إبليس في صف المشركين أخذ بيد الحارث بن هشام[6] فنكص على عقبيه فقال له الحارث : يا سراقة أين ، أتخذلنا على هذه الحالة ؟ فقال له: إني أرى ما لا ترون ، فقال: والله ما نرى إلاّ جعاسيس[7] ، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم الناس! فلما قدموا مكة قالوا : هزم الناس سراقة ! فبلغ ذلك سراقة فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم ! فقالوا : إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم ، فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان»[8].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : «تمثل إبليس لعنه الله ... تمثل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المدلجي فقال لقريش : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ﴾[9]»[10] وهكذا نصّ القرآن على أن الشيطان كان في معركة بدر لنصرة المشركين.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : ”...شعارنا يوم بدر : يا نصر الله اقترب اقترب...“[11].

ولقد نزلت الملائكة لنصرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدر ، قال الله عز وجل : ﴿وَلَقَدْ

١- الإمام الرضا ، علي بن موسى (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م) ، مسند الإمام الرضا (g) ، تحقيق: الشيخ عزيز الله عطاري ، (مؤسسة أستان قدس رضوي ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٤٧٩ ؛ الطوسي ، الأمالي ، ص٣٤٢.

٢- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٤٤ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٣١ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٣٨٠.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٨.

٤- الخزاز القمي ، كفاية الأثر ، ص٢٨٢ ؛ عباس القمي ، الأنوار البهية ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٣٧٥.

٥- ابن إسحاق ، السير والمغازي ، ج٣ ، ص٢٨٨ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٦٠١ ؛ المرزوي ، كتاب الفتن ، ص٢١٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٣ ، ص٣٩٤.

٦- الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن عبد الرحمن ، له صحبة ، أسلم يوم الفتح ثم حسن إسلامه وخرج إلى الشام مجاهداً ولم يزل بها إلى ان قتل باليرموك ، ويقال في طاعون عمواس. ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ج١١ ، ص٤٩١.

٧- جعاسيس : الجعسوس القصير الذميم أي الحقير ، والجعسوس : اللئيم في الخلق والخلق. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج١ ، ص٢٧٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٣٩.

٨- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٤ ، ص٤٨٧ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج١ ، ص١٦٣ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٢ ، ص٣٠٨.

٩- الأنفال : ٤٨.

١٠- الطوسي ، الأمالي ، ص١٧٦ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج٢ ، ص٧٤.

١١- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٤٧ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١١ ، ص١٠٥.

نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۞ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كان المسلمون قد أصابوا ببدر مئة وأربعين رجلاً ، قتلوا سبعين ، وأسروا سبعين..."[2].

وسميت بدر (يوم الفرقان) أي التفريق بين الحق والباطل ، وذلك لتمييز المسلمين من المشركين وفرزهم عنهم فرزاً اجتماعياً ، وهذا الفرز كان ضرورياً حينذاك لتكوين أمة الإسلام وتمييزها من غيرها . قال تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

وعن يوم بدر قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "يوم بدر هو الفرقان يوم التقى الجمعان ، وهو اليوم الذي فرق الله بين الحق والباطل ، وإنما كان قبل ذلك اليوم – هكذا – ووضع كفيه إحداهما على الآخر ، وإنما كان (صلى الله عليه وآله) يومئذ خرج في طلب العير ، وأهل بدر الذين شهدوا إنما كانوا ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً ، ولم يريدوا القتال إنما ظنوا أنها العير التي فيها أبو سفيان ، فلما أتى أبو سفيان الوادي ونزل في بطنه عن ميسرة الطريق ، فقال: إذا أنتم بالعُدْوَةِ الدنيا وهم بالعدوة القصوى ... قلت له : وما العدوة الدنيا ؟ قال مما يلي الشام ، والعدوة القصوى مما يلي مكة. فقلت : فالعدوتان بين ضفتي الوادي ؟ فقال: نعم..."[4]. وقال الصادق (عليه السلام) : "ونادى الشيطان على جبل مكة : إن هذا محمد في طلب العير ، فخرجوا على كل صعب وذلول"[5].

ويتضح من الحديث ان الإمام الصادق (عليه السلام) تكلم عن الفرز الاجتماعي العقائدي ،

١- آل عمران : ١٢٣-١٢٦.
٢- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٠٥ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج١ ، ص٣٩٧.
٣- الأنفال : ٤١.
٤- مجموعة محدثين ، كتاب الأصول الستة عشر من الأصول الأولية ، تحقيق: ضياء الدين المحمودي ونعمة الله الجليلي ومهدي غلام علي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص٢٥٨.
٥- المصدر نفسه والصفحة.

لكن الراوي سأله عن المكان[1]».

وفي شأن أسرى بدر تقول الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام)، ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال يوم بدر: "لا تأسروا أحداً من بني عبد المطلب فإنما أخرجوا كرهاً"[2].

ومثلما أشرنا سابقاً إلى ان الإمام الصادق (عليه السلام) يكشف عن الكثير من أحداث السيرة النبوية من عند تفسيره للآيات القرآنية، فقال (عليه السلام) في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ . . .﴾[3] «إنها نزلت في العباس وعقيل ونوفل، وقال: إن رسول الله نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم...»[4].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال، قال أبي: "كان النبي (صلى الله عليه وآله) أخذ من العباس يوم بدر دنانير كانت معه، فقال: يا رسول الله ما عندي غيرها؟ فقال: فأين الذي استخبيته عند أم الفضل؟ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وانك رسول الله، ما كان معنا حين استخبيتها"[5].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: "كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية، والأوقية أربعون مثقالاً، إلا العباس فأن فداءه كان مئة أوقية، وكان أخذ منه حين أُسر عشرون أوقية ذهباً، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): ذلك غنيمة، ففاد نفسك وابني أخيك نوفلاً وعقيلاً، فقال: ليس معي شيء. فقال: أين الذهب الذي سلمته إلى أم الفضل ... فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: الله تعالى، فقال: أشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد إلا الله تعالى"[6].

وقد يصاب الفرد المسلم بالدهشة والذهول، ويتملكه العجب، حين يقرأ أن بعض الصحابة البدريين بعد انتصارهم في بدر اختلفوا على الغنائم، وتشاجروا واتهم بعضهم بعضاً، وبلغ الأمر ان اتهموا نبيهم (صلى الله عليه وآله) بأنه سرق قطيفة فبرأه الله تعالى.

قال عبادة بن الصامت[7] حين سُئِل عن الأنفال: «فينا أصحاب بدر نزلت حين

١- الكوراني، السيرة النبوية، ج٢، ص١٥.
٢- الطوسي، الأمالي، ص٣٤١؛ مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، ج٢، ص٤٧٨.
٣- الأنفال: ٧٠.
٤- الكليني، الكافي، ج٨، ص٢٠٢؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج٢، ص٣١٤؛ الحويزي، نور الثقلين، ج٢، ص١٦٨.
٥- الحميري، قرب الإسناد، ص١٩.
٦- الطوسي، التبيان، ج٥، ص١٥٨؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٤٩٥.
٧- عبادة بن الصامت بن قيس بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأنصاري السلمي يكنى أبا الوليد، وكان عبادة نقيباً شهد العقبة الأولى والثانية والثالثة، وشهد بدراً والمشاهد كلها، توفي بالمدينة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. ينظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٢، ص٨٠٧.

اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقسمه بين المسلمين على السواء"[1].

واتفق الرواة على ان سورة الأنفال نزلت بعد معركة بدر ، وهي خمس وسبعون آية ، وأكثر آياتها في شأن بدر ، وموقف الإسلام من قريش ، وتوجيه المسلمين في جوانب من الحرب والسلم ، وتشريع الخمس لآل النبي (عليهم السلام). استناداً إلى الآية (٤١) من هذه السورة : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يقول الله بذلك للمسلمين : «أيها المختلفون على الغنائم ، المتهمون لنبيهم (صلى الله عليه وآله) بأنه سرق منها ! إنكم مدينون بانتصاركم لمحمد (صلى الله عليه وآله) وقرابته (عليهم السلام) فاعلموا إن خمس ما غنتم هو لهم إن كنتم مؤمنين بالله تعالى"[2].

وقد دافع الإمام الصادق (عليه السلام) عن هذه الحادثة التي اتهم فيها نبينا (صلى الله عليه وآله) بانه سرق القطيفة في بدر ، فقال حين سأله علقمة : "يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى عظائم الأمور ، وقد ضاقت بذلك صدورنا ! فقال الصادق (عليه السلام) : يا علقمة ، إن رضا الناس لا يملك ، وألسنتهم لا تضبط ! فكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام ؟! ألم ينسبوا نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) يوم بدر أنه أخذ لنفسه من المغنم قطيفة حمراء حتى أظهره الله عز وجل على القطيفة وبرأ نبيه (صلى الله عليه وآله) من الخيانة ، وأنزل في كتابه : وما كان لنبي أن يغل"[3].

وفي تفسير علي بن إبراهيم[4] : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [5] إنها نزلت في حرب بدر ، وكان سبب نزولها انه كان في الغنيمة التي أصابوها يوم بدر قطيفة حمراء ففقدت ، فقال رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما لنا لا نرى القطيفة ؟ ما أظن إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذها ، فأنزل الله في ذلك "وما كان لنبي أن يغل" إلى قوله تعالى

١- السرخسي ، المبسوط ، ج١ ، ص١٨٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٦٤.
٢- الكوراني ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٩٥.
٣- الصدوق ، الأمالي ، ص١٦٤.
٤- تفسير القمي ، ج١ ، ص١٢٦.
٥- آل عمران : ١٦١.

"وهم لا يظلمون" فجاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال إن فلاناً قد غل قطيفة فاحتفرها هنالك ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحفر ذلك الموضع فأخرج القطيفة.

وقد نقلت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) أخبار فرح النجاشي ملك الحبشة بانتصار المسلمين في بدر ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : «أرسل النجاشي ملك الحبشة إلى جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأصحابه ، فدخلوا عليه في بيت له جالس على التراب وعليه خلقان الثياب ، قال: فقال جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) : فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال ، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله نصر محمداً وأقر عيني به ، ألا أبشركم ؟ فقلت : بلى أيها الملك. فقال : إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك ، وأخبرني أن الله قد نصر نبيه محمداً (صلى الله عليه وآله) ، وأهلك عدوه ، وأسر فلان وفلان وفلان ، وقتل فلان وفلان وفلان ، التقوا بوادٍ يقال له بدر"[1].

ثانياً : غزوة أحد (٣هـ/٦٢٥م) :

أحد جبل مشهور بالمدينة في شمالها الغربي بينه وبين المدينة ثلاثة أميال ، سمي بذلك لتوحده وانفراده من الجبال التي هناك وهو الموضع الذي كانت عنده غزوة أحد[2].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "وكان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ، لأنه قتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون ، فلما رجعوا إلى مكة قال أبو سفيان : يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم ، فأن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد ، ويشمت بنا محمد وأصحابه ، فلما غزوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح ، فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح ، وخرجوا إلى مكة في ثلاثة آلاف فارس ، وألفي راجل ، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثثنهم على حرب رسول الله (صلى الله عليه وآله)"[3].

١- الطوسي ، الأمالي ، ص١٤.
٢- ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٧٩ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٠٩.
٣- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٢ ، ص٣٧٦ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج١ ، ص٣٧٤ ؛ المشهدي ، كنز الرقائق ، ج٢ ، ص٢١٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٤٨ ؛ الحائري ، محمد مهدي ، شجرة طوبى ، ط٥ ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م) ، ج٢ ، ص٢٧٧.

إن تشريعات الجهاد في الإسلام تبدأ بالكلمة والموعظة القرآنية ، إلا ان الأمر الذي حصل في أحد ، هو ان المسلمين اضطروا للدفاع عن أنفسهم مخافة الاستئصال ضد عدو يطاردهم حتى بعد هجرتهم لقوله تعالى : ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾[1].

وفي الأحوال كلها فتشريعات القتال في الإسلام تدور بين أوامر تشريعية تخضع لقواعد تشريعية فالأوامر هي (قاتلوا) والقواعد التشريعية هي (في سبيل الله) بمعنى ان يكون القتال دفاعياً فقط ، أو قتال أولئك الذي يقاتلونكم من دون اعتداء عليهم لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ[2] . . . فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[3] أي أن المسلمين حين يعتدون على من لم يعتد عليهم فأنهم لم يتقوا الله !! لهذا نرى أن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول : "... لما بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن قريش جمعوا جموعهم لحربه في المدينة حث أصحابه على الجهاد والخروج..."[4].

وقال (عليه السلام) : "...فقال عبد الله بن أبي[5] وقوم : يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها ، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح ، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا ، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم علينا ، فقام سعد بن معاذ[6] وغيره من الأوس فقالوا : يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام ، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا ، لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم ، فمن قتل هنا كان شهيداً ، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله ، فقبل رسول الله قوله ، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال ... فضرب

١- الفرقان : ٥٣.
٢- البقرة : ١٩٠.
٣- البقرة : ١٩٤.
٤- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٢ ، ص٣٧٦ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج١ ، ص٣٧٤ ؛ المشهدي ، كنز الرقائق ، ج٢ ، ص٢١٢.
٥- عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب ، المشهور بابن سلول ، وسلول جدته لأبيه من خزاعة ، رأس المنافقين في الإسلام ، من أهل المدينة ، وكان سيد الخزرج آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر تقية ، وكان كلما حل بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلما سمع بسيئة نشرها ، مات سنة ٩هـ/ ٦٣٠م. ينظر: ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٣٦١ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤ ، ص٦٥.
٦- سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الاشهل ، وهو الذي حكم على بنو قريظة أن تقتل رجالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم ، توفي سنة خمس من الهجرة بعد الخندق بشهر وبعد قريظة بليال. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ٦٠٢.

رسول الله عسكره مما يلي طريق العراق ، وقعد عنه عبد الله بن أبي وقومه ، وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ، ووافت قريش إلى أحد ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عد أصحابه وكانوا سبعمائة رجل ، فوضع عبد الله بن جبير[1] في خمسين من الرماة على باب الشعب ، وأشفق ان يأتي كمينهم من ذلك المكان ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعبد الله بن جبير وأصحابه : إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان ، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم"[2].

ولما اصطف القوم نادى أبو سفيان : «يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبني عمنا وننصرف عنكم ، فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن»[3].

وخرج طلحة بن أبي طلحة[4] ، وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة ، فخرج إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فضربه فقطع رجليه فوقع على الأرض وبدت عورته فرجع عنه ولم يجهز عليه[5].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كان أصحاب لواء المشركين يوم احد تسعة قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم ، وانهزم القوم ، وطارت مخزوم منذ فضحها علي (عليه السلام) يومئذ"[6].

وقال (عليه السلام) : "وبارز علي (عليه السلام) الحكم بن الأخنس[7] فضربه فقطع رجله من نصف الفخذ فهلك منها ، ولما جال المسلمون تلك الجولة أقبل أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة[8] وهو دارع ويقول : يوم بيوم ببدر ، فعرض له رجل من المسلمين فقتله أمية ، وصمد له علي بن أبي

١- عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك من بني عبد الله بن غطفان ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، شهد بدراً وأحداً ، قتل يوم أحد وهو على الرماة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٧٥.

٢- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص١١١-١١٢ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٢ ، ص٣٧٧ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج١ ، ص٣٨٥.

٣- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٤٩٧.

٤- طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وهو صاحب لواء المشركين يوم أحد ، قتل يوم أحد سنة ٣هـ ، قتله علي بن أبي طالب (عليه السلام). ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٣٨.

٥- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص١١١ ؛ الشريف المرتضى ، رسائل المرتضى ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ، ط١ ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ج٤ ، ص١٢٠ ؛ ابن سلامة ، أبو عبد الله محمد (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م) ، دستور معالم الحكم ومآثر مكارم الشيم ، ط١ ، (مكتبة المفيد ، قم ، د.ت) ، ص٨٤ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص١٧٦.

٦- المفيد ، الارشاد ، ج١ ، ص٨٧ ؛ محسن الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٥٦.

٧- الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زهرة ، قتل يوم أحد سنة ٣هـ قتله علي بن أبي طالب (g). ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٤٢ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٦٠ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص١٣٧ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٢٠٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٤ ، ص٢٩.

٨- أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة : أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، أمه عبلة بنت عبيد بن جاذل ، قتله علي بن أبي طالب (g) يوم أحد سنة ٣هـ. ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٤١ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٦٠ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج١ ، ص٤٤٢ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٢ ، ص٢٤١.

طالب (عليه السلام) فضربه بالسيف على هامته ... ثم تناوشا فقال علي (عليه السلام) : فنظرت إلى فتق تحت أبطه فضربته بالسيف فيه فقتلته وانصرفت عنه"[1].

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "نادى ملك من السماء يوم أحد ، لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي"[2].

وهكذا أدى سيف علي (عليه السلام) دوره المميز في معارك الجهاد لرفع راية الإسلام ، وإخفات رايات الشرك ، فلما قتل علي (عليه السلام) أصحاب لواء المشركين صاروا كتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضرباً حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ (يا نصر الله اقترب) وهو المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام)[3] . وشعار الكفار : «اعل هبل ، اعل هبل»[4] وقيل كان شعارهم : «يا للعزى» «يا لهبل»[5].

وانهزم المشركون ووقع المسلمون ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم وانشغلوا عن الحرب ، وهنا حدث التحول الكبير في مجرى معركة أحد وسيرها وتغيرت المعادلة العسكرية رأساً على عقب ، وستكشف لنا هذه الحادثة عن الدور الأكبر الذي لعبه المنافقون !! فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالبقاء في مكانهم : "الغنيمة ! أي قوم قد غلب أصحابكم ، فما تنتظرون؟"[6] ومعنى ذلك ان الرماة طمعوا في الغنيمة ناسين أمر القائد العام وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أمرهم بالثبات في مراكزهم إذ قال لهم: إنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم. فقال لهم قائدهم عبد الله بن جبير : "أنسيتم ما قال لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعني قوله لا تبرحوا. فأبوا أن يطيعوه ، وقالوا : والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فإن المشركين قد انهزموا فما مقامنا هنا"؟ وقد ظن هؤلاء

١- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص٨٨ ؛ الأربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ البحراني ، حلية الأبرار ، ج٢ ، ص٤٣١ ؛ وينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٧٥.

٢- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص٨٧ ؛ الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ص١٢٨ ؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص٣٨٢ ؛ البحراني ، مدينة المعاجز ، ج١ ، ص١٠٩.

٣- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٤٧ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص١٣٨.

٤- ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٨ ، ص٤٩١ ؛ ابن حنبل ، مسند احمد ، ج١ ، ص٢٨٨ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٧ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٠ ، ص٣٠١ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٣٩٨ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٢٩٧ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج٦ ، ص٢٩٠.

٥- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٤٩٨.

٦- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٩٤ وما بعدها.

أن الحرب قد انتهت وأن قريشاً هزمت وقد ثبت عبد الله بن جبير في مكانه وثبت معه دون العشرة[1].

فلما توجه الرماة إلى محل الغنيمة ، كرَّ المشركون راجعين ، ونظر خالد بن الوليد[2] إلى خلاء الجبل الذي كان الرماة فيه وقلة أهله ألتف بالخيل من وراء الجبل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ومثلوا به ووقعت الهزيمة في المسلمين بعد مدّة وجيزة لأنهم خالفوا ما نهاهم عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فعوقبوا لمخالفته[3].

ووقع الاختلاط في جيش المسلمين وارتبكوا وصار يضرب بعضهم بعضاً ، وثبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يفارق مكانه الذي وصل إليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبراً واحداً من موقفه مع ان الاختلاط كان شديداً حتى فقد المسلمون التمييز بينهم وبين أعدائهم ، فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض[4].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأبو دجانة سماك بن خرشة[5] ، فقال له النبي (عليه السلام) : يا أبا دجانة أما ترى قومك ؟ قال : بلى ، قال: الحق بقومك ، لا تتحدث قريش بأني خذلتك وفررت حتى أذوق ما تذوق ، فجازاه النبي (صلى الله عليه وآله) خيراً ، وكان علي (عليه السلام) كلما حملت طائفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) استقبلهم وردهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات..."[6].

وفي رواية أخرى للإمام الصادق (عليه السلام) قال : "انهزم الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد فغضب غضباً شديداً ، وكان إذا غضب انحدر من وجهه وجبهته مثل اللؤلؤ من العرق ، فنظر فإذا علي (عليه السلام) إلى جنبه ... فحمل علي (عليه السلام) فضرب أول من لقى منهم ، فقال جبرئيل

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢٠ ، ص٣٩-٤٠.
٢- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الفرشي المخزومي ، أبو سليمان الحجازي ، أسلم بعد الحديبية ، وقبل الفتح أول يوم من صفر سنة ثمان للهجرة ، شهد مؤتة ، والفتح وحنيناً ، مات سنة إحدى وعشرين للهجرة بمدينة حمص. ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج٨ ، ص١٨٧.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٩٤.
٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٥٨٨-٥٩٢ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٣٤-٣٩.
٥- أبو دجانة الأنصاري الساعدي واسمه سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة الأنصاري أحد بني ساعدة ، شهد بدراً مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، واستشهد يوم اليمامة سنة ١١هـ وهو ممن اشترك في قتل مسيلمة يومئذ. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٦٤٤.
٦- الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص٧.

(عليه السلام) : إن هذه لهي المواساة يا محمد ، قال : إنه مني وانا منه ، قال جبرئيل وأنا منكما"[1].

ويشير الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أحداث مهمة حصلت في معركة أحد ، وأثر الهزيمة التي حصلت فيها ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كُسرت رباعيته ، وإن الناس ولوا مصعدين في الوادي ، والرسول يدعوهم في أخراهم فأثابهم غماً بغم ، ثم أنزل عليهم النعاس ، أي : الهم ، فلما استيقظوا قالوا كفرنا ، وجاء أبو سفيان فعلا فوق الجبل بإلهه هبل ، فقال : أعل هبل ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ : الله أعلى وأجل"[2].

وقال (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال يا علي أين كنت؟ فقال : يا رسول الله لزقت بالأرض – أي لم أفر ولم أتحرك عن مكاني – فقال : يا علي ائتني بماء أغسل عني فأتاه في صحفة ، فإذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد عافه ، وقال : ائتني في يدك ، فأتاه بماء في كفه ، فغسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن لحيته"[3].

وكان للسيدة فاطمة الزهراء دور كبير ومهم في الوقوف في هذه المعركة ، ووصولها إلى أرض الميدان بعد سماعها أخبار الهزيمة ، ففي الوقت الذي فر فيه المنافقون من أرض المعركة ، كانت هي تتحدى المخاطر وتصل إلى قلب المعركة ، وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذا الدور المتميز لسيدة نساء العالمين (عليها السلام) ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: "...فلما دنت فاطمة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورأته قد شج في وجهه وادمي فوه إدماء ، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول : اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله ! وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يرجع منه شيء!"[4].

وأشار البخاري[5] إلى دور فاطمة (عليها السلام) في هذه المعركة وروى انه : "لما كسرت بيضة

١- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص١١٠ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص٧ ؛ الطبرسي ، أعلام الورى ، ج١ ، ص١٧٧ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٣٩. ووردت الرواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) عند القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج١ ، ص٣٧٤ ؛ ابن سليمان الكوفي ، مناقب الإمام (عليه السلام) ، ج١ ، ص٤٧٧. أما روايتها عن طريق عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ، فوردت عند : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٩٧ ؛ الطبري الإمامي ، بشارة المصطفى ، ص٢٨٧ ؛ ابن البطريق ، العمدة ، ص٩٩ ؛ ابن طاووس ، الطرائف في معرفة مذهب الطوائف ، ط١ ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٧م) ، ص٦٥ ؛ محب الدين الطبري ، ذخائر العقبى ، ص٦٨ ؛ الخطيب التبريزي ، الاكمال ، ص٦٧ ؛ الزرندي الحنفي ، جمال الدين محمد بن يوسف (ت٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م) ، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين ، ط١ ، (مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة ، د.م ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) ، ص١٢٠.

٢- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٠١.

٣- المصدر نفسه والصفحة.

٤- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٧٧.

٥- صحيح البخاري ، ج٣ ، ص٢٢٧.

النبي (صلى الله عليه وآله) على رأسه وأدمي وجهه وكسرت رباعيته ، كان علي (عليه السلام) يختلف بالماء في المحجن وكانت فاطمة (عليها السلام) تغسله ، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه يعني رمادها فرقأ الدم".

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى دور المنافقين في معركة أحد ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله : "لما انهزم الناس عن النبي (صلى الله عليه وآله) يوم أحد نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إن الله قد وعدني ان يظهرني على الدين كله ، فقال له بعض المنافقين وسماهما : فقد انهزمنا ويسخر بنا"[1].

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾[2] قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كان المسلمون قد أصابوا ببدر مئة وأربعين رجلاً ، قتلوا سبعين رجلاً ، وأسروا سبعين ، فلما كان يوم أحد أصيب من المسلمين سبعون رجلاً ، قال: فاغتموا بذلك فأنزل الله تبارك وتعالى : أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها"[3].

ومن الأحداث المهمة والمثيرة في معركة أحد ، استشهاد حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) عم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فقد روى الشيخ المفيد[4] بسنده عن عبد الله بن مسعود : «كانت هند بنت عتبة[5] جعلت لوحشي جعلاً على ان يقتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو حمزة بن عبد المطلب عليهما السلام فقال لها : أما محمد فلا حيلة لي فيه ، لأن أصحابه (يطيفون به) ، وأما علي فانه إذا قاتل كان أحذر من الذئب ، وأما حمزة فأني أطمع فيه ، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه ، وكان حمزة – يومئذ – قد أعلم بريشة نعامة في صدره ، فكمن له وحشي في أصل شجرة ، فرآه حمزة فبدر إليه بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه ، قال وحشي: وهززت حربي حتى إذا تمكنت منه رميته ، فأصبته في أربيته فأنفذته، وتركته حتى إذا برد صرت إليه فأخذت حربتي ، وشغل عني وعنه المسلمون بهزيمتهم. وجاءت هند فأمرت بشق بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به ، فجدعوا أنفه وأذنيه ومثلوا به ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله)

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٠١.
٢- آل عمران : ١٦٥.
٣- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٠٥.
٤- الارشاد ، ج١ ، ص٨٢.
٥- هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وهي والدة معاوية بن أبي سفيان قتل أبوها ببدر ، وشهدت مع زوجها أبي سفيان أحداً وحرضت على قتل حمزة (g) لكونه قتل عمها شيبة ، فقتله وحشي بن حرب ، أسلمت هند يوم الفتح وماتت في خلافة عمر بن الخطاب. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٩٢٢ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٦ ، ص٢٨٤.

مشغول عنه ، لا يعلم بما انتهى إليه الأمر"[1].

وفي رواية الإمام الصادق (عليه السلام) : "وزرقه وحشي فوق الثدي فسقط ، وشدوا عليه فقتلوه ، فأخذ وحشي الكبد فشد بها إلى هند بنت عتبة ، فأخذتها فطرحتها في فيها ، فصارت مثل الداغصة[2] فلفظتها"[3]. ولنا ان نتصور مقدار القساوة والغلظة التي كانت سائدة في مجتمع الجاهلية ، حين تلوك امرأة من علّية القوم ومن العوائل الارستقراطية الرفيعة كبد القتيل في ساحة المعركة لا لشيء إلا تشفياً منه.

وفي رواية الطبرسي[4] : كان وحشي يقول: «قال لي جبير بن مطعم وكنت عبداً له أن علياً قتل عمي يوم بدر ، يعني طعيمة ، فان قتلت محمداً فأنت حر ، وان قتلت ابن عم محمد فأنت حر ، فخرجت بحربة لي مع قريش إلى أحد أريد العتق لا أريد غيره ، ولا أطمع في محمد ، وقلت لعلي أصيب من علي أو حمزة فأزرقه ، وكنت لا أخطئ في رمي الحراب تعلمته من الحبشة في أرضها ، وكان حمزة يحمل حملاته ، ثم يرجع إلى موقفه».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما صُنع بحمزة بن عبد المطلب قال : اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى ، ثم قال : لئن ظفرت لأمثلن ولأمثلن ، قال : فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[5] قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أصبر أصبر"[6].

إن القارئ الجيد لأحداث معركة أحد لا يمكن ان يجزم بان خروج الرماة عن مواقعهم كان السبب الوحيد في هذه الهزيمة التي حصلت للمسلمين ، فالأحداث تشير إلى أن المنافقين واليهود لعبوا دوراً واضحاً في التخطيط للإيقاع بالمسلمين وحصول هذه الهزيمة.

فقد أشارت المصادر[7] إلى أن عبد الله بن أبي انسحب قبيل بدء المعركة ، وعبد الله بن

١- ينظر : ابن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، ص١٥٨ ؛ الأربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٩٢.
٢- الداغصة : عظم يموج فوق رضف الركبة ، وعليه شحم داخل فيها رهل . تقول العرب للرجل إذا سمن حتى كأنه داغصة. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٤ ، ص٣٧١ ؛ ابن السكيت ، الكنز اللغوي ، ص٢٢٦ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٢٨٥ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٢٠٨.
٣- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٨٠.
٤- المصدر نفسه والصفحة.
٥- النحل : ١٢٦.
٦- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٢٧٤.
٧- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص١٩٠ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٤ ، ص٢٣٠ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص١٣٧

أبي هذا كان غير مقتنع أصلاً بالخروج إلى أحد ، وفضل البقاء في المدينة وإدارة المعركة داخل المدينة ، فإذا كانت هكذا قناعاته فلماذا خرج مع جيش الرسول (صلى الله عليه وآله) وقطع مسافات طويلة وسار مع جيش المسلمين ثم انسحب ، ألا يعني هذا ان غايته كانت هي إضعاف معنويات المقاتلين الآخرين الذين لم يفكروا بالانسحاب ؟ لقد كان الأولى به أن لا يشترك أصلاً في المعركة ، أما أن ينسحب في لحظات حرجة وموقع قريب من ساحة المعركة فان هذا له جانب نفسي كبير على معنويات المقاتلين الآخرين وإدخال الضعف والوهن إلى صفوفهم ، وإذا جاز مثل هذا الاحتمال فلابد أنه جاء نتيجة تنسيق مع يهود المدينة.

والدليل على ذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) رفض مشاركة اليهود والمنافقين في هذه المعركة ، وهذا يدل على عظمة حسه العسكري وفكره الثاقب ، فحين وصل (صلى الله عليه وآله) إلى رأس الثنية ، التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجل خلفه ، فقال : "ما هذه ؟ قالوا : يا رسول الله هؤلاء حلفاء ابن أبي من يهود. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك"[1].

وعندما علم عبد الله بن أبي برفض الرسول (صلى الله عليه وآله) مشاركة اليهود معهم في المعركة قام بالانسحاب من القتال بحجة واهية ، واستطاع أن يقنع بها بعض أبناء الأوس والخزرج فانسحبوا معه ، إذ لا يعقل أن يبلغ عدد المنافقين بين جيش المسلمين ثلاثمائة منافق فلابد أن نسبة كبيرة من بين هؤلاء كانوا من المسلمين الذين استطاع ابن أبي وأتباعه التغرير بهم وحملهم على الانسحاب من المعركة[2].

إن انسحاب هذا العدد الكبير من جيش المسلمين لابد أن يكون أثر تأثيراً كبيراً في معنويات المقاتلين المسلمين ، خاصة وان هذا العدد يصل بحسب رواية الإمام الصادق (عليه السلام) إلى أقل من نصف عدد أفراد الجيش بقليل ، فقد روي عنه (عليه السلام) قوله: "...كان رسول الله عدَّ أصحابه فكانوا سبعمائة رجل"[3].

يظهر مما تقدم ان هناك مؤامرة للغدر بالمسلمين قبل معركة أحد ، وان قريش كانت على

؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٤ ، ص١٨٨.

١- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٣٩ ؛ الزيلعي ، نصب الراية ، ج٤ ، ص٢٨٨ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص١٣٥.

٢- الملاح ، الوسيط ، ص٢٣٦-٢٣٧.

٣- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص١١١-١١٢ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٢ ، ص٣٧٧.

علم بخيوط هذه المؤامرة وأبعادها ، وربما كان رجوع الرسول (صلى الله عليه وآله) عن رأيه في القتال داخل المدينة ، وتبنيه لرأي أغلبية المسلمين للقتال خارجها على خلاف ما دعا له عبد الله بن أبي زعيم المنافقين كان بسبب تخوفه من حقيقة موقف المنافقين ونشاطاتهم في داخل المدينة ، إذ لو وقع القتال مع المشركين داخل المدينة وقام أطراف المؤامرة بتنفيذ مؤامراتهم والتعاون مع المشركين لأدى ذلك إلى تحطيم قوة المسلمين وسيطرة المشركين وحلفائهم على المدينة.

ورب سائل يسأل : لماذا انسحب جيش قريش قبل تحقيق هدفه ؟ ولماذا لم يستمر هذا الجيش بالزحف على المدينة والقضاء على الدعوة الإسلامية نهائياً مادام جيش المسلمين قد انهزم؟ وفي هذا يقول الشيخ علي الكوراني[1] «لا نجد سبباً مادياً لانسحاب جيش قريش من معركة أحد قبل أن يحقق هدفه في قتل النبي (صلى الله عليه وآله) واحتلال المدينة ، إلا التدخل الإلهي".

فقد بعث الله الملائكة فقاتلوا مع الإمام علي (عليه السلام) حتى انهزم المشركون ، وبعد انسحابهم بعث علياً (عليه السلام) لاعتراضهم ليتأكد من ان وجهتهم مكة وليست المدينة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ولما رأى النبي (صلى الله عليه وآله) اختلاج ساقيه من كثرة القتال ، رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال : يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يُعْبك ، فأقبل علي (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدام حيزوم ، وما أهمُّ أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل ان أضربه ! فقال هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ... ثم انهزم الناس فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) : يا علي امض بسيفك حتى تعارضهم ، فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص (الإبل) وجنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة ، وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فانهم يريدون المدينة ، فأتاهم علي (عليه السلام) فكانوا على القلاص ، فقال أبو سفيان لعلي : يا علي ما تريد ! هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك ! فأتبعهم جبرئيل كلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير! وكان يتلوهم ، فإذا ارتحلوا قالوا : هو ذا عسكر محمد قد أقبل ! فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر ، وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا : رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم

١ - السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٢٥٣.

فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم"[1].

وهذه حادثة غريبة في تاريخ المعارك ! حيث يطارد رجل واحد جيشاً منتصراً من ثلاثة آلاف مقاتل فيقول له قائده : ارجع لا نريد قتالك ، وها نحن منسحبون !.

١ - الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٣١٨.

المبحث الثالث :

الصراع العقائدي والسياسي في المدينة حتى صلح الحديبية :

أولاً : تحويل القبلة :

تؤكد الروايات الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، أن القبلة تحولت إلى الكعبة بعدما صلى النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس ، فبعد هجرته إلى المدينة ببضعة أشهر عيرته اليهود فصلى إلى الكعبة ، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : «ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة ، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقولون : أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا ، فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذلك غماً شديداً ، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله في ذلك أمراً ، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين ، فنزل عليه جبرئيل فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة ، وأنزل عليه : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾[1]»[2].

وعن أبي بصير ، عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] فقلت له الله أمره أن يصلي إلى البيت المقدس ؟ قال: نعم ألا ترى إن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[4] قال : إن بني عبد الأشهل أتوهم وهم في الصلاة وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس فقيل لهم

١- البقرة : ١٤٤.
٢- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج١ ، ص٤١٤.
٣- البقرة : ٤٢.
٤- البقرة : ٤٣.

إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين»[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس قال المسلمون للنبي (صلى الله عليه وآله) : أرأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس ما حالنا فيها وحال من مضى من أمواتنا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ فأنزل الله : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[2] فسمى الصلاة إيماناً»[3].

ثانياً : مناصرة المنافقين لليهود وموقف الرسول (صلى الله عليه وآله) منهم :

في حساب التاريخ إن المواجهة الأولى بين الإسلام والوثنية تختلف تماماً عما سيواجهه (صلى الله عليه وآله) في المدينة من معركة معقدة بينه وبين أعدائه ، في ميدان ذي جبهات ثلاث ، يلقى فيه حشود قريش في صدام مسلح ، وعصابات يهود في أوكارهم الخطرة ، وجيوب المنافقين الذين حالفوا الشيطان. وتتداخل هذه الجبهات زماناً ومكاناً ، فيزداد الموقف تعقيداً[4] .

ويرى جواد علي[5] : «أن خصومة اليهود للإسلام بدأت خصومة فكرية ، هم يرفضون الاعتراف بنبوة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وبأن دعوته موجهة إليهم ، ويرفضون نبوة في غير بني إسرائيل ، والرسول يدعوهم إلى الإيمان بالله وإلى الدخول في دعوته المبنية على الإيمان بالله رب العالمين ، رب العرب وبني إسرائيل والعجم ، وعلى الإيمان بنبوته ونبوة الأنبياء السابقين ، ثم تطورت هذه الخصومة إلى معارك وحروب ، والحروب كما نعلم تبدأ نزاعاً في الآراء والأفكار ثم تتحول إلى صراع ونزاع".

أما ظاهرة النفاق التي بدأت في مجتمع المدينة قبل معركة بدر ، أنتجت فئة جديدة هي فئة المنافقين ، فأنها لم تكن معروفة في المجتمع المكي ، والدليل على عدم وجود هذه الفئة في

١- الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٢ ، ص٤٣ ؛ الإحسائي ، عوالي اللئالي ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٤ ، ص٢٩٧.
٢- البقرة : ١٤٣.
٣- العياشي ، تفسير العياشي ، ج١ ، ص٦٣-٦٤ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج١٩ ، ص١٩٩ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٣ ، ص١٧٢.
٤- بنت الشاطي ، مع المصطفى ، ص٢٠٨.
٥- المفصل ، ج٦ ، ص٤٢٧.

مجتمع مكة ان السور المكية لم ترد فيها إشارة إلى النفاق ، ويبدو أن ذلك أمر طبيعي وذلك لأن المسلمين في هذه المرحلة كانوا مستضعفين من المشركين ، ومن ثم فلم يدخل الإسلام إلا من كان صادق الإيمان ، مستعداً لتحمل الأذى والتضحية في سبيله.

وفي المرحلة المدنية حينما أصبح الإسلام ديناً ودولة ، دخل فيه كثير من رؤساء عشائر الأوس والخزرج ، فقد ظهر من الأسباب ما يدعو بعض الأفراد للدخول في الإسلام رغبة في تحقيق بعض المآرب الخاصة أو مجاراة لقومهم أو غير ذلك من الأسباب. فدخل كثير من المشركين في الإسلام بدوافع المصلحة بعد أن أدركوا قوة الإسلام ودولته.

يقول البخاري[1] : «...فلما غزا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدراً ، فقتل الله به صناديد كفار قريش ، قال ابن أبي سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان ، هذا أمر قد توجه ، فبايعوا الرسول (صلى الله عليه وآله) على الإسلام ، فأسلموا".

وما يؤيد خطورة المنافقين ، أنهم عبارة عن مجموعة أفراد لا تربطهم رابطة قبلية جامعة ، ولا يعبرون عن مصالح قبلية بعينها ، إذ لم يرد ذكر قبيلة كانت بمجموعها منافقة ، ولم يكن لهم تنظيم سياسي جامع أو عقيدة محددة المعالم أو فلسفة ايجابية تنظم آراءهم وتنسق أعمالهم ، وإنما كانوا أفراداً يجمعهم سلوك ومواقف متشابهة من الإسلام ودولته. وبذلك يكون مجموعهم صنفاً قائماً بذاته ، وهم يتميزون عن المشركين والكافرين على الرغم من اتفاقهم وإياهم في كثير من المواقف والمشاعر[2].

وهكذا فقد انعقد تحالف ضمني بين اليهود ومنافقي المدينة الذين استثمروا صلاتهم بأبناء قومهم من الأنصار، وأفادوا من تظاهرهم بالإسلام ليتحولوا إلى وسط ناقل للإشاعات والدسائس التي تستهدف تمزيق وحدة الأمة والتشكيك برسالة الإسلام.

ومن أمثلة العلاقة الوثيقة بين اليهود والمنافقين في العداوة للإسلام وللرسول (صلى الله عليه وآله) ما رواه الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد[3] قال : «ركب النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً حماراً بإكاف عليه

١- صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٧٣ ؛ وينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١٠ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٨ ، ص١٥٥.
٢- العلي ، صالح أحمد ، دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها ، ط٢ ، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م) ، ص١٦٤.
٣- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان ، وهو صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويكنى أبا محمد وأمه أم أيمن اسمها بركة حاضنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومولاته ، ولد أسامة بمكة ونشأ حتى أدرك ولم يعرف إلا الإسلام ولم يدن بغيره ، هاجر مع رسول الله

قطيفة فدكية ، وردف أسامة بن زيد يعود سعد بن عبادة[1] في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين من اليهود وعبدة الأوثان ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر ابن أبي أنفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم وقف فدعاهم إلى الله عز وجل وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبي: أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول تؤذنا في مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله أغشنا في مجلسنا فأنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يقتتلون فخفضهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى سكتوا وسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال أي سعد ألم تسمع ما قال أبو الحباب وخبره ما كان فقال سعد يا رسول الله أعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاءك الله عز وجل بالحق الذي انزله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحرة أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة[2] فرد الله عز وجل ذلك بالحق الذي انزله عليك»[3]. فما كان من الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا أن عفا عنهم ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يعفو عن المشركين وأهل الكتاب كما أمره الله ، وكان يصبر على الأذى لقوله تعالى : ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾[4] ، وقال عز وجل : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾[5] ، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يتأول في العفو ما أمره الله به[6].

وقد تولت الكثير من آيات القرآن الكريم كشف حقيقة اليهود والمنافقين ، فأوضحت

(صلى الله عليه وآله) إلى المدينة ، مات أسامة آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٦١-٧٢ ؛ ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٧١ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٢ ، ص٢٠.

١- سعد بن عبادة بن دليم بن أبي حليمة ويقال بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقيل أبا قيس والأول أصح. وكان نقيباً شهد العقبة وبدراً في قول بعضهم ولم يذكره بن إسحاق في البدريين ، كان سيداً في الأنصار مقدماً وجيهاً له رياسة وسيادة يعترف قومه لها بها ، وكانت راية رسول الله يوم الفتح بيد سعد بن عبادة ، مات سعد في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة للهجرة. ينظر: ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٥٩٤-٥٩٨.

٢- ويعصبونه معناه يسوّدونه ويملكونه ، وكانوا يسمون السيد المطاع معصباً ، لأنه يعصب بالتاج. وذكر ان عادة نظم الخرز في عقد يوضع على الرأس ، ليكون شعاراً للملك والحكم عادة كانت معروفة في الحجاز. وقد ورد ان عبد الله بن أبي بن سلول كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فما راعه إلا مجيء الإسلام إلى يثرب وقدوم الرسول إليها ، فانصرف قومه عنه ، فحنق على الإسلام ، ورأى ان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد استلبه ملكه. ينظر : جواد علي ، المفصل ، ج٥ ، ص١٦٤.

٣- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٧٣ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١٠ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٨ ، ص١٥٥.

٤- آل عمران : ١٨٦.

٥- البقرة : ١٠٩.

٦- ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٣٥٨.

ان مواقفهم لا تستند إلى أساس من العقيدة أو الدين وإلا لما استباح اليهود لأنفسهم التعاون المشترك ضد المسلمين الموحدين.

فقد ورد ذكرهم في عدة آيات منها :

١-في سورة البقرة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[١].

٢-في سورة النساء : ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ۞ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾[٢].

٣-في سورة المائدة : ﴿ تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۞ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[٣].

ويتبين من مجمل آيات القرآن الكريم التي وردت بحق المنافقين ووصفهم ، أن المنافقين جماعة من الناس لهم سمات خاصة تميزهم عن الكفار من المشركين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ . . . ﴾[٤] ، وفي قوله تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[٥] ، وإن كانوا يشاركون الكفار والمشركين في عذاب الله وفي أن مصيرهم يوم القيامة جهنم[٦].

وقد وردت العديد من الأحاديث النبوية وأحاديث الأئمة الأطهار تبين صفات المنافقين وأبرزها:

١-عن الإمام الصادق (عليه السلام): "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : المنافق إذا وعد أخلف ، وإذا

١- البقرة : ٨-١٠.
٢- النساء : ٥٠-٥٢.
٣- المائدة : ٨٠-٨١.
٤- النساء : ١٤٢.
٥- الأحزاب : ٧٣ .
٦- العلي ، دولة الإسلام ، ص١٦١.

قال كذب ، وإذا ائتمن خان"[1].

٢-قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : "المنافق لسانه يَسُرْ ، وقلبه يَضُرْ"[2].

٣-قال الإمام الصادق (عليه السلام) يصف النفاق : "من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار"[3].

إذن هكذا أصبحت التركيبة السكانية للمجتمع المدني بُعَيد معركتي بدر وأحد ، وكان على الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يواجه هذه الفئات المتخاصمة معه. يضاف إلى ذلك ان هذه الفئات المتخاصمة وحين وجدت ان العداء مع الرسول (صلى الله عليه وآله) هو عداء مشترك ، لم تتأخر لحظة واحدة في التعاون فيما بينها ضد الرسول (صلى الله عليه وآله) ورسالته ، فكيف كانت سياسته (صلى الله عليه وآله) مع هذه الفئات ؟

إن اليهود في يثرب كانوا يشكلون الطبقة المثقفة ، وكان الوثنيون ينظرون اليهم نظرة إعجاب ، وكان للقبائل العربية معهم صلات ومصالح ووشائج قربى أحياناً ، وتحالفات عسكرية أحياناً أخرى ، والبدء بالهجوم عليهم وإعلان الحرب من غير أسباب ملموسة ومبررات واقعية تحدث من جانبهم ، كل ذلك يشكل عوائق في نفوس القبائل العربية[4].

لذا نجد الرسول (صلى الله عليه وآله) اتخذ حيال كل موقف ما يناسبه ولم يعمم العقوبة على جميع اليهود على الرغم من تشابه موقفهم في مناسبات عديدة. لكنه اتخذ من موقف كل قبيلة من العهد الذي كان بينه وبينها ما يناسبه ، وفي الوقت المناسب.

أما المنافقون الذين كانوا يشكلون خطورة أشد من المشركين واليهود فقد حرص الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) على أن تبقى علاقاته بهم حسنة وهذا دليل على حسه السياسي ، لأن الإبقاء على حسن العلاقات بالمنافقين أمر لابد منه وضروري في تلك الظروف ، والذي يريد أن يقتفي أثر فساد المنافقين في عهد الرسالة ، بل في كل زمان ، فعليه أن يبحث في مظان الحديث عن اليهود ، فأينما وجد اليهود وجد المنافقون !!

١- الحميري ، قرب الإسناد ، ص٢٨ ؛ ابن شعبة الحراني ، تحف العقول ، ص٣١٦ ؛ وينظر : النراقي ، عوائد الأيام ، ص١٣٢ ؛ البكري الدمياطي ، أبو بكر محمد شطا ، إعانة الطالبين ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ج١ ، ص١٨٢.

٢- الواسطي ، علي بن محمد الليثي (ت ق٦هـ/ ١٢م) ، عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ص٤٩ ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج٤ ، ص٣٣٣٨.

٣- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٣٤٣ ؛ الصدوق ، ثواب الأعمال ، ص٢٩٦ ؛ هادي النجفي ، موسوعة أحاديث أهل البيت ، ج١٠ ، ص٤٥.

٤- مسلم ، مصطفى ، معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ط٢ ، (دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) ، ص٧٣.

فعندما غدرت قبيلة قينقاع وخانت العهد ، وجدت هذه القبيلة من يتصدر لها ، ويتوسط لإطلاقها ، فقد طلب زعيم المنافقين إطلاقهم بدعوى أنهم كانوا حلفاءه في الجاهلية. وفي قصة غدرهم وبدايات شرارتها يروي ابن هشام[1] : «إن امرأة من العرب قدمت بجلب لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ لها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشف سوأتها ، فضحكوا عليها ، فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ... فحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى نزلوا على حكمه ، فقام عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال: يا محمد أحسن في موالي ، وكانوا حلفاء الخزرج ... فأبطأ عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد أحسن في موالي... فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أرسلني ، وغضب رسول الله حتى رأوا لوجهه ضلالاً ، ثم قال: ويحك ! أرسلني ، قال: لا ، والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربع مئة حاسر[2] وثلاثة مئة دارع[3] قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر .. فقال (صلى الله عليه وآله) : هم لك".

هذا أصل القصة التي حدثت في إثرها المواجهة مع بني قينقاع ، ومن الرواية يتضح مدى تشبث المنافقين باليهود ، ومدى الاستماتة التي أبداها رأس المنافقين عبد الله بن أبي في الدفاع والمناصرة عن اليهود ، حتى كان له ما أراد.

والرد السياسي واضح في هذه الرواية وغير قابل للشك فان ابن أبي عندما تعلق بثياب النبي (صلى الله عليه وآله) معترضاً على قتلهم كان هدفه هو النفوذ والسيطرة بقوتهم التي كانوا يسخرونها ضد الإسلام.

١- السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٦١ ؛ وينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص١٤٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٥ ؛ السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦.

٢- حاسر : هو الذي لا درع عليه ولا مغفر. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج١ ، ص٣٨٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص١٨٧ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٦ ، ص٢٧٥.

٣- دارع : رجل دارع : عليه درع. ينظر : ابن السكيت ، ترتيب إصلاح المنطق ، ص١٨٩ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج٣ ، ص١٢٠٧ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص١١٣ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٢٠.

وقد تميز رد ابن أبي في هذا الموقف بالعنف والقوة ، إذ وقف بوجه النبي (ﷺ) آخذاً بثيابه من اجل حلفائه من اليهود ولم يكن ذلك التصرف من ابن أبي قد جاء من فراغ سببه الرواسب الجاهلية أو حبه ووفاؤه لحلفائه ، بل إن هناك أفكاراً عميقة خاطئة في ذهن ابن أبي هي التي دفعته لذلك ، ولعل أبرزها اعتقاده بأن النبي (ﷺ) كغيره من القادة الذين يتمكنون من فرض سلطانهم لبرهة من الزمن بسبب توفر الظروف لهم ثم يتلاشى سلطانهم شيئاً فشيئاً حتى ينتهي ، ويعود هو ومن حالفه إلى وجودهم الطبيعي في المدينة ، وذلك بعد أن تتمكن قريش أو غيرها من القضاء عليه نهائياً ، ولعل ما يفسر ذلك هو مواقفه الشائنة تجاه المسلمين في الحروب والانتكاسات التي أصابتهم ، فهو يعمل دائماً على تخذيل المسلمين وتحريض الأعداء عليهم سواء من مشركين أو يهود وغيرهم ظناً منه أن ذلك سيؤدي إلى نتائج إيجابية له في يوم من الأيام[1].

وهنا لابد من بيان الوجه السياسي لسكوت النبي (ﷺ) عن تصرف عبد الله بن أبي سلول ، واستجابته لطلبه ، فقد كان ابن سلول ذا مكانة مرموقة في المدينة المنورة ، وقد قدم النبي (ﷺ) المدينة وإن قومه لينظمون له الخرز[2] ، وكان له أتباع كثيرون يضمون الحاقدين والمنافقين والمتآمرين ، وكان هؤلاء يأتمرون بأمره ، وهو هنا يذكر أنه هب لحمايته سبعمئة مسلح منهم ، وقد استطاع يوم أُحد ان يرجع إلى المدينة محتجاً على تصرف النبي (ﷺ) ، ويرجع معه ثلث الناس ، فأمر الرجل إذن ليس باليسير!!

ومن تلمس خطوات النبي (ﷺ) السياسية ، يجد أنه كان يؤثر – دائماً – استقرار الأمور في الداخل ، ويجعل ذلك منطلقه ، لأنه إذا ما ساءت الأمور في الداخل ساء معها كل شيء ، ولو لم يغض النبي (ﷺ) الطرف عن تصرف هذا المنافق ، ولو لم يُبدِ له شيئاً من التنازلات لأهاج عليه الناس.

١ – الغزي ، مازن خضير عباس ، الرد على الرسول محمد (ﷺ) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة البصرة ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م ، ص٥٨.

٢– ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٥٩ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٦١ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٩٣ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٠٩ ؛ وينظر : الأمين ، أعيان الشيعة ، ج٧ ، ص٩٠ ؛ الغضبان ، منير محمد ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، (مكتبة المنار ، عمان ، د.ت) ، ص٢٤٧.

وعلينا أيضاً أن لا ننسى ان هذا المنافق كان يظهر الإسلام ، ويتبعه أناس من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ، فإذا ما وقعت الواقعة كانت حرباً أهلية تجهض الدعوة الإسلامية ، وتقوض أركان الدولة ، لأن الناظر إلى هذا القتال من الخارج يرى ان المسلمين يقتل بعضهم بعضاً وسيشاع في أرجاء الجزيرة العربية أن محمداً يقتل أصحابه ، وسيرجف المرجفون بذلك ، وفي ذلك إساءة لسمعة الدولة الإسلامية ، وصد عن دين الله وتلك مفسدة كبيرة.

ويظهر في هذا الخبر فقه النبي (صلى الله عليه وآله) السياسي في تعامله مع عبد الله بن أبي سلول ، إذ لبى له طلبه ، فقال له : "هم لك" ولعله كان يرجو أن تزول الغشاوة عنه ، فتكون هدايته ، فيصلح بصلاحه الذين يسيرون وراء زعامته ، فيتماسك الصف ويلتحم ، فلا يتأثر من كيد أعداء الإسلام[1].

وهناك أمر آخر ، تمثل في حرص النبي (صلى الله عليه وآله) على تفادي حدوث أي فتنة في مجتمع المؤمنين ، إذ إن بعض الأنصار كان حديث عهد بالإسلام ، ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم[2].

لذلك سلك (صلى الله عليه وآله) معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءاته ، تجنباً للفتنة ، وإظهاراً لحقيقة الرجل من تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها ، ومن ثم يفر الناس من حوله ، ولا يتعاطفون معه.

ولابد من الإشارة إلى أن رواية المرأة المسلمة التي باعت بضاعتها في سوق بني قينقاع ، لم يرد لها ذكر في العديد من المصادر الإسلامية ، فلم يروها كل من ابن سعد في طبقاته ، ولا اليعقوبي في تاريخه ، ولا الطبري في تاريخه ، ولا المسعودي في المروج ، ولا يوجد ذكر في المصادر التاريخية جميعها لاسم المرأة ولا اسم الصائغ اليهودي ولا اسم المسلم الذي قتله.

ولم ترد هذه الرواية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) ، مما يجعلنا في حالة شك وعدم اطمئنان لحدوثها بالشكل الذي وصفته المصادر التي ذكرتها.

١- الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية ، ص٢٤٧ ؛ الجنابي ، ستار جبار شكر محمود ، أساليب المنافقين في محاربة المسلمين في القرآن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإمام الأعظم/ قسم أصول الدين ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م ، ص٢٢.

٢- الحميدي ، عبد العزيز عبد الله ، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، ط١ ، (دار الدعوة – دار الأندلس الخضراء ، الاسكندرية – جدة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص٥٢-٥٣.

وقبل الانتهاء من الحديث عن قصة المرأة المسلمة والاعتداء اليهودي عليها ، لابد من الإشارة إلى ان الإسلام بمفاهيمه العظيمة جاء ليكرس مبدأ الحق ، ومبدأ الحق لابد ان يكون وفق المنطق القرآني الذي يدافع عنه القرآن نفسه ، والحق في هذه القصة بحسب منطق القرآن أيضاً هو ان لا تزر وازرة وزر أخرى ولو كانت القصة حدثت بالفعل ، لقتل القاتل وانتهى الأمر ، فالإنسان يجب ان لا يحاسب بجريرة غيره.

استمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على سياسة التسامح والعفو مع أهل الكتاب والمنافقين والمشركين كما أمره الله سبحانه وتعالى بأن يكون الأصل في مضمون خطابه الدعوى لهم : ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾[1] ، وتأكيد أسلوب الحوار في قوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ . . . ﴾[2].

إلا إن الذي حصل هو أن اليهود استمروا على تحين الفرص للإساءة للرسول (صلى الله عليه وآله) ، واستمر معهم المنافقون على مناصرتهم. فبعد حادثة بني قينقاع يأتي دور بني النضير ومحاولتهم التآمر على حياته (صلى الله عليه وآله) من اجل قتله.

فقد ذكرت المصادر[3] أن الرسول (صلى الله عليه وآله) ذهب إلى بني النضير طالباً منهم معاونته في دفع دية الرجلين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لم تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة – ورسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد – فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب ... أحدهم ، فقال: انا لذلك ، فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ... فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ... فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

وعاد المنافقون لمناصرة اليهود بزعامة عبد الله بن أبي الذي قال لهم : "...أثبتوا وتمنعوا

١- النحل : ١٢٥.
٢- العنكبوت : ٤٦.
٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦٨٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٧٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٨٦.

، فإنا لن نسلمكم ، ان قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن اخرجتم خرجنا معكم..."[1].

والى هنا تبدو الأمور طبيعية ، لاسيما في إجراءات الحصار العسكري الذي اتخذه الرسول (ﷺ) لمحاصرة بني النضير ، لأنهم هددوا حياته بالقتل من ناحية ، وخيانتهم العهود والمواثيق من ناحية أخرى ، وكذلك موقف عبد الله بن أبي ، لأنه يمثل رأس النفاق في المدينة ، فهو أيضاً يمثل استمراراً للنهج العدواني الذي سلكه تجاه الرسول (ﷺ) وتحالفه واليهود.

إلا أن الموقف المثير للشك هو ما تناولته المصادر[2] من أنهم لما تحصنوا منه في الحصون ، أمر رسول الله (ﷺ) بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه "أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ؟".

ومثل هذا الخبر يحتاج للتحليل الدقيق حتماً ، لأنه يتعارض والمنهجين الأخلاقي والعسكري اللذين انتهجهما رسول الله (ﷺ) قبل الغزوة وبعدها . إذ لم يرد لمثل هذا العمل ذكراً سوى في هذه الغزوة وواقعة أخرى هي غزوة الطائف التي حرَّق فيها النبي (ﷺ) أعنابهم[3] التي سيرد ذكرها لاحقاً.

فالخبر يقول إن اليهود قد تحصنوا في قلاعهم بينما النخيل تقع خارج القلاع ، ولن يستفيد منها اليهود ، ولذلك فلا داعي لأن تحرق ، لاسيما ان الرسول (ﷺ) عازم على إجلاء بني النضير أسوة ببني قينقاع الذين أجلاهم قبل ذلك وغنم المسلمون نخيلهم من بعدهم. فكيف يحرق الرسول (ﷺ) النخيل ، حتى ولو لم تكن ستعود للمسلمين بعد جلاء أصحابها ؟.

والحرق نوع من الإفساد في الأرض حتى أن اليهود المحاصرين ذكروا الرسول (ﷺ) بذلك : "فنادوه: أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها"[4].

فهل يعقل أن يكون اليهود أكثر حصافة ورجاحة عقل من المصطفى (ﷺ) ؟ وهل

١- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٢٣ ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٩ ، ص٤٢٥ ؛ ابن كثير ، تفسير القرآن ، ج٤ ، ص٣٥٤.
٢- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٢٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٨٦ ؛ السيرة النبوية ، ج٣ ، ص١٤٧ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٨ ، ص٣٦٠.
٣- ينظر : البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٨٤ ؛ السرخسي ، شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، (مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م) ، ج١ ، ص٥٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٩٢ ؛ وينظر : الكوراني ، ألف سؤال وإشكال ، ج٢ ، ص٢٦٦.
٤- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٢٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٤.

يعقل أن يجرؤ الرسول (صلى الله عليه وآله) على الإفساد في الأرض وقد نزل القرآن الكريم يحذر الناس من الفساد وإهلاك الحرث والزرع ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾[1].

ثم إن هذا الخبر يتعارض وقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "أكرموا عمتكم النخلة ، فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم"[2] وخال من الحكمة ، ويتعارض وسمو أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويعطي صورة قبيحة عنه – حاشاه – (صلى الله عليه وآله).

والغريب أن المصادر الإسلامية على اختلاف اختصاصاتها تناولت هذا الخبر بالصحة والوثوق ، وركزت على دقة حصوله وفعله ، حتى ان مسلماً خصص باباً سماه : "باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها"[3]. وكأنه يريد تأكيد صدق رواية التحريق ، وتسابقت المصادر الإسلامية هي الأخرى إلى تأكيد خبر التحريق والقطع ، فقد أشارت كتب الحديث[4] إلى ان عبد الله بن عمر قال: «إن رسولا الله (صلى الله عليه وآله) حرَّق نخل بني النضير وقطَّع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت[5] :

وهـــان عـــلى سراة بـنـي لـؤي حـريـق بـالـبـويـرة مـسـتـطـيرُ

ولكتب الفقه[6] أيضاً حصتها من نقل هذا الحديث وتداوله وتناوله بالشرح والتحليل

١- البقرة : ٢٠٤-٢٠٥.

٢- أبو يعلى الموصلي ، مسند أبو يعلى ، ج١ ، ص٣٥٣ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٧ ، ص٣٨٢ ؛ الرامهرمزي ، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت٥٧٦هـ/ ١١٨١م) ، كتاب أمثال الحديث المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام ، ط١ ، (مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٧٣ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج١ ، ص٤٠٠ ؛ ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ/ ١٣٤٩م) ، الطب النبوي ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ص٣١١ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٥ ، ص٣٩ ؛ السيوطي ، الجامع الصغير ، ج١ ، ص٢١٢ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١٢ ، ص٣٣٨ ؛ العجلوني ، كشف الخفاء ، ج١ ، ص١٧١ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج١٦ ، ص٣١٩ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج٢٣ ، ص٣٩٢.

٣- مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٤٥.

٤- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٢ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٤٥ ؛ ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ج٢ ، ص٩٤٨ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٣ ، ص٥٤.

٥- حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك النجار ، كنيته أبو الوليد وكان ممن يذب عن المصطفى (صلى الله عليه وآله) بيديه وسيفه ويعينه بلسانه ، مات أيام الإمام علي (عليه السلام) في المدينة وهو ابن مئة وعشرين سنة. ينظر : ابن حبان ، مشاهير أعلام الأمصار ، ص٣٢ ؛ الباجي ، سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م) ، التعديل والتجريح ، تحقيق: أحمد البزاز ، ط١ ، (مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مراكش ، د.ت) ، ج١ ، ص٤٩٩ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٢ ، ص٣٧٨.

٦- مالك ابن أنس ، الاصبحي (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م) ، المدونة الكبرى ، ط١ ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٣م) ، ج٢ ، ص٨ ؛ الشافعي ، كتاب الأم ، ج٤ ، ص٢٧٢ ؛ المسند ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ص٣١٩ ؛ ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تحقيق: خالد العطار ، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)،

، لأنه من المسلمات ، فنقلت عن عبد الله بن عمر قوله : «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قطَّع نخل بني النضير وحرَّق" أو "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة" .

وذكر ان المشركين قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله) : "إنك تنهي عن الفساد في الأرض فما بال قطع الأشجار؟"[1] وهكذا يبدو للقارئ وكأن اليهود أو المشركين أكثر كياسة من الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله).

وفي بعض كتب التفسير[2] ، ان النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بقطع نخل بني النضير فقال واحد من الحصن – أي من اليهود – "إن هذا لفساد يا محمد وإنك تنهي عن الفساد ، أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر؟ وهل وجدت فيما أنزل الله عليك إباحة الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي (صلى الله عليه وآله) ووجد المؤمنون في أنفسهم حتى اختلفوا ، فنزلت الآية : ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3]». هكذا تنقل كتب التراث الإسلامي قصة حرق النخيل ، وهي أبعد ما تكون عن أخلاق وصفات النبي (صلى الله عليه وآله) ، أو على الأقل انها قصة مشكوك في صحة حصولها.

ومما يُعزز الشك في قصة حرق النخيل هذه ، ما ذكره المسعودي[4] في حديثه عن حوادث سنة أربع للهجرة فقال ما نصه «...وفيها كانت غزوته إلى اليهود من بني النضير وامتنعوا منه بحصونهم ، فقطعوا نخلهم وشجرهم ، وأضرموا النار عليهم ، فلما رأى ذلك صالحهم...» مما يدل على ان اليهود ربما رغبة منهم في الانتقام وعدم منح المسلمين فرصة الإفادة من نخيلهم ، بعد ان علموا بمصيرهم المحتوم ، ربما عمدوا إلى حرق النخيل بأنفسهم بحسب رواية المسعودي هذه.

ولم ترد رواية حرق النخيل في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) ، مما قد يرجح عدم

ج١ ، ص٣٠٩ ؛ البهوتي ، منصور بن يونس الحنبلي (ت١٠٥١هـ/ ١٦٤٢م) ، كشف القناع ، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ج٣ ، ص٥٤.

١- الشربيني ، محمد بن أحمد (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٨م) ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) ، ج٤ ، ص٢٢٦ ؛ الكحلاني ، محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) ، سبل السلام ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي ، ط٤ ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) ، ج٤ ، ص٥١.

٢- الطبري ، جامع البيان ، ج٢٨ ، ص٤٤ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣٦٠ ؛ الطبرسي ، تفسير جوامع الجامع ، ج٣ ، ص٥٣١ ؛ مجمع البيان ، ج٩ ، ص٤٢٦ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج١٨ ، ص٦ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٥٤.

٣- الحشر : ٥٠.

٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٢ ، ص٢٢٧.

وقوعها ، وإلا لتناولتها مروياته (عليه السلام) عند الكشف عن أحداث السيرة النبوية. بل إن رواياته (عليه السلام) تؤكد ان فعل حرق النخيل لا يحصل إلا في حالة الاضطرار ، لقوله (عليه السلام) : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : لا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها"[1]. وهنا لم يحصل الاضطرار لأمرين :

١-لو فتحها (صلى الله عليه وآله) قهراً لم يجز القطع والتخريب ، لأنها صارت غنيمة للمسلمين.

٢-أما لو فتحت صلحاً ، فالأمر كذلك أيضاً ، لأن هذه الأموال للمسلمين والمستسلمين.

وفي رواية أخرى للإمام الصادق (عليه السلام) قال : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم وأجلسهم بين يديه وقال: ...ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوا بالماء ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تحرقوا زرعاً لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه..."[2].

ومن هنا يتبين أهمية اللجوء إلى مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) لأنها تعطي صورة صحيحة وغير مشوهة لجدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله).

وقد سبقت الإشارة في المباحث والفصول السابقة إلى أن الروايات غير الصحيحة ، وبفعل شيوعها في كتب الحديث والفقه والسير ، لابد أن تترك أثراً سلبياً على الثقافة الإسلامية ، لأنه من غير الممكن أن لا تؤدي هذه الأخبار إلى نتائج. وفي هذا الأمر يقول أحد الباحثين المعاصرين[3] : «المهم في هذه القضية وبسبب ورودها في كتب السيرة بهذا الشكل ، دخلت فيما بعد في فقه الحرب عند المذاهب الإسلامية ، وذلك بسبب تعارضها وما درج عليه النبي (صلى الله عليه وآله) من التأكيد على جيوشه الخارجة للحرب على أن لا تقطع شجرة ولا تقتل طفلاً ولا امرأة ، فأحدثت نوعاً من الإرباك الذي أفضى إلى الاختلاف بين المذاهب".

وأخيراً كان من أمر بني النضير ان أجلاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكف عن دمائهم ، ولهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان

١- البرقي ، المحاسن ، ج٢ ، ص٣٥٥ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٢٧ ؛ الطبرسي ، تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص١٣٨ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص٥٨ ؛ وينظر : الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج١ ، ص٥٦٦ ؛ عبد الحليم الجندي ، الإمام جعفر الصادق (g) ، ص٣٣٠.

٢- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٢٩ ؛ الطبرسي ، تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص١٣٨ ؛ الحلي ، تذكرة الفقهاء ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٩ ، ص١٢٤ ؛ الطباطبائي ، رياض المسائل ، ج٧ ، ص٥٠٣ ؛ الجواهري ، جوهر الكلام ، ج٢١ ، ص٦٦ ؛ وينظر : العاملي ، الشيخ أمين ترمس ، ثلاثيات الكليني ، تحقيق: السيد أحمد المردي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص٢٣١.

٣- الطائي ، صالح ، جزئيات في السيرة النبوية عرض وتحليل ، ط١ ، (مطبعة المتنبي ، بغداد ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، ص١٤٩.

الرجل منهم يهدم بيته عن تجاف بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام[1].

ثالثاً : تحالف أحزاب مشركي العرب واليهود ضد النبي (صلى الله عليه وآله) :

الأحزاب تعني بلغة هذا العصر قريباً من (قوات التحالف) فهي قوة مؤلفة من عدة جيوش من قبائل وشعوب مختلفة اتفقت فيما بينها لغزو المسلمين نصرة لقريش.

وتشير المصادر[2] إلى ان زعماء بني النضير الذين أجلاهم الرسول (صلى الله عليه وآله) عن المدينة قد أخذوا زمام المبادرة في الدعوة إلى هذا التحالف ، تحركهم عوامل الحقد والرغبة في الانتقام من المسلمين. فهي إذن فكرة يهودية ، فبعد معركتي بدر وأحد وإجلاء النبي (صلى الله عليه وآله) بني قينقاع وبني النضير لنقضهم ميثاق التعايش ذهب حاخامات[3] اليهود وزعماؤهم وفداً إلى مكة برئاسة الحاخام كعب بن أسد[4] لإقناع القرشيين بتشكيل حلف ضد النبي (صلى الله عليه وآله).

ويبدو ان استجابة قريش لتحريض اليهود قد كانت بسرعة وحماسة ، لأن قيام مثل هذا التحالف لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يتفق ومصالحها وسياستها المعلنة : "فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي (صلى الله عليه وآله) ... فقالوا لقريش : نحن معكم حتى نستأصل محمداً ... قال أبو سفيان : هذا الذي أقدمكم ونازعكم ؟ قالوا : نعم جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتله. فقال أبو سفيان : أهلاً ومرحباً ، أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد"[5]. وهذا يدل على العلاقة الوثيقة التي كانت تربط أبو سفيان بهؤلاء اليهود ، وصلته القوية بهم ، بدليل التوافق السريع الحاصل من جراء هذا التحالف.

أما استجابة غطفان وهي قبيلة بدوية ليست لها مصالح تجارية مع قريش ، فيظهر ان

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٨٦٣.

٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٠ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٧٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٥ ، ص٢٧٣ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٢٢ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٤ ، ص٣٦٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٢٨ ؛ الحويزي ، نور الثقلين ، ج٤ ، ص٢٤٤.

٣- الحاخام : رئيس الكهنة عند اليهود. ينظر : أحمد فتح الله ، معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ص١٥٠.

٤- كعب بن أسد : كان من رؤساء اليهود من بني قريظة ، ومن شعراء الجاهلية ، عاهد النبي (صلى الله عليه وآله) ولكن أغراه حيي بن أخطب فنقض عهده واظهر البراءة من رسول الله (صلى الله عليه وآله). ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٥ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٧ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٣٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٥ ، ص٢٢٥.

٥- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٥ ، ص٢٧٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٤ ، ص٣٦٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٢٨ ؛ الفيض الكشاني ، التفسير الصافي ، ج٤ ، ص١٧٠.

سبب استجابتها كانت رغبة في الحصول على الغنائم. فقد قال عيينة بن حصن زعيم غطفان : «إنا والله ما جئنا ننصر قريشاً ، ولو استنصرنا قريشاً ما نصرتنا ولا خرجت معنا من حرمها. ولكني كنت أطمع ان نأخذ تمر المدينة فيكون لنا به ذكر مع ما لنا فيه من منفعة الغنيمة»[1].

وقال حيي بن أخطب[2] الذي كان من ضمن الوفد القادم إلى مكة للتحريض والتأليب على عداوة النبي (صلى الله عليه وآله) : "إن محمداً قد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا ، وأجلى بني عمنا بني قينقاع فسيروا في الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير إليهم ، فقد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة ، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ويكونون معنا عليهم ، فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل"[3].

فأثرت كلمات اليهود وما قاله حيي بن أخطب في نفوس المشركين الحانقين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه ، واستحسنوا خطتهم ، وأبدوا استعدادهم للخروج إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقتله. ولكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأي سألوهم قائلين : "يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم ، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دين محمد ؟ فقالوا : اللهم أنتم أولى بالحق ، إنكم لتعظمون هذا البيت ، وتقومون على السقاية وتنحرون البدن ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم ، فأنتم أولى بالحق منه"[4] فأنزل الله تعالى في ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾[5].

وقد أضاف اليهود بهذه الإجابة الوقحة وصمة عار أخرى إلى سجلهم الأسود ، وزادوا تاريخهم المشؤوم سواداً ، وسوءاً[6].

١- الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص٤٧٩ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٩ ، ص٢٥٤.
٢- حيي بن أخطب النضري ، جاهلي ، من الأشداء العتاة ، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي ، أدرك الإسلام وآذى المسلمين فأسروه يوم قريظة وقتلوه. ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٤ وما بعدها ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٢٩٢.
٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٠ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٧٧ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٤ ، ص٢٤٤.
٤- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٣٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٤ ، ص٣٦٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٢٨.
٥- النساء : ٥١.
٦- جعفر السبحاني ، سيد المرسلين ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ محمد رضا ، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ص٢٥٩.

ولقد كانت هذه الغلطة فضيعة ، وقبيحة إلى درجة ان الكتّاب اليهود تأسفوا لوقوعها فيما بعد ، فقال أحدهم : «كان من واجب هؤلاء ان لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف معهم موقف الخصومة»[1].

لقد استطاعت قوى الأحزاب المتآلفة تشكيل جيش لمحاربة الرسول (صلى الله عليه وآله) مؤلف من عشرة آلاف مقاتل ، وحين بلغت أخبار تحرك جيش الأحزاب نحو المدينة للقتال إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) قام بدعوة أصحابه لمشاورتهم فيما يصنع[2]. فقال سلمان الفارسي : «يا رسول الله ، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة (أي المجادلة). فقال له رسول الله : فما نصنع ؟ قال سلمان : نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً ، فيمكنك منعهم في المطاولة ، ولا يمكنهم أن يأتوا من كل وجه. فإنا كنا – معاشر العجم في بلاد فارس – إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخندق ، فيكون الحرب من مواضع معروفة. فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : أشار سليمان بصواب»[3].

وقال المفيد[4] : «فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) باجتماع الأحزاب عليه وقوة عزيمتهم في حربه استشار أصحابه ، فأجمع رأيهم على المقام بالمدينة وحرب القوم على أنقابها ، وأشار سليمان عليه بالخندق فأمر بحفره وعمل فيه بنفسه ، وعمل فيه المسلمون".

وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى معلومات مهمة تخص أحداث معركة الأحزاب (الخندق) ، منها ما روي عنه (عليه السلام) قال : "شهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخندق في تسعمائة رجل"[5].

١ – ولفنستون ، تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ص١٤٢–١٤٣.
٢ – الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٩٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٠٨.
٣ – القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٧٧.
٤ – الإرشاد ، ج١ ، ص٩٦.
٥ – الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٤٦.

وأشارت رواياته (عليه السلام) إلى أحداث مهمة حصلت في أثناء عمل الخندق وحفره ، فقال (عليه السلام) : "إنهم مروا بكدية[1] ، فتناول رسول الله المعول من يد سلمان فضرب بها ضربة ، فانفلقت ثلاث فلق ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لقد فتحت عليَّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر ! فقال أحدهما لصاحبه : يَعِدُنا بكنوز كسرى وقيصر ، وما يقدر احدنا أن يخرج يتخلى"[2].

وقد أشار اليعقوبي[3] إلى هذا الأمر بقوله : «وفي هذه الوقعة ظهر النفاق ، وقال المنافقون : تعدنا يا محمد بقصور كسرى وقيصر ولأحدنا لا يقدر على الغائط».

ووصف الإمام الصادق (عليه السلام) معركة الأحزاب بأنها تشبه يوم القيامة إذ قال (عليه السلام) : "قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرَّة[4] فقال : من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة فلم يقم أحد ، ثم أعادها فلم يقم أحد ! فقال أبو عبد الله (عليه السلام) بيده[5] : وما أراد القوم ؟! أرادوا أفضل من الجنة؟![6].

ثم قال : من هذا ؟ فقال: حذيفة ، أما تسمع كلامي منذ الليلة ، ولا تكلَّم ، اقترب[7] ؟ فقام حذيفة وهو يقول : القرُّ والضرُّ[8] جعلني الله فداك منعني ان أجيبك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : انطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم فلما ذهب قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده ، وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني فأخذ سيفه وقوسه وجحفته[9] ، قال حذيفة: فخرجت وما

١- الكدية : قطعة غليظة لا يعمل فيها الفأس ، أو الصخرة التي يبلغ إليها حافر البئر فلا يمكنه الحفر. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج١ ، ص١٩٤ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، ج١ ، ص١٣٤ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج٦ ، ص٢٤٧١ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، ص١٦٦ ؛ الراغب الاصفهاني ، مفردات غريب القرآن ، ص٤٢٧ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٤ ، ص١٥٦.

٢- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢١٦.

٣- تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥١.

٤- قرَّة : البرد ، وليلة ذات قُرَّة : أي ليلة ذات برد. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٨٢ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٢ ، ص١١٥ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢٧ ، ص٣٧٨.

٥- أي أومأ بها والعرب تجعل القول عبارة عن الأفعال جميعها وتطلقه على غير الكلام فتقول : قال برجله : أي مشى وقال برأسه : أي أومأ ، وقال بالماء على يده : أي قلب ، وكل ذلك على المجاز والاتساع. ينظر : ينظر : المازندراني ، شرح أصول الكافي ، ج١٢ ، ص٣٩٥.

٦- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٧٨.

٧- (أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تكلم اقترب) أي : أمره بالاقتراب والدنو بعد توبيخه من التجاهل عن سماع الكلام ولا تكلم بحذف إحدى التائين. ينظر : المصدر نفسه والصفحة.

٨- سوء الحال. ينظر : الكليني ، الكافي ، ج٨ ، هامش ص٢٧٨.

٩- الجحفة : يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب جحفة ودرقة. ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج٤ ، ص١٣٤١ ؛ الاسترآبادي ، رضي الدين محمد بن الحسن النحوي (ت٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م) ، شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) ، ج٤ ، ص٢٠٠ ؛ الرازي ، مختار الصحاح ، ص٧٣.

بي من ضر ولا قر فمررت على باب الخندق وقد اعتراه المؤمنون والكفار ، فلما توجه حذيفة قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونادى : يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي قد ترى حالي وحال أصحابي ، فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا رسول الله إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك وقد أجابك وكفاك هول عدوك فجثا رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه ، ثم قال : شكراً شكراً كما رحمتني ورحمت أصحابي ، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قد بعث الله عز وجل ريحاً من السماء الدنيا[1] فيها حصى وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل[2] ، قال حذيفة : فخرجت فإذا أنا بنيران القوم وأقبل جند الله الأول ريح فيها حصى فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها ولا خباء إلا طرحته ولا رحاً إلا ألقته حتى جعلوا يترسون من الحصى فجعلنا نسمع وقع الحصى في الاترسة[3] ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين ، فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب ، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شيء ، فأنه ليس سنة مقام قد هلك الخف والحافر فارجعوا ... قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم فقام أبو سفيان إلى راحلته ثم صاح في قريش : النجاء النجاء ... وذهب الأحزاب ورجع حذيفة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر"[4] وقال أبو عبد الله (عليه السلام) : "إنه كان ليشبه يوم القيامة"[5].

وقد أوردت المصادر الإسلامية[6] المضمون نفسه في قصة انسحاب الأحزاب من ساحة المعركة ، ولم تحدث مواجهات قتالية كبيرة بمستوى التحضيرات ومستوى مدة الحصار الذي وصل إلى حدود الشهر تقريباً.

يقول العلي[7] : «إن عدم نشوب قتال جدي واسع خلال هذه الغزوة يرجع إلى ضعف

١- بعث الله عز وجل ريحاً من السماء : أي إشارة إلى قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً }الأحزاب: ٩.

٢- جندل ، مفرد ، والجمع جنادل : أي الصخر ، والجندل الحجارة التي أكبر من الحصى ، أي قدر ما يرمى بالمقذف. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٦ ، ص٢٠٥ ؛ الاسترآبادي ، شرح شافية ابن الحاجب ، ج١ ، ص٥١ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ، ص١٢٩.

٣- الاترسة : جمع ترس ، وهو ما يتوقى به من السلاح ، وهي عبارة عن صفحة من فولاذ يتوقى بها من سيف المهاجم وصدمته. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، ص٣٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص٢١٥.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٧٨.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٣٢ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٥ ، ص٢٧٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٤ ، ص٣٦٣.

٧- دولة الرسول ، ص٢٥٣.

الدافع إلى القتال عند القوات الغازية ، والى ضعف اعتقادهم بمبرراته».

ويبدو أن هذا الرأي غير دقيق بدليل مجريات الأحداث التي سبقت المعركة واستعدادات القوات المتحالفة بأحزابها وقبائلها ويهودها ومنافقيها التي تدل على تصميم هذه الفئات على القضاء على الدعوة وصاحب الدعوة. وتدل أيضاً على أن هؤلاء لديهم التصميم الكامل لانجاز مهمتهم الكبيرة وطموحهم القوي في إنجاح هذه المعركة. إذن فالدافع كان قوياً وليس ضعيفاً ، والاعتقاد بمبررات هذا العمل لا يقل عن ذلك أيضاً. وقد وصف الإمام الباقر (عليه السلام) قوة الدافع في القضاء على الرسول (صلى الله عليه وآله) لدى جيش الأحزاب بقوله: "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ... إن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله وتقتلنا معاشر بني عبد المطلب ، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى اناخت علينا بالمدينة ، واثقة بأنفسها فيما توجهت له فهبط جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله) فأنبأه فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار ، فقدمت فأقامت على الخندق محاصرة لنا ، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف ترعد وتبرق ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يدعوها إلى الله عز وجل ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى ، ولا يزيدها ذلك إلا عتوا... "[1] إذن وحسب الوصف الذي نقله الإمام الباقر عن الإمام علي (عليه السلام) لا يمكن القول بضعف الدافع لدى جيش الأحزاب ، إلا ان السبب في عدم نشوب القتال بشكل واسع هو الاستعداد العسكري الكبير الذي اتخذه جيش الرسول (صلى الله عليه وآله) بحفره الخندق ، والدليل على ذلك هو انبهارهم وتعجبهم ومفاجأتهم بهذه الخطة التي قالوا عنها : "هذه المكيدة ، ما كانت العرب تصنعها ولا تكيدها"[2] مما يدل على ان قوات الأحزاب تفاجأت بخطة المسلمين الدفاعية حين وصولها الخندق.

وهناك مسألة مهمة أخرى ، فلرب سائل يسأل : لماذا لم تفكر قوات الأحزاب بالبحث عن طريق آخر لدخول المدينة؟ وحصول المواجهات العسكرية مع الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ والجواب على ذلك : أن المدينة لم تكن بحاجة إلى حفر خندق للدفاع عنها من جهاتها جميعها ، لأن المناطق الجنوبية والغربية كانت تكثر فيها الوديان والمزارع والنخيل ويجري من ورائها وادي

١ – الصدوق ، الخصال ، ص٣٦٨.

٢ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ المفيد ، الإرشاد ، ص٩٧ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص١٧٣ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٩٢.

العقيق فيكون خطاً دفاعياً. أما الجهات الشمالية الشرقية فكانت وعرة وفيها جبل أحد ، لذا لم تكن ثمة حاجة لحفر الخندق ، لأن المدينة محصنة من هذه الجهات جميعها ، إلا من الجهة الشمالية الغربية من المدينة التي كان يسهل على الأعداء اختراقها[1]. فأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) أصحابه بالإسراع في حفر الخندق فيها[2].

لهذا نرى أن قوات الأحزاب أخذت ترسل الدوريات من اجل البحث عن ثغرة لفك الحصار ، والنفاذ منها إلى داخل مواقع المسلمين ، فلم يتمكنوا ، باستثناء تمكن عمرو بن عبد ود[3] مع مجموعة صغيرة معه ، وكانوا يمثلون فرسان قريش وشجعانهم فتسللوا إلى الخندق فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وركز عمرو بن ود رمحه في الأرض وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز

إني كذلك ، لم أزل متسرعاً نحو الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد ، فقام إليه أمير المؤمنين وقال : انا له يا رسول الله. فقال : يا علي ، هذا عمرو بن عبد ود فارس يَلْيلْ ، فقال علي (عليه السلام) : وأنا علي بن أبي طالب!

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أدن مني. فدنا منه فعممه بيده ، ودفع إليه سيفه ذا الفقار وقال له : أذهب وقاتل بهذا"[4].

١- الملاح ، الوسيط ، ص٢٤٨.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦٧.

٣- عمرو بن عبد ود العامري من بني عامر بن لؤي ، كان فارس العرب يومئذ وشجاعهم ، وجد في يوم الخندق مكاناً ضيقاً فاقتحمه ، قتله علي بن أبي طالب (عليه السلام) يومذاك. ينظر : ابن عبد البر ، الدرر ، ص١٧٣.

٤- أبو جعفر الاسكافي ، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) ، المعيار والموازنة ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (د.م ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ، ص٩١ ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٨٣ ؛ القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج١ ، ص٣٢٢ ؛ المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٠٠ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٧٩ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج٢ ، ص٣٢٤ ؛ ابن طلحة الشافعي ، مطالب السؤول ، ص٢٠٦ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٣ ، ص٢٩١ ؛ ابن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، ص١٦٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٤١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٢١.

ثم دعا له فقال : «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته» ، ولما برز علي (عليه السلام) قال (صلى الله عليه وآله) : "برز الإيمان كله إلى الشرك كله"[1].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال يومئذ : "اللهم إنك أخذت مني عبيدة[2] يوم بدر ، وحمزة يوم أحد. وهذا أخي علي بن أبي طالب ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[3][4].

وتمكن الإمام علي (عليه السلام) من قتل عمرو بن عبد ود ، وقصة قتله والحوار الذي دار بينهما مشهورة ومعروفة تناولتها معظم المصادر الإسلامية[5] . وقد وصف الإمام الباقر (عليه السلام) تفاصيل مواجهة الإمام علي (عليه السلام) لعمرو بن عبد ود فقال : "قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن قريشاً ... وفارسها وفارس العرب ... عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم[6] يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه وبسيفه مرة لا يقدم عليه مقدم ، ولا يطمع فيه طامع ، ولا حمية تهيجه ولا بصيرة تشجعه ، فانهضني إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعممني بيده وأعطاني سيفه هذا ، وضرب بيده إلى ذي الفقار ، فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواكٍ إشفاقاً عليَّ من ابن عبد ود ، فقتله الله عز وجل بيدي ، والعرب لا تعد فارساً غيره ، وضربني هذه الضربة – وأومأ بيده إلى هامته – فهزم الله قريشاً والعرب بذلك وبما كان مني فيهم من النكاية..."[7].

وبقتله هرب الآخرون الذين تسللوا معه إلى الخندق وانكسر جيش الأحزاب ورجعوا متفرقين[8].

ولم تكن التحصينات العسكرية السبب الوحيد في هزيمة الأحزاب ، فالرسول (صلى الله عليه وآله)

١- الجاحظ ، العثمانية ، ص٣٣٣ ؛ الكراجي ، كنز الفوائد ، ص١٣٧ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٦١ ؛ ابن طاووس ، الطرائف ، ص٣٥ ؛ الأربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٩٧.

٢- المقصود عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ويكنى أبا معاوية أسن من رسول الله بعشر سنين ، مات في يوم بدر ، كان لعبيدة بن الحارث يوم قتل ثلاث وستون سنة. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٠٢٠.

٣- الأنبياء : ٨٩.

٤- ابن عقدة الكوفي ، فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ص٧٩ ؛ الخوارزمي ، المناقب ، ص١٤٤ ؛ وعن الإمام الباقر (g) وردت الرواية عند : الكراجكي ، كنز الفوائد ، ص١٣٦ ؛ وينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج١٩ ، ص٦١ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١١ ، ص٦٢٣.

٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٦٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٧٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٤١ ؛ الأربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص١٩٧.

٦- الهدير : ترديد صوت البعير في حنجرته ، واغتلم البعير : هاج من الضرب. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج٥ ، ص٢٥٠ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، ص٢٥٨.

٧- الصدوق ، الخصال ، ص٣٦٨.

٨- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص١٨٣ ؛ المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٠٠ ؛ ابن أبي حاتم ، الدر النظيم ، ص١٦٤.

كان رجلاً عسكرياً محارباً من طراز فريد ، ومن أساليبه العسكرية التي استعملها (صلى الله عليه وآله) في الحروب هي أسلوب (الخدعة)[1]. ففي قصة طويلة تنقلها معظم المصادر توضح كيف أن نعيم بن مسعود[2] الذي أسلم حديثاً وبأمر من الرسول (صلى الله عليه وآله) أوقع الخديعة ونشر التفرقة بين أبي سفيان وأتباعه ، وبين اليهود من بني قريظة ، وتنافرت قلوبهم ولم يجد الأحزاب إلا الرحيل إلى بلادهم[3].

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن علي (عليه السلام) قال : "...فإنما الحرب خدعة فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلغه ان بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان : أنكم إذا التقيتم انتم ومحمد أمددناكم وأعناكم. فقام النبي (صلى الله عليه وآله) خطيباً فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا إنا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمدّونا وأعانونا ! فبلغ ذلك أبا سفيان فقال : غدرت يهود فارتحل عنهم"[4].

رابعاً : سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع بني قريظة :

كانت معركة الخندق قد أنهت المسار الأول للحروب الإسلامية ، وهيأت الأجواء للمسار الثاني الذي يختلف عنه كلياً ، فتحولت السياسة العسكرية للرسول (صلى الله عليه وآله) من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم.

والرسول (صلى الله عليه وآله) من جانبه كان يعرف مقدماً نتيجة حروب هذا المسار وما ستؤول إليه ، ولذلك وقف بعد الخندق ليهنئ المسلمين بالبشرى العظيمة : "الآن نغزوهم ولا يغزونا ، ونحن نسير إليهم"[5] ، وفي موضع آخر قال (صلى الله عليه وآله) : "لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم"[6] ، فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذي يغزوها حتى فتح الله

١- الكليني ، الكافي ، ج٧ ، ص٤٦٠ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٤ ، ص٣٧٨ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص١٦٢ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص١٣٣.

٢- نعيم بن مسعود بن عامر بن ثعلبة بن قنفذ بن سبيع بن بكر بن اشجع ، أسلم ليالي الخندق ، قتل نعيم في أول خلافة علي (g) قبل قدومه البصرة في وقعة الجمل وقيل مات في خلافة عثمان. ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٣٦٣ ؛ تقريب التهذيب ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٢ ، ص٢٥١ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٨ ، ص٤١.

٣- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٤٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص١٨٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٢٩٢ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢٧ ، ص٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٢٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ق١ ، ص٣٠٥ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٤٠.

٤- الحميري ، قرب الإسناد ، ص١٣٣.

٥- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٢٦٢ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٧ ، ص٩٨ ؛ المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٠٥ ؛ البغوي ، تفسير البغوي ، ج٣ ، ص٥٢٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص١٩٢.

٦- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٣٣ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١٣ ، ص٢٩٦.

عليه مكة[1].

إن بشرى رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين لم تأتِ رجماً بالغيب ، ولا من باب نافلة القول ، ولم تكن وعداً غير مبني على أدلة يقينية ، ولكنها تأتي بالتأكيد من جانب استقرائي لنتائج المعركة وتداعياتها ودراسة حقيقية لحالة اليأس والضعف التي وصلت إليها قريش ، مما يدل على عظيم الحنكة العسكرية التي كان يتمتع بها النبي (صلى الله عليه وآله) ، ومقدرته العالية على التحليل والاستنتاج المنطقي المبني على أصول علمية[2].

وكانت غزوة بني قريظة هي أولى المسار الجديد ، فقد روى الطبرسي[3] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "وأصبح رسول الله بالمسلمين حتى دخل المدينة ، فضربت ابنته فاطمة غسولاً حتى تغسل رأسه ، أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء ، عليه قطيفة من استبرق معلق عليها الدر والياقوت ، عليه الغبار ، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فمسح الغبار عن وجهه ، فقال له جبرئيل : رحمك ربك ، وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء ، مازلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء ، ثم قال جبرئيل : انهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب فوالله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة".

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) فقال : "قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة ، وقال : عزمت عليكم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة"[4].

وروى الحميري[5] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث علياً يوم بني قريظة بالراية ، وكانت سوداء تدعى العقاب ، وكان لواؤه أبيض".

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فأقبل علي (عليه السلام) ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل وبنو النجار كلها ، لم يتخلف عنه منهم أحد ، وجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يسرب إليه الرجال ، فلما صلى بعضهم العصر إلى بعد العشاء. فأشرفوا عليه وسبوه ، وقالوا : فعل الله بك وبابن عمك ، وهو واقف لا يجيبهم ... فحاصرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على

١- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٨ ، ص١٣٦.
٢- صالح الطائي ، جزئيات في السيرة ، ص١٥٩.
٣- إعلام الورى ، ج١ ، ص١٩٤-١٩٥.
٤- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٢ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص١٩٥.
٥- قرب الإسناد ، ص١٣١ ؛ وينظر : الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٥ ، ص١٤٤ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج١٣ ، ص١١٥.

حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال، وأن يجعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار. فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، فلما جيء بالأسارى حبسوا في دار، وأمر بعشرة فأخرجوا فضرب أمير المؤمنين أعناقهم، ثم أمر بعشرة فأخرجوا فضرب الزبير أعناقهم، وقل رجل من أصحاب رسول الله إلا قتل الرجل والرجلين"[1].

وقد روت المصادر الإسلامية[2] قصة بني قريظة بالمضمون نفسه الذي ورد في رواية الإمام الصادق (عليه السلام) إلا بعض الاختلاف الذي سيتضح مما ورد في رواية ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق : "ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة في دار بنت الحارث، امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه إرسالاً، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستمائة أو سبعمائة، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إرسالاً : يا كعب، ما تراه يصنع بنا ؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ".

وأتي بحيي بن أخطب عدو الله، وعليه حلة فقاحية قد شقها عليه من كل ناحية قدر انملة لئلا يسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه"[3].

١- الطبرسي، إعلام الورى، ج١، ص١٩٥.
٢- ابن هشام، السيرة النبوية، ج٣، ص٧٢١ وما بعدها؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٠٥؛ جامع البيان، ج٢١، ص١٨٤؛ الثعلبي، تفسير الثعلبي، ج٨، ص٢٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٨٦؛ أسد الغابة، ج٥، ص٤٥٧؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٥٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٤، ص١٤٢؛ السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣٨.
٣- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٢٥٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٢، ص١٨٦؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج٢، ص٥٤.

قال ابن إسحاق ، عن عطية القرظي[1] ، قال : «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أمر بقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاماً فوجدني لم أنبت ، فخلوا سبيلي"[2].

مناقشة روايات قتل بني قريظة :

وهنا يتساءل المسلمون قبل خصومهم ، هل فعلاً سمح الرسول (صلى الله عليه وآله) بقتل هذا العدد الكبير من بني قريظة في غداة واحدة أو غداتين ؟ أليس هذا الحكم في حق بني قريظة قد جاء قاسياً وقوياً إلى درجة لافتة للنظر؟

ألم يكن من المناسب أن يستفيد بنو قريظة من عفو الإسلام وصفح النبي (صلى الله عليه وآله) كما استفاد إخوانهم من بني النضير ، وبني قينقاع من قبل ، فيكتفي بإجلائهم وتقسيم أموالهم وأراضيهم[3] ؟ وهل النبي محمد (صلى الله عليه وآله) والمسلمون بهذه الدرجة من القساوة التي اظهرتهم عليها الرواية وكأنهم لا تظهر منهم أي بادرة رحمة ، بل هم اناس مجرمون يحبون سفك الدماء دونما شفقة أو وازع من ضمير ؟

وقد يقول قائل : إن رجال بني قريظة ليسوا مجرد أسرى ، بل إنهم مجرمو حرب ، لأنهم نقضوا عهدهم مع الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو يخوض حرباً مصيرية وحاولوا طعنه من الخلف. والحقيقة ان هذا الرأي صحيح بالنسبة لزعمائهم وذوي الرأي منهم ، أما عامتهم فهم تبع لأسيادهم في أوقات السلم والحرب ، لذا بالإمكان القول إن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد قتل زعماء بني قريظة بصفتهم مجرمي حرب ، وعفا وأخذ الفدية من الباقين بحسب ظروف كل حالة.

إذن لابد لنا من أن نثبت ، إذا كان هذا العدد الكبير من يهود بني قريظة الذي وصل في أكثر الأحوال إلى تسعمئة ، قد كان تنفيذ الحكم فيهم بتصفيتهم وإبادتهم ، إذا كان حقيقة ثابتة وكان هذا الزعم صحيحاً ، فنحن أمام جريمة حرب بالمفهوم الحديث!! بل نحن أمام شخصية نبوية غير التي صورها لنا القرآن بانها رحمة للعالمين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا

١- عطية القرظي : لا يعرف اسم أبيه وأكثر ما يجيء هكذا عطية القرظي ، كان من سبي قريظة ووجد يومئذ ممن لم ينبت فخلي سبيله وليس له حديث كثير ، اشتهر حديثه هذا وعرف به. ينظر : خليفة بن خياط ، طبقات خليفة ، ص٢٠٦ ؛ البخاري ، التاريخ الكبيرة ، ج٧ ، ص٨ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٦ ، ص٣٨٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٣٠٧ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٠٧١ ؛ الذهبي ، الكاشف ، ج٢ ، ص٢٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٤ ، ص٤٢٢ ؛ الخزرجي الأنصاري ، خلاصة التهذيب ، ص٢٦٨.

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٧٦ ؛ ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٧ ، ص٦٥٥ ؛ ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني ، ج٤ ، ص٢٠٤ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٨ ، ص١٥٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٧٠.

٣- العاملي ، الصحيح من السيرة ، ج١١ ، ص١٦٣.

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وإذا ثبتت صحة هذا العدد المقتول، فنحن أمام رواية أسطورية شاعت بين المسلمين وتوارثتها الأجيال كمسلمات شوهت الذاكرة وشوهت الإسلام ونبيه بقدر كبير، فهذا العدد الكبير من القتلى يعني ان الرواية هي من صنع اليهود – أي من الإسرائيليات – ومن ثمَّ عدم صحتها، بل عدم حصولها أصلاً. ولابد من التصدي لهذا الأمر وإثبات بطلانها، لأن الإسلام دين الإنسانية، وبقدر ما تزيد إنسانيتك يزيد إسلامك، وبقدر ما تنقص إنسانيتك ينقص إسلامك!! لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

ومما يؤسف عليه هناك بعض الاسماء المشهورة في عالم التأليف في عالمنا الإسلامي لا يناقشون الأمور بطريقة علمية أكاديمية وعلى الرغم من انتمائهم إلى هذا الوسط، بل ناقشوا بعض الروايات بطريقة انحيازية وتعصبية لا تقنع من يسأل أو يبحث عن الحقيقة، مثال ذلك ما قاله السيد العمري[3] في مناقشة روايات مقتلة بني قريظة فقال: «إن بعض المؤرخين المسلمين ذهب إلى نفي روايات ابن إسحاق حول قتل بني قريظة، وهي روايات صحيحة وثابتة في كتب الحديث والسيرة»، ويقول مستغرباً للذين يشككون في قتل رسول (ﷺ) هذا العدد الكبير من بني قريظة: "وكأن هؤلاء المؤرخين يشككون في عدالة قتلهم، فالتفسير الإسلامي ينطلق من اعتقاد ان الإسلام حق وما عداه باطل ... حتى لو بدا ذلك غريباً أمام الذهنية المهيمنة على الناس في القرن العشرين لاننا لا نطوع الإسلام وتاريخه لأذواق الناس واتجاهاتهم الفكرية".

إن هذا الفكر الاقصائي الرافض لسماع النقد والتمحيص لروايات السيرة هو الذي أدى إلى التشويه الحاصل في كتب التراث الإسلامي، وحرمنا من الوصول إلى الحقيقة دفاعاً عن السيرة، لاننا في هذه الحالة كأننا ندافع عن الرواية لا عن الرسول (ﷺ) ونقدس الرواية

١- الأنبياء: ١٠٧.
٢- الحجرات: ١٣.
٣- أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، ط٦، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص٣٨.

أكثر من تقديسنا للرسول (ﷺ).

وقد يقال : إن هذا الكلام لا يزيد ولا ينقص ، والمطلوب هو مناقشة الرواية علمياً وإثبات الحقائق الجديدة المبنية على التحليل المنطقي ، وقد سجل الباحث العديد من النقاط والملاحظات التي تخص الثغرات الواردة في روايات مقتلة بني قريظة تؤكد عدم حصول قتل هذا العدد الكبير وهي :

١ -ولنبدأ أولاً بالبيان القرآني الذي كان واضحاً في كون هذه المعركة انتهت بقتل فريق من بني قريظة ، وأُسِرَ فريق آخر لقوله تعالى : ﴿ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً ﴾[1] والتي تدل على أن هناك قتلاً وأسراً ، وقدم النص القرآني القتل على الأسر ، لكننا نجد روايات السيرة تسرد أحداثاً مخالفة للنص القرآني ومتعارضة فيما بينها ، فتقدم الأسر على القتل .

وقد يعترض من يتعصب للروايات وإن خالفت القرآن الكريم ، ويقول : إن مقتلة بني قريظة حقيقة لا مفر منها ، والرد هو : إن هذا قول خطير يؤدي إلى القول بأن النبي (ﷺ) عمل على خلاف القرآن الكريم ، فكيف يمكن إغفال الآية الرابعة من سورة محمد التي تنص صراحة على أن مصير الأسير بين خيارين لا ثالث لهما : الفداء أو المن ؟! لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . . . ﴾ .

٢ -قد يقول قائل : إن تلك المعاملة القاسية استحقها اليهود بسبب خيانتهم ونقضهم للعهد ، ويُرد على ذلك بإن خيانة اليهود ونقضهم للعهد ليست المرة الوحيدة التي واجهها النبي (ﷺ) ، فقد فعلت قريش ذلك بعد الحديبية ، وتوجه النبي (ﷺ) وصحبه إلى مكة فاتحين ، وقصة العفو عن أهل مكة وإطلاق سراحهم معروفة ومحفوظة ، فهل يقبل القول إن النبي (ﷺ) كال بمكيالين ؟ - حاشاه - .

وقد يقول قائل : إن النبي (ﷺ) نفذ ذلك الحكم القاسي في بني قريظة لأنهم من قوم مختلف. وهذا القول أشد افتراءً ، فالنبي (ﷺ) أُرسِل رحمة للعالمين جميعاً وليس للعرب فقط

١ - الأحزاب : ٢٦.

، ولذلك لا يمكن أن نقبل بمبدأ التفريق على أساس العرق ونلصق ذلك بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله).

٣-أظهرت الروايات التي تناقلتها المصادر الإسلامية من الاختلاف في عدد القتلى ما دل على التفاوت الكبير فيما بينها ، فقد روى ابن إسحاق من دون سند: "وهم ستمائة أو سبعمائة والمكثر لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة"[١] وقيل : كانوا سبعمئة وخمسين[٢] ، وفي رواية أخرى «وكانوا أربعمائة»[٣].

وهذه الكثرة في الأقوال والتعارض في المعلومات دليل على عدم صحتها ودقتها ، فمجرد التعارض بين الروايات هو دليل على أن نسبة الوضع والتزوير هو السائد على هذه المعلومة ، وقد سجل الدارسون في الشرق والغرب أن العرب لديهم نزعة قوية في المبالغات بالأرقام «وقد كانت العرب ترى أن أجود الشعر أكذبه ، وخير الكلام ما بولغ به»[٤] ، فالعشرة تقفز إلى المئة ، والمئة تقفز إلى الألف ، مثال ذلك: إن جيش المسلمين في غزوة الأحزاب : قيل ثلاثة آلاف ، وقيل: كانوا تسعمئة ، وهذا فرق كبير بين الرقمين.

وعند التدقيق في رواية الإمام الصادق (عليه السلام) ، لا نجد ذكراً لأعداد من قُتلوا من بني قريظة ، فلا تشير الرواية إلى عددهم لا من قريب ولا من بعيد ، مما يدل على أن هذا العدد الذي ذكرته رواية ابن إسحاق ليس صحيحاً استناداً لما ورد في روايته (عليه السلام).

وعند البحث في المصادر وجد الباحث ما يعزز هذا الرأي ، ففي ذكره لحادثة بني قريظة قال ابن زنجويه[٥]: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) غدا إلى بني قريظة ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فقضى بأن تقتل رجالهم وتقسم ذراريهم وأموالهم ، فقتل منهم يومئذ أربعون رجلاً". وهذا رقم أقرب إلى الصحة والقبول.

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٢١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٤٢ ؛ السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٢٣٩ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٨ ، ص٣٧٧.

٢- الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٦٤.

٣- الترمذي ، السنن الكبرى ، ج٣ ، ص٧٢ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٢٠٦ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦٠٣ ؛ الزيعلي ، نصب الراية ، ج٤ ، ص٢٥٦ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني ، (مطبعة دار المعرفة ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص١١٩ ، المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٥ ، ص١٧١.

٤- البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م) ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليعقوب ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٨ ، ص١١٥.

٥- أبي أحمد بن زنجويه النسائي (ت٢٥١هـ/ ٨٦٤م) ، كتاب الأموال ، تحقيق: شاكر ذيب الفياض ، ط١ ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص٢٩٩.

أما أبي عبيد[1] فقد ذكر : «... فقتل منهم كذا وكذا رجلاً...» من دون أن يحدد العدد ، وقال هاشم الملاح[2] : «إن ناشر كتاب الأموال لأبي عبيدة أشار في الهامش إلى أن النسخة الشامية من الكتاب تذكر أن عدد من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتلهم من بني قريظة كانوا أربعين رجلاً". وهكذا تتقارب روايات الإمام الصادق (عليه السلام) مع ما ذكره ابن زنجويه ، وأبي عبيدة في قلة عدد المقتولين ، مما يدل على أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد نفذ الحكم بزعماء بني قريظة فقط لأنهم مجرمو حرب وخونة ، وهو إجراء صحيح ، وينسجم وشخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) العسكرية والأخلاقية ، ويعطينا دليلاً قوياً على أن العدد المذكور بالمئات غير صحيح ، وإن من أُعدِموا هم قادة بني قريظة بوصفهم مجرمي حرب ، وهو ما يفسر لنا ان النبي (صلى الله عليه وآله) اقتادهم إلى المدينة وتحقق من شنيع فعلتهم حتى صدر الحكم بقتلهم.

٤-تقول الرواية : إن علياً (عليه السلام) ، والزبير هما اللذان توليا عملية قتل العدد الأكبر من مقاتلة بني قريظة ، فهل يعقل ان يتولى قتل هذا العدد الكبير شخصان فقط ؟ هل يمكن لبشر ان يقتل هذا العدد الهائل من الناس من دون ان ينهار نفسياً ، وهنا لابد من الإشارة إلى أن القتل في ساحة المعركة يختلف تماماً عن تنفيذ الإعدام ، إذ ان المبرر النفسي للقتل في المعركة موجود بدافع الدفاع عن النفس بخلاف إعدام المستسلم ، فإذا ثبت ان علياً (عليه السلام) والزبير هما من توليا قتل مقاتلة بني قريظة ، فهذا يدل على أن العدد لا يتجاوز الأربعين ، وليس أكثر من ذلك.

٥-قال ابن إسحاق : "ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار..." ، ولم تحدد رواية الإمام الصادق (عليه السلام) اسم صاحب الدار أو صاحبتها ، أشارت فقط إلى دار من دون تحديد هويتها.

وفي هذا نقول : إذا كان عددهم تسعمئة أو ثمانمئة أو سبعمئة أو ستمئة ، أو حتى أربعمئة ، وهؤلاء المقاتلة فقط الذين وصفتهم رواية ابن إسحاق ، أما إذا أضفنا إليهم عدد السبايا والذراري فان العدد هنا سيتضاعف أربعة أضعاف على الأقل ، وبحساب سهل – إن

١- القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٩م) ، كتاب الأموال ، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا ، ط١ ، (دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص١٢٢ ، ص١٤٤.
٢- الوسيط ، ص٢٥٤.

عدد من استنزلهم الرسول (صلى الله عليه وآله) وحبسهم في هذه الدار – أكثر من ثلاثة آلاف نسمة. فكم كان حجم هذه الدار التي استوعبت هذا العدد الكبير من البشر ، ونحن نعلم كم هي قدرة الدور السكنية على استقبال أعداد معينة من الناس . فمن المستحيل نظرياً وعملياً أن يحوي منزل مهما كانت سعته هذا العدد الكبير من البشر ، لأن المسجد النبوي هو الأكبر في المدينة كانت مساحته مئة ذراع[1] وهو ما يساوي ستين متراً مربعاً ، ثم بدأ بالتوسع تدريجياً. فكيف استطاعت هذه الدار توفير الحاجات الخدمية لهذا العدد الكبير من الناس ، وخاصة خدمة (قضاء الحاجة) ولمدة يوم أو يومين ، لاسيما ان المدينة وقتذاك لم تكن تعرف (الكنف) – أي موضع قضاء الحاجة[2] – ففي قصة الأفك عن عائشة قالت : «كان متبرزنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا...»[3] أي انهم كانوا يقضون حوائجهم بين النخيل أو التبرز في الصحراء ، وهذا يسبب مشكلة لهذا العدد الكبير من الناس الذين احتبسوا في هذه الدار. فتزداد الأمور تعقيداً ، فكيف تمكن هؤلاء من قضاء الحاجة والكنف مازال لم يعرف في المدينة.

٦–بعد أن قرر النبي (صلى الله عليه وآله) تنفيذ حكم القتل فيهم ، فلماذا قرر أن يحفر لهم خندقاً في المدينة ، وفي وسطها بالتحديد في سوق المدينة ، مع علم النبي (صلى الله عليه وآله) ان هذا قد يتسبب بانتشار الأوبئة في المدينة، إذ ليس من المعقول أن يختار النبي (صلى الله عليه وآله) دفن جثثهم في المكان الذي يدوسه الناس ليلاً ونهاراً في ذهابهم وإيابهم وتسوقهم ، وليس هناك حكمة في ذلك ، إلا إذا كان من اختلق هذه القصة من الإخباريين قد سمع بما حدث لنحو تسعين نفساً من بني أمية أمر بهم عبد الله بن علي السفاح فضربوا بالعمد حتى قتلوا وجمعهم وبسط عليهم الانطاع وجعل فوق الانطاع موائد عليها الطعام وجلس يأكل ويأكلون فوقهم وهم يتحركون من تحت الانطاع ويُسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً[4] ، وأراد ان يقول إن السفاح اقتدى بالرسول (صلى الله عليه وآله)

١– ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٢٣٩.
٢– ابن الأثير ، النهاية ، ج٤ ، ص٢٠٥ ؛ قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص١٨٠ ؛ أحمد فتح الله ، معجم ألفاظ ، ص٢٠٩.
٣– ابن راهويه ، مسند ابن راهويه ، ج٢ ، ص٥٢٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٥٥ ؛ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج١ ، ص٣٣١ ؛ أبو يعلى ، مسند أبو يعلى ، ج٨ ، ص٣٢٦ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج١٨ ، ص١٢١ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٠ ، ص١٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٩ ، ص٣٣٣ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٣ ، ص٢٢٥ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٥ ، ص٢٥.
٤– ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٥٣ ، ص١٢٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٥ ، ص٤٣٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص٤٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص١٣٢.

وتناقل المسلمون القصة من دون ان يفطنوا لمغزاها.

٧-إذا كانت عملية حفر الخندق لهم في وسط سوق المدينة لدفن القتلى عملية لابد منها ، فلماذا لم يكن هذا الإجراء في الخندق الذي حفره الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمون في معركة الأحزاب (الخندق) وهو ما يزال في بداية انجازه ، وهو خندق عريض وطويل كافٍ لأن تتم به العملية بيسر وسهولة ، ولا تكلف النبي (صلى الله عليه وآله) والمسلمون وقتاً كانوا قد استهلكوه في عملية حفر الخندق الجديد وسط المدينة ، فالخندق الذي انجزه المسلمون في أثناء استعداداهم للمعركة كان بطول خمسة كيلومترات ، وهو واسع جداً ويستوعب هؤلاء ، ويبقى الخطر بعيداً عن المدينة ، فلم يُذكر في المصادر على الإطلاق أن الرسول (صلى الله عليه وآله) فعل أو فكر في هذا الأمر !!

8-ورد عند ابن إسحاق عن عطية القرظي قال : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر ان يُقتل من بني قريظة كل من أنبت فيهم ، وكنت غلاماً فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي"[1] ، ومعروف أنه ليس كل من أنبت مقاتلاً ، ومعنى ذلك ان القتل لا يقتصر على المقاتلين فقط بل على غيرهم أيضاً ، ومن المسلمات أن قتل غير المقاتل ليس مشروعاً ، فما ذنب هؤلاء الأطفال القاصرين ، ولماذا يأخذون بجريرة المذنب. قال تعالى : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[2].

وراوي هذا الحديث (من أنبت منهم) واحد ممن أسلم من بني قريظة ، ولا يمكن التسليم لروايات قرظيين حتى لو أسلموا ، لأن النزعة القومية لابد أن تؤثر في مثل هذه

الرواية ، ومن يستقري روايات القرظيين بخصوص غزوة بني قريظة يجد عناصر الرواية اليهودية موجودة فيها. وهي التعرض للإبادة والخيانة وإبراز بطولة اليهودي وثباته وبيان انه الضحية دائماً.

٩-ذكرت مصادر عدة[3] : «أن مما يُنكر على ابن إسحاق تتبعه غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) عن أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبهها من الغزوات

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٢٤ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج١٧ ، ص١٦٣ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٦ ، ص١٠٩ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٥٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٤٤ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٥ ، ص١٣.

٢- الأنعام : ١٦٤.

٣- العقيلي ، ضعفاء العقيلي ، ج٤ ، ص٢٤ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٧ ، ص٣٨٢ ؛ ابن عدي ، الكامل ، ج٦ ، ص١٠٤ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص٢٧٦ ؛ الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ج٣ ، ص٤٦٩ ؛ الكهنوي ، حامد حسين ، خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ، (مطبعة خيام ، طهران ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ج١ ، ص٤٨.

عن أسلافهم ، وكان ابن إسحاق يتتبع هذا عنهم ليعلم من غير أن يحتج بهم".

وفي تاريخ الطبري[1] : «قال محمد بن إسحاق سمعت محمد بن كعب القرظي[2] يقول ذلك كثيراً» وهذا يعني ان محمد بن إسحاق ينقل من ذرية مسلمة اليهود ، ومنهم محمد بن كعب القرظي ، ومما لاشك فيه إن (مسلمة بني إسرائيل) في الجزيرة العربية كانت من العوامل القوية في إدخال الكثير من القصص غير الحقيقية في السيرة النبوية [3] ، فبرز الأثر الإسرائيلي بوضوح في هذه القضية ، وذلك بتمجيد أبطالهم وتبجيلهم وإظهار العظمة على الشخصية اليهودية ، فصورت لنا الرواية اليهود كأنهم أبطال يتقدمون للموت من أجل عقيدتهم ، معتزين بدينهم ، مثال ذلك ما قاله حيي بن أخطب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : "...بلى والله ما لمت نفسي في عدوانك ، وقد التمسك العز في مكانه ، وأبى الله إلا أن يمكنك مني ، ولقد قلقلت كل مقلل وجهدت كل الجهد ، ولكنه من يخذل الله يخذل. ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس ، لا بأس بأمر الله ، قدر وكتاب ، وملحمة كتبت على بني إسرائيل ، ثم أمر به فضربت عنقه"[4].

وعلى الرغم من إجماع المسلمين على صحة وجود الإسرائيليات في كتبهم ، بحيث لم يسبق لهم أن أجمعوا على أمر مثلما أجمعوا على تغلغل هذه الإسرائيليات في كتب التراث الإسلامي ، ومع ذلك لم يبدر منهم أي اهتمام لتخليص هذه المؤلفات من العوالق الإسرائيلية ، وأبرز مثال على ذلك تلك الإسرائيليات الواردة في قصة بني قريظة ما رواه عروة عن السيدة عائشة أنها قالت : «لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت: أنا والله ، قلت لها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أُقْتَلْ ، قلت: ولِمَ؟ قالت: لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها ، فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها

١- تاريخ الأمم والملوك ، ج١ ، ص١٩٠.
٢- محمد بن كعب القرظي : كان أبوه ممن لم ينسب ، فلم يقتل مع بني قريظة لما قتلوا بحكم سعد بن معاذ ، ولد في آخر خلافة علي (g) سنة أربعين للهجرة وكانت وفاته سنة ثمان ومائة. ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٧ ، ص٢٥٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٢٧٢.
٣- عرفات ، وليد ، ضوء جديد على قصة بني قريظة ويهود المدينة ، (بحوث المؤتمر العالمي للتاريخ ، بغداد ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص٧١٩.
٤- الصنعاني ، المصنف ، ج٥ ، ص٣٧١ ؛ تفسير القرآن ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد ، ط١ ، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ج١ ، ص٨٧ ؛ الطبري، تاريخ الأمم ، ج٢، ص٢٥٠ ؛ القمي ، تفسير القمي، ج٢ ، ص١٩١ ؛المفيد ، الإرشاد، ج١ ، ص١١١ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي، ج١٤ ، ص١٤٠ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٦٧.

: طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل"[1].

فهذه القصة التي وردت على لسان السيدة عائشة تمجد أفعال نساء اليهود وعدم رهبتهم من الموت هي حتماً من الإسرائيليات التي أدخلت على السيرة على لسان السيدة عائشة ، التي لم يأبه لها رجال الجرح والتعديل وتساهلوا كثيراً بشأنها على الرغم من أثرها التدميري.

ويتساءل أحد الباحثين[2] : ألا يعني هذا أن في نصوصنا التي نمنحها القدسية والحصانة الكاملة ، ونغدق عليها الصفات الكمالية التنزيهية فيهاا أسرار كثيرة تبحث عمن ينفض عنها الغبار ويظهرها على حقيقتها أمام الأمة الإسلامية؟ وهل ننجح في يوم ما بالتحرر من سطوة بعض النصوص الواهية ومن هيمنتها علينا ؟ ونخرج إلى دنيا التجديد والابتكار والعلمية القائمة على النهج الإسلامي القويم الأول ؟

وخلاصة القول : إن المصادر الإسلامية أجمعت على تلك الحادثة وهي حصلت فعلاً ، ولكن الشيء غير الصحيح فيها ان أعداد القتلى لا يتجاوز الأربعين ، والروايات التي صورت هذا العدد الكبير من القتلى هي روايات إسرائيلية بامتياز.

ويبدو أن العقل اليهودي أراد إعادة إنتاج قصة أصحاب الأخدود التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾[3] ليساعد ذلك على إظهار أن اليهود هم المؤمنون ، وأن محمداً وأصحابه هم الكفار ويمثلون الفئة التي تحارب وتقصي هؤلاء المؤمنين ، وصورت في طريقها بطولة اليهود وروحهم التضحوية يقابلها القساوة العالية للمسلمين وكأنهم بلا رحمة ، وللأسف تلاقفتها مصادرنا الإسلامية بالترحيب والتهليل على أنها حقيقة واقعة فعلاً وهي بعيدة كل البعد عما حدث على أرض الواقع ولا أصل لها.

خامساً : الافتراءات على رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

يبدو ان كثرة الافتراءات على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هدفها نفي العصمة عنه ما قبل البعثة ، وقد بلغت هذه الافتراءات حدوداً لا يمكن تصورها ، فقد أورد أحمد بن حنبل[4]

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٢٢ ؛ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٦ ، ص٢٧٧ ؛ ابن عبد البر ، التمهيد ، ج١٦ ، ص١٤١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٥٥ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٢٤٢ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٦٦٩.
٢- صالح الطائي ، جزئيات في السيرة ، ص١٥٤.
٣- البروج : ٤.
٤- مسند أحمد ، ج١ ، ص١٨٩.

والبخاري[1] : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل أن ينزل عليه الوحي قدّم إلى زيد بن عمرو بن نفيل[2] سُفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال : إني لا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه ، وهذا يعني ان زيداً في الجاهلية أفضل من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لانه كان يتجنب من أمر الجاهلية ما لا يتجنبه رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد نفى الإمام الصادق (عليه السلام) هذه التهمة الموجهة للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حين أشار في مروياته (عليه السلام) ان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يثني على عبد المطلب ويصف مناقبه العديدة في الجاهلية ، ومنها ان عبد المطلب لا يأكل ما ذبح على النصب[3]. فإذا كان عبد المطلب في الجاهلية لا يأكل ما ذبح على النصب ، فكيف بنبي الإسلام الذي جاء ليحارب هذه العادات البعيدة عن الدين الإسلامي يأكل ما ذبح على النصب ؟ وكيف يفتخر (صلى الله عليه وآله) بجده لتركه هذه الأفعال بينما هو كان يعملها ؟

وحين يتصفح أي المسلم كتب الحديث والتفسير ويطلع عليها كاملة، يجد ما هو أكثر بشاعة من قضية قلب المناقب إلى مثالب التي صورتها الروايات السلطوية بل أكثر بشاعة من القتل وسفك الدماء!! فللموروث الثقافي العربي الجاهلي الذي قدس البطولات والشجاعة ، والتفاخر بالغلبة والقهر ، أعطى للآخرين انطباعاً كلياً عن دموية الإسلام ، وتعطش المسلمين لسفك الدماء.

فهذه المؤلفات – مما يؤسف عليه – تزخر بالأحاديث التي تصور النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) على أنه شخصية حاقدة وقاسية إلى الحد الذي نجده (صلى الله عليه وآله) يعذب ويحرق بالنار ويمثل بالجثث ويصلب ويسمل العيون بالحديدة المحماة ، من دون أن يستند في حكمه إلى نص قرآني ، لأن القرآن يخلو من أي حكم على البشر بالحرق والتمثيل بالجثث.

هذا ما صورته لنا بعض المصادر الإسلامية من كتب الصحاح والتفسير وغيرها. أما القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد أعطانا صورة نقية واضحة

١- صحيح البخاري ، ج٦ ، ٢٢٥ ؛ وينظر : مرتضى العسكري ، معالم المدرستين ، ج١ ، ص٤٠.
٢- زيد بن عمرو بن نفيل كان ابن عم الخليفة عمر ووالد زوجته. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٢ ، ص٦١٤.
٣- الصدوق ، الخصال ، ص٣١٢.

عن هذا النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ووصفه بأنه : ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. فأيهما نصدق كلام الله أم كلام البشر؟

نقلت المصادر[2] عن أنس بن مالك : «ان رهطاً من عُكل[3] – أو قال من عرينة[4] – ثمانية قدِموا على النبي (صلى الله عليه وآله) فاجتووا[5] المدينة فقالوا يا رسول الله ابغنا رسلاً قال ما أجدكم إلا أن تلحقوا بالذود[6] فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا وقتلوا الراعي واستاقوا الذود وكفروا بعد إسلامهم فأتى الصريخ النبي (صلى الله عليه وآله) فبعث الطلب فما ترجل النهار حتى أتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وما حسمهم ، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرَّة يستسقون فما يسقون حتى ماتوا". أي يطلبون القليل من الماء فلا يعطى لهم. وفي بعض الروايات عن أنس : "ان رسول الله أحرقهم بعدما قتلهم"[7] وفي روايات أخرى: «فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وسمل أعينهم وجعلوا يقولون : الماء ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: النار حتى هلكوا"[8].

وقال أنس : «فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت» أي يعض الأرض ليجد من بردها مما يجد من الحر والشدة[9].

١- التوبة : ١٢٨.

٢- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٣ ، ص١٧٠ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٢ ؛ ج٨ ، ص١٩ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٠١ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٧ ، ص٩٣ ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، ج٢ ، ص١٣٠ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص١٢٨ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٦ ، ص١٤٨ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج٣ ، ص١٥٤ ؛ الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة وآخرون ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج٢ ، ص٣٧٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٦ ، ص١١٦ ؛ الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٧ ، ص٣٣١ ؛ المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج١ ، ص٢٠٣.

٣- عكل : بضم أوله ، وسكون ثانيه ، وآخره لام ، قبيلة من الرباب ، وهي بطن من بطون طابخة من العدنانية ، وعكل اسم امرأة حضنت بني عوف بن وائل بن عبد مناة بن طابخة ، فغلبت عليهم وسموا باسمها ، من قراهم الشقراء ، والاشيقر. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص١٤٣ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٠ ؛ كحالة ، عمر ، معجم قبائل العرب ، ط٢ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ج٢ ، ص٨٠٤.

٤- عرينة : قبيلة من قحطان في بجيلة وقضاعة. ينظر : عمر كحالة ، معجم قبائل العرب ، ج٢ ، ص٧٧٦.

٥- اجتووا : أي كرهوا المقام فيها وان كانت في نعمة ، وقيل الاجتواء: عدم الموافقة في الطعام ، وقيل: داء من الوباء. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٦ ، ص١٩٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ، ص١٥٨ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٩ ، ص٢٩٨ ؛ العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج١٢ ، ص١٤.

٦- الذود : مابين الثلاثة إلى العشرة من الإبل ، وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها ، والكثير منها : أذواد. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٨ ، ص٥٥ ؛ ابن السكيت ، الكنز اللغوي ، ص١١٥ ؛ الجوهري ، الصحاح ، ج٢ ، ص٤٧١ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٢ ، ص٣٦٥ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٢ ، ص١٧١ ؛ ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب ، ج١ ، ص٧٥ ؛ قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص٢١٤.

٧- القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٦ ، ص١٤٨.

٨- الطبري ، جامع البيان ، ج٦ ، ص٢٨٢.

٩- ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج١ ، ص٢٩٣.

وقال أنس : «فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا»[1] ، أي يعض الأرض بفمه من شدة العطش ، وقال القرطبي[2] : «وقد حكى أهل السير والتواريخ أنهم قطعوا يدي الراعي ورجليه ، وغرزوا الشوك في عينيه حتى مات ، وأدخل المدينة ميتاً ، واسمه يسار ، وكان نوبياً».

إنها أوصاف مأساوية بعيدة كل البعد عن الأخلاق الإنسانية التي نادى بها محمد (صلى الله عليه وآله) ، أفاضت بها كتب التراث الإسلامي ، يستطيع القارئ التحقق من صحة وجودها وتداولها ، بل إنهم عدوها كحقيقة واقعة ، إلا انها في حقيقة الأمر لم تحدث ، ولكنها ترسخ ما يريد من اختلقها ترسيخه ، فهل يعقل ان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) يحرق الجثث بعد موتها !! فما فائدة حرق الجثة الهامدة بعد موتها إلا ان يكون التمثيل والحرق هو غاية بحد ذاته؟!

وقد نفت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) هذا الافتراء الكبير على النبي (صلى الله عليه وآله) ، ورفضته جملة وتفصيلاً على لسان الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، قال الشافعي[3] : «وكان علي بن حسين ينكر حديث أنس في أصحاب اللقاح[4]... قال: «والله ما سمل رسول الله عيناً».

وجاء دور الإمام الباقر (عليه السلام) ليؤكد هذا النفي ويفسر الأسباب الحقيقية وراء الفرية الكبيرة. فقال (عليه السلام) : "إن أول ما استحل الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سمّر يد رجل إلى حائط ! ومن ثم استحل الأمراء العذاب"[5].

ونفى الإمام الصادق (عليه السلام) ان يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد عذب أو أحرق جثث هؤلاء أو سمر أيديهم بالمسامير أو قطع لسان أحدهم. فقد روى المقريزي[6] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده : لم يقطع رسول الله (صلى الله عليه وآله) لساناً قط ، ولم يسمل عيناً". مما يؤكد بشكل قاطع عدم حصول هذه الأساليب البعيدة عن الرحمة الإنسانية.

١- القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٦ ، ص١٤٨.
٢- المصدر نفسه والصفحة.
٣- كتاب الأم ، ج٤ ، ص٢٥٩.
٤- اللقاح : وهي الإبل بأعينها ، الواحدة لقوح ، وهي الحلوب ، واللقوح اللبون ، وإنما تكون لقوحاً أول نتاجها شهرين ثم ثلاثة أشهر. ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٥٧٩ ؛ الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٤ ، ص١٩٠.
٥- الصدوق ، علل الرشائع ، ج٢ ، ص٥٤١.
٦- إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٧٣

وحين تؤكد مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ان جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله) أبعد ما يكون عن اللجوء إلى تعذيب البشر ، فان هذه المدرسة بينت – ومن خلال حديث الإمام الباقر – ان أسباب هذه الفرية هو محاولة هؤلاء التقرب إلى الحكام والسلاطين وتبرير أساليب التعذيب التي يقوم بها هؤلاء الحكام للناس ، حتى ولو كان الثمن تشويه صورة النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أرسل رحمة للعالمين ، وأراد هؤلاء الوضاعون بهذا الافتراء أن يقولوا : إن هؤلاء الأمراء والحكام إنما فعلوا ذلك بالناس اقتداءً بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وبذلك تكتسب أفعالهم الصفة الشرعية.

وقالوا في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] انها نزلت عتاباً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فيما فعل بالعرنيين[2].

وهذا الرأي يريد أن يقول : إن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) غير معصوم ويقع في الخطأ ، فاخطأ – حاشاه (صلى الله عليه وآله) – في سلوكه مع العرنيين فنزلت هذه الآية لتبين له الصحيح من الخطأ. ويستمر بهذا الرأي الإصرار على ان النبي (صلى الله عليه وآله) قد عذب وحرق ومثّل بالعرنيين!! على الرغم من نفي مدرسة أهل البيت لهذا العمل.

وقد جمع الطبري في تفسيره[3] أقوالاً وآراء عديدة لأسباب نزول هذه الآية ، وقال: «أوْلى الأقوال عندي : انزل الله هذه الآية على نبيه (صلى الله عليه وآله) لمعرفة حكم من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً ، بعد الذي كان من فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعرنيين ما فعل".

وحين التدقيق في كتب التفسير[4] نجد أنَّ هذه الآية نزلت بحق اليهود الذين حاربوا الله ورسوله ولم تنزل بحق هؤلاء. قال ابن عباس : «قوله: إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، قال : كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله) عهد وميثاق ، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض فخبر الله رسوله ، إن شاء ان يقتل وإن شاء ان

١ – المائدة : ٣٣.
٢ – جامع البيان ، ج٦ ، ص٢٨٤.
٣ – جامع البيان ، ج٦ ، ص٢٨٤.
٤ – الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٣ ، ص٣٢٤ ؛ السمعاني ، تفسير السمعاني ، ج٢ ، ص٣٣ ؛ البغوي ، تفسير البغوي ، ج٢ ، ص٣٢ ؛ ابن العربي ، أحكام القرآن ، ج٢ ، ص٩١ ؛ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج٢ ، ص٢٦٩ ؛ ابن كثير ، تفسير ابن كثير ، ج٢ ، ص٥٠.

يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف".

وقد كثرت الافتراءات على النبي (صلى الله عليه وآله) إلى درجة انهم وضعوا أحاديث يخدشون بها شخصيته الكريمة ويشوهونها . فقد روى البخاري[1] عن أبي هريرة انه سمع النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: "اللهم فأيما مؤمن سببته فاجعل ذلك قربة اليك يوم القيامة". وروى مسلم[2] عن ابي هريرة انه قال : «سمعت رسول الله يقول: اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر اني قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه فأيما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة».

وبمثل هذه الروايات الموضوعة يصبح النبي (صلى الله عليه وآله) يغضب لغير الله ويسب ويشتم ويلعن ويجلد من لا يستحق! ومؤدى هذه الروايات ان النبي (صلى الله عليه وآله) هو كسائر البشر ، تعتريه حالات فيغضب ويؤذي المسلمين من دون سبب ويسبهم ويلعنهم ، فهل يصح هذا وهو الذي وصفه القرآن الكريم بأنه على خلق عظيم ؟.

يقول الأميني[3]: «وكيف يسوغ له إيمانه أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) سباباً أو لعاناً أو مؤذياً لأحد أو جالداً لمسلم على غير حق ؟ كل ذلك من منافيات العصمة ، والله سبحانه يقول : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً ﴾[4]».

ثم أين نضع أحاديثه (صلى الله عليه وآله) : "إني لم أُبعث لعاناً وإنما بُعثت رحمة"[5] ، وقوله (صلى الله عليه وآله) : "سباب المسلم فسوق"[6] ، وقوله لعبد الله بن عمرو بن العاص : «...اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق وأشار إلى لسانه»[7].

وعلل الكوراني[8] سبب وضع هذه الروايات بانها روايات مبتكرة لمعالجة مشكلة الملعونين على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) ، بحيث وضعوا أحاديث مفادها ان النبي قد اعترف بخطئه في لعن الذين لعنهم ودعا عليهم ، لانه بشر ! فدفع كفارة خطأه بأن دعا الله تعالى أن يجعل لعنته على من لعنه أو سبه أو آذاه : "صلاة وقربى ، زكاة وأجر ، زكاة ورحمة ..." على حد تعبير

١- صحيح البخاري ، ج٧ ، ص١٥٧.
٢- صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٢٦.
٣- الغدير ، ج٨ ، ص٢٥٢.
٤- الأحزاب : ٥٨.
٥- ابن أبي عاصم ، الآحاد والمثاني ، ج٣ ، ص١٢٥ ؛ أبو يعلى ، مسند أبو يعلى ، ج١١ ، ص٣٥.
٦- الطوسي ، الامالي ، ص٥٣٧.
٧- الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج١ ، ص١٠١٥.
٨- تدوين القرآن ، ط١ ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٧١.

الروايات.

وخلاصة القول : إن إيراد مثل هذه القصص في كتب التاريخ العام والحديث والتفسير يستحيل أن يقبل بها إلا من لا يؤمن بالإسلام ، ويسعى لترسيخ الكراهية والحقد عليه وعلى رسوله ، لأنّها قصص مختلقة لا أصل لها.

المبحث الرابع :

سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله) في تثبيت دعائم الإسلام وفرض سيادته :

عند دراسة السيرة النبوية دراسة واضحة ، لابد من تحديد المراحل المتتابعة فيها ، وبيان سمات كل مرحلة ، لأن السيرة هي حجر الزاوية الذي يرتكز عليه التاريخ الإسلامي كله ، بل هي التطبيق العملي للإسلام.

فالدعوة الإسلامية التي اعتمدت التنظيم السري في مراحلها الأولى ، ثم انطلقت إلى إعلان فهمها الحركي للإسلام وجهرها به بالحكمة والموعظة الحسنة ، ثم واجهت المجتمع المنحرف بجاهليته وفسقه ، وتسنمت سدة الحكم ، ودخلت مرحلة الصراع العسكري والحرب المسلحة في مراحل أخرى ، اتجهت بسياسة حكيمة إلى اعتماد الحوار والدبلوماسية التي ترمي إلى أهداف استراتيجية بعيدة المدى ، تحمل وراءها قراءة صحيحة للأحداث القادمة.

أولاً : صلح الحديبية (٦هـ/٦٢٧م) :

كانت أولى الخطوات التي أراد النبي (صلى الله عليه وآله)أن يفرض بها على قريش الاعتراف بالإسلام أمراً واقعاً هو صلح الحديبية. والحديبية هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحتها ، وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها وبين المدينة تسع مراحل[1].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الحديبية يريد مكة ، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله)

١ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٢٩ ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج١ ، ص٤٦٧.

على الجبال ، فلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر فأذن بلال فصلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالناس ، فقال خالد بن الوليد لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لا يقطعون صلاتهم! ولكن يجيء لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم ، فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم ! فنزل جبرئيل بصلاة الخوف بهذه الآية : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً . . . ﴾[1] ففرق رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه فرقتين ، فرق بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم ، وفرقة صلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) قياماً ، ومروا فوقفوا مواقف أصحابهم ، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) الركعة الثانية ولهم الأولى ، وقعد وتشهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقام أصحابه وصلوا هم الركعة الثانية وسلم عليهم"[2].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فلما كان اليوم الثاني نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحديبية وهي طرف الحرم فبعثوا عروة بن مسعود الثقفي[3] فلما أقبل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) عظم ذلك وقال: يا محمد تركت قومك وقد ضربوا الأبنية وأخرجوا العود المطافيل[4] يحلفون باللات والعزى لا يدعوك تدخل مكة فأن مكة حرمهم وفيها عين تطرف افتريد أن تبيد أهلك وقومك يا محمد! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما جئت لحرب وإنما جئت لأقضي نسكي فأنحر بدني وأخلي بينكم وبين لحماتها ، فقال عروة: بالله ما رأيت كاليوم أحداً صد كما صددت ، فرجع إلى قريش وأخبرهم فقالت قريش والله لئن دخل محمد مكة وتسامعت العرب لنذلن ولتجترين

١- النساء : ١٠٢.
٢- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص١٥٠.
٣- عروة بن مسعود بن معتب الثقفي ، صحابي مشهور ، كان كبير في قومه بالطائف ، ولما أسلم استأذن النبي (صلى الله عليه وآله) ان يرجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، فرجع ودعاهم إلى الإسلام فخالفوه ورماه أحدهم بسهم فقتله سنة تسعة للهجرة. ينظر : ابن عبد البر ، الاتسيعاب ، ج٣ ، ص١٠٦٦ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص٣٦٠ ؛ الشهيد الأول ، القواعد والفوائد ، (منشورات مكتبة المفيد ، قم ، د.ت) ، ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٤ ، ص٢٢٦.
٤- العود المطافيل : النوق التي معها طلقها ، وهي قريبة عهد بالنتاج ، والمطفل: الظبية معها طفلها ، أو الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلها. ينظر : ابن الأثير ، النهاية ، ج٣ ، ص١٣٠ ؛ الاسترآبادي ، شرح الشافية ، ج٤ ، ص١٤٥ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢ ، ص٥٨١ ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، ج٣ ، ص٥٢.

علينا العرب"[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فبعثوا حفص بن الأحنف[2] وسهيل بن عمرو فلما نظر اليهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : ويح قريش قد نهكتهم الحرب ألا خلوا بيني وبين العرب فإن أك صادقاً فأنما أجر الملك إليهم مع النبوة وإن أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسألني اليوم امرؤ من قريش خطة ليس لله فيها سخط إلا أجبتهم إليه ، قال: فوافوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا : يا محمد ألا ترجع عنا عامك هذا إلى أن ننظر إلى ماذا يصير أمرك وأمر العرب فأن العرب قد تسامعت بمسيرك فان دخلت بلادنا استذلتنا العرب واجترأت علينا ونخلي لك البيت في العام المقبل في هذا الشهر ثلاثة أيام حتى تقضي نسكك وتنصرف عنا فأجابهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك وقالوا له وترد إلينا من جاءك من رجالنا ونرد إليك من جاءنا من رجالك فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه ولكن على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام ، فقبلوا ذلك فلما أجابهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الصلح أنكر عامة أصحابه وأشد ما كان إنكاراً [عمر بن الخطاب] فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ فقال : نعم ، قال: فنعطي الذلة [الدنية] في ديننا ! قال: إن الله قد وعدني ولن يخلفني ، قال: لو أن معي أربعين رجلاً لخالفته"[3].

ورجع حفص بن الأحنف وسهيل بن عمرو إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالا : "يا محمد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وان لا يكره أحد على دينه فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالكتب ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له اكتب ، فكتب أمير المؤمنين (عليه السلام) : بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو : لا نعرف الرحمن اكتب كما كان آباؤك باسمك اللهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اكتب باسمك اللهم فإنه اسم من اسماء الله ، ثم كتب : هذا

١- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣١١.

٢- حفص بن الأحنف : هو مكرز بن حفص بن الأحنف من بني عامر بن لؤي من قريش ، شاعر جاهلي من الفتاك ، أدرك الإسلام وقدم المدينة لما أسر المسلمون سهيل بن عمرو يوم بدر. ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج١ ، ص٢٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٦٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٧ ، ص٢٨٤.

٣- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣١١ ؛ وينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٢٤ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٣٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٣٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص١٨٨ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٢٩٤.

ما تقاضى عليه محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والملأ من قريش ، فقال سهيل بن عمرو : لو علمنا أنك رسول الله ما حاربناك ، اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد بن عبد الله أتأنف من نسبك يا محمد! فقال رسول الله انا رسول الله وإن لم تقروا ، ثم قال امح يا علي ! واكتب محمد بن عبد الله ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ما امحو اسمك من النبوة أبداً ، فمحاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده ثم كتب : هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو واصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكف بعض عن بعض انه لا إسلال ولا إغلال[1] ، وان بيننا وبينهم غيبة مكفوفة ، وانه من أحب ان يدخل في عهد محمد وعقده فعل ، وان من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وانه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يرده إليه وانه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يرده إليه. وان يكون الإسلام ظاهراً بمكة لا يكره احد على دينه ، ولا يؤذى ولا يعير ، وان محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه ثم يدخل علينا في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام ، ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القراب»[2].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "...فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت : نحن في عهد محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعقده ، وقامت بنو بكر فقالت : نحن في عهد قريش وعقدها ، وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونسخة عند سهيل بن عمرو ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه : انحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم فامتنعوا وقالوا كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة ، فاغتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ذلك وشكا ذلك إلى أم سلمة ، فقالت : يا رسول الله انحر أنت واحلق فنحر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحلق ونحر القوم على حيث يقين وشك وارتياب ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعظيماً للبدن رحم الله المحلقين وقال قوم لم يسوقوا البدن : يا رسول الله والمقصرين ؟ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثانياً رحم الله

١- الإسلال : من أسل ، والمجرد : سل ، أخذ الشيء خفية برفق ، وهو السرقة. والغلول : خيانة الفيء ، ومنه (لا إسلال ولا إغلال) أي لا سرقة ولا خيانة. ينظر : الفراهيدي ، كتاب العين ، ج٤ ، ص٣٤٨ ؛ الشريف الرضي ، المجازات النبوية ، تحقيق: طه محمد الزيتي ، (مكتبة بصيرتي ، قم ، د.ت) ، ص١٣٦ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٧٠٩ ؛ محمد قلعجي ، معجم لغة ، ص٦٨ ، ص٤٤٤.

٢- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣١٣.

المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي ، فقالوا يا رسول الله والمقصرين فقال رحم الله المقصرين ، ثم رحل رسول الله (صلى الله عليه وآله) نحو المدينة فرجع إلى التنعيم ونزل تحت الشجرة ، فجاء أصحابه الذين أنكروا عليه الصلح واعتذروا وأظهروا الندامة على ما كان منهم وسألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يستغفر لهم فنزلت آية الرضوان نزل ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً ﴾ ((١))((٢)).

لقد كان صلح الحديبية من أعظم الانجازات الإسلامية على الإطلاق ، بل هو الثمرة المباركة للمعارك كافة التي خاضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد وصف الله تعالى في كتابه العزيز هذا الصلح بالفتح المبين والنصر العزيز ، لأن هذا الصلح قد حسم الموقف نهائياً لصالح الإسلام من دون إراقة قطرة دم واحدة!((٣)).

وقد جاء عمل الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا من اجل تثبيت فرض سيادة الإسلام من خلال الاستعمال المرن للقوة إلى جانب الوسائل الدبلوماسية في الدعوة والحوار والتحالف مع مختلف القوى والقبائل الموجودة في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها((٤)).

وقد عبَّر الإمام الصادق (عليه السلام) عما أسفرت عنه نتائج هذا الصلح بقوله : "ما كان أعظم بركة منها ، فما انقضت تلك المدة – يقصد مدة الهدنة – حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة"((٥)).

وقد أثبتت الأحداث أن الشرط الذي تخوف المسلمون منه في صلح الحديبية قد عمل لصالح المسلمين وعلى خلاف ما أرادت قريش ، قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ولما رجع (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أسيد بن حارثة الثقفي((٦)) من المشركين فبعث الأخنس بن

١- الفتح : ١-٢.
٢- القمي ، تفسير القمي ، ج٢ ، ص٣١٤ ؛ وينظر : الطبرسي ، تفسير جوامع الجامع ، ج٣ ، ص٣٧٨ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الأصفى ، ج٢ ، ص١١٨٠.
٣- أحمد حسين ، أين سنة الرسول ، ص٢٧٣.
٤- الملاح ، الوسيط ، ص٢٥٥ ؛ وينظر : الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج٣ ، ص٩٤ وما بعدها.
٥- الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٣٢٦ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٥ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج١ ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٠ ، ص٣٦٣ ؛ الأحمدي الميانجي ، مكاتيب الرسول ، ج٣ ، ص٩٤.
٦- أبو بصير : اختلف في اسمه ، فقيل عبيد بن أسيد بن حارثة وقيل عتبة بن أسيد بن حارثة وقيل هو من قريش وقيل هو من ثقيف. مات وكتاب رسول الله بيده يقرأه – كتاب اللحاق بالمسلمين – فدفنه أبو جندل مكانه وبنى عليه مسجداً. ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص١٠٨.

شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما فأتى النبي مسلماً مهاجراً فقال (ﷺ) : مسعر حرب[1] لو كان معه واحد ، ثم قال : شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت ، فخرج أبو بصير وتبعه خمسة نفراً أيضاً حتى بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عبرات قريش مما يلي سيف البحر ، وانفلت أبو جندل[2] في سبعين راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير ، واجتمع إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة حتى بلغوا ثلثمائة لا يمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها ، وأخذوا عيراً فيها أبو العاص صهر النبي (ﷺ) فخلوا سبيله ولم يقتلوا أحداً منهم ، فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى النبي يتضرعون إليه ان يبعث إليهم ، فتقدموا عليه وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج"[3]. وهكذا كتبت قريش إلى رسول الله (ﷺ) ترجوه أن يضم هؤلاء الأفراد إليه إذ لا حاجة بها إليهم.

وعن الزهري قال: "فما فتح الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب ، وأمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر"[4].

وقد علق ابن هشام[5] على قول الزهري بقوله : «والدليل على صحة قول الزهري أن رسول الله (ﷺ) خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف".

١- مسعر حرب : أي مشعل نار الحرب وموقدها ، أسعر الحرب : أشعلها ، ومسعر حرب أي يسعرها ، ومعناها الإقدام في الحرب والتسعير لنارها. ينظر : الزمخشري ، الفائق ، ج١ ، ص٢٤٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٥ ، ص٢٥٩ ؛ الشوكاني ، نيل الأوطار ، ج٨ ، ص٢٠٣ ؛ العظيم آبادي ، عون المعبود ، ج٧ ، ص٣١٩ ؛ أبو حبيب ، القاموس الفقهي ، ص١٧٣ .

٢- أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري نسبة إلى عامر بن لؤي بن غالب ، أسلم بمكة فطرحه أبوه في حديد فلما كان يوم الحديبية جاء يرسف بالحديد إلى رسول الله ، وكان أبوه سهيل قد كتب كتاب الصلح مع الرسول (ﷺ) ، فخلاه رسول الله لذلك ، مات في خلافة عمر. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٦٢٢ .

٣- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٥ ؛ ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج١ ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ وينظر : الصنعاني ، المصنف ، ج٥ ، ص٣٤١ ؛ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٤ ، ص٣٣١ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٣ ، ص١٨٣ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢٠ ، ص١٥ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٢٢١ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ، ص١٩٥ .

٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٨٦.

٥- المصدر نفسه والصفحة.

لهذا كله يعد صلح الحديبية رحلة سياسية ناجحة قام الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لتثبيت دعائم دولته الجديدة وفرض سيادته بأسلوب الحوار السياسي والدبلوماسي الذي مثل مرحلة جديدة من مراحل بناء الدولة.

ثانياً : فتح خيبر (٧هـ/٦٢٨م) :

ومن ضمن سياسته (صلى الله عليه وآله) الهادفة إلى تثبيت دعائم الإسلام ودعم قوة الدولة الجديدة ، وجعلها دولة قوية سياسياً واقتصادياً ، وقناعته الكاملة بضرورة إنهاء التأثير اليهودي في الدولة الفتية ، وللأهمية الكبيرة التي تحظى بها خيبر لأنها مقر قيادة اليهود ومقر تجارتهم في يثرب والجزيرة كلها ، ومركز اليهود الروحي وأساس قوتهم الاقتصادية والدينية ، واليها لجأ يهود بني النضير وقينقاع وبنو قريظة. لهذا كله اتجه (صلى الله عليه وآله) لفتح خيبر بعد رجوعه من الحديبية ، وذلك سنة سبع للهجرة كما يقول الواقدي[١] ، أو أواخر السنة السادسة كما ذكر الطبرسي[٢].

فبعد عقده (صلى الله عليه وآله) الهدنة مع قريش بموجب صلح الحديبية ، توفرت له الفرصة للتفرغ لمواجهة اليهود وإنهاء تآمرهم على الإسلام ، وحين سار إلى خيبر حاصرهم بضعاً وعشرين ليلة ، وبخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم ، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفتحها حصناً حصناً[٣].

وبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بكر برايته إلى بعض حصون خيبر فقاتل فرجع ولم يكن فتحاً وقد جهد ، ثم بعث عمر بن الخطاب الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتحاً وقد جهد[٤] ... فساء ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال : "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار" فقال علي (عليه السلام) لما سمع : "اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت" ، فأصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: "ادعوا لي علياً ، فقالوا : إنه أرمد ، فقال: أرسلوا إليه وادعوه فأتي به يقاد ، فتفل في عينيه فقام وكانت عيناه جزعتين ، وأعطاه الراية ودعا له فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن ، فخرج إليه مرحب فبارزه فضرب رجله فقطعها ، وحمل

١- المغازي ، ج٢ ، ص٦٣٤.
٢- إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٦.
٣- الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٤٤ ؛ الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ص١٠٨ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج٢١ ، ص١٧٨.
٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٧ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٢ ، ص٩٠.

علي والجماعة على اليهود فانهزموا"[1].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : "انتهى إلى باب الحصن وقد أغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً وتترس به ، ثم حمله على ظهره ، واقتحم الحصن اقتحاماً ، واقتحم المسلمون والباب على ظهره. قال : فوالله ما لقي علي (عليه السلام) من الناس تحت الباب أشد مما لقى من الباب ، ثم رمى بالباب رمياً"[2].

وخرج البشير إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ان علياً دخل الحصن ، فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرج علي يتلقاه ، فقال (صلى الله عليه وآله) : "قد بلغني نبأك المشكور وصنيعك المذكور ، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك ، فبكى علي (عليه السلام) ، فقال له : ما يبكيك يا علي ؟ فقال : فرحاً بأن الله ورسوله عني راضيان"[3].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) "وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي[4] ، فدعا بلالاً فدفعها إليه ، وقال له: لا تضعها إلا في يدي رسول الله حتى يرى فيها رأيه ، فأخرجها بلال ومرَّ بها إلى رسول الله على القتلى ، وقد كادت تذهب روحها فقال (صلى الله عليه وآله) لبلال : أنزعت منك رحمة الله يا بلال!؟ ثم اصطفاها (صلى الله عليه وآله) لنفسه ، ثم اعتقها وتزوجها"[5].

وقد استطاع جيش المسلمين دخول خيبر وطرد يهود يثرب منها ، فخرجت فلولهم باتجاه أرض الشام وتفرق شملهم ، أما يهود خيبر فقد صالحهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على النصف من أراضيهم ، مما يدل على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يكن أساساً ينوي محاربة وطرد يهود خيبر عند دخولها ، لان يهود خيبر لم يبدر منهم أي معارضة أو خصومة مع الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولم يخونوا عهداً معه ، بل لم يكن له (صلى الله عليه وآله) عهداً معهم أصلاً ، وإنما كان ينوي محاربة وطرد يهود يثرب الذين لجأوا إلى خيبر ، وهذا ما تؤيده روايات الإمام الصادق (عليه السلام) الآتية :

١- البلاذري، أنساب الأشراف ، ج١ ، ص٩٣ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢١١.
٢- الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٤٤.
٣- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٨.
٤- صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النحام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران (عليه السلام) ، وأمها برة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة أخوة النضير ، وكانت صفية تزوجها سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع النضري ، وكانت صفية مما اصطفى رسول الله يوم خيبر فاعتقها (صلى الله عليه وآله) وتزوجها. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٢٠.
٥- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ وينظر : الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٧٣٧.

١-روى الكليني[١] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : "إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما افتتح خيبر تركها في أيديهم على النصف ، فلما بلغت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة إليهم فخرص[٢] عليهم ، فجاؤوا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا : إنه قد زاد علينا فأرسل إلى عبد الله فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : قد خرصت عليهم بشيء فإن شاؤوا يأخذون بما خرصت ، وإن شاؤوا أخذنا ، فقال رجال من اليهود : بهذا قامت السموات والأرض".

٢-وفي رواية أخرى للإمام الصادق (عليه السلام) : "ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعطى خيبر بالنصف أرضها ونخلها ، فلما أدركت الثمرة بعث عبد الله بن رواحة فقوم عليهم قيمة ، فقال لهم : إما أن تأخذوه وتعطوني نصف الثمر وإما أعطيكم نصف الثمر وأخذه فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض"[٣].

ويفهم من الروايتين السابقتين ان الرسول (صلى الله عليه وآله) صالح أهل خيبر ولم يكن هناك جلاء لهم ، فأبقاهم في مزارعهم على ان يدفعوا نصف المحصول للرسول (صلى الله عليه وآله).

وتؤكد العديد من النصوص والشواهد التاريخية على ان عمر بن الخطاب هو من أجلى يهود خيبر وليس الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ومن هذه النصوص :

١-قال مالك[٤] : «وقال ابن شهاب ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب. ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين : ان رسول الله قال : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب. فأجلى يهود خيبر".

٢-وذكر ابن شبه النميري[٥] : «أول من أجلى أهل خيبر عمر ، فقال له رئيس من رؤسائهم : أتجلينا وقد أقرنا محمد ؟!».

٣-أما الطبري الإمامي[٦] فقال : «ومما نقموا على عمر بن الخطاب إجلاءه أهل

١ - الكافي، ج٥، ص٢٦٧؛ ينظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٨ ، ص٢٣٢ ؛ البروجردي، جامع أحاديث، ج١٨ ، ص٢١٤.
٢ - الخرص : التقدير ، أو التخمين ، أو التقدير الظني ، أو الحرز ، والحرس ، ومنه قولهم : خرص التمر للزكاة ، أي حزر ما على النخل من الرطب. ينظر : محمد قلعجي ، معجم لغة الفقهاء ، ص١٩٤ ؛ أحمد فتح الله ، معجم ألفاظ ، ص١٧٦ ؛ سعدي أبو حبيب ، القاموس الفقهي ، ص١١٥.
٣- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٢٦٧.
٤ - كتاب الموطأ ، ج٢ ، ص٨٩٢ ؛ وينظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ج١ ، ص٣١ ؛ المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص٢٢٢ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص٢٠٨ ؛ ابن عبد البر ، الاستذكار ، ج٧ ، ص٤١ ؛ السيوطي ، تنوير الحوالك ، ص٦٤٣ ؛ الكحلاني ، سبل السلام ، ج٤ ، ص٦١ ؛ الشوكاني ، نيل الاوطار ، ج٨ ، ص٢١٩.
٥ - تاريخ المدينة ، ج١ ، ص١٩٤.
٦ - المسترشد ، ص٥٢٧.

نجران وأهل خيبر عن ديارهم ، وقد أقرهم رسول الله ، وكتب لهم كتاباً بذمتهم وصلحهم ، وهو في أيديهم إلى يومنا هذا ، لم يجزه كتاب رسول الله ، وقال : لا يجتمع دينان في جزيرة العرب خلافاً على رسول الله ونقضاً لعهده».

٤-وذكر ابن عبد البر[١] : «إن عمر بن الخطاب حين أجلى يهود خيبر قال له يهودي : أتخرجنا وقد أقرنا محمد ...؟!».

٥-وقال العيني[٢] : «إن عمر بن الخطاب أجلى يهود خيبر عنها لقوله (صلى الله عليه وآله) : لا يجتمع دينان بأرض العرب ، وإنما كان (صلى الله عليه وآله) أقرهم على ان سالمهم في أنفسهم ، ولا حق لهم في الأرض ، واستأجرهم على المساقاة وله شطر الثمر ، فلذلك أعطاهم عمر قيمة شطر الثمر من إبل واقتاب ، وحبال يستقلون بها إذا لم يكن لهم في رقية الأرض شيء".

واستناداً لكل ما تقدم يمكن القول إن ما حدث في خيبر كان بالدرجة الأولى حصاراً واستسلاماً ونفياً ليهود يثرب ومن عاونهم من يهود خيبر ، أما بقية يهود خيبر فقد فرضت عليهم الجزية عقاباً لهم على نقض عهدهم مع المسلمين باستضافة يهود يثرب وحمايتهم ، فلم يذكر المؤرخون أنه كان بين النبي (صلى الله عليه وآله) ويهود خيبر عهد ، وإنما كان العهد بينه وبين البطون الثلاثة من اليهود (بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة) وهؤلاء لجأوا بعد ان أجلاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مناطقهم إلى خيبر ، لهذا يبدو ان الغرض من غزو خيبر هذه المرة هو الدخول في الإسلام ، أو قبول الجزية أو الحرب ، فلما لم يسلموا ولم يقبلوا الجزية حاربهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)[٣]. ومع ذلك فقد ذكر المؤرخون[٤] أن أهل خيبر كانوا مظاهرين لغطفان على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وان غطفان قصدت خيبر ليظاهروا اليهود ثم خافوا المسلمين على أهليهم وأولادهم فرجعوا.

أما قيام النبي (صلى الله عليه وآله) بتتبع اليهود والمنافقين وملاحقتهم فهو دليل على حكمته السياسية وبعد نظره ، فهؤلاء لم يتوقفوا عن محاربة الإسلام ودولته الجديدة ، لذلك رأى (صلى الله عليه وآله) ان هؤلاء

١- التمهيد ، ج١٢ ، ص١٦.
٢- عمدة القاري ، ج١٣ ، ص٣٠٦.
٣- ينظر : الأمين ، أعيان الشيعة ، ج١ ، ص٢٧٠.
٤- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٣ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٢٩٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص١٣٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٢٠٧.

سوف يزداد خطرهم على الإسلام والمسلمين إذا لم يجرِ استئصالهم ومعالجتهم ، فاستمر (صلى الله عليه وآله) على محاربته وملاحقته لهم.

والأدلة التي تؤيد استمرارهم على محاربته (صلى الله عليه وآله) هو الافتراءات الكبيرة والعديدة التي نسبت إليه في هذه الغزوة ، على الرغم من عدم حاجته إلى اللجوء إليها ، وكذلك تعدد أساليب هذه المحاربة ، فمرة يحاولون قتله بالسم ، وأخرى يشوهون سمعته باتهامه بانه يحرق النخيل والأشجار ويقطع الأثمار ، ومرة يصورونه كأن التعذيب سمة من سماته – حاشاه (صلى الله عليه وآله) – وهذا ما تؤيده النصوص الآتية :

١–روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "سَمّت اليهودية النبي (صلى الله عليه وآله) في ذراع وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحب الذراع والكتف ويكره الورك ... وقال: لما أوتي بالشواء أكل الذراع وكان يحبها فأكل ما شاء الله ثم قال الذراع يا رسول الله إني مسموم فتركه ، وما ذاك ينتفض به سمه حتى مات (صلى الله عليه وآله)"[1].

وقد وردت هذه القصة عند ابن هشام[2] بالشكل الآتي : «فلما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهدت له زينب بنت الحارث[3] امرأة سلام بن مشكم[4] شاة مصلية ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور[5] قد أخذ منها كما أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني انه مسموم ، ثم

١– البرقي ، المحاسن ، ج٢ ، ص٤٧٠ ؛ الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٥٢٣ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٦ ، ص٣١٥ ؛ الشاهرودي ، مستدرك السفينة ، ج٣ ، ص٤٣٩ ؛ الريشهري ، موسوعة الأحاديث الطبية ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت) ، ص٤٥٤.

٢– السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٩–٨٠٠.

٣– زينب بنت الحارث بن سلام الإسرائيلية اليهودية التي دست السم للنبي (صلى الله عليه وآله) في الشاة المسمومة ، قيل انها أخت مرحب ، وقيل انها ابنة أخي مرحب. ويقال : انها أسلمت فتركها النبي (صلى الله عليه وآله) وقال آخرون انه قتلها قصاصاً لبشر بن البراء لانه كان أكل معه من الشاة المسمومة فمات بعد حول. ينظر : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٨ ، ص١٥٥ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج٧ ، ص٢٧١ ؛ العظيم آبادي ، عيون المعبود ، ج١٢ ، ص١٤٨.

٤– سلام بن مشكم : كان سيد بني النضير في زمانه ، وصاحب كنزهم ، وكان شاعراً في الجاهلية ، زوج صفية بنت حيي بن أخطب زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهو زوج زينب بنت الحارث التي قدمت الشاة المسمومة للرسول (صلى الله عليه وآله). ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٥٥٩ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٦ ، ص١٨٨.

٥– بشر بن البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد ، شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر ، واكل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر من الشاة المسمومة ، وقيل إنه مات منها. ينظر : ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٣٠ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٢٨ ؛ الحلي ، خلاصة الأقوال ، ص٧٩ ؛ ابن داود الحلي ، رجال ابن داود ، ص٥٦ ؛ الاردبيلي ، جامع الرواة ، ج١ ، ص١٢١ ؛ البروجردي ، طرائق المقال ، ج٢ ، ص١٢٧.

دعا بها فاعترفت ، فقال: ما حملك على ذلك ؟ قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكاً استرحت منه ، وان كان نبياً فسيخبر ، قال: فتجاوز عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومات بشر من أكلته التي أكل".

ويبدو من الروايات ان الشاة المسمومة قُدِّمت له (صلى الله عليه وآله) بعد إكماله إجراءات الصلح مع اليهود ، بدليل قول ابن هشام : "فلما اطمأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية ..." والاطمئنان لا يحصل لدى الإنسان إلا إذا كان هناك عقد واتفاق يلتزم بموجبه الطرفان ، وهكذا يثبت ان اليهود لا عهد لهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وذلك ما يثبت حكمته ويؤيد ملاحقته إياهم وهم في خيبر.

٢-ويتكرر مشهد حرق النخيل مرة أخرى في هذه الغزوة ، فيروي الواقدي[١] : «قال الحباب بن المنذر[٢] : يا رسول الله ، ان اليهود ترى النخيل أحب اليهم من أبكار أولادهم ، فاقطع نخلهم ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقطع النخيل ووقع المسلمون في قطعها حتى أسرعوا في القطع ، فجاء أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر ، وهو منجز ما وعدك ، فلا تقطع النخل ، فأمر منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنهى عن قطع النخل".

وصور السرخسي[٣] مشهد قطع النخل بصورة أخرى ، فقال : «أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقطع نخيل خيبر ، حتى مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالذين يقطعون ، فهمّ ان يمنعهم ، فقالوا : أمرَ به رسول الله عليه السلام. فاتاه عمر رضي الله عنه فقال : أنت أمرت بقطع النخيل ؟ قال : نعم. قال : أليس وعدك الله خيبر؟ قال: بلى. فقال عمر : إذاً تقطع نخيلك ونخيل أصحابك ، فأمر منادياً ينادي بالنهي عن قطع النخيل". وهذا النص يصور عمر بن الخطاب بصورة من يمتلك رجاحة عقل وحسن تفكير وقوة شخصية أكثر من الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وهذا واضح من طبيعة الحوار الذي دار بينه وبين الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يحتاج النص إلى إسهاب في التحليل لان

١- المغازي ، ج٢ ، ص٦٤٤.

٢- الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد ويكنى ابى عمرو ، شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وشهد الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشهد سقيفة بني ساعدة ، توفي في خلافة عمر بن الخطاب وليس له عقب. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٥٦٦-٥٦٧ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٩٠ ؛ مشاهير علماء الأمصار ، ص٤٧ ؛ ابن حجر ، الإصابة العسقلاني ، ج٢ ، ص٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص١٦٣.

٣- شرح السير الكبير ، ج١ ، ص٥٥.

الحوار يعطي صورة واضحة لما يريده الراوي لا تخفى على أحد.

وقال الراوي : فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة ، وقيل لهم : هذا مما قطع رسول الله ! والنطاة : اسم حصن من حصونهم. وقد كانت لهم ستة حصون : الشق ، والنطاة ، والقموص ، والكتيبة ، والسلالم ، والوطيحة[1].

ويعلق الشيخ الكوراني[2] على قول هذا الراوي : «ألا يكفي لتكذيب هذه الأسطورة قول أحد رواتها: «فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة ، وقيل لهم : هذا مما قطع رسول الله !» فهل سمعتم في تاريخ العرب أو الشعوب الأخرى ان أحداً كان يقطع شجر النخيل بالسيوف !!

ونقول : إن عدم رواية الإمام الصادق (عليه السلام) لروايات قطع أشجار النخيل وتحريقها ، هو دليل على عدم صحتها.

٣-ومما افتري به على رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه كان يعذب الناس ، فقد روى ابن هشام[3] هذا النص : «وأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بكنانة بن الربيع[4] ، وكان عنده كنز بني النضير فسأله عنه ، فجحد ان يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل من يهود فقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني رأيت كنانة يطوف في هذه الخربة كل غداة ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكنانة : أرأيت ان وجدناه عندك أأقتلك ؟ قال: نعم ، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى ان يؤديه ، فأمر به رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزبير بن العوام ، فقال : عَذِّبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند في صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى محمد بن مسلمة[5] ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة»[6].

ولو صحّت هذه الرواية ، فإن التعذيب المتبع فيها هو أبشع صورة للجريمة والإجرام ،

١- السرخسي ، المبسوط ، ج١٠ ، ص٣٢.
٢- ألف سؤال وإشكال ، ج٢ ، ص٢٦٨.
٣- السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٩-٨٠٠.
٤- كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، كان زوج صفية بنت حيي بن أخطب ، قتل يوم خيبر قتله محمد بن مسلمة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٢٠ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤١٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٣٦.
٥- محمد بن مسلمة الأنصاري الحارثي يكنى أبا عبد الرحمن ، شهد بدراً والمشاهد كلها ومات بالمدينة ، ولم يستوطن غيرها ، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين ، وقيل سنة ست وأربعين ، وهو يومئذ أمير على المدينة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٤٥ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٣٧٧.
٦- محمود بن مسلمة ، أخو محمد بن مسلمة شهد احداً والخندق وخيبر ، وقتل بخيبر ، أُلقيت عليه رحا في حصن ناعم فمكث ثلاثة أيام فقتلته. ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٤ ، ص٣٣٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٦ ، ص٣٥.

فلو تأملنا النص : «عَذِّبه حتى تستأصل ما عنده» فهل يعذَّب الإنسان على جريمة لم يرتكبها ؟ وهل الرسول (صلى الله عليه وآله) يأخذ الناس بالتهمة من دون تثبت ؟ وهل أسلوب النبي (صلى الله عليه وآله) الذي جاء رحمة للعالمين هو تعذيب الناس ليجبرهم على الاعتراف ؟ وهل من أخلاقه (صلى الله عليه وآله) الاستيلاء على أموال الآخرين ولو كانوا يهوداً ؟ حاشاه من كل هذه الأفعال الوضيعة !!

أما طريقة تعذيب الزبير للمتهم ، فهي طريقة أقل ما يقال عنها انها مشابهة لأفعال الإرهابيين في العصر الحالي ، وإلا فان "القدح بالزند – أي الكي في النار بآلة خاصة في صدر المتهم وعلى شكل دفعات ، حتى يشرف على الموت" لا يمكن التعليق عليها إلا بوصفها (عمل إرهابي).

أما بقية النص فيصور لنا ، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفع كنانة بن الربيع إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة ! والسؤال هنا : ان محمد بن مسلمة قتل هذا اليهودي بثأر أخيه ، وليس دفاعاً عن الإسلام ، ثم ما هو ذنب اليهودي ان يؤخذ بجريرة الآخرين فالثابت عند ابن هشام[1] ان كنانة بن الربيع لم يقتل محمود بن مسلمة ، وإنما قتلته رحى أسقطت عليه من احد الحصون.

كل هذه التساؤلات تثبت عدم صحة هذه الروايات، لأنها لا تتناسب وأخلاق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وإلا فهل يعقل ان يستعمل النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الأساليب ، وهو الذي وبخّ بلال في هذه الغزوة نفسها حين مر بصفية بنت حيي وهي تشاهد القتلى ؟ فقال له (صلى الله عليه وآله) : أنزعت منك الرحمة يا بلال[2]؟ فكيف تستقيم هذه الأخلاق العظيمة مع ما تذكره نصوص الروايات المشوهة لصورته (صلى الله عليه وآله). ولابد من الإشارة مرة أخرى إلى ان روايات الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمة الأطهار (عليهم السلام) لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى روايات كهذه ، مما يدل على عدم صحتها.

ثالثاً : فتح مكة (٨هـ/٦٢٩م):

كشفت روايات الإمام الصادق ومن قبله الإمام الباقر (عليهما السلام) ، الخاصة بأحداث فتح مكة ، طبيعة الإجراءات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية التي اتخذها الرسول (صلى الله عليه وآله) التي يمكن عدها بأنها إجراءات إصلاحية لتثبيت دعائم الدولة وبنائها بناءً سليماً وقوياً.

١- السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٣.
٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٧٩٩.

فقد تناولت رواياتهم (عليهم السلام) أحداث الفتح المبين ، وناقشوه بشكل يجمع بين العقيدة والإيمان والوعي التاريخي ، مع الإشارة إلى الدروس المستنبطة من هذا الفتح العظيم.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كانت غزوة الفتح في شهر رمضان من سنة ثمان"[1] ، وذلك ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) صالح قريشاً عام الحديبية فدخلت خزاعة في حلف النبي (صلى الله عليه وآله) وعهده ، ودخلت كنانة في حلف قريش ، فلما مضت سنتان من القضية قعد رجل من كنانة يروي هجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال له رجل من خزاعة : "لا تذكر هذا ، قال: وما أنت وذاك ؟ قال : لئن أعدت لأكسرن فاك ، فأعادها ، فرفع الخزاعي يده فضرب بها فاه ، فاستنصر الكناني قومه ، والخزاعي قومه ، وكانت كنانة أكثر فضربوهم حتى أدخلوهم الحرم ، وقتلوا منهم وأعانتهم قريش بالكراع والسلاح ، فركب عمرو بن سالم[2] إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره الخبر وقال أبيات شعر ، منها :

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا
أن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا ركعاً وسجدا[3]

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونة[4] وقال: اسكبوا لي الماء ، فجعل يغتسل ويقول : لا نصرت إن لم أنصر بني كعب، ثم أجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) على المسير إلى مكة وقال: اللهم خذ العيون عن قريش حتى نأتيها في بلادها"[5]. وهذا النص الأخير يحمل بين طياته وضوح الحنكة العسكرية والخبرة الميدانية القتالية لشخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، إذ

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٧٣.
٢- عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي أحد بني كعب ، روى حديثه المكيون إذ خرج مستنصراً من مكة إلى المدينة حتى أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال أمامه الشعر المعروف. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٩٤ ؛ ابن عبد البر، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١١٧٥ ؛ ابن حجر ، الإصابة ، ج٤ ، ص٥٢١.
٣-الأتلد : الأقدم. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٠٣ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص٤٧٧.
٤- ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، تزوجها النبي (صلى الله عليه وآله) في شوال سنة سبع للهجرة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص١٣١.
٥- ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٤ ، ص٥٢١ ونقل الرواية عن الإمام الصادق ؛ وينظر : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٢٥ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٤٣ ، ص٥٢٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٣٩ ؛ أسد الغابة ، ج٤ ، ص١٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٢١ .

ان السرية في المعلومات تعد أحد عوامل النجاح العسكري والقتالي ، فكان (ﷺ) يطبق هذه القاعدة في كل حروبه لان العسكري الناجح هو الذي لا يمنح العدو فرصة الحصول على أي معلومة تخص عدده وعدته. وكان (ﷺ) دائماً ما يأخذ الحيطة والحذر في غزواته وحروبه.

ولكن وعلى الرغم من كل ذلك غُدِر به (ﷺ) من احد أصحابه وهو حاطب بن أبي بلتعة[1] الذي حاول القيام بتسريب معلومات غزوة الفتح إلى القرشيين في مكة ، فأرسل حاطب بن أبي بلتعة بيد سارة مولاة أبي لهب إلى قريش : «أن رسول الله خارج اليكم يوم كذا وكذا» فخرجت وتركت الطريق ثم أخذت ذات اليسار في الحرة ، فنزل جبرئيل فأخبره ، فدعا علياً (عليه السلام) والزبير فقال لهما : "أدركاها وخذا منها الكتاب"[2].

فخرج علي (عليه السلام) والزبير لا يلقيان أحداً حتى وردا ذات الحليفة[3] ، وكان النبي (ﷺ) وضع حرساً على المدينة وكان على الحرس حارثة بن النعمان[4] ، فأتيا الحرس فسألاهم فقالوا : ما مر بنا أحد ، ثم استقبلا حاطباً فسألاه ، فقال : رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة ، فأدركاها فأخذ علي (عليه السلام) منها الكتاب وردها إلى رسول الله (ﷺ). قال : فدعا (ﷺ) حاطباً فقال له: "انظر ما صنعت"[5].

قال : «أما والله أني لمؤمن بالله ورسوله ما شككت ، ولكني رجل ليس لي بمكة عشيرة ، ولي بها أهل فأردت ان اتخذ عندهم يداً ليحفظوني فيهم ، فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فوالله لقد نافق. فقال (ﷺ) : إنه من أهل بدر ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال: اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم"[6]. وورد هذا الحديث عند

١- حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير من بني خالفة بطن من لخم ، وقيل من مذحج ، يكنى أبو عبد الله وقيل أبو محمد ، كان حاطب قد أسلم وهاجر وبقي أهله وولده بمكة ، وهو من مشاهير المهاجرين ، شهد بدراً ، مات بالمدينة سنة ثلاثين للهجرة وهو يومئذ ابن خمس وستين سنة. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص٣١٧ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص٣٦٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٤٣ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١١ ، ص٢٠٩.

٢- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٥٨ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢١٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٢٣.

٣- ذات الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٩٥.

٤- حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ، يكنى حارثة أبا عبد الله ، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، توفي في عهد معاوية. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٣ ، ص٤٨٨ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص١٥٩.

٥- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢١٦ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٤٥ ؛ الزيلعي ، تخريج الأحاديث ، ج٣ ، ص٤٤٨ ؛ المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج١ ، ص١٣٣.

٦- الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ/ ٨٣١م) ، مسند الحميدي ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٢٧ ؛ ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٧ ، ص٥٣٩ ؛ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٨٠ ؛ ابن نصر ، أبو محمد عبد بن حميد (ت٢٤٩هـ/ ٨٦٢م) ، المنتخب من مسند عبد حميد ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي ، ط١ ، (مكتبة

العيني[1] بزيادة : «اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة».

ويعلق السيد الحسني[2] على هذا الحديث بقوله : «هذا الحديث من الموضوعات ، والذين وضعوه أرادوا بذلك تغطية بعض الجرائم التي ارتكبها بعض من حضر معركة بدر ، وليس من منطق الأديان ان يسمح الله للناس بارتكاب الجرائم والمخالفات لمجرد أنهم اشتركوا في معركة كانت نتائجها لصالح المسلمين ، أو لأنهم فعلوا خيراً وأحسنوا إلى الناس مهما كان إحسانهم بالغ الأثر. لقد حدد القرآن الكريم موقف الإسلام من المحسنين والمسيئين بهذه الآية : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3].

وفي رواية الطبرسي[4] قال النبي (صلى الله عليه وآله) : "إنه من أهل بدر ، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم ، أخرجوه من المسجد". فجعل الناس يدفعون في ظهره وهو يلتفت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليرق عليه ، فأمر برده وقال (صلى الله عليه وآله) : "قد عفوت عن جرمك فاستغفر ربك ولا تعد لمثل هذا ما حييت" فانزل الله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء . . . ﴾[5].

وعند التدقيق في رواية الطبرسي هذه ، نراها خالية من عبارة : «اعملوا ما شئتم» التي تتعارض ومنطق القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويبدو ان الطبرسي حين ينقل الروايات الخاصة بالسيرة النبوية ولا يشير فيها إلى سند الرواية ،فان هذا يعني على الأرجح ان الرواية هي للإمام الصادق (عليه السلام) برواية ابان بن عثمان بن الأحمر البجلي. لان الطبرسي انفرد بتصريحه انه استقى المعلومات والأخبار من كتاب أبان الذي ينقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) مباشرة كونه أحد تلامذته وبذلك حفظ لنا جماً وفيراً منها في كتابه (إعلام الورى). وأورد في باب

النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص٥٧ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٧ ، ص١٣٤ ؛ النسائي ، خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ص١٦٤ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج٢٨ ، ص٧٥ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٣ ، ص١٨٤ ؛ الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٢م) ، أحكام القرآن ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ج٣ ، ص٥٨٢ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٣ ، ص١٣٤ ؛ معرفة علوم الحديث ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد ، ط٤ ، (منشورات دار الآفاق الحديث ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٢٣ ؛ ابن العربي ، الفتوحات المكية ، ج١ ، ص٦٢٢ ، ابن حجر العسقلاني ، تغليق التعليق ، ج٥ ، ص٩٩.

١- عمدة القاري ، ج٢٢ ، ص٢٤٩.

٢- سيرة المصطفى ، ص٥٧٩

٣- الزلزلة : ٧-٨.

٤- إعلام الورى ، ج١ ، ص٢١٦-٢١٧.

٥- الممتحة : ١.

مغازي رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعابير من قبيل (في كتاب أبان) أو قال (أبان) مع نقله تلك الأخبار ، وقد يتواصل النقل في بعض الحالات إلى عدة صفحات ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك مأخوذاً عن كتاب أبان ، لأن من عادة الطبرسي غالباً أن ينقل مصادر رواياته[1].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) "لما انتهى الخبر إلى أبي سفيان – وهو بالشام – بما صنعت قريش بخزاعة أقبل حتى دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال يا محمد احقن دم قومك وأجر بين قريش وزدنا في المدة ، قال أغدرتم يا أبا سفيان ، قال: لا ، قال : فنحن على ما كنا عليه. فخرج فلقي أبا بكر فقال: يا أبا بكر أجر بين قريش ، فقال: ويحك وأحد يجير على رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟.

ثم لقي عمر فقال له مثل ذلك ، ثم خرج فدخل على أم حبيبة ، فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال: يا بنية أراغبة بهذا الفرش عني ؟ قالت: نعم ، هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ما كنت لتجلس عليه وأنت رجس مشرك.

ثم خرج فدخل على فاطمة (عليها السلام) فقال :يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش وتزيدين في المدة فتكونين أكرم سيدة في الناس ؟ قالت : جواري في جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال : فتأخرين ابنيك ان يجيرا بين الناس؟

قالت : والله ما يدري ابناي ما يجيران من قريش.

فخرج فلقي علياً (عليه السلام) فقال : أنت أمس القوم بي رحماً ، وقد اعتسرت عليَّ الأمور ، فاجعل لي منها وجهاً. قال : أنت شيخ قريش تقوم على باب المسجد فتجير بين قريش ثم تقعد على راحلتك وتلحق بقومك. قال : وهل ترى ذلك نافعي ؟ قال : لا أدري. فقال : يا ايها الناس إني قد أجرت بين قريش ، ثم ركب بعيره وانطلق فقدم على قريش ، فقالوا : ما رأيك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت إلى ابن الخطاب فكان كذلك ، ثم دخلت على فاطمة فلم تجيبني ، ثم لقيت علياً فأمرني ان أجير بين الناس ففعلت. قالوا : هل أجاز ذلك محمد ؟ قال: لا أدري. قالوا : ويحك لعب بك الرجل ، وأنت تجير بين قريش؟"[2].

١- رسول جعفريان ، كتاب المبعث والمغازي والوفاة والسقيفة ، ص١٩.

٢- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٨٥٧ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٢٦ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٢ ، ص٤٠ ؛ المفيد ، الإرشاد

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عام الفتح صائماً حتى أتى كراع الغميم[1] والناس مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) مشاة وركباناً وذلك في شهر رمضان فقيل يا رسول الله إن أناساً قد اشتد عليهم الصوم وإنما ينظرون اليك كيف فعلت فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقدح فيه ماء فرفعه وشرب والناس ينظرون فصام بعض الناس وأفطر بعض فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) ان بعضهم صائم فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أولئك العصاة"[2].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) : "...ثم سار عليه السلام حتى نزل مر الظهران[3] ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس وقد عميت الأخبار من قريش ، فخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم بن حزام[4] وبديل بن ورقاء[5] هل يسمعون خبراً ، وقد كان العباس بن عبد المطلب خرج يتلقى رسول الله ومعه أبو سفيان بن الحارث[6] وعبد الله بن

، ج١ ، ص٣٣ ؛ الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢١٨ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص١٨٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٢٠ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٩.

١- كراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٤٣.

٢- الشافعي ، اختلاف الحديث ، ص٤٩٣ ؛ ابن داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) ، مسند أبي داود الطيالسي ، ط٢ ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت) ، ص٢٣٢ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٤١ ؛ الترمذي ، السنن الكبرى ، ج٢ ، ص١٠٦ ؛ أبو يعلى الموصلي ، مسند أبو يعلى ، ج٣ ، ص٤٠٠ ؛ ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ/ ٩٢٤م) ، صحيح ابن خزيمة ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ، ط٢ ، (مطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ج٣ ، ص٢٥٥ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج٦ ، ص٤٢٣ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج٦ ، ص٢٥٣ ؛ البيهقي ، معرفة السنن والآثار ، تحقيق: سيد كسروي حسن ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) ، ج٣ ، ص٥٤٢ ؛ السبزواري ، ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد ، (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، د.ت) ، ج١ ، ق٣ ، ص٥٢٥ ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ج١ ، ص٦٩١.

٣- مر الظهران : الظهران : واد بين مكة وعسفان ، ومر: اسم القرية المضاف إليه ، فيقال مر الظهران. ينظر : البكري الأندلسي ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) ، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، ط٣ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ج٤ ، ص١٢١٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٣ ، ص١٦٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، ص٥٢٩ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٧ ، ص١٧٣.

٤- حكيم بن حزام بن خويلد القرشي ، وهو ابن أخي خديجة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) ، كان من أشراف قريش في الجاهلية ، تأخر إسلامه إلى عام الفتح فهو من مسلمة الفتح ، شهد حنيناً وكان من المؤلفة قلوبهم ، توفي في المدينة في عهد معاوية سنة أربع وخمسين وقيل سنة ستين للهجرة. ينظر : العجلي ، معرفة الثقات ، ج١ ، ص٣١٦ ؛ ابن أبي حاتم ، الجرح والتعديل ، ج٣ ، ص٢٠٢ ؛ الطوسي ، رجال الطوسي ، ص٣٨ ؛ ابن ماكولا ، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٣م) ، إكمال الكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمخالف في الاسماء والكنى ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) ، ج٢ ، ص٤١٥ ؛ الخطيب التبريزي ، الإكمال ، ص٤٩ ؛ الكرباسي ، محمد جعفر بن محمد طاهر الحراساني (ت١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م) ، إكليل المنهج في تحقيق المطلب ، تحقيق: جعفر الحسيني الاشكوري ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص٥٤١ ؛ الشاهرودي ، مستدركات علم رجال الحديث ، ج٣ ، ص٢٤٦.

٥- بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزى الخزاعي ، شهد حنيناً والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح ، توفي قبل النبي (صلى الله عليه وآله). ينظر : ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج١ ، ص١٧٠ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج١٠ ، ص٦٣ ؛ ابن حمزة ، محمد بن علي (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٢م) ، من له رواية في مسند أحمد ، تحقيق: عبد المعاطي أمين قلعجي ، ط١ ، (جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، د.ت)، ص٤٣ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج١ ، ص٤٠٨.

٦- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، قال قوم اسمه المغيرة ، وقال آخرون بل اسم كنيته والمغيرة أخوه ، وكان من الشعراء الذين هجوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان إسلامه يوم الفتح ، مات سنة عشرين للهجرة بعد مقدمه من الحج. ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج٤ ، ص٤٩-٥٠ ؛ ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٢٦ ؛ ابن حبان ، مشاهير علماء الأمصار ، ص٤٤ ؛ الخطيب التبريزي ، الإكمال ، ص١٠٤ ؛ التستري ، قاموس الرجال ، ج١١ ، ص٣٥١.

أبي أمية ... فمضى العباس حتى دخل على رسول الله (ﷺ) فسلم عليه وقال : بأبي أنت وأمي هذا ابن عمك قد جاء تائباً وابن عمتك ، قال : لا حاجة لي فيهما ، ان ابن عمي انتهك عرضي ، وأما ابن عمتي فهو الذي يقول بمكة : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا. فلما خرج العباس كلمته أم سلمة وقالت : بأبي أنت وأمي ابن عمك قد جاء تائباً ، لا يكون أشقى الناس بك ، وأخي ابن عمتك وصهرك فلا يكونن شقياً بك"[1].

«ونادى أبو سفيان بن الحارث النبي (ﷺ) كن لنا كما قال العبد الصالح : لا تثريب عليكم ، فدعاه وقبل منه ، ودعا عبد الله بن أمية فقبل منه"[2].

وقد أسهبت المصادر التاريخية التي تناولت دراسة تلك الغزوة ، بوصف حالة الذعر والذهول التي انتابت أبا سفيان حين كان استعراض الجيش الداخل إلى مكة ، والحوار الذي دار بين النبي (ﷺ) وأبي سفيان والعباس بن عبد المطلب في وصف مفصل وطويل.

ومن جملة ما دار من حوار قول رسول الله (ﷺ) لأبي سفيان : "...ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أني رسول الله ؟ فقال : بأبي أنت وأمي ما أوصلك وما أحلمك وما أكرمك ! أما هذه ففي النفس منها شيء"[3].

إن قول أبي سفيان هذا يعني أنه يشك في رسالة محمد (ﷺ) ، ولكنه أسلم خوفاً من أن يضرب عنقه ، وكان الرسول (ﷺ) في منتهى الحلم معه ، فالرجل أعلن استسلامه وليس إسلامه.

إن عدم إيمان أبي سفيان بالرسالة والنبوة له دلائل كثيرة منها ، ما حصل في فتح مكة هو نفسه حين قال للعباس بن عبد المطلب في أثناء استعراض الجيش ومشاهدته حجم هذا الجيش : "...والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ! قال: يا أبا سفيان إنها النبوة. قال: فنعم إذن"[4] ، ان انبهار أبي سفيان بالقوة المادية التي رآها لهو دليل على عدم

١- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢١٨-٢١٩.
٢- المصدر نفسه والصفحة.
٣- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٣ ، ص٤٤٩ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص١٦٣ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٤٥ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٤٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٣٢.
٤- ابن سلامة ، شرح معاني الآثار ، ج٣ ، ص٣٢١ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٢ ، ص٧٥ ؛ الاصبهاني ، دلائل النبوة ، ج٢ ، ص٦٣٨ ؛ آل طاووس= =، جمال الدين أحمد (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م) ، عين العبرة في غبن العترة ، ط١ ، (دار الشهاب ، قم ، د.ت) ، ص٥٤ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص١٦٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٢ ، ق٢ ، ص٤٣.

إيمانه بالمعجزات النبوية. وقد عبَّر أبو سفيان عن عدم إيمانه بكل صراحة حين قال : «أدخل الله قلبي الإسلام وانا كاره»[1].

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما كان فتح مكة قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : عند من المفتاح ؟ فقالوا : عند أم شيبة[2] فدعا شيبة[3] فقال : أذهب إلى أمك فقل لها ترسل المفتاح. فقالت : قل له : قتلت مقاتلينا وتريد أن تأخذ منا مكرمتنا. قال: لترسلن به أو لأقتلنك ، فوضعته في يد الغلام فأخذه ودعا عمر فقال له: هذا تأويل رؤياي من قبل. ثم قام (صلى الله عليه وآله) ففتحه وستره ، فمن يومئذ يستر ، ثم دعا الغلام فبسط رداءه فجعل فيه المفتاح وقال : رده إلى أمك"[4].

وقال (عليه السلام) : "ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم ، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال لا إله إلا الله أنجز وعده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، ثم قال: ما تظنون وما أنتم قائلون ؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ، ونظن خيراً ، أخ كريم وابن عم. قال: فإني أقول لكم كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[5] إلا ان كل دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فانه موضوع تحت قدمي ، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ، إلا أن مكة محرمة بتحريم الله ، لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار ، فهي محرمة إلى أن تقوم الساعة ، لا يختلي خلاها ، ولا يقطع شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد»[6].

ثم قال (صلى الله عليه وآله) : "ألا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم وطردتم ، وأخرجتم وفللتم ،

١- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٦٣ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٥ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ج٦ ، ص٣١١ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١٧٨ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٠٥ ؛ وينظر : القاسم ، أسعد وحيد ، حقيقة الشيعة الاثني عشرية ، ط١ ، (مطبعة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ، ص٧٣.

٢- أم شيبة : واسمها هند بنت عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، أخت مصعب بن عمير العبدري زوجة الحجاج بن علاط السلمي الذي استأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد فتح خيبر الذهاب إلى مكة. ينظر : ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٤٤ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٣ ، ص٢٥٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج٥ ، ص١٣٩.

٣- شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدري ، أبو عثمان الحجي المكي ، حاجب الكعبة ، أسلم شيبة بعد الفتح ، وخرج مع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى حنين وهو مشرك يريد اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) فقذف الله في قلبه الإسلام فأسلم وقاتل معه ، مات سنة تسع وخمسين. ينظر : المزي ، تهذيب الكمال ، ج١٢ ، ص٦٠٣-٦٠٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص٢٣٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٣ ، ص٢٩٩.

٤- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٢٤.

٥- يوسف : ٩٢.

٦- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٢٤-٢٢٥.

ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني ، فاذهبوا فأنتم الطلقاء"[1].

وروي عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : "لما كان يوم فتح مكة قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب ، إن الله تبارك وتعالى قد أذهب عنكم بالإسلام نخوة الجاهلية ، والتفاخر بآبائها وعشائرها ، أيها الناس إنكم من آدم وآدم من طين ، ألا وان خيركم عند الله وأكرمكم عليه اليوم أتقاكم ، وأطوعكم له ، ألا وان العربية ليست باب والد ، ولكنها لسان ناطق ، فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه ، ألا وان كل دم أو مظلمة وإحنة كانت في الجاهلية فهي مطل تحت قدمي إلى يوم القيامة"[2].

إن تركيز نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) على محاربة التفاخر بالآباء والعشائر ، كانت له مبرراته ، لأن حياة العرب في الجاهلية كانت تمجيد للآباء لمجرد كونهم آباء ، والآباء دائماً عندهم على صواب ، وبلاشك فأن هذه الحالة تعد حالة مرضية لا يمكن لمن جاء للناس بشيراً ونذيراً ، ومعه كتاب من الله. أن يتساهل فيها ، فلن تستقيم الدعوة إذا تساهل وهذا الأمر.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فخرج القوم كأنما انتشروا من القبور ، ودخلوا في الإسلام ، ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة بغير إحرام وعليهم السلاح ، ودخل البيت لم يدخله في حج ولا عمرة. ودخل وقت الظهر فأمر بلال فصعد على الكعبة وأذن ، فقال عكرمة : والله ان كنت لأكره أن أسمع صوت ابن رباح ينهق على الكعبة ، وقال : خالد بن أسيد[3] : الحمد لله الذي أكرم أبا عتاب[4] من هذا اليوم من ان يرى ابن رباح قائماً على الكعبة ، وقال سهيل : هي كعبة الله وهو يرى ولو شاء لغير – قال وكان قصدهم – وقال أبو سفيان : أما أنا فلا أقول شيئاً ، ولو نطقت لظننت أن هذه الجدر لتخبر به محمداً»[5].

١- المصدر نفسه والصفحة.

٢- الكوفي ، أبو محمد الحسين بن سعيد الاهوازي (ت ق٣هـ/ ٩م) ، كتاب الزهد ، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان ، ط١ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص٥٦ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٤٦ ؛ وينظر : القاضي النعمان ، دعائم الإسلام ، ج٢ ، ص١٩٨ ؛ الصدوق ، معاني الأخبار ، ص٢٠٧ ؛ المازندراني ، شرح أصول ، ج١٢ ، ص٣٣٩ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج١٢ ، ص٨٩.

٣- خالد بن اسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس أسلم يوم فتح مكة ولم يزل بها ، مات وكان ذا بأس شديد وله عقب ، أمه زينب بنت أبي عمرو بن أمية. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٤٦ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص١٠٠.

٤- أبو عتاب : هو أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، والد خالد بن أسيد ، وعتاب ابنه الأكبر ، الذي أسلم يوم الفتح واستعمله الرسول (صلى الله عليه وآله) على مكة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٤٦ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص١٠٠.

٥- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٢٦ ؛ الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٩٧ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٤ ، ص٣٧ ؛ وينظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦٠ الذي أورد الرواية من دون إسنادها للإمام الصادق (عليه السلام).

وقال (عليه السلام) : "وبعث صلوات الله عليه وآله إليهم فأخبرهم بما قالوا ، فقال عتاب[1] : قد والله قلنا يا رسول الله ذلك فنستغفر الله ونتوب إليه ، فأسلم وحسن إسلامه وولاه رسول الله مكة»[2].

وعند دخوله (صلى الله عليه وآله) مكة فاتحاً ، كانت الأصنام شاخصة تملأ الكعبة ومحيطها ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "إنه كان في المسجد ثلاثمائة وستون صنماً ، وقال: بعضها فيما يزعمون مشدود بالرصاص فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كفاً من حصى فرماها في عام الفتح ثم قال : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ، فما بقي فيها صنم إلا خرَّ لوجهه فأمر بها فأخرجت من المسجد فطرحت فكسرت"[3].

وفي رواية للإمام علي (عليه السلام) أكد فيها مشاركته مع النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في تحطيم وكسر الأصنام يوم فتح مكة ، فقال (عليه السلام) : "...أنا صاحب فتح مكة ، أنا كاسر اللات والعزى ، أنا الهادم هبل الأعلى ، ومناة الثالثة الأخرى ، أنا علوت على كتف النبي وكسّرت الأصنام... "[4].

وفي رواية للإمام الرضا (عليه السلام) قال : "دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة والأصنام حول الكعبة ، وكانت ثلثمائة وستين صنماً ، فجعل يطحنها بمخصرة في يده ويقول : جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا فجعلت تكب لوجهها"[5].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة لم يسب لأهلها ذرية ، وقال: من أغلق بابه وألقى سلاحه أو دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[6].

وروى الكليني[7] بسنده عن أبان بن عثمان البجلي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "لما فتح رسول الله مكة بايع الرجال ثم جاءه النساء يبايعنه فانزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ

١- عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، أسلم يوم الفتح فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من مكة إلى حنين استعمل عتاب على مكة ، وقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعتاب عامله عليها. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٤٤٦.
٢- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٢٦.
٣- الراوندي ، الخرائج والجرائح ، ج١ ، ص٩٧ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٤ ، ص٣٧.
٤- شاذان القمي ، الفضائل ، ص٨٥ ؛ البحراني ، حلية الأبرار ، ج٢ ، ص١٢٥.
٥- الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٣ ، ص٢١٢ ؛ الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ج٣ ، ص٢١٣.
٦- الصدوق ، الخصال ، ص٢٧٦ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص١٣٧.
٧- الكافي ، ج٥ ، ص٥٢٧.

بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٨]، فقالت هند : أما الولد فقد ربينا صغاراً وقتلتهم كباراً ، وقالت أم حكيم بنت الحارث بن هشام[٩] وكانت عند عكرمة بن أبي جهل : يا رسول الله ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه ؟ قال: لا تلطمن خداً ولا تخمشن وجهاً ولا تنتفن شعراً ولا تشققن جيباً ولا تسودن ثوباً ولا تدعين بويل فبايعهن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على هذا ، فقالت: يا رسول الله كيف نبايعك ؟ قال: إنني لا أصافح النساء فدعا بقدح من ماء فأدخل يده ثم أخرجها فقال : أدخلن أيديكن في هذا الماء فهي البيعة"[١٠].

ولم تقتصر خطب الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومواعظه وإرشاداته يوم فتح مكة على عامة الناس فقط ، بل انه (صلى الله عليه وآله) شمل في إجراءاته وإصلاحاته تلك أهل بيته وذلك بتذكيرهم وتهيأتهم لمعرفة ما مطلوب منهم. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة قام على الصفا فقال: يا بني هاشم ، يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم ، واني أشفق عليكم ، لا تقولوا : إن محمداً منا ، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون ، فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على ارقابكم ، ويأتي الناس يحملون الآخرة ، ألا وإني قد أعذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عز وجل وبينكم ، وان لي عملي ولكم عملكم"[١١].

وفي فتح مكة أهدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) دماء أكثر من عشرين شخصاً ، وقد أشارت كتب السير والتاريخ العام وكتب الصحاح والسنن إلى هذا الموضوع بشيء من الإيضاح والتفصيل ، وبينت أسباب هدر النبي (صلى الله عليه وآله) دماءهم. وقد عدد العاملي[١٢] والكوراني[١٣] اسماء اثنين وعشرين شخصاً من هؤلاء ، وأوضحا أسباب هدر النبي (صلى الله عليه وآله) دماءهم.

وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ذكر عدد من هؤلاء المهدورة دماؤهم.

٨- الممتحنة : ١٢.

٩- أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوج عكرمة بن أبي جهل ابن عمها ، أسلمت يوم الفتح واستأمت النبي (صلى الله عليه وآله) لزوجها عكرمة بعد ان فر إلى اليمن ، وقتل عنها باجنادين وتزوجت بعده خالد بن سعيد. ينظر : ابن سعد الطبقات الكبرى ، ج٨ ، ص٢٦١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٤ ، ص١٩٣٢.

١٠- ينظر : الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج٢٠ ، ص٢١١ ؛ البروجردي ، جامع أحاديث ، ج٢٠ ، ص٣١٨ ؛ المنتظري ، دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ط١ ، (مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٥١٥.

١١- الصدوق ، صفات الشيعة ، ط١ ، (مطبعة كانون انتشارات عابدي ، طهران ، د.ت) ، ص٥.

١٢- الصحيح من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ج٢٣ ، ص٩.

١٣- السيرة النبوية ، ج٢ ، ص٦٢٩-٦٣٧.

فقد روى الحميري[1] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "...أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقتل عبد الله بن أبي سرح[2] وان وجد في جوف البيت ، وبقتل عبد الله بن خطل[3] ، وقتل مقيس بن صبابة[4] ، وبقتل فرتنى وأم سارة. قال: وكانتا قينتين تزنيان وتغنيان بهجاء النبي (صلى الله عليه وآله) ، وتخصصان يوم أحد على رسول الله".

وفي حادثة متصلة بفتح مكة وتداعياتها ، بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم فانتهى اليهم خالد فقال : ما أنتم ؟ قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنا فيها كما قال. فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا ان تكونوا هم فأخذنا السلاح. قال : فضعوا السلاح ؟ قال فوضعوه فقال لهم استأسروا فاستأسر القوم فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرقهم في أصحابه فلما كان في السحر نادى خالد بن الوليد من كان معه أسير فليدافه والمدافة الإجهاز على الأسير بالسيف فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله) ما صنع خالد فقال : اللهم إني أبرأ إليك ما صنع خالد. وبعث علي بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهب منهم ثم انصرف إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخبره"[5].

وجاء عند ابن الأثير[6] : «وكانت جذيمة أصابت في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد ، كانا قد أقبلا تاجرين من اليمن فأخذت

١- قرب الإسناد ، ص١٣٠ ؛ وينظر : الكليني ، الكافي ، ج٨ ، ص٢٠٠.

٢- عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة أخو عثمان بن عفان من الرضاعة ، أسلم قديماً وكتب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم افتتن وخرج من المدينة إلى مكة مرتداً فأهدر رسول الله دمه يوم الفتح ، مات سنة تسع وخمسين للهجرة. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٧ ، ص٤٩٧ ؛ ابن خياط ، طبقات خليفة ، ص٥٢٩ ؛ البخاري ، التاريخ الكبير ، ج٥ ، ص٢٩ ؛ ابن حبان ، الثقات ، ج٣ ، ص٢١٣.

٣- عبد الله بن خطل التميمي ، كان يهجو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان مسلماً وبعثه النبي (صلى الله عليه وآله) مصدقاً ومعه آخر من الأنصار فعمد ابن خطل على الأنصاري فقتله وهو نائم ثم ارتد مشركاً فأهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمه فقتله يوم الفتح أبو برزة الاسلمي الذي قال: انا أخرجت عبد الله بن خطل من تحت أستار الكعبة فضربت عنقه. ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص٢٩٨ ؛ الخطيب التبريزي ، الإكمال ، ص١٨٩ ؛ الزيلعي ، تخريج الأحاديث ، ج٣ ، ص٤٥٢.

٤- مقيس بن صبابة بن حزن بن يسار الكناني القرشي ، شاعر اشتهر في الجاهلية ، شهد بدراً مع المشركين ، ترقب قاتل أخيه حتى ظفر به وقتله بعد ان أخذ ديته فأهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمه فقتل يوم الفتح. ينظر : الطبري ، تاريخ الأمم ، ج٢ ، ص٢٦٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٥٣ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج١ ، ص٤٠٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٧ ، ص٢٨٣.

٥- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص١٤٧-١٤٨ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٤١ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢٠٩ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٢١٠.

٦- الكامل ، ج٢ ، ص٢٥٥ ؛ أسد الغابة ، ج٢ ، ص٩٤.

ما معهما وقتلتهما».

ووقع بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شر وجدال بعد قدوم خالد وصنيعه ببني جذيمة ، فقال له عبد الرحمن : «أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمك الفاكه ، قاتلك الله ، فقال خالد : أخذتهم بقتل أبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت ، ولو لم أقتله ، لكنت تقتل قوماً مسلمين بأبي في الجاهلية»[1].

وجاء خبر بني جذيمة عن ابن عمر بالشكل الآتي : «بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد ان يقتل كل رجل منا أسيره ، فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكرناه له فرفع يديه فقال : اللهم إني أبرأ اليك مما صنع خالد مرتين"[2].

وفي رواية ابن عمر هذه يتملك الفرد المسلم قبل غيره الدهشة والاستغراب ، القوم مسلمون وبنوا المساجد وصلوا وصدقوا برسالة المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، استحقوا القتل لأنهم لم يحسنوا ان يقولوا أسلمنا وقالوا صبأنا ! فهل لمجرد قولهم هذه الكلمة استحقوا هذا القتل الجماعي ؟ فإذا كان خالد وعبد الرحمن بن عوف في جدالهم يؤكدون ان سبب المذبحة هو آثار الجاهلية وتباغضها ! فلماذا تبرر الرواية فعل خالد بخطأ القوم وقولهم صبأنا ؟ وكأن الرواية عند قراءتها تبرر فعل القاتل بسبب سوء تصرف الضحية ! على الرغم من ان ابن عمر كان من المعارضين لفعل خالد ، بل لم ينفذ ما أمر به خالد. لكن إظهار سبب المذبحة في روايته عليها أكثر من علامة استفهام ؟!!

ولنا أن نتساءل : هل يتناسب هذا الفعل ومنطق القرآن والسنة النبوية ؟ الجواب : كلا

١- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص٦١ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٤١ ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج٢ ، ص٩٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٣٧٠ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٢١٠.

٢- الصنعاني ، المصنف ، ج٥ ، ص٢٢١ ؛ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٢ ، ص١٥٠ ؛ ابن نصر ، المنتخب ، ص٢٣٩ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج٥ ، ص١٠٧ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص٢٣٧ ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١١٥ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص٣٧٠ ؛ العيني ، عمدة القاري ، ج١٥ ، ص٩٤ ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، ج١ ، ص٣١٧.

، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) رفع يديه إلى السماء وتبرأ من هذا الفعل ، وكان دائماً (صلى الله عليه وآله) في سيرته يظهر كراهيته للممارسات الخاطئة ، ويرتقي المنبر من اجل ذلك..

قال احد الباحثين المعاصرين[1] : «ولعل سيدنا ومولانا وجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أدرك ان فعل خالد هذا لم يكن من الإسلام ، ولعله رأى أنه بقية من بقايا الجاهلية ، ومن ثم أسرع إلى رأب الصدع ومداواة القلوب بالديات".

لذلك جاءت روايات الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) لتشير إلى الجذور التاريخية للجاهلية في هذه الحادثة ، وأشارت كذلك إلى المعالجات التي أطلقها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحل هذه المشكلة.

فقد روى الطوسي[2] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قصة بني جذيمة ، وروى ابن هشام[3] والصدوق[4] ، والسرخسي[5] ، والذهبي[6] ، وابن كثير[7] بسندهم عن الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الحادثة وأسبابها ومعالجاتها بقوله (عليه السلام) : "بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد إلى حي يقال له بنو المصطلق من بني جذيمة ، وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة[8] في الجاهلية ، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، أو أخذوا منه كتاباً فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً بالصلاة فصلى وصلوا ، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا ، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب فطلبوا كتابهم فوجدوه فاتوا به النبي (صلى الله عليه وآله) وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد فاستقبل (عليه السلام) القبلة ثم قال: اللهم إني ابرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، قال : ثم قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بز ومتاع فقال لعلي (عليه السلام) : يا علي إئتِ بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد ثم رفع (عليه السلام) قدميه فقال: يا علي اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك – مما يدعم ان عمل خالد كان جاهلي الدافع – فأتاهم

١- مهران ، محمد بيومي ، الإمامة وأهل البيت ، ط٢ ، (مطبعة نهضت ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٧٤.
٢- الأمالي ، ص٤٨٩.
٣- السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٨٨٤.
٤- الأمالي ، ص٢٣٧.
٥- شرح السير الكبير ، ج١ ، ص٢٦٠.
٦- تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٦٨.
٧- البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٥٨.
٨- الأحنة : الحقد والعداوة. ينظر : الجوهري ، الصحاح ، ج٥ ، ص٢٠٦٨ ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس ، ج١ ، ص٩ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج١ ، ص٢٧.

علي (عليه السلام) فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله ، فلما رجع إلى النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا علي أخبرني بما صنعت ؟ فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ، ولكل جنين غرة ، ولكل مال مالاً ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم[1] ، وجلة رعاتهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون ، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال (صلى الله عليه وآله) : أصبت وأحسنت".

وقد تناول قصة خالد مع بني جذيمة عدد من الكتاب المعاصرين[2] ، الذين أشاروا إليها بالنقد البناء والتحليل العلمي الدقيق وضرورة مراجعة التاريخ بعين البصيرة وذلك بدراسة الروايات بطريقة منصفة وحيادية ، لتنقية السيرة من الممارسات التي عارضها الرسول (صلى الله عليه وآله).

إن ما حصل في مقتلة بني جذيمة والأسباب الواردة فيها تؤكد ان آثار الجاهلية لا يمكن التخلص منها بسهولة ، ويبدو ان هذا الأمر هو الذي دفع بالرسول (صلى الله عليه وآله) ان يكون خطابه يوم فتح مكة متضمناً بالدرجة الأساس التخلص من هذه الآثار السيئة والمدمرة للإسلام ، وهذا واضح من خطابه الذي ألقاه يوم الفتح. بل انه (صلى الله عليه وآله) اتخذ إجراء مهماً ضرب به مثلاً صارخاً لمحاربة هذه المشكلة ، وذلك حين عفا عن كل من حاربه طوال سنين الدعوة الصعبة ، وقال لهؤلاء "اذهبوا فأنتم الطلقاء" وأطلق سراحهم ، وعلى الرغم من كل ذلك لم يتخلص بعضهم من آثار الجاهلية.

ولكن على الرغم من كل الذي حصل كان فتح مكة بداية عهد جديد ، وان الدروس المستنبطة منه عديدة ولا يمكن تجاهلها ، فكان على زعماء مكة والمعارضين للدعوة ان يتفهموا

١- ميلغة الكلب : الإناء الذي يلغُ فيه الكلب إذا شرب. ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، ج١ ، ص٣٧٢ ؛ ابن الأثير ، النهاية ، ج٥ ، ص٢٢٦.

٢- الأمين ، الغدير ، ج٧ ، ص١٦٧ ؛ القاسم ، أسعد وحيد ، أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، (الغدير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٩٩ ؛ التيجاني ، محمد ، الشيعة هم أهل السنة ، ط١ ، (مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، قم ، د.ت) ، ص٢١٥ ؛ ثم اهتديت ، (مؤسسة الفجر ، بيروت ، د.ت) ، ص١٨٦ ؛ أيوب ، سعيد ، معالم الفتن ، ط١ ، (مطبعة سهر ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) ، ج١ ، ص٣٥٧ ؛ الطائي ؛ محمد عبيس حميد ، الإمام الباقر ومروياته التاريخية ٥٦-١١٤هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ، ص٨١-٨٥.

الوضع الجديد ، فبعد ان أجبرهم النبي (صلى الله عليه وآله) على الاستسلام وإعلان خلع سلاحهم ، كان من حقه أن يفعل الكثير ، لكنه (صلى الله عليه وآله) منَّ عليهم بإطلاق سراحهم ، فكان درساً بليغاً في العفو والتسامح ، وبدء صفحة جديدة لبناء الدولة والمجتمع ، وبسيطرته (صلى الله عليه وآله) على مكة – التي تعد القلعة الحصينة التي تأوي المشركين والمتعاونين معهم – أصبح من المؤكد ان عهد عبادة الأصنام قد ولّى بغير رجعة ، فكانت هذه التطورات نجاحاً كبيراً في تأسيس دعائم دولة الإسلام وتثبيتها وتقدمها.

رابعاً : حنين وحصار الطائف (٩هـ/ ٦٣٠م):

بعد فتح مكة انهارت مقاومة قريش التي استمرت إحدى وعشرين سنة ، وأدخل الرعب في نفوس زعماء هوازن وثقيف ، ولم تعد هناك أي قوة في بلاد الحجاز قادرة على الوقوف بوجه الدعوة الإسلامية غيرهم. لهذا بادروا إلى إعلان الحرب على الرسول (صلى الله عليه وآله) قبل ان يبادرهم بها ، وفي هذا يقول الواقدي[١]: «لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) مكة مشت أشراف هوازن بعضها إلى بعض ، وثقيف بعضها إلى بعض وحشدوا وبغوا وأظهروا ان قالوا : والله ما لاقى محمد قوماً يحسنون القتال ، فاجمعوا أمركم فسيروا إليه قبل أن يسير اليكم".

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "وكان مع هوازن دُريد بن الصمَّة[٢] خرجوا به شيخاً كبيراً يتمينون برأيه ، فلما نزلوا باوطاس[٣] قال : نِعْمَ مجال الخيل (لا حَزَنُ ضِرْسُ ولا سهلُ دَهس)[٤] مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف[٥] مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم. قال: فأين مالك؟ فدعي مالك له فاتاه فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له من بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاة ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل

١- المغازي ، ج٣ ، ص٨٨٥.

٢- دُريد بن الصِّمَّة بن بكر بن علقمة بن خزاعة بن هوازن ، واسم الصمة معاوية ، كان مع مالك بن عوف النصري قائد المشركين يوم حنين ، قتل يومئذ كافراً ، وهو يعد في الشعراء الفرسان. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج١٧ ، ص٢٣١ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٢ ، ص٣٣٨.

٣- اوطاس : واد في ديار هوازن وكانت فيه وقعة حنين. ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٨١.

٤- الحزن : بفتح الحاء ، وسكون الزاي ، ما غلظ من الأرض ، والضرس : بكسر الضاد وسكون الراء : الأكمة الخشنة ، والسهل : ضد الحزن ، والدهس : المكان السهل الذي لا يبلغ ان يكون رملاً وليس هو بتراب ولا طين. ينظر: الزمخشري ، الفائق ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٥ ، ص٣٥٢ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٦٢ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٨ ، ص٢٩٥.

٥- مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن بكر بن هوازن النصري ، انهزم يوم حنين كافراً ، وهو رئيس جيش المشركين ، أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم وكان شاعراً. ينظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٣ ، ص١٣٥٦.

أهله وماله ليقاتل عنهم. قال : ويحك لم تصنع شيئاً ، قدمت بيضة هوازن في نحور الخيل ، وهل يرد المنهزم شيء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك! قال: إنك قد كبرت وكبر عقلك! فقال دريد : إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك ، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه ! ثم قال : حرب عَوَان ! يا ليتني فيها جذع أضبُّ فيها وأصنع»[1].

وعندما جاءت الأخبار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان هوازن خرجت عن بكرة أبيها بظعنهم وبنعمهم وشاتهم قد اجتمعوا إلى حنين – تبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) – وقال : "تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله"[2].

وحين خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) للقتال في هذه المعركة كان معه اثنا عشر ألفاً ، عشرة آلاف ممن خرجوا من المدينة فشهدوا فتح مكة ، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح ، وكان أكثر هؤلاء ممن لم يتمكن الإسلام في قلوبهم بعد ، وممن دخلوا في الإسلام بعد ان انهارت كل آمالهم في مقاومة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وإمكان التغلب عليه. وهؤلاء الذين احتشدوا معه (صلى الله عليه وآله) من الأعراب والطلقاء كادوا ان يتسببوا في هزيمة كبيرة لولا عناية الله عز وجل وثبات النبي (صلى الله عليه وآله) وبني هاشم معه ، فقد كانت العادات والأفكار الجاهلية مسيطرة على عقولهم وتفكيرهم ، ولازال الإسلام لم يتغلغل في نفوسهم ، فعندما مروا بشجرة مقدسة لعرب الجاهلية اسمها ذات أنواط قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : "يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط"[3].

وكانت ذات أنواط قد بلغت رتبة الربوبية في الجاهلية ، ومن ثم لم يدرك هؤلاء مغزى التوحيد القومي والتوحيد الألوهي الذي لا يقبل شراكة[4] ، وهم من لاشك ينطبق عليهم قول الآية الكريمة : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[5]. لذلك كان رد الرسول (صلى الله عليه وآله) المستنكر : "الله أكبر ، هذا كما قال قوم موسى

١- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٢٩.
٢- النسائي ، السنن الكبرى ، ج٥ ، ص٢٧٣ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٦ ، ص٩٦ ؛ الحاكم النيسابوري ، المستدرك ، ج٢ ، ص٨٣ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٦٣.
٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٨٩٣ ؛ الحميدي ، مسند الحميدي ، ج٢ ، ص٣٧٥ ؛ ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج٥ ، ص٢١٨ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج٩ ، ص٦١ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٧ ، ص٢٤.
٤- القمني ، سيد محمود ، حروب دولة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ط٢ ، (مطبعة مدبولي الصغير ، القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ج١ ، ص٣٥١.
٥- الحجرات : ١٤.

لموسى : اجعل لنا آلهة مثلما لهم آلهة. قال إنكم قوم تجهلون أنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم سنة سنة"[1].

ومن حكمته العسكرية (صلى الله عليه وآله) وحسن قيادته وبعد نظره ، لم يكتفِ (صلى الله عليه وآله) بالأعداد الكبيرة التي صحبها معه لمواجهة هوازن وثقيف ، وإنما فكر في الإقدام على تسليح هذه الأعداد الكبيرة ، لكي يتمكن من المواجهة الفعلية والميدانية ، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى صفوان بن أمية[2] – وهو مازال مشركاً – فاستعار منه سبعين درعاً باطراقها ... فقال: أغصباً يا محمد ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله) : بل عارية[3] مضمونة»[4].

إن استعارة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من صفوان وهو مشرك ، مسألة فيها الدروس والعبر الكثيرة التي تمهد لبناء أسس الدولة وتثبيت أركانها ، فإلى جانب الاستعداد الكامل للدفاع عن الإسلام وقتال الأعداء ، هناك درس آخر هو جواز شراء السلاح من الكافر ، أو استعارته على ان لا يؤدي ذلك إلى قوة الكافر واستعلائه ، واتخاذه من ذلك وسيلة لأذى المسلمين وإيقاع الضرر بهم[5].

إن كتب السير والتاريخ العام وكتب الحديث والصحاح والسنن كانت قد أسهبت وأفاضت في سرد تفاصيل المعركة ، فلا داعي لتكرارها ، ولكن لابد من المرور ببعض

١- ابن داود الطيالسي ، مسند أبي داود ، ص١٩١ ؛ ابن أبي شيبة ، المصنف ، ج٨ ، ص٦٣٤ ؛ أبو يعلى الموصلي ، مسند أبي يعلى ، ج٣ ، ص٣٠ ؛ ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، ج١٥ ، ص٩٤ ؛ الطبراني ، المعجم الكبير ، ج٣ ، ص٢٤٤ ؛ القرطبي ، تفسير القرطبي ، ج٨ ، ص٩٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص٦١٦.

٢- صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي المكي ، أسلم بعد الفتح وروى أحاديث ، شهد اليرموك أميراً على كردوس ، توفي سنة إحدى وأربعين للهجرة. ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٢ ، ص٥٦٢ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ج٣ ، ص٣٤٩ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٣ ، ص٢٠٥.

٣- العارية : من أعمال البر التي ندب إليها الإسلام ورغب فيها ، وهي مأخوذة من عار الشيء يعير ، والعارية ان يعطي المعير عيناً من أمواله إلى المستعير غير قابلة للاستهلاك ليستعملها بلا عوض مدة معينة في غرض معين على أن يردها إلى صحابها بعد الاستعمال. ينظر : الحلي ، تحرير الأحكام الشرعية على مذاهب الإمامية ، تحقيق: إبراهيم البهادلي ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، ج٣ ، ص٢٠٩ ؛ القونوي ، قاسم بن عبد الله بن أمير بن علي (ت٩٧٨هـ/ ١٥٧١م) ، أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، ط١ ، (دار الوفا ، جدة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٢٥١ ؛ مغنية ، محمد جواد ، فقه الإمام جعفر الصادق ، ط٣ ، (مطبعة نكين ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ج٤ ، ص٢١١.

٤- الكليني ، الكافي ، ج٥ ، ص٢٤٠ ؛ ابن حزم ، المحلى ، ج٩ ، ص١٧١ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٧ ، ص١٨٣ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١٩ ، ص٩٢. ورواها بسنده عن الباقر (عليه السلام) كل من : الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٤٦ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٤ ، ص١١٥ ؛ وينظر : ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ، ج٢ ، ص٢٥٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، تلخيص التحبير ، ج١١ ، ص٢٠٩.

٥- السباعي ، مصطفى ، السيرة النبوية دروس وعبر ، ط٢ ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص١٣١.

الأحداث التي جرت في هذه المعركة والإشارة إليها ، لاستخلاص الدروس والعبر من سيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) في هذه المعركة.

وصف الصحابي جابر بن عبد الله المشهد الأول للمعركة فقال : "فلما استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في وادٍ أجوف حطوط ، إنما نتحدر فيها انحداراً في عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي فكمنوا لنا في شعابه ومضايقه ، قد تهيأوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدَّت علينا شدة رجل واحد ، فانهزم الناس أجمعون لا يلوى أحد على أحد"[1].

ويعلق أحد الباحثين[2] على ما حصل بقوله : «الآن ينهزم جيش دولة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو الكثير أمام فئة قليلة ؟! الآن وبعد ذلك المشوار الطويل الكبير العظيم ، وبعد ان قاربت الدولة الكبرى على القيام في جبين التاريخ ، وبعد تلك المعاناة والتجارب والهزائم والانتصارات ، وبعد كل تلك الدماء وذلك العمر الذي انقضى والدولة الكبرى من التحقيق قارب قوسين أو أدنى ، وبعد كل ذلك التواصل بين الأرض والسماء ، وكل الآيات التي تتحدث عن الاستشهاد وعن الجنة وعن النار ، تفر الكثرة أمام القلة ، ويتبعثر الاثنا عشر ألف مقاتل منهزمين يحاولون الصعود من اوطاس إلى حنين ، والصعود ليس كالهبوط ، فيه الذعر وفيه الكبوات ، فيه سهام تئز ورماح تطارد ، لا أحد يلتفت إلى أحد ، ولا حتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يرى المشروع برمته يتزلزل زلزالاً عنيفاً ، ليقف مكانه ثابتاً ، فالآن بعد كل تلك الحياة الحافلة بزخم الأحداث الكبرى ، إما حياة تصل إلى مبتغاها أو لا حياة ، ويصمد القائد العظيم وحده ويهرب المؤمنون فراراً من الموت ، ولا يبقى من القضية كلها والشعارات جميعاً عن جنة الشهداء ونار الكافرين ، سوى رابطة الدم وحدها ، فيجتمع حول بغلة الرسول (صلى الله عليه وآله) أهل بيته فقط من بني عبد المطلب وأبي طالب ، ثمانية فقط من الاثني عشر ألفاً وقفوا ترساً واحداً في حلقة حول ابن أخيهم ، بينما النبي يهتف في رجاله المؤمنين : أيها الناس ؟ هلموا

١- ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٦٢ ؛ أسد الغابة ، ج٤ ، ص٢٨٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٧٦ ؛ الهيثمي ، موارد الظمآن ، ج٥ ، ص٣٤٧ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٥ ، ص٣١٨.
٢- القمني ، حروب دولة الرسول ، ج١ ، ص٣٥٢.

إليَّ ، انا رسول الله ، أنا رسول الله ، انا محمد بن عبد الله".

وانكفأ الناس منهزمين لا يقبل أحد على أحد ، وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات اليمين وأحدق ببغلته ثمانية من بني عبد المطلب ، وقال العباس بن عبد المطلب شعراً في ذلك:

نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من فر عنه فاقشعوا
وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما مسه في الله لا يجوع[1]

إن الموروثات الاجتماعية لا يمكن ان تمحى بسرعة ، فهي تحتاج إلى تتابع أجيال لكي تتغير وتحل محلها موروثات إسلامية ، فحتى من نطق الشهادتين سيبقى في بعض تصرفاته وأفكاره بقايا مما اعتاده من حياته السابقة ، وهذا الأمر تجسد في مشهد آخر حصل في هذه الغزوة ، فأبو سفيان ورفاقه من رجال مكة الطلقاء تنحوا جانباً ، وأخذوا مكاناً آمناً يطالعون مشهد الارتداد والهزيمة لجند المسلمين ، ليفصح لسانه عن مكنون صدره ، فيهتف معبراً عن فرحه الكبير : «لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وان الأزلام لمعه في كنانته»[2] ومعنى عبارة «وان الأزلام لمعه في كنانته» ان أبا سفيان مازال وثنياً يحمل أصنامه في جعبته التي ترافقه.

قال ابن هشام[3] : «لما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم في أنفسهم من الضغن ... ألا بطل السحر اليوم" ، لأنه كان يظن أن ما حققه محمد (صلى الله عليه وآله) إنما بفضل السحر.

وقال ابن كثير[4] : «اعتزل أبو سفيان وصفوان وحكيم بن حزام وراءهم ينظرون لمن تكون الدائرة ، فيمر عليهم رجل من قريش ينادي صفوان بن أمية : أبشر بهزيمة محمد

١- ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص١٦٣ ؛ المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٤١ ؛ الاربلي ، كشف الغمة ، ج١ ، ص٢٢١ ؛ ابن جبر ، زين الدين علي بن يوسف (ت ق٧هـ/ ١٣م) ، نهج الإيمان ، تحقيق: أحمد الحسيني ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ص١٧٩ ؛ ابن حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ج٥ ، ص٢٥ ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج٨ ، ص٢٣ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٥ ، ص٣٤٨.

٢- الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص٥٧٦ ؛ الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج٥ ، ص٣١٩ ؛ وينظر : الكوراني ، جواهر التاريخ ، ط١ ، (مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ، ج٢ ، ص٢٩.

٣- السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٨٩٤ ؛ وينظر : ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، ج٢ ، ص٢١٦.

٤- البداية والنهاية ، ج٤ ، ص٣٧٧.

وأصحابه ، فوالله لا يجتبرونها أبداً».

وقال الحلبي[1] : «وقد وصلت الهزيمة إلى مكة ، وسُرَّ بذلك قوم من مكة ، واظهروا الشماتة ، وقال قائل منهم : ترجع العرب إلى دين آبائها».

وقد أشارت روايات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى هذا التواطؤ بين قريش وهوازن بقوله: "ما مر بالنبي (صلى الله عليه وآله) يوم كان أشد عليه من يوم حنين! وذلك ان العرب تباغت عليه"[2].

وعندما انهزم المسلمون في حنين وتركوا نبيهم (صلى الله عليه وآله) بين سهام الكفار ورماحهم وسيوفهم في أشد ظروف الخطر ، ولم يبق معه إلا الملائكة وعلي (عليه السلام) وبعض من بني عبد المطلب ، ترجل (صلى الله عليه وآله) للحرب وافتخر على الكفار بأمرين: نبوتِهِ ، وانه ابن عبد المطلب، وباهاهم بذلك بين يدي الله وقاتلهم![3].

وقد ذكرت كتب الصحاح[4] والسنن[5] هذا القول للنبي (صلى الله عليه وآله) حين ذكروا : "أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... لما غشيه المشركون يوم حنين نزل فجعل يقول : انا النبي لا كذب ، انا ابن عبد المطلب"

إن ثبات قائد الدعوة في الأزمات وجرأته ، وثقته بالله ونصره ، له أثر كبير في تحويل الهزيمة إلى نصر ، وفي تقوية قلوب الضعفاء والمترددين ممن معه ، وللثابتين الصادقين من جنود الحق والتفافهم حول قائدهم الجريء المخلص. وفي قوله (صلى الله عليه وآله) "أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب" دلالة على صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله) في دعوى الرسالة ، وثقته بنصر ربه ، وهكذا ينبغي أن يكون القائد في الشدائد واثقاً من نفسه ملتجئاً إلى ربه[6].

لقد حدد القرآن الكريم السبب الذي كان وراء هزيمة المسلمين في حنين ، وهو إعجابهم بكثرة عددهم ، حين صرح أحد الصحابة بقوله : «لن نغلب اليوم من قلة»[7] ،

١- السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٧٠.
٢- الصدوق ، علل الشرائع ، ج٢ ، ص٤٦٢ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢١ ، ص١٨٠.
٣- مجموعة مؤلفين ، العقائد الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ج٣ ، ص٤١٩.
٤- البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٨ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٥ ، ص١٦٨.
٥- البيهقي ، السنن الكبرى ، ج٩ ، ص١٥٥ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص١٨٢.
٦- السباعي ، السيرة النبوية ، ص١٣٨.
٧- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٤٠ ؛ آل طاووس ، عيون العبرة ، ص٨ ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج٦ ، ص١٧٨ ؛ المباركفوري ، تحفة الأحوذي ، ج٥ ، ص١٣٩.

فنبههم الله تعالى على خطأ تفكيرهم ، وان النصر لم يكن يوماً بالكثرة ، لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

لقد استطاع الرسول (صلى الله عليه وآله) بثباته وقوة عزيمته كقائد ميداني ، أن يحول الهزيمة الساحقة إلى انتصار كاسح ، وبدأت كفة القتال تميل لصالح المسلمين ، وبدأ التفكك في صفوف الأعداء ، وفرَّ مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : "سبى رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين أربعة آلاف رأس واثني عشر ألف ناقة ، سوى ما لا يعلم من الغنائم ، وخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأنفال والأموال والسبايا بالجعرانة[2] ، وافترق المشركون فرقتين ، فأخذت الأعراب ومن تبعهم اوطاس ، وأخذت ثقيف ومن تبعهم الطائف...»[3].

واستثمر الرسول (صلى الله عليه وآله) هذا الانكسار الذي أصاب هوازن فأمر بملاحقتهم إلى مدينة الطائف ، وضرب عليها الحصار على أمل حملهم على الاستسلام والرضوخ.

روى الطوسي[4] بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: "لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هوازن سار حتى نزل الطائف ... أياماً فسأله القوم ان يبرح عنهم ليقدم عليه وفدهم فيشترط له ويشترطون لأنفسهم ، فسار (صلى الله عليه وآله) حتى نزل مكة ، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم ، ولم ينجع القوم له بالصلاة ولا الزكاة ، فقال (صلى الله عليه وآله) : انه لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود ، أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتين الزكاة أو لابعثن إليهم رجلاً هو مني كنفسي فليضرب أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم ! وأخذ بيد علي (عليه السلام) وقال : هو هذا".

وبعد انتصار النبي (صلى الله عليه وآله) في حنين ، طبق مع زعماء قريش سياسة (المؤلفة قلوبهم). قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "المؤلفة قلوبهم : هم قوم وحدوا الله عز وجل ، وخلعوا عبادة من يعبد

١- التوبة : ٢٥.
٢- الجعرانة : بكسر أوله ، وتشديد رائه ، وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب. ينظر : ناصر خسرو ، أبو معين الدين المرزوي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ، سفرنامة ، تحقيق: يحيى الخشاب ، ج٣ ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص١٣٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص١٤٢.
٣- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٣٢ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٤٨.
٤- الأمالي ، ص٥٠٤-٥٥.

من دون الله ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وهم في ذلك شكاك في بعض ما جاء به محمد (صلى الله عليه وآله) ، فأمر الله عز وجل نبيه (صلى الله عليه وآله) أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي دخلوا فيه ، وأقروا به..."[1].

إن إغداق العطاء للذين اسلموا حديثاً ، يدل على حكمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعرفته بطبائع قومه ، وبعد نظره في تصريف الأمور ، فهؤلاء الذين ظلوا يحاربون رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويمتنعون عن قبول دعوته حتى فتح مكة ، والذين اظهر بعضهم الشماتة بهزيمة المسلمين أول المعركة ، لابد من تأليف قلوبهم على الإسلام[2] ، لأنهم ضعفاء الإيمان فيعطون لتقوية اعتقادهم بالإسلام ، أما حذراً منهم أو لدفع شرهم عن المؤمنين[3] ، أو ترغيباً لهم في الإسلام لأنهم من اشراف القوم ويتمتعون بالعزة والمنعة في قبائلهم وفي ارتدادهم ضرر على الإسلام[4] ، ويعطون أيضاً للاستعانة بهم على قتال العدو[5]. ومن أمثال هؤلاء صفوان بن أمية الذي قال : «لقد أعطاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنه لأبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليَّ"[6].

لقد أثارت سياسة الرسول (صلى الله عليه وآله) في تأليف القلوب حفيظة الأنصار، وقد أشار الإمام الباقر (عليه السلام) إلى هذا الأمر، وبين سياسة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) في معالجة هذه الحالة. فقال (عليه السلام) : "...إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم حنين تألف رؤساء العرب ومن قريش وسائر مضر ، منهم أبو سفيان بن حرب وعيينة بن حصن الفزاري وأشباههم من الناس ، فغضبت الأنصار ، واجتمعت إلى سعد بن عبادة فانطلق بهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجعرانة ، فقال: "يا رسول الله أتأذن لي في الكلام ؟ فقال: نعم ، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين

١- الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٤١١ ؛ البحراني ، الحدائق الناضرة ، ج١٢ ، ص١٧٥ ؛ الجواهري ، جواهر الكلام ، ج١٥ ، ص٣٣٩.
٢- السباعي ، السيرة النبوية دروس وعبر ، ص١٤٨ .
٣- الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) ، ج٥ ، ص٣١١ ؛ السبحاني ، الزكاة في الشريعة الإسلامية الغراء ، ط١ ، (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ، ج٢ ، ص١٠٧ ؛ مغنية ، فقه الإمام جعفر الصادق ، ج٢ ، ص٨٢.
٤- أبو عبيد ، الأموال ، ص٥٥٩ ؛ الطوسي ، التبيان ، ج٥ ، ص٢٤٤ ؛ أحمد ، علي إبراهيم ، الموارد المالية في الإسلام ، ط١ ، (دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص١٣٧ .
٥- الطوسي ، الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد ، تحقيق: حسن سعيد ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص٢٨٢.
٦- مسلم ، صحيح مسلم ، ج٧ ، ص٧٥ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج١٠ ، ص٢٠٨ ؛ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٤ ، ص١١٦ ؛ المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ج٢ ، ص٢١١.

قومك شيئاً أنزله الله رضينا ، وإن كان غير ذلك لم نرض ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا معشر الأنصار أكلكم على قول سيدكم ؟ فقالوا : سيدنا الله ورسوله ، ثم قالوا في الثالثة : نحن على مثل قوله ورأيه ... فحط الله نورهم ، وفرض الله للمؤلفة قلوبهم سهماً في القرآن"[1].

وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) إلى حالة أخرى حصلت في توزيع النبي (صلى الله عليه وآله) الغنائم في حنين ، وكيف ان الرسول (صلى الله عليه وآله) بحكمته وحلمه أعطى درساً يذكره التاريخ في الحلم والتسامح وحسن قيادة الرعية. فقد روي عنه (عليه السلام) قال: "ذكر أحدهما أن رجلاً دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم غنيمة حنين ، وكان يعطي المؤلفة قلوبهم ، يعطي الرجل منهم مائة راحلة ونحو ذلك ، وقسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث أمر ، فأتاه ذلك الرجل قد أزاغ الله قلبه وران عليه ، فقال له: ما عدلت حين قسمت ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ويلك ما تقول ؟ ألا ترى قسمت الشاة حتى لم يبق معي شاة ؟ أولم أقسم البقر حتى لم يبق معي بقرة واحدة؟ أولم أقسم الإبل حتى لم يبق معي بعير واحد؟ فقال بعض أصحابه له: اتركنا يا رسول الله حتى نضرب عنق هذا الخبيث ، فقال: لا هذا يخرج في قوم يقرأون القرآن لا يجوز تراقيهم ، بلى قاتلهم الله"[2].

وبحكمة بالغة ، ودراية عميقة بنفوس الناس وسعياً لهداية الجميع وإطفاءً لنار الحرب منَّ الرسول (صلى الله عليه وآله) بعفوه حتى على (مالك بن عوف) مثير هذه الحرب إن جاءه مسلماً فقال (صلى الله عليه وآله) : "أخبروا مالكاً إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل"[3] وسرعان ما أسلم.

يتضح مما تقدم ان انتصار الرسول (صلى الله عليه وآله) في معركة حنين ، وانضمام الطائف إلى رقعة الدولة الإسلامية ، وقبلها كان فتح مكة ، أدت هذه الأمور إلى تقوية مساحة الدولة الفتية وتوسيعها ، وقد أصبحت دولة قوية بمدة وجيزة، وكل هذا حصل بفضل الشخصية القيادية التي يتمتع بها سيد الكائنات(صلى الله عليه وآله).

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٩١ ؛ الكليني ، الكافي ، ج٢ ، ص٤١١ ؛ المازندراني ، شرح أصول ، ج١٠ ، ص١٢٣ ؛ الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٧ ، ص١٠٢.

٢- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٩٢.

٣- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٩٢٧ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٣٥٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٢ ، ص٢٦٩ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٩٧.

المبحث الخامس :
نهاية عصر الرسالة :

أولاً : إعلان البراءة من المشركين (٩هـ/ ٦٣٠م) :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "نزلت سورة براءة في سنة تسع..."[١] وسميت سورة براءة لأنها أعلنت البراءة من المشركين.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كانت سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل نزول سورة البراءة أن لا يقاتل إلا من قاتله ولا يحارب إلا من حاربه وأراده ، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عز وجل ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٢] فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة البراءة وأمره الله بقتل المشركين من اعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين قد كان عاهدهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة إلى مدة ، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ... فلما نزلت الآيات من أول براءة دفعها رسول الله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر ، فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك..."[٣].

ووردت العبارة الأخيرة عند ابن كثير[٤] عن الصادق (عليه السلام) أيضاً قال: "لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي".

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً فأمره ان يركب ناقته

١- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٧٣.
٢- النساء : ٩٠.
٣- القمي ، تفسير القمي ، ج١ ، ص٢٨٢.
٤- السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٦٩.

العضباء[1]، وأمره ان يلحق أبا بكر فيأخذ منه براءة ويقرأها على الناس بمكة، فقال أبو بكر : أسخطه ؟ فقال : لا إلا إنه أنزل عليه لا يبلغ إلا رجل منك، فلما قدم على مكة يوم النحر بعد الظهر وهو يوم الحج الأكبر، قام ثم قال: إني رسول رسول الله إليكم، فقرأها عليهم : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[2] عشرين من ذي الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشراً من شهر ربيع الآخر، وقال : لا يطوف بالبيت عريان ولا عريانة، ولا مشرك إلا من كان له عهد عند رسول الله مثله، فمدته إلى هذه الأربعة الأشهر»[3].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحج في تلك السنة وكان عادة العرب في الحج انه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحل له إمساكها وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف، وكان من وافى مكة يستعير ثوباً يطوف فيه ثم يرده ومن لم يجد عارية ولا كراء ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً..."[4].

إن إعلان البراءة من المشركين هو أحدى واجبات الحج الأساسية، وكان نبي الله إبراهيم (عليه السلام) أول الأنبياء جهراً بالبراءة من الشرك والمشركين، فقد دعا القرآن الكريم إلى الاقتداء بهذا النبي العظيم بقوله : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[5]، واحتذت الأمة الإسلامية في إعلان البراءة من المشركين حذو هذه الأسوة النبوية في التاريخ[6].

والناظر في القرآن الكريم يجد ان البراءة من المشركين أحد ركني التوحيد الأصليين، اذ قرن دعوة الأنبياء إلى التبري من الطاغوت إلى جوار دعوتهم إلى عبادة الله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ

١- العضباء : لقب ناقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسم لها علم ولم تكن عضباء أي من العضب الذي هو الشق في الأذن، إنما هو اسم لها سميت به لنجابتها ومضيها في وجهها. ينظر : الزبيدي، تاج العروس، ج٢، ص٢٤٢ مادة : عضب.
٢- التوبة : ١-٢.
٣- العياشي، تفسير العياشي، ج٢، ص٧٣-٧٤.
٤- القمي، تفسير القمي، ج١، ص٢٨١.
٥- الممتحنة : ٤.
٦- محمد الريشهري، الحج والعمرة، ص٢٧٤.

أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾[1] .

والطاغوت لا ينحصر بالأوثان والأنصاب التي اصطنعت واتخذت في عصر الجاهلية ، بل إن أجلى مظاهر الطاغوت الطاعة المطلقة للسلاطين التي تسوق المجتمع إلى وجهة مغايرة لوجهة أنبياء الله[2]. هذا هو معنى قول الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان معنى الطاغوت بقوله : "من أطاع جباراً فقد عبده"[3].

ثانياً : حجة الوداع (١٠هـ/٦٣١م) :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "كانت حجة الوداع في سنة عشر"[4] وسميت حجة الوداع لأنه (صلى الله عليه وآله) ودع الناس فيها ولم يحج بعدها[5] ، وسميت أيضاً حجة البلاغ لأنه (صلى الله عليه وآله) بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً ، ولنزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ . . . ﴾[6] ، كما ان الوجه في تسميتها بحجة الكمال هو لنزول قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾[7] ، فلم يبق من دعائم الإسلام وقواعده إلا وقد بينه (صلى الله عليه وآله). وسميت بحجة الإسلام .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ، ثم أنزل الله عز وجل عليه ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[8]. فأمر المؤذنين ان يؤذنوا بأعلى أصواتهم بان رسول الله يحج في عامه هذا ، فعلم من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب ، واجتمعوا لحج رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنما كانوا تابعين ينظرون ما يؤمرون به ويتبعونه ، أو يصنع شيئاً فيصنعونه ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أربع بقين من ذي القعدة..."[9].

١- النحل : ٣٦.
٢- محمد الريشهري ، الحج والعمرة ، ص٢٧٥.
٣- الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٨ ، ص٣٩١ ؛ الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، ج٤ ، ص٣١٨.
٤- العياشي ، تفسير العياشي ، ج٢ ، ص٧٣.
٥- ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٢١١.
٦- المائدة : ٦٧.
٧- المائدة : ٣
٨- الحج : ٢٧.
٩- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢٤٥ ؛ الطوسي ، تهذيب الأحكام ، ج٥ ، ص٤٥٤ ؛ ابن ادريس الحلي ، مستطرفات السرائر ، ص٥٥٢ ؛ محمد المشهدي ، ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت١١٢٥هـ/ ١٧١٤م) ، تفسير كنز الدقائق ، تحقيق: آقا مجتبى العراقي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ج١ ، ص٣٨٧.

وقد روى أيضاً الإمام الصادق (عليه السلام) : "أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساق في حجته مائة بدنة ، فنحر نيفاً وستين ، ثم أعطى علياً (عليه السلام) فنحر نيفاً وثلاثين..."[1].

وقال (عليه السلام) : "...حتى انتهى إلى مكة... فطاف بالبيت سبعة أشواط ، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم (عليه السلام) ، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه ، وقد كان استلمه في أول طوافه. ثم قال : إن الصفا والمروة من شعائر الله. فابدأ بما بدأ الله تعالى به ، وان المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون ، فأنزل الله عز وجل : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[2]"[3].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فلما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل وأومأ بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً ان يحل ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم ، ولكني سقت الهدي ، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي محله. قال : فقال له رجل من القوم : لنخرجن حجاجاً ورؤسنا وشعورنا تقطر! فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً ! فقال له سراقة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم ، فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل ؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): بل هو للأبد إلى يوم القيامة ، ثم شبك أصابعه وقال : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة"[4].

وقد أسهبت كتب التاريخ والحديث في تقديم تفاصيل عما قام به الرسول (صلى الله عليه وآله) في هذه المناسبة لتعليم الناس أداء مناسك الحج وتعريفهم بأمور دينهم.

ومن خطبه (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع خطبة عرفة ، فكان مما قال فيها : "ايها الناس اسمعوا قولي ، فأني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً ، ايها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى ان تلقوا ربكم ، كحرمة يومك هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من

١- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ج١١ ، ص٢٣٦.
٢- البقرة : ١٥٣.
٣- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢٤٥٤-٢٤٥.
٤- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٢٤٥.

أئتمنه عليها ، وان كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ، قضى الله انه لا ربا ، وان ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وان كل دم كان في الجاهلية موضوع ... أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن ان كل مسلم أخو المسلم ، وان المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ ... فقال الناس اللهم نعم ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : اللهم أشهد"[1].

ووردت خطبة عرفة عن الإمام الصادق (عليه السلام) بالشكل الآتي : "...فلما حج حجة الوداع وخطب الناس بعرفة ، وقد اجتمعوا من كل أفق لشهود الحج معه ، علمهم في خطبته معالم دينهم وأوصاهم ، وقال في خطبته : إني خشيت إلا أراكم ولا تروني بعد يومي هذا في مقامي هذا ، وقد خلفت فيكم ما أن تمسكتم به بعدي لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، حبل ممدود من السماء اليكم طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم"[2].

وفي رواية أخرى ورد هذا الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض"[3].

واشتهر هذا الحديث عند عامة المسلمين بحديث الثقلين الذي رواه أكثر من ثلاثين صحابي ، عدَّد السيد علي الحسيني الميلاني[4] عشرين منهم ، كما أشار السيد الميلاني[5] إلى ان رواة هذا الحديث من مشاهير الأئمة في مختلف القرون يبلغون المئات ، وذكر خمسين رجلاً منهم ، واختار أشهر المشاهير عبر القرون المختلفة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مكة في حجة الوداع ، فلما انصرف منها...جاءه جبرئيل في الطريق فقال له : يا رسول الله إن الله تعالى يقرؤك السلام وقرأ

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٠٢٣ ؛ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج٢ ، ص٤٠٣ ؛ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) ، العقد الفريد ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م) ، ج٤ ، ص١٢٦ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص٣٨٨ ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج٣ ، ص٢٣٧.

٢- القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج١ ، ص١٠٤.

٣- الصدوق ، إكمال الدين ، ص٢٣٩ ؛ وينظر : العسكري ، نجم الدين ، حديث الثقلين ، ط٤ ، (مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، د.ت) ، ص٦.

٤- حديث الثقلين ، ط١ ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) ، ص١٧-١٨.

٥- المصدر نفسه ، ص١٨.

هذه الآية : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ... فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا جبرئيل إن الناس حديثوا عهد بالإسلام فأخشى ان يضطربوا ولا يطيعوا ، فعرج جبرئيل (عليه السلام) إلى مكة ونزل عليه في اليوم الثاني ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نازلاً بغدير ، فقال له : يا محمد ، يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، فقال له : يا جبرئيل أخشى من أصحابي أن يخالفوني ! فعرج جبرئيل ونزل عليه في اليوم الثالث وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بموضع يقال له غدير خم[1] وقال له : يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذه المقالة قال للناس : أنيخو ناقتي ، فوالله ما أبرح من هذا المكان حتى أبلغ رسالة ربي وأمر ان ينصب له منبر من اقتاب الإبل ، وصعدها وأخرج معه علياً (عليه السلام) وقام قائماً وخطب خطبة بليغة وعظ فيها وزجر ، ثم قال في آخر كلامه : يا ايها الناس ألست أولى بكم منكم ؟ فقالوا: بلى يا رسول الله. ثم قال: : قم يا علي فقام علي (عليه السلام) فأخذ بيده فرفعها حتى رئي بياض إبطيهما ، ثم قال: ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله"[2].

وورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) : "فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا جبرائيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية ، وأخاف عليهم ان يرتدوا ، فأنزل الله عز وجل : يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك – في علي – فإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس. فلم يجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني ان لم أبلغها أن يعذبني ، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى ، فأخذ بيد علي (عليه السلام) فأقامه ورفع يده بيده وقال : فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، ومن كنت وليه فهذا علي وليه ، اللهم وال من والاه وعاد

١- خم : موضع غدير ، وهو بين مكة والمدينة بالجحفة ، وقيل هو على بعد ثلاثة أميال من الجحفة ، وعنده خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله). ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٣٨٩.

٢- السبزواري ، محمد بن محمد (ت ق٧هـ/ ١٣م) ، معارج اليقين في أصول الدين ، تحقيق: علاء آل جعفر ، ط١ ، (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص٤٧-٤٨.

من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار"[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ثم نزل من المنبر وجاء أصحابه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهنأوه بالولاية ، وأول من قام عمر بن الخطاب فقال له : يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ونزل جبرئيل (عليه السلام) بهذه الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[2]"[3].

لقد أوردت كتب الصحاح والحديث والتفسير[4] ، أن رجلاً من اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب وقال له : «يا أمير المؤمنين إنكم تقرأون آية – اليوم أكملت لكم دينكم – في كتابكم ، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا».

وورد ان الإمام الصادق (عليه السلام) حين سُئِل : "هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر ؟ قال: نعم ... وهذا اليوم هو اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ... وسُئِل (عليه السلام) : أي يوم هو ؟ فقال: يوم ثمانية عشر من ذي الحجة ...تذكرون الله فيه عز ذكره بالصيام والعبادة والذكر لمحمد وآل محمد فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يتخذ ذلك اليوم عيدا..."[5].

لقد اقترن حديث الثقلين في كثير من ألفاظه وموارده بقصة الغدير ، فالمتقي الهندي[6] يرويه بالشكل الآتي : «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو آخذ بيد علي (عليه السلام) في يوم الغدير : أيها الناس ألستم تشهدون ان رسول الله أولى بكم من أنفسكم ، وأن الله ورسوله مولاكم ؟ قالوا: بلى ، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه فأن هذا مولاه ، وقد تركت فيكم ما ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وأهل بيتي".

واقتران حديث الثقلين بحديث الغدير المتواتر الدال على إمامة أمير المؤمنين ومجيئهما

١- القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج١ ، ص١٠٤ ؛ ج٢ ، ص٢٧٦.
٢- المائدة : ٣.
٣- السبزواري ، معارج اليقين ، ص٤٨.
٤- ابن حنبل ، مسند أحمد ، ج١ ، ص٢٨ ؛ البخاري ، صحيح البخاري ، ج١ ، ص١٦ ؛ ج٥ ، ص١٢٧ ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، ج٨ ، ص٢٣٨ ؛ الترمذي ، سنن الترمذي ، ج٤ ، ص٣١٦ ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، ج٨ ، ص١١٤ ؛ الطبري ، جامع البيان ، ج٦ ، ص١١٠ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص١٩٥.
٥- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص١٤٩.
٦- كنز العمال ، ج١٣ ، ص١٤٠.

في سياق واحد ، يكشف حديث الثقلين أيضاً ومدلول حديث الغدير نفسه[1].

وفي حديث الغدير يقول الأميني[2] : «وأما كتب الإمامية في الحديث والتفسير والتاريخ وعلم الكلام فضع يدك على أي منها تجده مفعماً بإثبات قصة الغدير والاحتجاج بمؤداها ، فمن مسانيد عنعنتها الرواة إلى منبثق أنوار النبوة ، ومراسيل أرسلها المؤلفون إرسال المسلم ، حذفوا أسانيدها لتسالم فرق المسلمين عليها».

ويقول : «ولا أحسب أن أهل السنة يتأخرون بكثير من الإمامية في إثبات هذا الحديث ، والنجوع لصحته ، والركون إليه ، والتصحيح له ، والإذعان بتواتره ، اللهم إلا شذاذ تنكبت عن الطريقة ، وحدتْ بهم العصبية العمياء إلى رمي القول على عواهنه ، وهؤلاء لا يمثلون من جامعة العلماء إلا أنفسهم ، فأن المثبتين المحققين للشأن المتولعين في الفن لا تخالجهم أية شبهة في اعتبار أسانيدهم التي أنهوها متعاضدة متظافرة بل متواترة إلى جماهير من الصحابة والتابعين».

وبعد ان عاد الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة بانتهاء حجة الوداع ، عرض عليه الأنصار ثلث أموالهم. فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "فلما قدم المدينة أتته الأنصار فقالوا : يا رسول الله إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا ، فقد فرح الله صديقنا وكبت عدونا ، وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدو ؛ فنحب ان تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد وجدت ما تعطيهم ، فلم يردَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليهم شيئاً ، وكان ينتظر ما يأتيه من ربه ، فنزل جبرئيل (عليه السلام) وقال: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3] ولم يقبل أموالهم ، فقال المنافقون : ما انزل الله هذا على محمد وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه ويحمل علينا أهل بيته ! يقول أمس : من كنت مولاه فعلي مولاه واليوم : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى»[4].

وقال (عليه السلام) : "ثم نزل عليه آية الخمس فقالوا : يريد ان يعطيهم أموالنا وفيأنا"[5].

١ - الميلاني ، حديث الثقلين ، ص٢٩.
٢ - الغدير ، ج١ ، ص١٤.
٣ - الشورى : ٢٣.
٤ - الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٢٩٥.
٥ - المصدر نفسه والصفحة.

ثالثاً : مرض الرسول (صلى الله عليه وآله) ووفاته :

وبدأت علامات المرض بنبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، وعندما أحس بالمرض أخذ بيد علي (عليه السلام) واتبعه جماعة من الناس وتوجه إلى البقيع ، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال: «السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها»[1].

ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً ، وأقبل على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال : "إن جبرئيل كان يعرض عليَّ القرآن كل سنة مرة ، وقد عرضه عليَّ العام مرتين ، ولا أراه إلا لحضور أجلي"[2].

وهكذا تسارعت الأحداث التي اتفقت بقضاء الله وقدره ، وذلك انه (صلى الله عليه وآله) تحقق من دنو أجله ، والتحاقه بالرفيق الأعلى – وهذا من معجزاته الكبيرة – فأصبح يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين ، يحذرهم من الفتنة بعده ، ويؤكد وصايتهم بالتمسك بسنته والاجتماع عليها والوفاق ، ويحثهم على الاقتداء بعترته الطاهرة والطاعة لهم ، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد[3].

وفي هذا قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة دعا الأنصار وقال: يا معشر الأنصار قد حان الفراق ، وقد دعيت وأنا مجيب الداعي ، وقد جاورتم فأحسنتم الجوار ، ونصرتم فأحسنتم النصرة ، بما فعلتم الجزاء الأوفى ، وقد بقيت واحدة وهي تمام الأمر وخاتمة العمل ، العمل معها مقرون إني أرى أن لا افترق بينهما جميعاً لو قيس بينهما بشعرة ما انقاست. من أتى بواحدة وترك الأخرى كان جاحداً للأولى ، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا ، قالوا: يا رسول الله فأين لنا بمعرفتها ، فلا نمسك عنها فنضل ونرتد عن الإسلام ، والنعمة من الله ورسوله علينا ، فقد أنقذنا الله بك من الهلكة يا رسول الله ، وقد بلغت ونصحت وأديت وكنت بنا رؤوفا رحيما شفيعاً ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم : كتاب الله وأهل بيتي ، فأن الكتاب هو القرآن وفيه الحجة والنور والبرهان ، كلام الله جديد غض طري شاهد

١- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٨١.
٢- المصدر نفسه والصفحة .
٣- المصدر نفسه ، ص١٧٨-١٧٩.

ومحكم عادل ولنا قائد بحلاله وحرامه وأحكامه يقوم غداً فجاج أقواماً فيزل الله به أقدامهم عن الصراط ، واحفظوني معاشر الأنصار في أهل بيتي ، فإن اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض "[1].

وكان فيما ذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين من بعده وتنبيههم ووعظهم ، ما جاءت به الرواة على اتفاق واجتماع من قوله (صلى الله عليه وآله) : "يا أيها الناس إني فرطكم ، وأنتم واردون عليَّ الحوض ، ألا وإني سائلكم عن الثقلين ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فأن اللطيف الخبير ينبئني إنهما لن يفترقا حتى يلقياني ، وسألت ربي ذلك فأعطانيه ، ألا وأني قد تركتهما فيكم : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تسبقوهم فتفرقوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فأنهم اعلم منكم ، أيها الناس لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار ، ألا وأن علي بن أبي طالب أخي ووصيي ، يقاتل بعدي على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله"[2].

فكان (صلى الله عليه وآله) يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام . قال الإمام الصادق (عليه السلام) : "ثم أتاه جبرئيل فقال : يا محمد إنك قضيت نبوتك ، واستكملت أيامك ، فاجعل الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي ... فأوصى إليه بالاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة ، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب"[3].

وروي أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "لما مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرضه الذي توفي فيه بعث إلى علي (عليه السلام) فلما جاء أكب عليه ، فلم يزل يحدثه ويحدثه ، فلما خرج لقياه فقالا : بما حدثك صاحبك ؟ فقال: حدثني بباب يفتح ألف باب ، كل باب يفتح ألف باب"[4].

وورد عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليه السلام) عن جده علي (عليه السلام) قال : "لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال للعباس: يا عم تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته ؟ فرد عليه وقال: يا رسول الله أنا شيخ كبير ، كثير العيال قليل المال ، من يطيقك وأنت تباري الريح ؟ قال: فأطرق (عليه السلام) هنيئة ثم

١ - المجلسي ، بحار الأنوار ، ج٢٢ ، ص٤٧٧.
٢- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٨٠.
٣- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٢٩٥.
٤ - الصفار ، بصائر الدرجات ، ص٣٢٥ ؛ الصدوق ، الخصال ، ص٦٤٧.

قال: يا عباس أتأخذ تراث رسول الله وتنجز عداته ، وتؤدي دينه ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : أما انا سأعطيها من يأخذ حقها ، ثم قال: يا علي يا اخا محمد اتنجز عدات محمد وتقضي دينه ، وتأخذ تراثه ؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي. قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من أصبعه ، فقال: تختم بهذا في حياتي ، قال : فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في أصبعي اليمنى فصاح رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا بلال عليَّ بالمغفر والدرع والراية وسيفي ذي الفقار ، وعمامتي السحاب ، والبردة والابوقة ... والقميص الذي أسري به فيه ، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث، قلنسوة السفر ، وقلنسوة العيدين ، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه"[1].

فبينا هو كذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها ، واشتد مرضه ، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً ، ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه فمكث هنيئة فغمي عليه ، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه ، ونساء المسلمين ، وجمع من حضر من المسلمين[2].

وروى عبد الله بن عباس «لما حضرت النبي (صلى الله عليه وآله) الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا ، فقال: لا تأتوه بشيء فإنه قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما كثر اللغط والاختلاف ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : قوموا عني". وكان ابن عباس يقول : "الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لنا ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم"[3].

وروى البخاري[4] بسنده عن عبد الله بن عباس قال : «لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله) وجعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، قال عمر : إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ! فاختلفوا وكثر اللغط ! قال (صلى الله عليه وآله) : قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ، ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين كتابه!!".

وعن سعيد بن جبير قال : "قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٢٣٦ ؛ الصدوق ، علل الشرائع ، ج١ ، ص١٦٦-١٦٧.
٢- المفيد ، الإرشاد ، ج١ ، ص١٨٣ ؛ الراوندي ، قصص الأنبياء ، ص٣٥٦.
٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص٢٤٤ ؛ المفيد ، الأمالي ، ص٣٦ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ج٢ ، ص٥٥.
٤- صحيح البخاري ، ج١ ، ص٣٦.

حتى بل دمعه الحصا ، قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال: يوم اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه فقال (صلى الله عليه وآله) : ائتوني اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند النبي التنازع وقالوا : ماله أهجر ؟ استفهموه ؟ فذهبوا يغتدون عليه فقال (صلى الله عليه وآله) دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه..."[1].

وروى الهيثمي[2] عن عمر بن الخطاب قال : لما مرض النبي (صلى الله عليه وآله) قال : "ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً ، فكرهنا ذلك أشد الكراهية !! ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً ! فقال النسوة من وراء الستر : ألا تسمعون ما يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟! فقلت انكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) عصرتن أعينكن ، وإذا صح ركبتن رقبته ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعوهن فأنهن خير منكم"!!

يقول أحمد حسين يعقوب[3] : «النبي على فراش المرض ، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام ، فقال: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي ؟ من يرفض التأمين ضد الضلالة ؟ ولماذا ؟ ولمصلحة من؟

ثم أن من حق أي مسلم ان يوصي ، ومن حق أي مسلم ان يقول ما يشاء قبل موته ، والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله.

هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال : إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فكانت النهاية : القول ما قاله عمر !!».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) : "لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة نزل جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا رسول الله تريد الرجوع إلى الدنيا وقد بلغت ؟ قال: لا ، قال له : يا رسول الله تريد الرجوع إلى

١- الهروي ، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) ، ذم الكلام وأهله ، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، ط١ ، (مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) ، ج١ ، ص١٤٠.

٢- مجمع الزوائد ، ج٩ ، ص٣٤.

٣- نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام رأي الشيعة – رأي السنة ، (مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٨٢.

الدنيا ؟ قال: لا ، الرفيق الأعلى"[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "قال جبرئيل (عليه السلام) : يا محمد هذا آخر نزولي إلى الدنيا ، إنما كنت أنت حاجتي فيها ، قال: وصاحت فاطمة (عليها السلام) وصاح المسلمون وصاروا يضعون التراب على رؤوسهم"[2].

وروى العياشي[3] عن الإمام الباقر (عليه السلام) : "ان علياً (عليه السلام) لما غمَّض رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا لها من مصيبة خصت الأقربين وعمت المؤمنين ، لم يصابوا بمثلها قط ، ولا عاينوا مثلها".

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "فلما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاهم آت – يعني أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) – يسمعون كلامه ولا يرون شخصه ، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[4]. إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، وبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، واعلموا أن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[5].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في مضمون الرواية السابقة نفسها : "فبينما هم كذلك إذ أتاهم من الله تعالى يسمعون كلامه ولا يرونه فقال : إن الله اختاركم وفضلكم وطهركم وجعلكم أهل بيت نبيه ، واستودعكم علمه ، وأورثكم كتابه ، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزه ، وضرب لكم مثلاً من نوره ، وعصمكم من الزلل وآمنكم من الفتن ، فتعزوا بعزاء الله ، فأن الله لم ينزع منكم رحمته ولن يزيل عنكم نعمته ، فأنتم أهل الله عز وجل الذين بهم تمت النعمة ، واجتمعت الفرقة ، وائتلفت الكلمة ، وأنتم أولياؤه ، فمن تولاكم فاز ومن ظلم حقكم زهق ، مودتكم من الله واجبة على عباده المؤمنين ، ثم والله نصركم – إذ يشاء – قدير. فاصبروا العواقب الأمور ، فانها إلى الله تصير ، قد قبلكم الله من نبيه وديعة واستودعكم أولياءه المؤمنين

١ – الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٦٩.
٢ – المصدر نفسه والصفحة.
٣ – تفسير العياشي ، ج١ ، ص٢٠٩.
٤ – آل عمران : ١٨٥.
٥ – القاضي النعمان ، شرح الأخبار ، ج٢ ، ص٤١٩–٤٢٠.

في الأرض ، فمن أدى أمانته أتاه الله صدقه ، فأنتم الأمانة المستودعة ، ولكم المودة الواجبة والطاعة المفروضة ، وقد قبض رسول الله وقد أكمل لكم الدين وبين لكم سبيل المخرج ، فلم يترك لجاهل حجة ، فمن جهل أو تجاهل ، أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه ، والله من وراء حوائجكم واستودعكم الله ، والسلام عليكم"[1].

وروى القاضي النعمان[2] ، والصدوق[3] بسندهم عن الإمام علي (عليه السلام) قال : "فنزل بي من وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به ! فرأيت الناس من أهل بيتي مابين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ولا يقوى على حمل فادح ما نزل به ، قد أذهب الجزع صبره وأذهل عقله ، وحال بينه وبين الفهم والإفهام والقول والإسماع ، وسائر الناس من غير بني عبد المطلب بين معزٍّ يأمر بالصبر وبين مساعد باكٍ لبكائهم وجازع لجزعهم. فحملت نفسي على الصبر عند وفاته ، بلزوم الصمت ، والاشتغال بما أمرني به من تجهيزه وتغسيله وتحنيطه وتكفينه ، والصلاة عليه ، ووضعه في حفرته...".

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله : "كان ثوبا رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي أحرم فيهما يمانيين عبري وظفار وفيهما كفن"[4].

وفي رواية أخرى له (عليه السلام) : "في ثلاثة أثواب : ثوبين صحاريين وثوب حبرة"[5].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : "أتى العباس أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له : يا علي إن الناس قد اجتمعوا على أن يؤمهم رجل منهم (فيصلوا على النبي) ويدفنوه في بقيع المصلى ، فخرج أمير المؤمنين إلى الناس فقال لهم: يا أيها الناس ، إن رسول الله إمامنا حياً وميتاً وقد قال: إني أدفن في البقعة التي أقبض فيها"[6].

وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "قال الناس : كيف الصلاة عليه ؟ فقال علي صلوات الله وسلامه عليه : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمامنا حياً وميتاً ، فدخل عليه عشرة عشرة فصلوا عليه

١- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٤٦.
٢- شرح الأخبار ، ج١ ، ص٣٤٥-٣٤٦.
٣- الخصال ، ص٣٧٠-٣٧١ ؛ وينظر : هاشم البحراني ، حلية الأبرار ، ج٢ ، ص٣٦٦ ؛ محمديان ، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) من لسانه ، ج١ ، ص٢٦٤.
٤- الكليني ، الكافي ، ج٤ ، ص٣٣٩ ؛ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج٢ ، ص٣٣٤.
٥- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص١٠٧٦.
٦- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٥١.

يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ، حتى الصباح ويوم الثلاثاء ، حتى صلى عليه صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، وضواحي المدينة بغير إمام. وخاض المسلمون في موضع دفنه ، فقال علي (عليه السلام) : إن الله سبحانه لم يقبض نبياً في مكان إلا وارتضاه لرمسه فيه ، وإني دافنه في حجرته التي قبض فيها ، فرضى المسلمون بذلك"[1].

وروي عن الإمام الباقر عن علي (عليه السلام) قال: "سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في صحته وسلامته : إنما نزلت هذه الآية عليَّ في الصلاة عليَّ بعد قبض الله لي : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[2] ، فيقرأون كما يقرأ ، حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي»[3].

وقد اختلف المسلمون في تحديد يوم وفاته (صلى الله عليه وآله) ، وعلق الاربلي[4] على هذا الاختلاف فقال: «إن اختلافهم في يوم ولادته (صلى الله عليه وآله) سهل ، إذ لم يكونوا عارفين به وبما يكون منه ، وكانوا أميين لا يعرفون ضبط مواليد أبنائهم. فأما اختلافهم في موته فعجيب ، ولا عجب من هذا مع اختلافهم في الأذان والإقامة ، بل اختلافهم في موته أعجب فإن الآذان ربما ادعى كل قوم أنهم رووا فيه رواية ، فأما يوم موته (صلى الله عليه وآله) فيجب أن يكون معيناً معلوماً".

وكان للطبري[5] رأي في هذا الاختلاف فقال: «أما اليوم الذي مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلا خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه انه كان يوم الاثنين في شهر ربيع الأول غير انه اختلف في أي الاثنين كان موته (صلى الله عليه وآله). فقال بعضهم : يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول ، وقال البعض الآخر ... توفي يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من ربيع الأول".

أما قول الكليني[6] والطبرسي[7] فكان : «قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) لاثنتي عشر ليلة مضت من ربيع الأول وهو ابن ثلاث وستين" من دون أن يحددا سنة الوفاة هل هي سنة عشر ، أو إحدى عشر للهجرة.

١- الطبرسي ، إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٧٠ ؛ ابن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، ص١٩٥.
٢- الأحزاب : ٥٦.
٣- الكليني ، الكافي ، ج١ ، ص٤٥١.
٤- كشف الغمة ، ج١ ، ص١٤.
٥- تاريخ الأمم ، ج٢ ، ص٤٤٠-٤٤١.
٦- الكافي ، ج١ ، ص٤٣٩.
٧- إعلام الورى ، ج١ ، ص٢٦٩.

ولم ترد رواية صريحة صادرة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، بخصوص تحديد يوم وفاة نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) يمكن الركون إليها ، سوى ما أورده ابن الخشاب البغدادي[1] ونقلها عنه الاربلي[2] ، وهذه الرواية وردت عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : "قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن ثلاث وستين في سنة عشر من الهجرة ... وقبض (صلى الله عليه وآله) في شهر ربيع الأول لليلتين خلتا منه".

وحدد الإمام الصادق (عليه السلام) وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين ودفنه ليلة الأربعاء[3] ، وقال ابن كثير[4] : «وهذا هو الذي نصَّ عليه غير واحد من الأئمة سلفاً وخلفاً».

إلا ان الرأي الأرجح والمشهور عند الامامية هو انه توفي (صلى الله عليه وآله) يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر – أي الثامن والعشرين من صفر – سنة إحدى عشرة للهجرة. وقد تبنى هذا الرأي الشيخ المفيد[5] والشيخ الطوسي[6] والفتال النيسابوري[7] والراوندي[8] وآخرون غيرهم[9].

لقد توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن بلغ رسالة ربه ، فنقل العرب من الشرك إلى الإسلام ، وجاهد بلسانه وسيفه حتى تمكن من تكوين أمة واحدة ودولة واحدة ، ولم يغادر قومه إلا وقد وضع بين أيديهم رسالة سامية ، لا تقتصر أهدافها على العرب وحدهم وإنما تسعى إلى هداية بني الإنسان كافة.

١- أبو محمد عبد الله بن النصر (ت٥٦٧هـ/ ١١٧٢م) ، تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ، ص٦.

٢- كشف الغمة ، ج١ ، ص١٣.

٣- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٥ ، ص٢٩١.

٤- المصدر نفسه والصفحة

٥- الإرشاد ، ج١ ، ص١٨٩ ؛ المقنعة ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص٤٥٦.

٦- تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص٢.

٧- روضة الواعظين ، ص٧١.

٨- قصص الأنبياء ، ص٣٥٧.

٩- البصري ، أحمد بن عبد الرضا (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) ، فائق المقال في الحديث والرجال ، تحقيق: غلام حسين قيصرية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص٥٩ ؛ شرف الدين ، عبد الحسين الموسوي ، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة ، تحقيق: محمود بدري ، ط١ ، (مطبعة عترت ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص٢٦٠ ؛ لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام) ، موسوعة شهادة المعصومين (عليهم السلام) ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، د.ت) ، ج١ ، ص٢٠ .

الخاتمة

الخاتمة :

أسفرت دراسة السيرة النبوية في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) عن جملة من النتائج والحقائق غاية في الأهمية يمكن إيجازها بما يلي :

١- إن مصادر السيرة النبوية على الرغم من كثرتها ، فانها لا يمكن أن تعطينا الصورة الحقيقية لسيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، لما تحويه من روايات لا يمكن لها أن تصمد أمام النقد العلمي والتحليل الموضوعي ، ولمعارضة بعضها بعضاً ، فمجرد التعارض بين روايتين – مثلاً – يؤكد بالضرورة على وجود غاية من وضع إحداهما ، أي ان إحداهما صحيحة ، والثانية موضوعة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة السيرة النبوية بمرويات الإمام الصادق (عليه السلام) التي تعطينا صورة دقيقة لسيرة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) ، وتعد هذه الدراسة محاولة لتقديم رؤية جديدة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرته العطرة مأخوذة من كلام الإمام الصادق (عليه السلام).

٢- إن تدوين الحديث – الذي شكل جزءاً مهماً وجوهرياً من أحداث السيرة النبوية – كان أمراً مباحاً ، بل مؤكداً عند النبي (صلى الله عليه وآله) ، وعليه فان سيرة المسلمين كانت على تدوينه ، وكتب بعض الصحابة أحاديث كثيرة في تلك المدة ، مع ان بعض أبناء المذاهب الإسلامية من غير الامامية يعتقدون ان تدوين الحديث لم يحصل في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) ، بل يتشددون كثيراً في ذلك ، إلا ان هذا ليس صحيحاً ولا يتناسب مع الواقع التاريخي ، وهذا ما أثبتته الأطروحة بالاستناد إلى أوثق المصادر التي تلقتها الأمة بالقبول والتقدير الذي يبلغ في حق بعضها رتبة التقديس مثل كتب الصحاح الستة. فكل خبر أو واقعة وردت في هذا البحث اتبعناها بمصدرها بمنتهى الدقة لكي نقطع السبيل على أي خصومة فكرية مناقضة. لان ما جاء به كل طرف للدفاع عن أحقيته ولإثبات إيديولوجيته الفكرية ، كان – وللأسف – على حساب السيرة النبوية ، لهذا التزم الباحث بالمنهج العلمي الصارم الذي نحى عنه جانباً عوارض

العاطفة والتعصب.

٣- أوضحت الدراسة انه على الرغم من ان جذور الصراع كانت في حياة الرسول (ﷺ) ، إلا ان التطبيق العملي لهذا الصراع حصل بعد وفاته (ﷺ) ، فبعد وفاته (ﷺ) مباشرة اتجه خط السلاطين والحكام السياسيين نحو منع تدوين الحديث وكتابته أو التحدث به وبسيرته ، بحجة الخوف من اختلاطها بالقرآن ، وخط ثانٍ اتجه بالاتجاه المعاكس تماماً ، وهو الاستمرار بالكتابة والتدوين والتحدث بحديثه (ﷺ) كي لا تضيع الحقيقة ، وتبقى كما هي ، وكان الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته هم من مثلوا الخط الثاني ، فقد رفض (عليه السلام) الانصياع لأوامر السلطة منذ الأيام الأولى لوفاته (ﷺ).

٤- كشفت الدراسة ان مدرسة السلطة حين أغلقت على المسلمين باب التحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فتحت لهم باب الأحاديث الإسرائيلية على مصراعيه ، وذلك بالسماح لأمثال تميم الداري الراهب النصراني ، وكعب الأحبار وغيرهم ، وهؤلاء قد اظهروا الإسلام بعد انتشاره ، تقرباً منهم إلى الحكام والأمراء بعد الرسول (ﷺ) ، ومن طريقهم بثت الأحاديث الإسرائيلية بين المسلمين.

٥- ناقشت الدراسة كيف ان مدرسة السلطة وبعد مرور قرن كامل على قرار المنع ، لمست الحاجة إلى سنة الرسول (ﷺ) وأحاديثه ، وكلما ابتعدوا عن عصر الرسالة ازدادت العقبات ، فاتضح بعد مرور قرن من الزمن حجم الأضرار التي نشأت من هذا المنع ، فكان من جملة الأضرار أن فُسح المجال للوضاعين وهكذا أخذ ضباب التزوير يموه حقائق التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية بالتدريج. مما دعا العلماء بل الخلفاء أنفسهم لنفض سيرة الشيخين ومن تلاهما في وضح النهار وإبطال الحظر الذي كانوا قد ضربوه على عملية التدوين ، ولكن بعد ان اختلط الصحيح بالمفسد ، والحق بالباطل.

٦- ناقشت الدراسة مراحل تطور هذا الصراع ، فأشارت إلى ان من نتائج هذا الصراع ان

ازدادت – فضلاً عن ما ذكر في أعلاه من ظاهرتي الوضع والإسرائيليات – ظاهرة الغلو والمغالين عند طرفي النزاع ، وأنتج ذلك صراعاً فكرياً بين الفرق والمذاهب ، وهذه الفرق والمذاهب حينما أرادت إثبات صحة فكرها وايديولوجيتها لجأت إلى وضع الأحاديث ودسها وتزويرها على لسان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، لإعطاء فكرتها صبغة شرعية ، وهذا أثر كثيراً على تغيير صورة السيرة النبوية بحيث جعلتها تعاني من التناقض في الروايات والأحاديث. لذا نجد الإمام الصادق (عليه السلام) حارب بكل قوة في مروياته هذه الظاهرة الشاذة.

٧- ناقشت الدراسة ظاهرة المعجزات والكرامات الخارقة للعادة التي تفشت في كتب التراث الإسلامي ، وبينت الدراسة أن أحد أسباب انتشار الإيمان بهذه الخوارق والأساطير هو ان الطابع الأسطوري في تلك المرحلة كان يجذب قلوب العامة ويستهوي عقولهم ويجعلهم متعلقين بهذه الخرافات لسذاجتهم وبساطتهم ، وضعف معلوماتهم ، وأوضحت الدراسة عدم صحة هذه الأساطير والمعجزات وعدم حصولها ، وذلك لأسباب عديدة منها : انها تتعارض وقول القرآن الكريم الذي أكد ان محمداً (صلى الله عليه وآله) بشراً منذراً {**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ** ...}[1]، ومنها انه ليس هناك شهود عليها ، ولم يؤمن أحد بسببها ، وتناقض الروايات في نقلها مما يدل على إنها مختلقة وموضوعة ، ولا يؤيدها التاريخ ولا العلم.

٨- أثبتت الدراسة ان السيرة النبوية احتلت في فكر الإمام الصادق (عليه السلام) ومروياته مساحة كبيرة ، فقد أرخ (عليه السلام) حياة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) من المولد حتى الوفاة ، وأعطى لكل مرحلة من مراحل السيرة خصوصيتها وجوانبها التي تمتاز بها عن المراحل الأخرى مع بيان الدروس والعظات والعبر ، وقد تبين من خلال تحليل مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) المستندة إلى الأدلة القرآنية ، ان كثيراً من أحداث السيرة النبوية لها تفسيرات مغايرة لما هو مألوف ، وكمثال على ذلك ان الوحي نزل على نبينا الأكرم

١- الكهف : ١٠.

(ﷺ) بسكينة وهدوء ووقار وليس بطريقة مرعبة كما صورتها الروايات الأخرى في كتب التراث الإسلامي. لذلك ناقشت الأطروحة هذا الموضوع ومواضيع أخرى حملت الطابع الفكري نفسه ، وعالجتها بالأدلة القرآنية والسنة النبوية الصحيحة ، وهذا النوع من المنهج التاريخي وُجد عند أهل البيت (عليهم السلام) مع امتيازهم بالأسبقية في التدوين في كتابة السيرة النبوية ، ومع امتيازهم أيضاً بدقة التوثيق.

٩- أحداث العهد المدني كانت حافلة بالمتناقضات حالها حال العهد المكي الذي سبقه ، فكانت دراستها بأسلوب علمي ، وبالأدلة القرآنية التي غالباً ما تطغى بشكل واضح على مرويات الإمام الصادق (عليه السلام). فبعد دراسة نشوء سلطة الرسول (ﷺ) في المدينة ، وإرسائه أسس بناء الدولة مثل بناء المسجد ونظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ناقشت الجوانب الفكرية والتربوية لغزوات الرسول (ﷺ) ، ثم موضوع الصراع الفكري والعقائدي مع اليهود والمنافقين ، وسياسات الرسول (ﷺ) مع بني قريظة ، والافتراءات التي حيكت حول شخصية الرسول (ﷺ) ، ثم أشارت مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) إلى مرحلة تثبيت دعائم الدولة سياسياً وعسكرياً ، وتمثلت هذه الحالة في صلح الحديبية ، وفتح مكة ، حتى نهاية عصر الرسالة وذلك بإعلان البراءة من المشركين وحجة الوداع ثم وفاته والتحاقه بالرفيق الأعلى.

وختاماً يمكن القول : إن مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) في السيرة النبوية حملت الكثير من الحقائق العليمة الثابتة التي تتناسب والمنهج القرآني والسنة النبوية، وتبتعد عن التشويه الحاصل لسيرة المصطفى (ﷺ) ، وإبراز جهاده الذي استطاع من خلاله بناء دولة عظيمة في ظرف لا يتجاوز أكثر من ثلاث وعشرين سنة في مجتمع يموج بالجاهلية والتعصب.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

أولاً : المصادر الأولية

ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت).

(٢) الكامل في التاريخ ، (دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

(٣) اللباب في تهذيب الأنساب ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) .

ابن الأثير الجزري ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، وطاهر أحمد الزاوي ، (مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان ، قم ، د.ت).

الاحسائي ، محمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهور (ت٨٨٠هـ/ ١٤٨٦م)

(٥) عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية ، تحقيق: آقا مجتبى العراقي ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن إدريس الحلي ، محمد بن منصور بن أحمد (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م)

(٦) مستطرفات المسائل ، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لجماعة المدرسين بقم ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ابن آدم ، يحيى بن سليمان القرشي (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)

(٧) الخراج ، (المكتبة العلمية ، باكستان ، لاهور ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .

الأربلي ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م)

(٨) كشف الغمة في معرفة الأئمة ، ط٢ ، (دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

الاردبيلي ، محمد بن علي (ت١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)

(٩) جامع الرواة ، (مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الازرقي ، محمد بن عبد الله (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)

(١٠) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ، (منشورات الشريف الرضي ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

الاسترآبادي ، رضي الدين محمد بن الحسن النحوي (ت٦٨٦هـ/)

(١١) شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

الاسترابادي ، مير داماد محمد باقر الحسيني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣٦م)

(١٢) الرواشح السماوية ، تحقيق : غلام حسين قيصر ونعمة الله الجليلي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ابن إسحاق ، محمد بن يسار المطلبي (ت١٥١هـ/ ٧٦٨م)

(١٣) السير والمغازي ، تحقيق: محمد حميد الله ، (مطبعة معهد الدراسات والأبحاث ، د.م ، د.ت).

الاصبهاني ، إسماعيل موفق الدين أبي القاسم بن محمد بن الفضل التيمي (ت٥٣٥هـ/ ١١٤١م)

(١٤) دلائل النبوة ، تحقيق : مساعد بن سليمان الراشد الحميد ، (دار العاصمة للنشر والتوزيع ، د.ت).

الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)

(١٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق: علي عبد الباري عطية ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) .

الأنصاري ، الشيخ مرتضى (ت١٢٨١هـ/ ١٨٦١م)

(١٦) فرائد الأصول ، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

الايجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)

(١٧) شرح المواقف ، تحقيق : علي بن محمد الجرجاني ، ط١ ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م).

ابن بابويه القمي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)

(١٨) الإمامة والتبصرة ، ط١ ، (مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الباجي ، سليمان بن خلف (ت٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م)

(١٩) التعديل والتجريح ، تحقيق: أحمد البزاز ، ط١ ، (مطبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مراكش ، د.ت).

البحراني ، هاشم (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م)
(٢٠) مدينة المعاجز ، تحقيق: عباد الله الطهراني الميانجي ، ط١ ، (مطبعة دانش ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
المحقق البحراني ، يوسف بن أحمد (ت١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م)
(٢١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، تحقيق : محمد تقي الايرواني ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت).
البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)
(٢٢) التاريخ الكبير ، (المكتبة الإسلامية ، ديار بكر ، د.ت).
(٢٣) صحيح البخاري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
ابن البراج ، عبد العزيز الطرابلسي (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٧م)
(٢٤) جواهر الفقه ، تحقيق: إبراهيم البهادري ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ/ ٨٨٧م)
(٢٥) المحاسن ، تحقيق: جلال الدين الحسيني ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) .
البصري ، أحمد بن عبد الرضا (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)
(٢٦) فائق المقال في الحديث والرجال ، تحقيق: غلام حسين قيصرية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) .
ابن البطريق ، يحيى بن الحسن الأسدي الحلي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م)
(٢٧) خصائص الوحي المبين ، تحقيق: مالك المحمودي ، ط١ ، (مطبعة نكين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
(٢٨) عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .
البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م)
(٢٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق: محمد نبيل طريفي وأميل بديع

اليعقوب ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).
البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت٥١٠هـ/ ١١١٧م)
(٣٠) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، تحقيق: خالد بن عبد الرحمن العك ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت).
البكري الأندلسي ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
(٣١) معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ، تحقيق: مصطفى السقا ، ط٣ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)
(٣٢) أنساب الاشراف ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) .
(٣٣) فتوح البلدان ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، (مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م).
البهوتي ، منصور بن يونس الحنبلي (ت١٠٥١هـ/ ١٦٤٢م)
(٣٤) كشف القناع ، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).
البيضاوي ، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد (ت٦٩١هـ/ ١٢٩٢م)
(٣٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) .
البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)
(٣٦) السنن الكبرى ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) .
(٣٧) معرفة السنن والآثار ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت).
التبريزي ، علي بن موسى بن محمد بن شفيع (ت١٢٧٧هـ/ ١٨٦٢م)
(٣٨) مرآة الكتب ، تحقيق : محمد علي الحائري ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)

(٣٩) السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الاتابكي (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

(٤٠) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت).

التفرشي ، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ق١١هـ/ ١٧م)

(٤١) نقد الرجال ، تحقيق : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .

الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف المالكي (ت٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م)

(٤٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة وآخرون ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م)

(٤٣) تفسير الثعلبي ، تحقيق: أبي محمد بن عاشور ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م).

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)

(٤٤) البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

(٤٥) كتاب العثمانية ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، (دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) .

ابن جبير ، زين الدين علي بن يوسف (ت ق٧هـ/ ١٣م)

(٤٦) نهج الإيمان ، تحقيق: أحمد الحسيني ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الحسيني (ت٥٣١هـ/ ١١٣٦م)

(٤٧) الحاشية على كتاب الكشاف ، (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) .

الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (ت٣٧٠هـ/ ٩٨٢م)

(٤٨) أحكام القرآن ، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ،

بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

أبو جعفر الاسكافي ، محمد بن عبد الله المعتزلي (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م)

(٤٩) المعيار والموازنة ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (د.م ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

الجعفي ، المفضل بن عمر (ق ٢هـ/ ٨م)

(٥٠) كتاب التوحيد (المعروف بتوحيد المفضل) ، إملاء الإمام الصادق (عليه السلام) ، تحقيق: كاظم المظفر ، ط٢ ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الجهشياري ، محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)

(٥١) الوزراء والكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م) .

الجواهري ، محمد حسن النجفي (ت١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م)

(٥٢) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق: الشيخ عباس القوجاني ، ط٢ ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، د.ت) .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)

(٥٣) زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

(٥٤) صفة الصفوة ، تحقيق: طارق محمد عبد المنعم ، ط١ ، (دار ابن خلدون ، الاسكندرية ، د.ت).

(٥٥) الموضوعات ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، ط١ ، (المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ/ ١٠٤م)

(٥٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، ط٤ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

ابن أبي حاتم ، أبي محمد عبد الرحمن التميمي الحنظلي الرازي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٠م)

(٥٧) الجرح والتعديل ، ط١ ، (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).

ابن حاتم العاملي ، جمال الدين يوسف بن فوز بن مهند الشامي (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م)

(٥٨) الدر النظيم ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، د.ت).

حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)

(٥٩) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

الحاكم الحسكاني ، عبيد الله بن احمد الحنفي النيسابوري (ت ق٥هـ/ ١١م)

(٦٠) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد الإسلامي ، طهران ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)

(٦١) المستدرك على الصحيحين ، تحقيق: يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت).

(٦٢) معرفة علوم الحديث ، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديد ، ط٤ ، (منشورات دار الآفاق الحديث ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد التميمي (ت٣٥٤هـ/ ٩٧٦م)

(٦٣) الثقات ، ط١، (مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

(٦٤) صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ط٢ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٦٥) كتاب المجروحين ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، (مطبعة دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، د.ت).

(٦٦) مشاهير علماء الأمصار ، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم ، ط١ ، (دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ابن حبيب ، محمد البغدادي (ت٢٤٥هـ/ ٨٥٨م)

(٦٧) كتاب المحبر ، (مطبعة الدائرة ، بيروت ، ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م) .

(٦٨) كتاب المنمق ، تحقيق: خورشيد احمد فاروق ، (نسخة مخطوطة).

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

(٦٩) الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

(٧٠) تغليق التعليق ، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القذافي ، ط١ ، (مطبعة بيروت ، عمان ، د.ت).

(٧١) تقريب التهذيب ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

(٧٢) تلخيص التحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٩م).

(٧٣) تهذيب التهذيب ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) .

(٧٤) الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني ، (مطبعة دار المعرفة ، بيروت ، د.ت).

(٧٥) العجاب في تفسير الأسباب ، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس ، ط١ ، (دار ابن الجوزي ، الرياض ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٧٦) لسان الميزان ، ط٢ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م).

(٧٧) مقدمة فتح الباري ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن حجر المكي (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م)

(٧٨) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، (شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، د.ت).

ابن أبي الحديد ، أبو حامد عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

(٧٩) شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، د.ت) .

الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م)

(٨٠) الجواهر السنية ، (مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

(٨١) الفصول المهمة في أصول الأئمة ، تحقيق : محمد بن محمد الحسيني القائيني ، ط١ ، (مطبعة نكين ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .

(٨٢) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط٢ ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم

السلام لإحياء التراث ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

الحربي ، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٧م)

(٨٣) غريب الحديث ، تحقيق: سليمان بن إبراهيم العابر ، ط١ ، (دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

ابن حزم الأندلسي ، أبو محمد علي بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)

(٨٤) الإحكام في أصول الأحكام ، ط١ ، (مطبعة العاصمة ، القاهرة ، د.ت).

(٨٥) المحلى ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت) .

الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)

(٨٦) إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، (دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

الحلواني ، الحسين بن محمد بن الحسن (ت ق٥هـ/ ١١م)

(٨٧) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، تحقيق : مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

المحقق الحلي ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

(٨٨) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: صادق الشيرازي ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

(٨٩) المعتبر في شرح المختصر ، ط١ ، (مدرسة سيد الشهداء ، قم ، د.ت).

الحلي ، الحسن بن سليمان (ت ق ٩هـ/ ١٥م)

(٩٠) مختصر بصائر الدرجات ، ط١ ، (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م) .

العلامة الحلي ، الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

(٩١) إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان ، تحقيق: فارس الحسون ، ط١ ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

(٩٢) إيضاح الاشتباه ، تحقيق: الشيخ محمد الحسون ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

(٩٣) تحرير الأحكام الشرعية على مذاهب الإمامية ، تحقيق: إبراهيم البهادلي ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(٩٤) تذكرة الفقهاء ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

(٩٥) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق: السيد جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٩٦) نهاية الأحكام في معرفة الأحكام ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، ط٢ ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

ابن حمزة ، محمد بن علي (ت٧٦٥هـ/ ١٣٦٢م)

(٩٧) من له رواية في مسند أحمد ، تحقيق: عبد المعاطي أمين قلعجي ، ط١ ، (جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، د.ت).

أبو حمزة الثمالي ، ثابت بن دينار (ت١٤٨هـ/ ٧٦٥م)

(٩٨) تفسير القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي حمزة الثمالي ، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين والشيخ محمد هادي معرفة ، ط١ ، (مطبعة الهادي ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

الحميدي ، أبو بكر عبد الله بن الزبير (ت٢١٩هـ/ ٨٣١م)

(٩٩) مسند الحميدي ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) .

الحميري ، أبو العباس عبد الله بن جعفر (ت ق٣هـ/ ٩م)

(١٠٠) قرب الإسناد ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

ابن حنبل ، أحمد (ت٢٤١هـ/ ٨٥٤م)

(١٠١) مسند أحمد ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

الحويزي ، الشيخ عبد علي جمعة العروسي (ت١١١٢هـ/ ١٧٠١م)

(١٠٢) تفسير نور الثقلين ، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي ، ط١ ، (مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، د.ت).

ابن حيان الأندلسي ، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)

(١٠٣) تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي بن محمد معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

الخزاز القمي ، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الرازي (ت ق٤هـ/ ق١٠م)

(١٠٤) كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر ، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الخزرجي ، الأنصاري اليمني (ت ق١٠هـ/ ١٦م)

(١٠٥) خلاصة تهذيب الكمال ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط٤ ، (دار البشائر الإسلامية ، حلب ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

ابن خزيمة ، أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ/ ٩٢٤م)

(١٠٦) صحيح ابن خزيمة ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي ، ط٢ ، (مطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ابن الخشاب ، أبو محمد عبد الله بن النصر البغدادي (ت٥٦٧هـ/ ١١٧٢م)

(١٠٧) تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الخصيبي ، أبو عبد الله الحسن بن حمد (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م)

(١٠٨) الهداية الكبرى ، ط٤ ، (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م)

(١٠٩) تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) .

(١١٠) تقييد العلم ، تحقيق : سعد عبد الغفار علي ، ط١ ، (دار الاستقامة ، القاهرة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) .

(١١١) الرحلة في طلب العلم ، تحقيق: نور الدين عتر ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

(١١٢) الكفاية في علم الرواية ، تحقيق: أحمد عمر هاشم ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

(١١٣) نصيحة أهل الحديث ، تحقيق: عبد الكريم أحمد الوريكات ، ط١ ، (مكتبة المنار ، الأردن – الزرقاء ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الخطيب التبريزي ، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٤١هـ/ ١٣٤١م)

(١١٤) الإكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : أبي أسد الله بن الحافظ محمد بن عبد الله الأنصاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت).

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٤م)

(١١٥) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) .

(١١٦) المقدمة ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين بن احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

(١١٧) وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد المكي (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)

(١١٨) المناقب ، تحقيق: مالك المحمودي ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة الدرسين ، ثم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ابن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط الليثي العصفري (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

(١١٩) طبقات خليفة ، تحقيق : سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

الدارقطني ، علي بن عمر (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٤م)

(١٢٠) علل الدارقطني ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي ، ط١ ، (دار طيبة ، الرياض ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)

(١٢١) سنن الدارمي ، تحقيق: محمد أحمد دهمان ، ط١ ، (مطبعة الاعتدال ، دمشق ، ١٣٤٩هـ/ ١٩٢٩م).

ابن داود الحلي ، تقي الدين الحسن بن علي (ت٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م)

(١٢٢) رجال ابن داود ، تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

ابن داود الطيالسي ، سلمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)

(١٢٣) مسند أبي داود الطيالسي ، ط٢ ، (دار المعرفة ، بيروت ، د.ت) .

الدميري ، الشيخ كمال الدين (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)

(١٢٤) حياة الحيوان الكبرى ، ط١ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي (ت٢٨١هـ/ ٨٩٢م)

(١٢٥) مكارم الأخلاق ، ط١ ، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم ، (مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت) .

الدولابي ، أبو بشير محمد بن احمد الرازي (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

(١٢٦) الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الذهبي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)

(١٢٧) تذكرة الحفاظ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

(١٢٨) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد ، ط٩ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

(١٢٩) الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة ، تحقيق : محمد عوامة وأحمد محمد نمر الخطيب ، ط١ ، (دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

(١٣٠) ميزان الاعتدال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٧٢١هـ/ ١٣٢٠م)

(١٣١) مختار الصحاح ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسيني بن محمد (ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)

(١٣٢) المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، (مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

الرامهرمزي ، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت٥٧٦هـ/ ١١٨١م)
(١٣٣) كتاب أمثال الحديث المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح تمام ، ط١ ، (مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م) .
ابن راهوية ، اسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (ت٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)
(١٣٤) مسند ابن راهوية ، تحقيق: الدكتور عبد الغفور عبد الحق البلوشي ، ط١ ، (مطبعة مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
الراوندي ، فضل الله علي بن الحسين (ت٥٧١هـ/ ١١٧٨م)
(١٣٥) النوادر ، تحقيق : سعيد رضا علي العسكري ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت).
الراوندي ، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٩م)
(١٣٦) الخرائج والجرائح ، تحقيق: محمد باقر الموحد الابطحي ، ط١ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
ابن رجب الحنبلي ، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن احمد البغدادي الدمشقي (ت٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م)
(١٣٧) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار،ط٢،(دار الرشيد،دمشق، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
ابن رشد الحفيد ، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)
(١٣٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
الإمام الرضا ، علي بن موسى (عليه السلام) (ت٢٠٣هـ/ ٨١٨م)
(١٣٩) مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ، تحقيق: الشيخ عزيز الله عطاري ، (مؤسسة أستان قدس رضوي ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
الزبيدي ، محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م)
(١٤٠) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: علي شيري ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
الزبير بن بكار ، أبو عبد الله القرشي (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)
(١٤١) الأخبار الموفقيات ، تحقيق : د. سامي مكي العاني ، ط٢ ، (عالم الكتب ، بيروت ،

١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

الزرندي الحنفي ، جمال الدين محمد بن يوسف (ت٧٥٠هـ/ ١٣٥٠م)

(١٤٢) نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين ، ط١ ، (مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة ، د.م ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)

(١٤٣) الفائق في غريب الحديث ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

ابن زمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٣٩٩هـ/ ١٠١٠م)

(١٤٤) تفسير ابن زمنين ، تحقيق: أبو عبد الله حسين عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز ، ط١ ، (مطبعة الفاروق الحديثة ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) .

ابن زنجويه ، أبو أحمد النسائي (ت٢٥١هـ/ ٨٦٤م)

(١٤٥) كتاب الأموال ، تحقيق: شاكر ذيب الفياض ، ط١ ، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الإمام زيد بن علي (عليه السلام) (ت١٢٢هـ/ ٧٤٤م)

(١٤٦) مسند زيد بن علي ، ط١ ، (منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت).

الزيلعي ، جمال الدين (ت٧٦٢هـ/ ١٣٥٢م)

(١٤٧) تخريج الأحاديث والآثار ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط١ ، (دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

زين العابدين ، الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) (ت٩٥هـ/ ٧١٧م)

(١٤٨) الصحيفة السجادية.

السبزواري ، ملا محمد باقر (ت١٠٩٠هـ/ ١٦٨٠م)

(١٤٩) ذخيرة المعاد في شرح الإرشاد ، (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، د.ت).

(١٥٠) كفاية الأحكام ، تحقيق : الشيخ مرتضى الواعظي الاراكي ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

السبزواري ، محمد بن محمد (ت ق٧هـ/ ١٣م)

(١٥١) معارج اليقين في أصول الدين ، تحقيق: علاء آل جعفر ، ط١ ، (مؤسسة آل البيت

عليهم السلام لإحياء التراث ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن فرغلي بن عبد الله البغدادي ، (ت٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

(١٥٢) تذكرة الخواص ، ط١ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

سبط بن العجمي ، برهان الدين الحلبي (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٩م)

(١٥٣) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ، تحقيق: صبحي السامرائي ، ط١ ، (مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٩٠٢هـ/ ١٤٦٩م)

(١٥٤) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

السرخسي ، أبو بكر شمس الدين محمد بن أبي سهل (ت٤٨٣هـ/ ١٠٩١م)

(١٥٥) أصول السرخسي ، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(١٥٦) شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، (مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

(١٥٧) المبسوط ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٥م)

(١٥٨) الطبقات الكبرى ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

أبو السعود ، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ/ ١٥٧٥م)

(١٥٩) تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الاهوازي (ت٢٤٤هـ/ ٨٥٨م)

(١٦٠) ترتيب إصلاح المنطق ، تحقيق : محمد حسن بكائي ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية المقدسة ، مشهد ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

(١٦١) الكنز اللغوي في اللسان العربي ، (المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٣م).

ابن سلامة ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الازدي (ت٣١١هـ/ ٩٢٤م)

(١٦٢) شرح معاني الآثار ، تحقيق: محمد زهري النجار ، ط٣ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ابن سلامة ، أبو عبد الله محمد (ت٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)

(١٦٣) دستور معالم الحكم ومآثر مكارم الشيم ، ط١ ، (مكتبة المفيد ، قم ، د.ت).

السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم (ت٣٨٣هـ/ ٩٩٣م)

(١٦٤) تفسير السمرقندي ، تحقيق: محمود مطرجي ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت).

السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد (ت٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م)

(١٦٥) تفسير السمعاني ، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط١ ، (دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم التميمي (ت٥٦٢هـ/ ١١٦٧م)

(١٦٦) أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، ط١ ، (دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

(١٦٧) الأنساب ، تحقيق : عبد الله عمر البارودي ، ط١ ، (دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م)

(١٦٨) السيرة النبوية المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط١ ، (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

(١٦٩) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق: سعيد المندوب ، ط١ ، (مطبعة دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

(١٧٠) إسعاف المبطأ برجال الموطأ ، تحقيق : موفق فوزي جبر ، ط١ ، (دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

(١٧١) تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، صيدا – بيروت ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

(١٧٢) التعظيم والمنة في ان أبوي الرسول في الجنة ، ورسالة ثانية عنوانها السبل الجلية في

الآيات العلية ،
(١٧٣) تفسير الجلالين ، (دار المعرفة للطباعة والتوزيع ، بيروت ، د.ت) .
(١٧٤) جامع الأحاديث ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت).
(١٧٥) الجامع الصغير ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .
(١٧٦) الخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، تحقيق: محمد خليل هراس ، (دار الكتب الحديثة ، بيروت ، د.ت).
(١٧٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ط١ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر ، ، بيروت ، د.ت).
(١٧٨) الديباج على مسلم ، ط١ ، (دار ابن عفان للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
ابن شاذان ، الفضل الازدي النيسابوري (ت٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)
(١٧٩) الإيضاح ، تحقيق : السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث ، (مطبعة انتشارات ، طهران ، د.ت) .
الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م)
(١٨٠) اختلاف الحديث ، (مصادر الحديث السنية ، قسم الفقه).
(١٨١) كتاب الأم ، ط٢ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .
(١٨٢) المسند ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت) .
الشافعي ، كمال الدين محمد بن طلحة (ت٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م)
(١٨٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية ، (د.م ، د.ت).
ابن شاهين ، أبو حفص عمرو (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)
(١٨٤) تاريخ اسماء الثقات ، تحقيق : صبحي السامرائي ، ط١ ، (دار السلفية ، تونس ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
(١٨٥) فضائل سيدة النساء ، تحقيق: أبو إسحاق الحويني الأثري ، ط١ ، (مكتبة التربية

الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

ابن شبة النميري ، أبو زيد عمر بن شبة البصري (ت٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)

(١٨٦) تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط١ ، (مطبعة قدس ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

الشربيني ، محمد بن أحمد (ت٩٧٧هـ/ ١٥٦٨م)

(١٨٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) .

الشرواني ، حيدر بن علي بن محمد (ت ق١٢هـ/ ١٨م)

(١٨٨) مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ، تحقيق: الشيخ محمد الحسون ، (مطبعة المنشورات الإسلامية ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

الشريف الرضي ، أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى البغدادي (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)

(١٨٩) المجازات النبوية ، تحقيق : طه محمد الزيني ، (مكتبة بصيرتي ، قم ، د.ت).

الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م)

(١٩٠) الأمالي ، تحقيق: السيد محمد بدر الدين الغساني الحلبي ، ط١ ، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم ، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م).

(١٩١) الانتصار ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

(١٩٢) رسائل المرتضى ، تحقيق: السيد أحمد الحسيني ، ط١ ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

(١٩٣) الشافي في الإمامة ، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ط٢ ، (مؤسسة اسماعيليان ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

(١٩٤) الفصول المختارة ، تحقيق: نور الدين جعفريان الاصفهاني ويعقوب الجعفري ومحمد الأحمدي ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

ابن شعبة الحراني ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ت ق ٤هـ/ ١٠م)

(١٩٥) تحف العقول عن آل الرسول ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

ابن شهراشوب ، محمد علي المازندراني (ت٥٨٨هـ/ ١١٩١م)

(١٩٦) معالم العلماء ، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم ، ط٢ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

(١٩٧) مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

الشهرستاني ، أبو الفتح ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

(١٩٨) الملل والنحل ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) .

الشهيد الأول ، شمس الدين محمد بن مكي العاملي (ت٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)

(١٩٩) الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

(٢٠٠) الأربعون حديثاً ، تحقيق : مدرسة الإمام المهدي ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

(٢٠١) القواعد والفوائد ، (منشورات مكتبة المفيد ، قم ، د.ت).

الشهيد الثاني ، زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٦هـ/ ١٥٦١م)

(٢٠٢) الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، تحقيق: السيد محمد كلانتر ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) .

(٢٠٣) منية المريد في أدب المفيد والمستفيد ، تحقيق: رضا المختاري ، ط١ ، (مكتب الإعلام الإسلامي ، طهران ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٥هـ/ ١٨٤٠م)

(٢٠٤) فتح القدير ، (عالم الكتب ، بيروت ، د.ت).

(٢٠٥) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار شرح منتقى الأخبار ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) .

ابن أبي شيبة الكوفي ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر (ت٢٣٥هـ/ ٨٤٨م)

(٢٠٦) المصنف في الأحاديث والآثار ، تحقيق : سعيد اللحام ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت).

الشيرازي ، السيد خان المدني (ت١١٢٠هـ/ ١٧١٠م)
(٢٠٧) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين (عليه السلام) ، تحقيق: السيد محسن الحسيني الاميني ، ط٤ ، (مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
صاحب المعالم ، الشيخ حسن (ت١٠١١هـ/ ١٦٠٣م)
(٢٠٨) التحرير الطاووسي ، تحقيق: فاضل الجواهري ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
(٢٠٩) منتقى الجمان ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط١ ، (المطبعة الإسلامية ، قم ، د.ت).
الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ/ ١٥٣٧م)
(٢١٠) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .
ابن الصباغ ، علي بن محمد بن احمد المكي (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥٠م)
(٢١١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، تحقيقك سامي الغريري ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)
(٢١٢) الاعتقادات في دين الإمامية ، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .
(٢١٣) الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم ، ط١ ، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
(٢١٤) التوحيد ، تحقيق : السيد هاشم الحسيني الطهراني ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، د.ت).
(٢١٥) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ، د.ت).
(٢١٦) الخصال ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م) .
(٢١٧) صفات الشيعة ، ط١ ، (مطبعة كانون انتشارات عابدي ، طهران ، د.ت).
(٢١٨) علل الشرائع ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).

(٢١٩) عيون أخبار الرضا ، تحقيق: حسين الأعلمي ، (مطبعة مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

(٢٢٠) كمال الدين وتمام النعمة ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(٢٢١) معاني الأخبار ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

(٢٢٢) من لا يحضره الفقيه ، تحقيق: علي أكبر غفاري ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت).

الصفار ، محمد بن الحسن (ت٢٩٠هـ/ ٩٠٢م)

(٢٢٣) بصائر الدرجات الكبرى ، (مطبعة الأحمدي ، طهران ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

(٢٢٤) الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الارناؤوط ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن السهرزوري (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٤م)

(٢٢٥) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) .

الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٤م)

(٢٢٦) تفسير القرآن ، تحقيق : مصطفى مسلم محمد ، ط١ ، (مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

(٢٢٧) المصنَّف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (منشورات المجلس العلمي ، بيروت ، د.ت).

أبو طالب الحلي ، محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)

(٢٢٨) إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد ، تحقيق : حسين الموسوي الكرماني وآخرون ، ط٢ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .

آل طاووس ، جمال الدين أحمد (ت٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م)

(٢٢٩) عين العبرة في غبن العترة ، ط١ ، (دار الشهاب ، قم ، د.ت).

ابن طاووس ، أبو القاسم رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م)

(٢٣٠) الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة بالسنة ، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني ، ط١ ، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) .

(٢٣١) الطرائف في معرفة مذهب الطوائف ، ط١ ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٨٧م) .

(٢٣٢) كشف اليقين باختصاص مولانا علي (عليه السلام) أمير المؤمنين ، (مطبعة غونة ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

الطباطبائي ، السيد علي (ت١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)

(٢٣٣) رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل ، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، (قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م)

(٢٣٤) مسند الشاميين ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، (مركز الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٢٣٥) المعجم الأوسط ، تحقيق: طارق بن عوض الله منشد ، (دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

(٢٣٦) المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)

(٢٣٧) الاحتجاج ، تحقيق : السيد محمد باقر الخرسان ، ط١ ، (مطبعة دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الاشرف ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) .

(٢٣٨) إعلام الورى بأعلام الهدى ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

(٢٣٩) تفسير جوامع الجامع ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

(٢٤٠) مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط٢ ، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

(٢٤١) مشكاة الأنوار ، تحقيق : مهدي هوشمند ، ط١ ، (دار الحديث ، قم ،

١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٢٤٢) مكارم الأخلاق، ط٦، (منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)

الطبري، أبو جعفر عماد الدين محمد بن القاسم (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م)

(٢٤٣) بشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لشيعة المرتضى (عليه السلام)، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، ط١، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)

(٢٤٤) تاريخ الأمم والملوك، ط٤، (مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م).

(٢٤٥) جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: خليل الميس، (دار الفكر للطباعة والنشر والوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الآملي الإمامي (ت ق٤هـ/ ١٠م)

(٢٤٦) دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، ط١، (مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

(٢٤٧) المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: أحمد المحمودي، ط١، (مطبعة سلمان الفارسي، قم، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

(٢٤٨) نوادر المعجزات في مناقب الأئمة الهداة عليهم السلام، ط١، (مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٥م)

(٢٤٩) تفسير غريب القرآن، تحقيق: محمد كاظم الطريحي، ط١، (انتشارات زاهدي، قم، د.ت).

(٢٥٠) مجمع البحرين، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، (مكتبة النشر الثقافة الإسلامية، قم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)

(٢٥١) اختيار معرفة الرجال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، د.ت).

(٢٥٢) الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، ط٤، (دار

الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
(٢٥٣) الاقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد ، تحقيق: حسن سعيد ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .
(٢٥٤) الامالي ، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة ، ط١ ، (دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) .
(٢٥٥) التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت) .
(٢٥٦) تهذيب الأحكام ، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان ، ط٣ ، (دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).
(٢٥٧) الخلاف ، تحقيق : السيد علي الخراساني ، وجواد الشهرستاني ، ومهدي نجف ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإعلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٨٠م).
(٢٥٨) رجال الطوسي ، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
(٢٥٩) الرسائل العشر ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت).
(٢٦٠) الغيبة ، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ علي احمد ناصح ، ط١ ، (مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
(٢٦١) الفهرست ، تحقيق: الشيخ جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) .
(٢٦٢) المبسوط ، تحقيق: محمد الباقر البهبودي ، ط١ ، (المكتبة المرتضوية الجعفرية ، قم ، د.ت).
(٢٦٣) النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ، (مطبعة قدس ، قم ، د.ت) .
ابن أبي عاصم ، أبو عمرو الضحاك بن مخلد الشيباني (ت٢٨٧هـ/ ٨٩٩م)
(٢٦٤) الآحاد والمثاني ، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة ، ط١ ، (دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) .
(٢٦٥) كتاب الأوائل ، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت

، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

(٢٦٦) كتاب السنة ، تحقيق: محمد ناصر الالباني ، ط٣ ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .

العاملي ، الشيخ حسين عبد الصمد (ت٩٨٤هـ/ ١٥٧٩م)

(٢٦٧) وصول الأخبار إلى أصول الأخبار ، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد الأندلسي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

(٢٦٨) الاستذكار ، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) .

(٢٦٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ط١ ، (دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

(٢٧٠) التمهيد ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري ، (مطبعة المغرب ،الرباط ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

(٢٧١) جامع بيان العلم وفضله ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

(٢٧٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق : شوقي ضيف ، ط١ ، (د.م ، د.ت).

ابن عبد الحكم القرشي المصري (ت٢٥٧هـ/ ٨٦٩م)

(٢٧٣) فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق: محمد الحجيري ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)

(٢٧٤) العقد الفريد ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

ابن عبد الوهاب ، حسين (ت ق٥هـ/ ١١م)

(٢٧٥) عيون المعجزات ، ط١ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).

أبو عبيد ، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/ ٨٣٩م)

(٢٧٦) كتاب الأموال ، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا ، ط١ ، (دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

العجلوني ، إسماعيل بن محمد الجراجي (ت١١٦٢هـ/ ١٧٥٠م)
(٢٧٧) كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، ط٣ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
العجلي ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله الكوفي (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)
(٢٧٨) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم واخبارهم ، ط١ ، (مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
ابن عدي ، أبو احمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ/ ٩٧٦م)
(٢٧٩) الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق : سهيل زكار ، ط٣ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).
ابن العربي ، محمد بن عبد الله المعافري المالكي (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٩م)
(٢٨٠) أحكام القرآن ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت).
(٢٨١) الفتوحات المكية ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).
عز الدين الدمشقي ، ابن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الشافعي (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)
(٢٨٢) تفسير العز بن عبد السلام ، تحقيق: عبد بن إبراهيم الوهبي ، ط١ ، (مطبعة دار بن حزم ، بيروت ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).
ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م)
(٢٨٣) تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).
العسكري ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله (ت٣٨٢هـ/ ٩٩٢م)
(٢٨٤) تصحيفات المحدثين ، تحقيق: محمد أحمد منيرة ، ط١ ، (المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).
العسكري ، الإمام الحسن بن علي عليه السلام (ن٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)
(٢٨٥) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ، تحقيق : مدرسية الإمام المهدي ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ١٤٠٩٣هـ/ ١٩٨٩م).
ابن عطية الأندلسي ، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب الغرناطي (ت٥٤٢هـ/ ١١٠٤٧م)

(٢٨٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) .

ابن عقدة الكوفي ، عبد الرزاق حرز الدين (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)

(٢٨٧) فضائل أمير المؤمنين ، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين ، (د.م ، د.ت).

(٢٨٨) كتاب الولاية ، (إصدارات العقائد عند الشيعة الامامية) .

العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)

(٢٨٩) كتاب الضعفاء الكبير ، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي ، ط٢ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .

علي بن جعفر الصادق (عليه السلام) (ت ق٢هـ/ ٨م)

(٢٩٠) مسائل علي بن جعفر ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) .

ابن العماد الحنبلي ، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحبيب بن احمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٧م)

(٢٩١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: محمود الارناؤوط ، ط١ ، (دار ابن كثير ، دمشق ، د.ت).

العياشي ، أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٠م)

(٢٩٢) تفسير العياشي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، (المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، د.ت) .

العيني ، بدر الدين (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)

(٢٩٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

الغضائري ، أحمد بن الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الواسطي البغدادي (ت ق٥هـ/ ١١م)

(٢٩٤) الرجال المعروف بـ(رجال ابن الغضائري) ، تحقيق : السيد محمد رضا الجلالي ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)

(٢٩٥) معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (مكتبة الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) .

الفاضل الهندي ، بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (ت١١٣٧هـ/ ١٧٢٥م)

(٢٩٦) كشف اللثام عن قواعد الأحكام ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

الفتال النيسابوري ، محمد بن الفتال (ت٥٠٨هـ/ ١١١٣م)

(٢٩٧) روضة الواعظين ، تحقيق : السيد محمد مهدي والسيد حسن الخرسان ، (منشورات الشريف الرضي ، قم ، د.ت) .

فخار بن معد ، شمس الدين الموسوي (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

(٢٩٨) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ، تحقيق : السيد محمد بحر العلوم ، ط١ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

فرات الكوفي ، ابن إبراهيم (ت٣٥٢هـ/ ٩٦٢م)

(٢٩٩) تفسير فرات الكوفي ، تحقيق: محمد الكاظم ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والارشاد ، طهران ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الفراهيدي ، الخليل بن احمد (ت١٧٠هـ/ ٧٨٦م)

(٣٠٠) العين ، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، ط٢ ، (مطبعة الصدر ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)

(٣٠١) الأغاني ، تحقيق : عبد الكريم الغرباوي ، ط١ ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

(٣٠٢) مقاتل الطالبيين ، تحقيق : كاظم المظفر ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

الفيروزآبادي ، محب الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)

(٣٠٣) القاموس المحيط ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط٢ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

الفيض الكاشاني ، محمد محسن (ت١٠٩١هـ)

(٣٠٤) الأصول الأصيلة ، (مطبعة دانشكاه ، طهران ، د.ت).

(٣٠٥) التفسير الأصفى ، تحقيق : محمد حسين درايتي ، ومحمد رضا نعمتي ، ط١ ، (مطبعة

مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(٣٠٦) التفسير الصافي ، ط٢ ، (مطبعة مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) .

القاضي النعمان ، أبو حنيفة بن محمد بن منصور التميمي المغربي (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)

(٣٠٧) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت الرسول عليه أفضل السلام ، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي ، ط١ ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

(٣٠٨) شرح الأخبار ، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، د.ت) .

القاضي عياض ، أبو الفضل اليحصبي (ت٥٤٤هـ/ ١١٢٠م)

(٣٠٩) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ط١ ، (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

(٣١٠) تأويل مختلف الحديث ، تحقيق : إسماعيل الاسعردي ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت).

(٣١١) غريب الحديث ، تحقيق: عبد الله الجبوري ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(٣١٢) المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، (دار المعارف ، القاهرة ، د.ت).

قدامة بن جعفر ، أبو الفرج بن زياد (ت٣٣٧هـ/ ٩٤٩م)

(٣١٣) الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق: محمد حسين الزبيدي ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .

ابن قدامة ، عبد الله (ت٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م)

(٣١٤) كتاب التوابين ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، (مكتبة الشرق الجديد ، بغداد ، د.ت).

(٣١٥) المغني ، ط١ ، (دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت).

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)

(٣١٦) الجامع لأحكام القرآن ، ط٢ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
(٣١٧) مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج ، ط١ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
القمي ، أبو الحسن علي بن إبراهيم (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)
(٣١٨) تفسير القمي ، تحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري ، (مطبعة النجف ، النجف الأشرف ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٥م) .
القمي ، شاذان بن جبرئيل (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٠م)
(٣١٩) الفضائل ، ط١ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).
القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ت١٢٩٤هـ/ ١٨٨٢م)
(٣٢٠) ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني ، ط١ ، (دار الأسوة للطباعة والنشر ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).
القنوجي ، أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني (ت١٣٠٧هـ/ ١٨٩١م)
(٣٢١) فتح البيان في مقاصد القرآن ، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، ط١ ، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
ابن قولويه ، جعفر بن محمد (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٩م)
(٣٢٢) كامل الزيارات ، تحقيق: جواد القيومي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
القونوي ، قاسم بن عبد الله بن أمير بن علي (ت٩٧٨هـ/ ١٥٧١م)
(٣٢٣) أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء ، تحقيق: أحمد عبد الرزاق الكبيسي ، ط١ ، (دار الوفا ، جدة ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) .
ابن قيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ/ ١٣٤٩م)
(٣٢٤) الطب النبوي ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت).
الكاتب البغدادي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن أبي الثلج (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٢م)
(٣٢٥) تاريخ الأئمة (المجموعة) ، (مطبعة الصدر ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
الكاساني ، أبو بكر علاء الدين بن مسعود الحنفي (ت٥٨٧هـ/ ١١٩٠م)

(٣٢٦) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط١ ، (المكتبة الحبيبية، باكستان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)

(٣٢٧) البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

(٣٢٨) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ط٢ ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

(٣٢٩) السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، (دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧١م).

الكحلاني ، محمد بن إسماعيل (ت١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)

(٣٣٠) سبل السلام ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي ، ط٤ ، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).

الكراجكي ، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (ت٤٤٩هـ/ ١٠٥٦م)

(٣٣١) التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة ، تحقيق: فارس حسون كريم ، (د.م ، د.ت).

(٣٣٢) كنز الفوائد ، ط٢ ، (مكتبة المصطفوي ، قم ، د.ت).

(٣٣٣) معدن الجوهر ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، ط٢ ، (مطبعة مهراستوار ، قم ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

الكرباسي ، محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني (ت١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م)

(٣٣٤) إكليل المنهج في تحقيق المطلب ، تحقيق: جعفر الحسيني الاشكوري ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) .

ابن الكلبي ، هشام بن محمد السائب (ت٢٠٦هـ/ ٨١٩م)

(٣٣٥) جمهرة النسب ، تحقيق: ناجي حسن ، ط١ ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت٣٢٩هـ/ ٩٤١م)

(٣٣٦) الكافي ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، ط٣ ، (مطبعة حيدري ، طهران ، ١٣٨٨هـ/

١٩٧٨م).

الكوفي ، أبو محمد الحسين بن سعيد الاهوازي (ت ق٣هـ/ ٩م)

(٣٣٧) كتاب الزهد ، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان ، ط١ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

الكوفي ، محمد بن سليمان (كان حياً ق٤هـ/ ١٠م)

(٣٣٨) مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: محمد باقر المحمودي ، ط١ ، (مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ،

ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد ين يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)

(٣٣٩) سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت).

الماحوزي ، سليمان بن عبد الله البحراني (ت١١٢١هـ/ ١٧١٠م)

(٣٤٠) كتاب الأربعين حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: السيد مهدي رجائي ، ط١ ، (مطبعة أمير ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

المازندراني ، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)

(٣٤١) شرح أصول الكافي ، تحقيق : السيد علي عاشور ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

ابن ماكولا ، علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت٤٧٥هـ/ ١٠٨٣م)

(٣٤٢) إكمال الكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمخالف في الاسماء والكنى ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

مالك ، ابن أنس الاصبحي (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م)

(٣٤٣) المدونة الكبرى ، ط١ ، (مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٣م) .

المالكي ، أبو الحسين ورام بن أبي فراس الاشتري (ت٦٠٥هـ/ ١٢١٤م)

(٣٤٤) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، ط١ ، (دار صعب ودار التعارف ، بيروت ، د.ت).

المتقي الهندي ، علاء الدين علي بن حسام (ت٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م)

(٣٤٥) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، تحقيق : الشيخ بكري حياني ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٧٠٠م)

(٣٤٦) بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، والسيد محمد الباقر البهبوتي ، ط٢ ، (مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

محب الدين الطبري ، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)

(٣٤٧) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، (مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٥م).

محمد المشهدي ، ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي (ت١١٢٥هـ/ ١٧١٤م)

(٣٤٨) تفسير كنز الدقائق ، تحقيق: آقا مجتبى العراقي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

المدني ، السيد علي خان (ت١١٢٠هـ/ ١٧٠٩م)

(٣٤٩) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم ، (منشورات مكتب بصيرتي ، قم ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

المرزوي ، نعيم بن حماد (ت٢٨٨هـ/ ٩٠١م)

(٣٥٠) الفتن ، تحقيق: سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

المزي ، أبو الحجاج جمال الدين يوسف (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

(٣٥١) تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط١ ، (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .

المسعودي ، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٦م)

(٣٥٢) التنبيه والإشراف ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

(٣٥٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

مسلم ، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م)

(٣٥٤) صحيح مسلم ، (دار الفكر ، بيروت ، د.ت).

المطهر الحلي ، علي بن يوسف (ت ق ٨هـ/ ١٤م)

(٣٥٥) العدد القوية لدفع المخاوف اليومية ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، (مطبعة

سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ابن معين ، يحيى الدوري (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٨م)

(٣٥٦) تاريخ ابن معين ، تحقيق: عبد الله أحمد حسن ، (دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت) .

المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان بن المعلم العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)

(٣٥٧) الارشاد إلى أئمة العباد ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٣٥٨) الافصاح ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

(٣٥٩) أوائل المقالات ، تحقيق: إبراهيم الأنصاري ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٣٦٠) إيمان أبي طالب ، تحقيق: مؤسسة البعثة ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٣٦١) تصحيح اعتقادات الامامية ، تحقيق: حسين دركاهي ، ط٢ ، (دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

(٣٦٢) المسائل الحاجبية ، تحقيق: ماكدرمت اليسوعي .

(٣٦٣) المقنعة ، ط٢ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

المقريزي ، تقي الدين أبو محمد بن علي بن إبراهيم بن تميم (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)

(٣٦٤) امتاع الاسماع بما للنبي (صلى الله عليه وآله) من الأحول والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق: محمد عبد المجيد النميسي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

(٣٦٥) النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، (المطبعة الابراهيمية ، القاهرة ، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) .

ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

(٣٦٦) لسان العرب ، (مطبعة الحوزة ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

المناوي ، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١هـ/ ١٤٤١م)

(٣٦٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، تحقيق: أحمد عبد السلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

المنهاجي الاسيوطي ، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ق٩هـ/ ١٥م)

(٣٦٨) جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود ، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

مؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري

(٣٦٩) أخبار الدول العباسية ، تحقيق: عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت).

ناصر خسرو ، أبو معين الدين المرزوي (ت٤٨١هـ١٠٨٩م)

(٣٧٠) سفرنامة ، تحقيق : يحيى الخشاب ، ط٣ ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

النجاشي ، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الاسدي الكوفي (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)

(٣٧١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة المشهور برجال النجاشي ، تحقيق: موسى الشيري الزنجاني ، ط٥ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م) .

ابن نجيم ، زين الدين بن إبراهيم بن محمد المصري (ت٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م)

(٣٧٢) البحر الرائق ، ط١ ، (منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب بن اسحاق (ت٣٨٠هـ/ ٩٩١م)

(٣٧٣) الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين واسماء كتبهم ، تحقيق : رضا تجدد ، (مطبعة فلوجل ، القاهرة ، د.ت).

النراقي ، أحمد بن محمد بن مهدي (ت١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م)

(٣٧٤) عوائد الأيام في بيان قواعد الأحكام ومهمات مسائل الحلال والحرام ، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، ط١، (مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي،قم،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٣٧٥) مستند الشيعة في أحكام الشريعة ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ،

(مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـ/ ٩٠٥م)

(٣٧٦) خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) ، تحقيق: محمد هادي الأميني ، (مكتبة نينوى الحديثة ، طهران ، د.ت) .

(٣٧٧) سنن النسائي ، ط١ ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م).

النسائي ، زهير بن حرب (ت٢٣٤هـ/ ٨٤٨م)

(٣٧٨) كتاب العلم ، (إصدار مصادر الحديث السنية ، د.ت).

ابن نصر ، أبو محمد عبد بن حميد (ت٢٤٩هـ/ ٨٦٢م)

(٣٧٩) المنتخب من مسند عبد حميد ، تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي ، ط١ ، (مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

النعماني ، محمد بن إبراهيم (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)

(٣٨٠) كتاب الغيبة ، تحقيق: فارس حسون كريم،ط١ ، (مطبعة مهر، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

أبو نعيم الاصبهاني ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٦م)

(٣٨١) أمالي الحافظ الاصبهاني ، تحقيق: ساعد عمر غازي ، ط١ ، (دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

(٣٨٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

(٣٨٣) ذكر أخبار أصبهان ، (مطبعة بريل ، ليدن المحروسة ، ١٩٣٤م).

النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ/ ١٢٦٦م)

(٣٨٤) رياض الصالحين ، ط٢ ، (دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

(٣٨٥) شرح صحيح مسلم ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) .

(٣٨٦) المجموع شرح المهذب ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت).

النووي ، محي الدين (ت٦٧٦هـ/)

(٣٨٧) المجموع شرح المهذب ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت).

النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩٣م)

(٣٨٨) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: مفيد محمد قميحة وحسن نور الدين ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

الهروي ، أبو اسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري (ت٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)

(٣٨٩) ذم الكلام وأهله ، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، ط١ ، (مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

ابن هشام ، عبد الملك الحميري (ت٢١٨هـ/ ٨٣٣م)

(٣٩٠) السيرة النبوية ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

ابن هشام الأنصاري ، أبو محمد عبد الله جمال بن يوسف المصري (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)

(٣٩١) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، ط١ ، (مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

أبو هلال العسكري ، الحسين بن عبد بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت٣٢٥هـ/ ١٠٠٥م)

(٣٩٢) الأوائل ، تحقيق : محمد السيد الوكيل ، ط٢ ، (مؤسسة الإسراء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

الهلالي ، سليم بن قيس (ت ق١هـ/ ٧م)

(٣٩٣) كتاب سليم بن قيس ، تحقيق: محمد باقر الأنصاري .

الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ/ ١٣٠٨م)

(٣٩٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(٣٩٥) مورد الظمآن ، تحقيق : حسين سليم اسد الداراني وعبد علي الكوشك ، ط٢ ، (دار الثقافة العربية ، بيروت ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

الواحدي النيسابوري ، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م)

(٣٩٦) أسباب نزول الآيات ، ط١ ، (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

الواسطي ، علي بن محمد الليثي (ت ق٦هـ/ ١٢م)

(٣٩٧) عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي ، ط١ ، (مطبعة دار

الحديث ، قم ، د.ت).

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)

(٣٩٨) فتوح الشام ، (دار الجبل ، بيروت ، دت) .

(٣٩٩) المغازي ، تحقيق: مارسيدن جونس ، ط٣ ، (عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ/ ٩١٥م)

(٤٠٠) أخبار القضاة ، (عالم الكتب ، بيروت ، د.ت).

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٣٨م)

(٤٠١) معجم البلدان ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)

(٤٠٢) تاريخ اليعقوبي ، (دار صادر ، بيروت ، د.ت) .

أبو يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (ت٣٠٧هـ/ ٩١٨م)

(٤٠٣) مسند أبو يعلى ، تحقيق: حسين سليم أسد ، (دار المأمون للتراث ، دمشق ، د.ت) .

ثانياً: المراجع الحديثة :

الابطحي ، محمد علي

(٤٠٤) تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي ، ط١ ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

أحمد ، علي إبراهيم

(٤٠٥) الموارد المالية في الإسلام،ط١ ، (دار الاتحاد العربي للطباعة،القاهرة،١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

الأحمدي ، الميانجي

(٤٠٦) مكاتيب الرسول ، ط١ ، (دار الحديث ، قم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

الاصفهاني ، محمد باقر الشريعتي

(٤٠٧) البيان في عقائد أهل الإيمان ، (مطبعة مهر ، قم ، د.ت).

الالباني ، محمد ناصر الدين

(٤٠٨) إرواء الغليل ، تحقيق: زهير الشاويس ، ط٢ ، (مطبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

(٤٠٩) تمام المنة في التعليق على فقه أهل السنة ، ط٢ ، (دار الراية للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

أمين ، أحمد

(٤١٠) ضحى الإسلام ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري ، بيروت ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

(٤١١) فجر الإسلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٤م) .

الأمين ، حسين

(٤١٢) المضاربة الشرعية وتطبيقاتها الحديثة ، ط٣ ، (مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الأمين ، السيد محسن

(٤١٣) أعيان الشيعة ، تحقيق : حسن الأمين ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت) .

الأميني ، عبد الحسين أحمد النجفي

(٤١٤) الغدير في الكتاب والسنة ، الوضاعون وأحاديثهم ، ط٤ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

الأنصاري ، التبريزي

(٤١٥) اللمعة البيضاء ، تحقيق : السيد هاشم الميلاني ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

أيوب ، سعيد

(٤١٦) معالم الفتن ، ط١ ، (مطبعة سهر ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

بارتولد

(٤١٧) تاريخ الحضارة الإسلامية ، تعريب: حمزة طاهر ، (مطبعة المعارف ، القاهرة ، د.ت).

البدري ، السيد سامي

(٤١٨) شبهات وردود ، ط٢ ، (مطبعة صدر ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) .

(٤١٩) المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ط٢ ، (مطبعة برهان ، بغداد ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

البروجردي ، السيد حسين الطباطبائي

(٤٢٠) جامع أحاديث الشيعة ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٤٢١) طرائف المقال ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، ط١ ، (مطبعة بهمن ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

بروكلمان ، كارل

(٤٢٢) تاريخ الأدب العربي ، ترجمة: عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب ، ط٥ ، (دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٧ه/ ١٩٧٧م).

البغدادي ، إسماعيل باشا

(٤٢٣) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق: رفعت بيلكه الكيسي ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

البكري الدمياطي ، أبو بكر محمد شطا

(٤٢٤) إعانة الطالبين، ط١، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

البلداوي ، وسام بوهالة

(٤٢٥) فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين ، ط١ ، (العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن

(٤٢٦) مع المصطفى ، ط١ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

البياتي ، جعفر

(٤٢٧) الأخلاق الحسينية ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .

التستري ، الشيخ محمد تقي

(٤٢٨) قاموس الرجال ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) .

التفتازاني ، أبو الوفا الغنيمي

(٤٢٩) علم الكلام وبعض مشكلاته، ط١ ، (مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

التيجاني ، محمد

(٤٣٠) ثم اهتديت ، (مؤسسة الفجر ، بيروت ، د.ت) .

(٤٣١) الشيعة هم أهل السنة ، ط١ ، (مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر ، قم ، د.ت) .

الجزائري ، محسن

(٤٣٢) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ، ط٥ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

جعفريان ، رسول

(٤٣٣) الحياة الفكرية والسياسية لائمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، (منشورات دار الحق ، بيروت ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

(٤٣٤) المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة ، إبان بن عثمان الأحمر ، ط١ ، (مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

جعيط ، هشام

(٤٣٥) في السيرة النبوية الوحي والقرآن والنبوة ، ط١ ، (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

الجلالي ، السيد محمد رضا

(٤٣٦) تدوين السنة الشريفة ، ط٢ ، (مطبعة مكتبة الاعلام الإسلامي ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

الجندي ، المستشار عبد الحليم

(٤٣٧) الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) ، تحقيق: محمد توفيق عويضة ، (مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

جواد علي

(٤٣٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت).

الجواهري ، محمد

(٤٣٩) المفيد من معجم رجال الحديث ، ط٢ ، (المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

الحائري ، محمد مهدي

(٤٤٠) شجرة طوبى ، ط٥ ، (منشورات المكتبة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)

حامد التقوي

(٤٤١) خلاصة عبقات الأنوار ، (مطبعة سيد الشهداء ، قم ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

أبو حبيب ، سعدي

(٤٤٢) القاموس الفقهي ، ط٢ ، (دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

حجازي ، سيد مهدي

(٤٤٣) درر الأخبار من بحار الأنوار ، ترجمة: محمد عيدي خسرو وحاج سيد علي رضا حجازي ، ط١ ، (مطبعة المهدي ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

الحسني ، هاشم معروف

(٤٤٤) دراسات في الحديث والمحدثين،ط١،(دار التعارف للمطبوعات،بيروت،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

(٤٤٥) سيرة المصطفى، (نظرة جديدة)، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

(٤٤٦) الموضوعات في الآثار والأخبار عرض ودراسة ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

الحسيني ، السيد نبيل

(٤٤٧) الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد ، دراسة في نشأة علم السيرة النبوية وتطوره خلال القرنين الأول والثاني للهجرة ، ط١ ، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

الحكيم ، حسن عيسى

(٤٤٨) الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في ضوء رواياته التاريخية وخططه البلدانية ، ط٢ ، (مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

(٤٤٩) مذاهب الإسلاميين في علوم الحديث ، ط١ ، (مطبعة لسان الصدق ، قم ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م).

الحلو ، السيد محمد علي

(٤٥٠) تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة ، ط١ ، (مطبعة ستاره ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م) .

حميد الله ، محمد

(٤٥١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ط٥ ، (دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

الحميدي ، عبد العزيز عبد الله

(٤٥٢) التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، ط١ ، (دار الدعوة – دار الأندلس الخضراء ، الاسكندرية – جدة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

حيدر ، أسد

(٤٥٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت).

خضر ، محمد نبها

(٤٥٤) أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) المشتركة بين الشيعة والسنة ، ط١ ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

الخطيب ، محمد عجاج

(٤٥٥) السنة قبل التدوين ، ط١ ، (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

خليفات ، مروان

(٤٥٦) وركبت السفينة ، (مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، قم ، د.ت).

الخنيزي ، عبد الله

(٤٥٧) أبو طالب مؤمن قريش (دراسة وتحليل) ، ط٤ ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

الخوئي ، أبو القاسم

(٤٥٨) معجم رجال الحديث ، ط٥ ، (المطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

الدوري ، عبد العزيز

(٤٥٩) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، ط١ ، (مركز دراسات الوحدة العربية ،

بيروت ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

الذهبي ، محمد حسين

(٤٦٠) الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ط٤ ، (مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

الراضي ، حسين

(٤٦١) سبيل النجاة في تتمة المراجعات ، تحقيق: حسين الراضي ، ط٢ ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت) .

الرجا ، السيد حسين

(٤٦٢) دفاع من وحي الشريعة ، ط١ ، (مؤسسة الإمامة للتحقيق والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الرصافي ، معروف

(٤٦٣) كتاب الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس ، ط١ ، (منشورات دار الجمل ، ألمانيا ، ٢٠٠٢م).

رضا مؤدب

(٤٦٤) تاريخ الحديث ، تعريب : سيد عبد الكريم حيدري ، ط١ ، (مطبعة أميران ، قم ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م).

الرفاعي ، طالب الحسيني

(٤٦٥) عقيدة أبي طالب ، ط١ ، (دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

أبو رية ، محمود

(٤٦٦) أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث، ط٦ ، (دار المعارف،القاهرة ، د.ت).

(٤٦٧) شيخ المضيرة أبو هريرة ، (مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، د.ت).

الريشهري ، محمد

(٤٦٨) أهل البيت في الكتاب والسنة ، تحقيق : دار الحديث ، ط٢ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت).

(٤٦٩) الحج والعمرة في الكتاب والسنة ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت).

(٤٧٠) العلم والحكمة في الكتاب والسنة ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث الثقافية ، قم ،

د.ت).

(٤٧١) ميزان الحكمة ، تحقيق: دار الحديث ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت).

الزركلي ، خير الدين

(٤٧٢) الإعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط٥ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

زرندي ، السير مير محمدي

(٤٧٣) بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

أبو زهرة ، محمد

(٤٧٤) الإمام الصادق – حياته وعصره – آرائه وفقهه ، ط١ ، (مطبعة أحمد علي مخيمر ، القاهرة ، د.ت) .

زيدان ، جرجي

(٤٧٥) تاريخ آداب اللغة العربية ، تحقيق : شوقي ضيف ، (مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) .

الساعدي ، حسين

(٤٧٦) المعلى بن خنيس ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

السامرائي ، عبد الله سلوم

(٤٧٧) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، ط٢ ، (الدار العربية ، بغداد ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

السباعي ، مصطفى

(٤٧٨) السيرة النبوية دروس وعبر ، ط٢ ، (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

السبحاني ، جعفر

(٤٧٩) أضواء على عقائد الامامية،ط١ ، (مؤسسة الإمام الصادق(عليه السلام)، قم، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

(٤٨٠) تذكرة الفقهاء ، ط١ ، (مكتبة التوحيد ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م) .

(٤٨١) الزكاة في الشريعة الإسلامية الغراء ، ط١ ، (مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، قم ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

(٤٨٢) سيد المرسلين دراسة تحليلية للشخصية والسيرة المحمدية في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية ، ط٤ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) .

(٤٨٣) كليات في علم الرجال، ط٣ ، (مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) .

السبيتي ، السيد عبد الله

(٤٨٤) المباهلة، تحقيق:صدر الدين شرف الدين الموسوي، ط١، (مطبعة النجاح،طهران، د.ت).

سركيس ، أليان

(٤٨٥) معجم المطبوعات العربية ، (مطبعة بهمن ، قم ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

السيد سابق

(٤٨٦) فقه السنة ، ط٣ ، (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

الشابندر ، غالب حسن

(٤٨٧) ليس من سيرة الرسول ، ط١ ، (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

شاكر ، عبد الصمد

(٤٨٨) نظرة عابرة إلى الصحاح الستة ، ط١ ، (مطبعة شريعت ، قم ، د.ت)

الشاكري ، حسين

(٤٨٩) أم المؤمنين خديجة الطاهرة (عليها السلام) ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠م).

(٤٩٠) تدوين الحديث وتاريخ الفقه ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م) .

(٤٩١) شيخ البطحاء ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت).

(٤٩٢) موسوعة المصطفى والعترة الطاهرة (عليهم السلام) ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

(٤٩٣) نشوء المذهب والفرق الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٤٩٤) هاشم وعبد شمس ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت).

الشاهرودي ، علي النمازي

(٤٩٥) مستدرك سفينة البحار ، تحقيق: السيد حسن علي النمازي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

(٤٩٦) مستدركات علم رجال الحديث ، ط١ ، (مطبعة حيدري ، طهران ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

الشبستري ، عبد الحسين

(٤٩٧) الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

شحرور ، محمد

(٤٩٨) القصص القرآني قراءة معاصرة ، ط١ ، (مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م).

الشربيني ، عماد السيد

(٤٩٩) رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء الكتاب والسنة ، تحقيق: عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ، ط١ ، (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

شرف الدين ، عبد الحسين الموسوي

(٥٠٠) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة ، تحقيق: محمود بدري ، ط١ ، (مطبعة عترت ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) .

(٥٠١) المراجعات ، تحقيق: حسين الراضي ، ط٢ ، (بيروت ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

الشرهاني ، حسين علي

(٥٠٢) أضواء على السيرة النبوية دراسة في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع السيدة خديجة (عليها السلام) ، ط١ ، (دمشق ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م).

الشلبي ، أحمد

(٥٠٣) مقارنة الأديان – الإسلام – ط٤ ، (مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

شمس الدين ، محمد مهدي

(٥٠٤) حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ، ط٤ ، (المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

الشنقيطي ، محمد الأمين محمد المختار

(٥٠٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تحقيق : مركز البحوث والدراسات ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .

أبو شهبة ، محمد بن محمد

(٥٠٦) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، ط٤ ، (مكتبة السنة ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الشهرستاني ، السيد علي

(٥٠٧) وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

الشيرازي ، ناصر مكارم

(٥٠٨) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، د.ت).

(٥٠٩) القواعد الفقهية ، ط٣ ، (مطبعة مدرسة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قم ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

الصافي ، لطف الله

(٥١٠) رسالتان حول العصمة ، تحقيق: لجنة التحقيق في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) ، (منشورات دار القرآن ، قم ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

صالح ، محمد أديب

(٥١١) لمحات من أصول الحديث والبلاغة النبوية ، (الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، د.ت) .

الصدر ، السيد حسن هادي الكاظمي

(٥١٢) الشيعة وفنون الإسلام ، (إصدارات العقائد عند الشيعة الامامية) .

(٥١٣) نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة الوجيزة للبهائي ، تحقيق: ماجد الغرباوي ، (مطبعة اعتماد ، قم ، د.ت).

الصدر ، رضا

(٥١٤) محمد (صلى الله عليه وآله) في القرآن ، ط٢ ، (مطبعة قدس ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الصدر ، محمد باقر
(٥١٥) فلسفتنا ، ط٣ ، (مطبعة الأمير ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
ضيف ، شوقي
(٥١٦) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني ، ط٢ ، (مطبعة سليمان زادة ، قم ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) .
الطائي ، صالح
(٥١٧) جزئيات في السيرة النبوية عرض وتحليل ، ط١ ، (مطبعة المتنبي ، بغداد ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).
الطائي ، نجاح
(٥١٨) أزواج النبي وبناته ، ط١ ، (دار الهدى لإحياء التراث ، بيروت ، د.ت).
(٥١٩) يهود بثوب الإسلام ، ط١ ، (دار الهدى لإحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).
الطباطبائي ، محمد حسين
(٥٢٠) سنن النبي (صلى الله عليه وآله) ، تحقيق: الشيخ محمد هادي الفقهي ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
(٥٢١) الميزان في تفسير القرآن ، (منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم ، د.ت) .
الطهراني ، آقا بزرك
(٥٢٢) حصر الاجتهاد ، تحقيق: محمد علي الأنصاري ، (مطبعة الخيام ، قم ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) .
(٥٢٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط٢ ، (دار الأضواء ، بيروت ، د.ت).
العاملي ، الشيخ أمين ترمس
(٥٢٤) ثلاثيات الكليني ، تحقيق: السيد أحمد المردي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
العاملي ، جعفر مرتضى
(٥٢٥) بنات النبي أم ربائبه ، ط١ ، (مركز الجواد للصف والطباعة والنشر ، قم ،

١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

(٥٢٦) الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام) ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

(٥٢٧) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، ط٤ ، (دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

(٥٢٨) كتاب مأساة الزهراء (عليها السلام) ، ط٥ ، (دار السيرة ، بيروت ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

عبد الباقي ، محمد فؤاد

(٥٢٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط٤ ، (مطبعة نويد إسلام ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

عبد الكريم ، خليل

(٥٣٠) الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية ، (سينا للنشر ، القاهرة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

العراقي ، آقا مجتبى

(٥٣١) أهمية الحديث عند الشيعة ، ط١ ، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

العروي ، عبد الله

(٥٣٢) مفهوم التاريخ ، ط٤ ، (المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

العسكري ، مرتضى

(٥٣٣) أحاديث أم المؤمنين عائشة ، ط١ ، (المجمع العلمي الإسلامي ، مطبعة النهضة ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٥٣٤) معالم المدرستين ، (مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

العسكري ، نجم الدين

(٥٣٥) أبو طالب حامي الرسول وناصره ، (مطبعة الآداب ، النجف ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

(٥٣٦) حديث الثقلين ، ط٤ ، (مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ، د.ت).

العظيم آبادي ، أبو الطيب محمد شمس الدين

(٥٣٧) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط٢ ، (دار الكتب العلمية، بيروت،

١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

العلي ، صالح أحمد

(٥٣٨) دولة الرسول في المدينة دراسة في تكوينها وتنظيمها ، ط٢ ، (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م).

العمري ، أكرم ضياء

(٥٣٩) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، ط٦ ، (مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

الغضبان ، منير محمد

(٥٤٠) المنهج الحركي للسيرة النبوية ، (مكتبة المنار ، عمان ، د.ت).

الغفار ، الشيخ عبد الرسول

(٥٤١) الكليني والكافي ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

غفاري ، علي أكبر

(٥٤٢) دراسات في علم الدراية ، ط١ ، (مطبعة تابش ، طهران ، د.ت).

غلامي ، حسين غيب

(٥٤٣) محو السنة أو تدوينها ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

فتح الله ، أحمد

(٥٤٤) معجم ألفاظ الفقه الجعفري ، ط١ ، (مطبعة المدوخل ، الدمام ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)

.

الفضلي ، عبد الهادي

(٥٤٥) أصول الحديث ، ط٣ ، (مؤسسة ام القرى للتحقيق والنشر ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

القاسم ، أسعد وحيد

(٥٤٦) أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة ، (الغدير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .

(٥٤٧) حقيقة الشيعة الاثني عشرية ، ط١ ، (مطبعة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

القرشي ، باقر شريف

(٥٤٨) النظام السياسي في الإسلام ، ط٢ ، (دار التعارف ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

ابن قرناس

(٥٤٩) سنة الأولين : تحليل مواقف الناس من الدين ، ط٢ ، (منشورات الجمل ، العراق – ألمانيا ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م).

قلعجي ، محمد

(٥٥٠) معجم لغة الفقهاء ، ط٢ ، (دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

القمي ، الشيخ عباس

(٥٥١) الأنوار البهية ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

(٥٥٢) الكنى والألقاب ، (مكتبة الصدر ، طهران ، د.ت) .

القمني ، سيد محمود

(٥٥٣) حروب دولة الرسول(صلى الله عليه وآله) ، ط٢ ، (مطبعة مدبولي الصغير، القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

كبرييلي ، فرانشيسكو

(٥٥٤) محمد والفتوحات الإسلامية ، ترجمة وتعليق : عبد الجبار ناجي ، ط١ ، (منشورات الجمل ، بغداد ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م).

كحالة ، عمر

(٥٥٥) معجم قبائل العرب ، ط٢ ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

(٥٥٦) معجم المؤلفين ، (مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت).

الكردي ، محمد طاهر

(٥٥٧) تاريخ القرآن الكريم ، ط١ ، (مطبعة الفتح ، جدة ، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

كريمي ، حسين

(٥٥٨) قاعدة القرعة ، تحقيق: مركز فقه الأئمة الأطهار عليهم السلام ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

الكلباسي ، أبو الهدى

(٥٥٩) الرسائل الرجالية ، تحقيق: محمد حسين الدرايتي ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

(٥٦٠) سماء المقال في علم الرجال ، تحقيق : محمد الحسيني القزويني ، ط١ ، (مؤسسة ولي العصر (عليه السلام) للدراسات الإسلامية ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) .

الكهنوي ، حامد حسين

(٥٦١) خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ، (مطبعة خيام ، طهران ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

الكوراني ، الشيخ علي

(٥٦٢) ألف سؤال وإشكال ، ط١ ، (دار الهدى ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) .

(٥٦٣) تدوين القرآن ، ط١ ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٥٦٤) جواهر التاريخ ، ط١ ، (مطبعة شريعت ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

(٥٦٥) السيرة النبوية برواية أهل البيت (عليهم السلام)، (دار المرتضى، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

(٥٦٦) فلسفة الصلاة ، ط٦ ، (دار الزهراء ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

لاوند ، رمضان

(٥٦٧) الإمام الصادق (عليه السلام) علم وعقيدة ، (دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت).

المالكي ، محمد بن علوي

(٥٦٨) مناقب خديجة الكبرى ، (مطبعة ستارة ، قم ، د.ت).

المباركفوري ، أبي العلاء محمد عبد الرحمن أبي عبد الرحيم

(٥٦٩) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

مجموعة مؤلفين

(٥٧٠) العقائد الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

مجموعة مؤلفين

(٥٧١) محطات من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، (مركز نون للتأليف والترجمة ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

مجموعة محدثين

(٥٧٢) كتاب الأصول الستة عشر من الأصول الأولية ، تحقيق: ضياء الدين المحمودي ونعمة الله الجليلي ومهدي غلام علي ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

محمد ، أويس كريم

(٥٧٣) المعجم الموضوعي لنهج البلاغة ، ط١ ، (مؤسسة الطبع والنشر في الاستانة الرضوية ، مشهد ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

محمد رضا

(٥٧٤) محمد (صلى الله عليه وآله) ، ط١ ، (شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م).

محمد عبده

(٥٧٥) نهج البلاغة (خطب الإمام علي (عليه السلام)) ، ط١ ، (مطبعة النهضة ، قم ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

المحمداوي ، علي صالح رسن

(٥٧٦) أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية ، ط١ ، (دار ومكتبة البصائر ، بيروت ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م).

محمديان ، محمد

(٥٧٧) حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) عن لسانه ، ط١ ، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

المحملي ، محمد كامل حسن

(٥٧٨) أبو طالب عم الرسول ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، د.ت).

المرعشي ، نور الله الحسيني التستري

(٥٧٩) شرح إحقاق الحق ، تحقيق : السيد محمود المرعشي ، ط١ ، (مطبعة حافظ ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

المسعودي ، الشيخ محمد فاضل

(٥٨٠) الأسرار الفاطمية ، تحقيق: السيد عادل العلوي ، ط٢ ، (مطبعة أمير ، قم ،

١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

مسلم ، مصطفى

(٥٨١) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود ، ط٢ ، (دار القلم ، دمشق ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

المظفر ، محمد رضا

(٥٨٢) عقائد الامامية ، تحقيق: حامد حفني داود ، (مطبعة بهمن ، قم ، د.ت).

معرفة ، محمد هادي

(٥٨٣) التمهيد في علوم القرآن ، ط٣ ، (مطبعة ستارة ، قم ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

مغنية ، محمد جواد

(٥٨٤) الشيعة في الميزان ، ط٤ ، (دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

.

(٥٨٥) فقه الإمام جعفر الصادق ، ط٣ ، (مطبعة نكين ، قم ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

الملاح ، هاشم يحيى

(٥٨٦) الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م).

المناوي ، محمد عبد الرؤوف

(٥٨٧) فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، تحقيق : احمد عبد السلام ، ط١ ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

المنتظري

(٥٨٨) دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ط١ ، (مكتب الإعلام الإسلامي ، قم ، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م).

مهران ، محمد بيومي

(٥٨٩) الإمامة وأهل البيت ، ط٢ ، (مطبعة نهضت ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

موريس بوكاي

(٥٩٠) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ترجمة : حسن خالد ، ط١ ، (القاهرة ، ١٩٩٦م).

الميلاني ، السيد علي الحسيني

(٥٩١) حديث الثقلين ، ط١ ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

(٥٩٢) محاضرات في الاعتقادات ، ط١ ، (مركز الأبحاث العقائدية ، قم ، ١٤٢١هـ/ ١٩٨١م).

(٥٩٣) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ، ط١ ، (مطبعة مهر ، قم ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

ناجي ، عبد الجبار

(٥٩٤) التشيع والاستشراق عرض نقدي مقابل لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية ، ط١ ، (منشورات الجمل ، بغداد – بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م).

(٥٩٥) نقد الرواية التاريخية عصر الرسالة انموذجاً ، ط١ ، (منشورات دار الجمل ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م).

النجمي ، محمد صادق

(٥٩٦) أضواء على الصحيحين ، ترجمة: يحيى كمال البحراني ، ط١ ، (مطبعة باسدار إسلام ، قم ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

نصار ، عمار عبودي محمد حسين

(٥٩٧) تطور كتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي ، ط١ ، (دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

نكلسن ، رينولد أ.

(٥٩٨) تاريخ الأدب العباسي ، تعريب : صفاء خلوصي ، (المكتبة الأهلية ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

النوري ، حسين النوري الطبرسي

(٥٩٩) مستدرك الوسائل ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط٢ ، (دار الكتب لإحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

الهمداني ، أحمد الرحماني

(٦٠٠) الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)،ط١، (المنير للطباعة والنشر، طهران، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

الورداني ، صالح

(٦٠١) دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، ط١ ، (مطبعة ستارة، قم ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م).

الوشنوي ، محمد قوام

(٦٠٢) حياة النبي (ﷺ) وسيرته ، ط٢ ، (دار الاسوة للطباعة والنشر ، قم ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

ولفنستون ، إسرائيل

(٦٠٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ط١ ، (مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٧م).

يعقوب ، أحمد حسين

(٦٠٤) أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها ؟ ، ط١ ، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

(٦٠٥) نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام رأي الشيعة – رأي السنة ، (مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ، قم ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

ثالثاً : الرسائل والاطاريح الجامعية :

بطيخ ، ياسر موسى

(٦٠٦) مرويات الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) في الكتب التسعة وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الصغير ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، مصر ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

الجبر ، مخلد ذياب فيصل

(٦٠٧) روايات أهل الكتاب للسيرة النبوية حتى عهد البعثة ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة البصرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

الجنابي ، ستار جبار شكر محمود

(٦٠٨) أساليب المنافقين في محاربة المسلمين في القرآن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الإمام الأعظم/ قسم أصول الدين ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

الحسيناوي ، عدنان مالح ساجت

(٦٠٩) صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تاريخية تحليلية ، أطروحة

دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م .

الحلفي ، صبيح نوري خلف

(٦١٠) نساء البيت الأموي ودورهن في الحياة الاجتماعية والسياسية حتى نهاية العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

الساعدي ، إيمان حسن مجيسر

(٦١١) والدا النبي (صلى الله عليه وآله) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

صادق ، سهاد محمد باقر

(٦١٢) الموضوعات من أخبار السيرة النبوية في الصحاح الستة دراسة تاريخية مقارنة ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للاختصاصات الإنسانية ، جامعة كربلاء ، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م .

الطائي ، محمد عبيس حميد

(٦١٣) الإمام الباقر ومروياته التاريخية ٥٦-١١٤هـ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م

العقيلي ، ثائر هادي رسن

(٦١٤) شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) في القرآن الكريم - دراسة قرآنية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

العميري ، كريم مظهر طربوش

(٦١٥) الإسرائيليات في التاريخ الإسلامي ، دلالتها ، وأصولها ، وآثارها العقائدية ، والسياسية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

العواد ، انتصار عدنان عبد الواحد

(٦١٦) النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في رؤية أمير المؤمنين (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م .

العيدان ، سارة عبد الحسين طه

(٦١٧) نساء البيت العباسي وأثرهن في الحياة السياسية والإدارية (١٣٢-٣٤٣هـ/ ٧٤٩-

٩٤٥م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

الفارس ، محمد خضير

(٦١٨) عروة بن الزبير دراسة في سيرته ومروياته التاريخية من السيرة النبوية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

فخر الدين ، محمد جواد نور الدين عبد الزهرة

(٦١٩) موقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من الغلو والفرق الغالية حتى وفاة الإمام الصادق (عليه السلام) ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

الكبيسي ، فرات حمدان

(٦٢٠) وحدات الوزن والكيل والطول والمساحة في الحجاز والعراق وبلاد الشام حتى نهاية العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية التربية – ابن رشد، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الكليدار ، حيدر محمد حسن عباس

(٦٢١) الإمام الصادق ودوره في المعرفة التاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

اللامي ، علاء حسن مردان

(٦٢٢) السيرة النبوية دراسة في الرواية البصرية حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

المياحي ، شكري ناصر عبد الحسن

(٦٢٣) الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

الميراني ، فلاح فقه يوسف

(٦٢٤) أثر روايات القصّاص والإخباريين في تأليف كتاب السير والمغازي لمحمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ/ ٧٦٨م ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

ابن الهادي ، لطيفة بنت إبراهيم بن القاسم

(٦٢٥) مرويات الإمام جعفر بن محمد الصادق في السنة النبوية وأحوال الرواة عنه ونماذج مما نُسب إليه ، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

رابعاً : البحوث المنشورة :

الحسيني ، محمد رضا

(٦٢٦) المصطلح الرجالي ، بحث منشور في مجلة تراثنا الصادرة عن مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، قم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

زكار ، سهيل

(٦٢٧) الإمام الزهري المستشار التاريخي للبلاط الأموي ، مجلة المنهاج ، العدد السابع ، السنة الثانية ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٦٢٨) التاريخ عند العرب ، مجلة قضايا عربية ، الدار العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، السنة الثالثة ، العدد ٢ ، ١٩٨٣.

الشبستري

(٦٢٩) الغدير في حديث العترة الطاهرة ، مقال منشور في مجلة تراثنا ، العدد الرابع ، السنة الخامسة ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

عبد الحميد ، صائب

(٦٣٠) معجم مؤرخي الشيعة ، بحث منشور في مجلة تراثنا ، العدد الثالث ، السنة الخامسة عشرة ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

عرفات ، وليد

(٦٣١) ضوء جديد على قصة بني قريظة ويهود المدينة ، (بحوث المؤتمر العالمي للتاريخ ، بغداد ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

العسلي ، خالد

(٦٣٢) نظام المؤاخاة في عهد الرسول ، مجلة دراسات للأجيال ، العدد الرابع ، (بغداد ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

العلي ، صالح أحمد

(٦٣٣) منازل الخلفاء وقصورهم في بغداد في العهود العباسية الأولى ، بحث منشورة في مجلة سومر ، (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

النصر الله ، جواد

(٦٣٤) نشأة النبي في ديار بني سعد ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٩ ، ٢٠١٠م.

(٦٣٥) هيأة كتابة التاريخ برئاسة معاوية ، بحث منشور في مجلة رسالة الرافدين ، العدد الخامس ، ٢٠٠٨م.

خامساً : الموسوعات :

الأنصاري ، محمد علي

(٦٣٦) الموسوعة الفقهية الميسرة ، ط١ ، (مطبعة باقري ، قم ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) .

الريشهري ، محمد

(٦٣٧) موسوعة الأحاديث الطيبة ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، د.ت).

(٦٣٨) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ ، ط٢ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)

(٦٣٩) موسوعة العقائد الإسلامية ، ط١ ، (مطبعة دار الحديث ، قم ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

الغروي ، محمد هادي النجفي

(٦٤٠) موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط١ ، (مؤسسة الهادي ، قم ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)

(٦٤١) موسوعة شهادة المعصومين (عليهم السلام) ، ط١ ، (مطبعة اعتماد ، قم ، د.ت).

مجموعة مؤلفين (لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام))

(٦٤٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) ، ط١ ، (مطبعة اسوة ، طهران ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م).

مجموعة من العلماء والباحثين

(٦٤٣) الموسوعة العربية الميسرة ، ط١ ، (المكتبة لعصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٣١هـ/

٢٠١٠م).

النجفي ، هادي

(٦٤٤) موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ، ط١ ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

basics of Islam and impose its sovereignty, based on the events which took place after Hijra to Madina;Hudaybia truce, conquest of Khyber, conquest of Mecca, Hanin Day, and Al-Ta'f besiege.

The fifth topic studied the end of the Message age by declaring innocence from the unbelievers, the farewell pilgrimage and the Prophet's sickness and then his death.

context, Imam Al-Sadiq mentioned that despite the profound ideological difference which separated Jews from the unbelievers, Jews hated the Messenger and his call too much. And this hatred made them cooperate with the unbelievers against Islam. The Unbelievers' cooperation with Jews continued even after their sham conversion into Islam due to Muslim's victory in Badr Battle. This ideological, political, and even intellectual conflict took five focuses in discussion. All of them concentrated on important events, such as change of the direction of Kiblah, the hypocrites' backing to Jews and the Messenger's attitude towards this backing. It also discussed the coalition of Arab unbelievers' parties with Jews against the Prophet and his policy towards BaniQuradhah. While the fifth dealt withlies and slanders as propaganda being fabricated against the Messenger to defame and underestimate his human personality, and finally with Imam Al-Sadiq's certification of some of those stories, through his narrations.

The fourth topic concentrated on the discussion of the Messenger's policy toconsolidate the

the conditions of Hijra to Madina, setting up the foundations of the Islamic state, and the Messenger's actions of building up the state such as theconstruction of Al-Masjid (mosque), settlement of the conflict between Awas and Khazraj tribes, the attainment of brotherhood between the migrants and supporters so that he could get ready to face impeding dangers.

The second focused on the intellectual dimensions of Jihad in Prophet's biography because Jihad occupied the first placein all actions in which the Islamic state was engaged since the beginning of its establishment. Jihad, as a concept,sprouted fromthe intellectual, religious and scientific principles ofIslamcore and it was not meant to be killing or bloodshed. That's why it was referred to at the beginning of the research, before the researcherembarked on the details of both Badr and Ehud battles as considered the first Jihadi fights for setting up the foundations of Islamic state.

The third topic studied the ideological and political conflict up to Hudaybia truce. In this

of biography, starting from the immigration to Abyssinia, then to Madina. It also studied the reasons behindHijra toAbyssinia; were there any political and religious reasons and impetuses which made Prophet Mohammed to order his followers to migrate toAbyssinia or only because of the oppression and coercion the first Muslims suffered at the hands of the unbelievers in Quraysh as many references mentioned? This situation was elaborately discussed here. It also focused on Quraysh besiege to BaniHashim in Abu Talib's passage, Abu Talib's death and its resultant effects on the battle between Messenger and the unbelievers inQuraysh. Then, the topic ended up with discussing of Mohammed's marriage to Aisha. The researcher made newfindings about Aisha's age when she was married to the Messenger. He proved by historical evidences that Aisha was older than what was commonly and explicitly known.

The fourth chapter dealt with Imam Al-Sadiq's narrations during the civil reign. It falls into five topics. The first topic centered about

aspects and so on. It also pinpointed methods used by Quraysh in this conflict and Abu Talib's stance towards these methods for combatting the Islamic Call.

Due to the seriousness of Mohammed'sIsra and Mi'raj topic (journey and heavenlyascent) as entered in the framework of the Islamic creed and one of the Prophet's miracles which proved the truth of his prophecy, third part discussed the Isra and Mi'raj, coming out with new results by which the researcher proved that Isra and Mi'raj was not only one event but two, attesting that with what the infallible Imams brought of evidences from the Holy Book verses, texts,Prophets'Hadithand other scientific evidences.

So the third topic paid great attention to the issue of Isra and Mi'raj; emphasized the fact that Isra and Mi'raj were subject to manipulation, forgery and falsification through what Jews inserted into it of their fabricated narrations after they had failed to combat Islam scientifically and correctly, for the Holy Book is void of defects.

The fourth part dealt with the rest of happenings

of Imam Al-Sadiq's narrations on the graceful prophetic mission until his Hijra to Madina. The chapter was divided into four parts. The first part consideredthe beginnings of the prophet's mission and of the divine inspiration. It also discussed the opinions accompanying thosebeginnings of the mission, thedivine inspiration, and how it descended, was parted. The topic concentrated on the differences between Ahl Al-Bayatschooland other Islamic schools in regards to Divine inspiration. Then it referred to thelagging of divine inspiration and the Quranicrevelations. The determination of the date oftheir decent, which assumes a special importance in the Islamic history and the prophetic biography, was seriously considered in the research; did the Prophet read or not? (Was the Prophet literate or illiterate?

After all these proceedings prior to Islamic Call and its declaration, the second part came to study how Islamic call started within its two stages; secret and public. It discussed the conflict which took tribal, intellectual, religious and class

became eight years old, his grandfather died. So he came under the guardianship of his uncle Abu Talib. During his uncle's time, great events in his life took place; his travel to Sham and the story of Buhayra, the monk, which was mentioned by many narrations. This part,analytically, studiedthis storyin detail as it will be seen.InBuhayra's story, there was a reference to Mohammed's work in trade, first, then to his being sheep shepherd. Did he mind sheep, or not?

The fourth part discussed Imam Al-Sadiq's narrations concerning the prophet's marriage to Khadija and his children. It analyzed the marriage tales and studied the reasons behind selecting Khadija as a wife. It took by search the engagement ceremonies, and the amount of dowry. Then it went to Khadija's social position; was she virgin or matron (not virgin)? It also dealt with the tale of the prophet's children.

The fifth part of the second chapter discussed the problem of rebuilding of Kaaba and placing of the black stone almost five years before Mohammed's mission.

The third chapter was devoted to the study

Talib'sbelief and that of his successors.This story hasan important place in this research because it tackled aspects of Imam's narrations, scientifically. It accurately analyzed them, based on sound logical criteria, far from prejudice,intending to attain what would support and avail thevalidity of the biography.

The prophet's birth and genealogy constitutesan important side of this chapter. The second topic discussed Mohammed's birth and the stories associatedwith it. Some of those stories were over dominated by legendary and miraculous side. That's why they were studied through criticism and analysis, with aim of pinpointing elements of weakness and strength in them. It also dealt with subject of Mohammed's suckling by. Although there are modern studies involving Mohammed's suckling, which brought in new ideas. Scientific methodology was applied to discuss these ideas, to reach truth.

Third part considered Mohammed's grandfather's guardianship. Al-Mutalib, his grandfather sponsored Mohammed two months after Mohammed's father's death. But when he

The second chapter, entitled Mohammed's bringing up till his holy mission, focused on the fact that there were greater actions which largely affected Prophet's life. It is known that Mohammed grew up in a pagan society. This atheist environment was the secret behind his grandeur. He was the only one who was brought up in the environment of ignorance, stupidity and foolishness.Despite this, he grew up in an atmosphere of truth, science and wisdom.

The second chapter is divided into five topics due to the multiplicity of its contents. The first was devoted to Imam Al-Sadiq's narrations, in relation to Mohammed's personality and disdain. The topic, first, dealt with the purity of Mohammed'sdecent, descriptions and qualities. It, then, referred to Mohammed's preference all over other prophets and messengers. Later, it focused on very important matter which was controversial among Muslims' creeds; his forerunners'belief and purity, and the connection between Abd Al-Mutalib's sons and the story of the harbinger in Quran concerned with Abu

biography through his Hadith and Shari'a which both hinted to the importance of recording. Imam Ali, on his side, translated those hints into practical steps and left a lot of the prophet's recorded Hadith. He rejectedthe principle of preventing Hadith recording, so did his decedents Imams. Ahl-Al-Bayt school started writing down Prophet's Hadith as the prophet was still alive. It also continued after his death. The infallible Imams,alternately continued the process of recording until Imam Al-Sadiq's time. The researcher referred to the enormity of Imam Al-Sadiq narrations which fills the books of Islamic heritage and different Islamic sects', with no exception. Then, the chapter tended to study the scientific value of Al-Sadiq's narrations, their validity and other qualities. He also seized the chance to refer scholars' testimonies and discourses concerned with Imam's sciences as considered a solid evidence on his scientific superiority. Imam's supremacy was an impetus behind the researcher's choice to write on the Prophetic biography through Imam's narrations.

their role in the alteration of the biographical events. It emphasized the sense of the Israeli narrations, digging out the historicalroots behind their fabrication and reasons behind their proliferation in the Islamic society. The topic did not overlook the phenomenon of fanaticism, extremism and the extremists in Islam, headed by the scholars of different Islamic schools and sects. Those scholars took of Hadith invention as a legal method to justify and prove a certain ideology whether sunni or shia. Therefore, their impact was so great that they could manipulate the events of the prophetic biography backing their perspectives by fabricated Hadiths. The chapter also extended to Imam Ali's attitude towards extremists' phenomenon and his fight against it.

The second chapter took completely different course. Instead of concentrating on the texts of prevention of Hadith recording, it tackled the priority of Ahl –Al-Baytin Al-Hadith recording. It also dealt with the significance of recording in Islam, attested by Quranic revelations, texts and testimonies from Prophet Mohammed's

ABSTRACT

This study falls into four chapters. The first chapter focuses on the importance of the prophetic biography as contained in the narrations of Imam Al-Sadiq. The chapter was divided into two main topics; the first centered around the way by which the prophetic biography was subjected to deformity, distortionand misinterpretation,mentioned by many texts and historical testimonies which showed the influence of the authoritative interferencein this deformity. All different forms of this intervention were discussed; among these modes was the prevention ofrecording andcommunication ofAl-Hadith. This occurred during the reigns of the first three Caliphs. Other kinds of deformity, clarified in this research, were the methodology of Hadith fabrication, fraudulence and misinterpretation during both Umayyad and Abbasid ages. It alsohighlighted the qualities of fabricated Hadith and the reasons behind this fabrication, attested by examples, evidences and texts, with clarification of its effects on the recording of the biography. It also studied Israeli narrations and

Prophetic chronicle
in the Imam Al–Sadiq's Narratives

by
Dr. Jumah Thijeel A'glah Al–Hamdani

2017A.D. 1438A.H.